من مؤلفة "ربما عليك أن تكلم أحدًا"

لوري غوتليب

تزوّجيه

ترجمة: الحارث النبهان

مكتبة

التنوير

لوري غوتليب

تزوّجيه

دفاع عن فكرة القبول بالسيد
«جيد إلى حد معقول»

سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

الكتاب: **تزوّجيه، دفاع عن فكرة القبول بالسيد «جيد إلى حد معقول»**
تأليف: **لوري غوتليب**
ترجمة: **الحارث النبهان**
عدد الصفحات: 368 صفحة
الترقيم الدولي: 4 - 253 - 472 - 614 - 978
الطبعة الأولى: 2023

t.me/soramnqraa

هذه ترجمة مرخصة لكتاب
Marry Him,
The CASE for SETTLING for MR. GOOD ENOUGH
by Lori Gottlieb
Copyright © Lori Gottlieb, 2010
All rights reserved including the right of reproduction in whole or in part in any form.
This edition published by arrangement with Dutton, an imprint of Penguin Publishing Group, a division of Penguin Random House LLC

الناشر
دار التنوير

لبنان: بيروت- الرملة البيضاء- بناية بنك لبنان والخليج- الطابق الثاني
هاتف: 009611797434
بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com
تونس: 16 الهادي خفشة - عمارة شهرزاد - المنزه 1 - تونس
هاتف وفاكس: 0021670315690
بريد إلكتروني: tunis@dar - altanweer.com
موقع إلكتروني: www.dar- altanweer.com

لوري غوتليب

مكتبة
t.me/soramnqraa

تزوّجيه

دفاع عن فكرة القبول بالسيد
«جيد إلى حد معقول»

ترجمة

الحارث النبهان

التنوير

إهداء

إلى زوجي، أيًا كنت

المحتويات

تمهيد: متجر الأزواج 9

القسم الأول: كيف وصلنا إلى هنا؟ 23

1 - خنادق المواعدة 25

2 - الكوميديا الرومانسية التي تنبّأت بمستقبلي 45

3 - كيف خرّبت النزعة النسويّة حياة الحب عندي 56

4 - كارثة المواعدة السريعة 77

القسم الثاني: من الخيال إلى الواقع 87

5 - أكبر سنًا، مع رغبة في أن أكون أكثر حكمة 89

6 - ثلاثة آلاف وخمسمئة دولار من أجل الحب 104

7 - «ماذا» مقابل « لماذا» 129

8 - لقاءات الاثنين مع إيفان: الجلسة الأولى: النِسب المئوية.. 143

9 - ليس هو، بل أنتِ 153

القسم الثالث: خيارات أكثر ذكاء 169

10 - لا تبالغي في التدقيق - كوني سعيدة.. 171

11 - أيام الاثنين مع إيفان: الجلسة الثانية - الفرضيات الخاطئة.. 184

12 - الرجال الذين «أفلتوا مني» 195

13 - العثور على شيلدون جديد 208

14 - أيام الاثنين مع إيفان: الجلسة الثالثة - مساوئ «الرجال المتميزين» 215

15 - ما الذي يقوله لنا الموعد الأول؟ 222
16 - النساء أكثر تدقيقًا من الرجال 235

القسم الرابع: ما هو مهم حقًا 247
17 - أيام الاثنين مع إيفان: الجلسة الرابعة ـ رغبات أم حاجات؟ .. 249
18 - مشروع الحب (كأنه بزنس) 261
19 - الحب من النظرة السابعة والعشرين 282
20 - أيام الاثنين مع إيفان: الجلسة الخامسة ـ التناسب بين الكيمياء والتوافق 291
21 - تخلي عن قائمتك، لا عن الرجل 303

القسم الخامس: خلاصة الأمر كله 311
22 - الزواج الذي يكون جيدًا إلى حد مقبول 313
23 - زيارة إلى رجل دين 324
24 - قصة كلير ـ كيف تجاوزتُ ذاتي 333
25 - قصة ألكساندرا ـ «الرجل الصحيح» موجود أمامي 340
26 - قصة هيلاري ـ عثوري على ما يلزمني 346
27 - قصتي ـ مصارحةٌ من أجل المصلحة العامة 352

خاتمة: أين هنَّ الآن؟ 361

شكر وتنويه 364

تمهيد

متجر الأزواج

مكتبة
t.me/soramnqraa

لقد تم افتتاح متجر جديد!... إنه متجر الأزواج!

عند مدخل المتجر لافتة تقول:

*يحق لكِ أن تزوري متجر الأزواج **مرة واحدة فقط**. في هذا المتجر ستة طوابق. يزداد ثمن المنتجات طابقًا بعد طابق. تستطيع كل من تأتي للتسوق هنا أن تختار أية «قطعة» معروضة في أي طابق من الطوابق، أو أن تصعد إلى الطابق الذي يليه؛ لكنها لا تستطيع النزول إلّا كي تخرج من المبنى.*

وهكذا، تدخل امرأة ذلك المتجر. ترى على باب الطابق الأول لافتة تقول:

الطابق الأول - رجال لديهم أعمال جيدة

تقول المرأة في نفسها: «*أمر لطيف! لكني أريد المزيد*».

تتابع الصعود، فتجد لافتة تقول:

الطابق الثاني - رجال لديهم أعمال جيدة ويحبون الأطفال

تحس المرأة أن هذا يغريها، لكنها تتابع الصعود.

تبلغ الطابق الثالث فتجد لافتة تقول:

الطابق الثالث- رجال لديهم أعمال جيدة ويحبون الأطفال وهم وسيمون جدًا.

تقول المرأة: «*واو!...*» لكن شيئًا في نفسها يدفعها إلى المتابعة.

الطابق الرابع - رجال لديهم أعمال جيدة ويحبون الأطفال وهم وسيمون جدًا ويشاركون في أعمال البيت على قدم المساواة مع زوجاتهم.

تقول المرأة: «*لا يمكن الحصول على ما هو أفضل من هذا!*».

لكن صوتًا داخلها يقول لها: « *أو لعله ممكن!؟*».

تتابع الصعود فتصل إلى الطابق الخامس. ترى لافتة جديدة:

الطابق الخامس - رجال لديهم أعمال جيدة ويحبون الأطفال وهم وسيمون جدًا ويشاركون على قدم المساواة في أعمال البيت ولديهم حسّ فكاهة رائع.

لقد وجدت المرأة كل ما تبحث عنه، وثمة الآن ما يغريها بالبقاء هنا. لكن شيئًا يستحثها كي تصعد إلى الطابق السادس حيث تجد لافتة تقول:

الطابق السادس - أنت الزائرة رقم 42,215,602 في هذا الطابق. لا رجال في هذا المكان. هذا الطابق موجود فقط من أجل إثبات أن إرضاء النساء أمرٌ مستحيل. نشكرك لأنك أتيت للتسوق في متجر الرجال.

ملاحظة:

بغية تفادي أي اتهام بالتحيّز لأحد الجنسين، افتتح المالك في الناحية المقابلة من الشارع نفسه متجرًا آخر أسماه «متجر الزوجات».

في الطابق الأول زوجات يحببنَ الجنس.

في الطابق الثاني زوجات يحببنَ الجنس ولطيفات أيضًا.

في الطابق الثالث زوجات يحببنَ الجنس ولطيفات، ويحببن الرياضة.

الطابق الرابع والخامس والسادس لم يصل إليهم أي زائر.

- هذه نسختي الخاصة من نكتة قديمة عن اختيار الأزواج.

لا بأس إذًا! ها نحن هنا! لو زرتُ متجر الأزواج، لكانت الصفات التي سأكتبها في قائمة التسوّق عندي على النحو التالي (أكتبها هنا مثلما تبادرت إلى ذهني ومن غير أي ترتيب بعينه):

- ذكي
- لطيف
- مرح جدًا
- فضولي
- يحب الأطفال
- مستقر ماليًا
- مستقر عاطفيًا
- مثير
- رومانسي
- عاطفي
- متفهّم
- غير متصنّع
- صاحب مبادرة
- كريم
- من ديني نفسه، لكنه غير متدين كثيرًا
- متفائل، لكنه ليس ساذجًا
- طموح، لكنه ليس من المدمنين على العمل
- موهوب، لكنه متواضع
- دافئ، لكن من غير أن يظل ملتصقًا بي
- متّزن، لكنه غير مضجر
- صاحب روح، لكنه غير مفرط في التعبير عما يحسه
- حساس، لكنه غير ضعيف
- صاحب نزوات، لكنه ليس غريب الأطوار
- ذو روح حرة، لكنه مسؤول أيضًا
- يعرف كيف يكون جذابًا، لكنه يظل حقيقيًا

- قوي، لكنه حساس
- رياضي، لكنه غير مجنون بالألعاب الرياضية
- صاحب عقل منفتح، لكن لديه تقاليده
- حاسم، لكنه لا يفرض نفسه فرضًا
- ناضج، لكنه ليس عجوزًا
- مبدع، لكنه ليس فنانًا
- يساند أحلامي وأهدافي
- لديه إحساس بروعة العالم
- في سن قريبة من سني (يشاركني مرجعياتي الثقافية)
- يحسن الإصغاء والتواصل
- مرن يعرف كيف يقبل بحلول وسط
- واسع الاطلاع - حسن التعليم، سافر كثيرًا ورأى الكثير
- طوله أكثر من 178 سم، لكنه أقل من 183 سم
- لم يفقد شيئًا من شعر رأسه (يعجبني أن يكون شعره داكنًا متموجًا - لا أريد شعرًا أشقر).
- يشاطرني آرائي السياسية
- يشاطرني قيَمي
- غير مولع بالقصص العلمية أو بالكتب المصوّرة
- لديه ذوق/ إحساس بالجمال
- لائق جسديًا ولديه وعي صحي
- لديه حرص على المجتمع عامة
- يهتم بالحيوانات
- ذو كفاءة واضحة
- ماهر في الأعمال المنزلية
- يعرف كيف يطهو طعامًا

- يحب الخروج (النزهات على الأقدام، وركوب الدراجات، والتزلج)
- معجب بأصدقائي (ويعجبني أصدقاؤه)
- غير متقلب المزاج
- جدير بالثقة
- يحسن المشاركة
- يحب الأدب ويعجبه التلاعب بالألفاظ
- لديه ميل إلى الرياضيات - أو إلى العلوم
- يحب مناقشة السياسة وما يجري في العالم (لكن من غير إكثار من الجدل)
- أنيق
- قادر على طرح أفكار جديدة
- ليس كسولًا ولا قذرًا - يحترم مكان عيشنا
- مجنون بحبي

في واقع الأمر، هذه ليست قائمتي الحالية. هذه هي القائمة التي بدأتُ بها عندما جلست كي أؤلف هذا الكتاب. لم أضع «قائمة» من قبل، لكن واحدة من صديقاتي المتزوجات دفعتني إلى كتابتها. قلت لها إنه ليست لديّ قائمة فأصرت على ضرورة أن تكون لي قائمتي (حتى إن كانت موجودة في رأسي فقط).

قلت لها لا أستطيع حصر ما أبحث عنه. ما يحدث لي دائمًا هو أنني «أقع في الحب»، ولا شيء أكثر من ذلك.

إلا أنها كانت محقة: احتجت إلى ثلاث دقائق كي أضع وصفًا تفصيليًا لرجل أحلامي. كان واضحًا أنني أحتفظ بـ«ملف جاهز» في ذهني حتى إن كنت لم أدوّن تلك الصفات في قائمة. بعد ذلك، دفعتْ صديقتي بالأمر خطوة إضافية. قالت لي: عدّلي قائمتك بحيث تصير أكثر واقعية!

جرّبتُ تعديل القائمة. حذفت بعض الأمور التي يسهل حذفها - ما من ضرورة لأن يعرف كيف يطهو طعامًا (ثم إن من الممكن دائمًا أن يتعلم هذه المهارة). أستطيع قبول أن يكون طول قامته مئة وسبعين سنتيمترًا بدلًا من مئة وثمانية وسبعين. لكن، مع أنني حذفت بعض الصفات، فقد وجدت صعوبة في التنازل عن أكثرها. إن استطعت التنازل في مسألة أن يكون «طريفًا» أو «مرحًا»، فكيف أستطيع رسم الخط الفاصل بين شخص يستطيع كلامه أن يجعل قلبي يرقص رقصًا وشخص آخر تستطيع فكاهاته أن تجعلني أبتسم فقط؟ وكيف يكون المقياس الذي أستطيع به اعتباره شخصًا «متفهمًا»؟

ثمة عوامل كثيرة جدًا! في الماضي، كنت أقابل فنانًا ليس لديه مورد ثابت فجعلني ذلك أقول إنني أريد، في المرة التالية، شخصًا مستقرًا من الناحية المالية. ثم صرت أقابل طبيبًا، لكننا لم نستطع التواصل على المستوى الإبداعي. لم يكن العثور على فنان مستقر ماليًا أو على طبيب يكتب روايات في أوقات فراغه أمرًا مستحيلًا، لكن هذا أمر نادر الحدوث. فإذا أضفت إلى ذلك بقية الصفات التي أريدها -حتى من غير ذكر «الكيمياء» بيننا- فإن السر الكامن خلف بقائي عازبة حتى الآن يصير واضحًا.

بكل بساطة، لعل الرجل الذي كنت أبحث عنه على الورق - لا وجود له! ومن الممكن أيضًا، كما قالت لي صديقتي، أن يكون بعض تلك الصفات غير مهم فعلًا من حيث إمكانية أن أعيش زواجًا سعيدًا.

عجبًا! ماذا لو كانت صديقتي محقّة؟ أأكون قد غفلت عن رجال كان ممكنًا أن يصيروا أزواجًا ممتازين لأنني كنت مشدودة إلى «شرارات» آنية وإلى قائمة صفات بدلًا من البحث عن شريك حياة حقيقي؟

بطبيعة الحال، لم أكن جاهلة تمامًا. لكنني كنت مدركة عندما بلغت سن الثلاثين أن ما من شخص كامل (بما في ذلك أنا)، وأنّ أي شخص أتزوجه سيكون كائنًا بشريًا له عيوبه مثله مثل بقيتنا جميعًا. لم أكن أبحث عن الكمال بقدر ما كنت أبحث عن الصلة الوثيقة. وكنت مدركة أيضًا أن

تلك الإثارة المُسكرة الأولى لا تضمن حبًا دائمًا، لكن إحساسي كان يقول لي إن الحب لا يمكن أن ينشأ من غير تلك الاندفاعة الأولى. لا معنى للخروج في موعد ثانٍ إذا لم أحس انجذابًا قويًا في الموعد الأول!

هذا ما كان يجعلني أتوقع أن يُدوّخني الحب، في بداية العلاقة على الأقل (حتى إذا كان معنى ذلك أن موضوع عاطفتي سيفتن عقلي فأكاد أفقد عملي وأغامر بخسارة مصدر عيشي). كنت أتوقع أن «أعرف تمامًا» أنه «هو» (حتى إذا وجدت نفسي، أكثر الأحيان، بعد سنة من ذلك «أعرف تمامًا» أنني أرغب في أن أتركه).

كنت أتوقع أن أحس نوعًا من صلة سماوية عجيبة (حتى إذا كان ذلك يعني بقائي دائمًا في حالة من الدوار وإصابتي برغبة مهووسة في تفقد بريدي الصوتي كل ثلاثين دقيقة). هكذا كان الإحساس بـ«الوقوع في الحب»!

في غضون ذلك، كانت قائمة «تسوّق الزوج» التي في وعيي تتنامى وتصير أكثر طولًا. فمع تقدمي في السن، على غرار نساء كثيرات، كانت الأشياء التي أريدها في الرجل تزداد؛ وذلك لأن خبرتي في الحياة جعلتني أدرك ما لا أريده في العلاقة، وزوّدتني أيضًا بفهم أفضل لما أريده فعلًا. لهذا، كان تفكيري يسير على النحو التالي: *لم يكن الشخص الأخير «كذا»؛ لذا، أريد أن يكون «كذا» في المرة القادمة... إضافة إلى كل ما كان في قائمتي السابقة من صفات!*

الحقيقة أن «متجر الأزواج» عندي قد تحول من بناية من ستة طوابق إلى أعلى ناطحة سحاب. لا أظن أن هذا يحدث لي وحدي!

أيكون هذا الأمر واحدًا من الأسباب المسؤولة عن التحول التالي: في سنة 1975، كان زواج معظم النساء في الولايات المتحدة يحدث قبل بلوغ الثلاثين؛ وأما في سنة 2004، فقد انخفضت هذه النسبة إلى الثلث؟ أو... لماذا ازدادت نسبة النساء اللواتي لم يتزوجن أبدًا (ضمن المجموعات العمرية التي درسها مكتب الإحصاء الأميركي - من 25 حتى 44 عامًا) بأكثر من ضعفين بين سنتي 1970 و2006؟ وددت أن أعلم السبب.

قصة حب من نوع مختلف

هذا الكتاب قصة حب. ليست قصة حبي بالضبط، لكنه يمكن أن يكون قصة حبكِ.

بدأ الأمر كله بخروجي لتناول العشاء مع المحرر الذي يعمل معي في صحيفة «أتلانتيك».

كنتُ صحافية في التاسعة والثلاثين، وأمّا وحيدة لها طفل صغير لا تزال تعاني آثارَ خروجها مع شخص آخر في الليلة السابقة. لقد خرجتُ مع محامٍ في الخامسة والأربعين، شخص يلثغ ويلوك طعامه بفم مفتوح. ظل يتكلمَ على زوجته السابقة ثلاث ساعات من غير توقف، لكنه لم يعرف كيف يوجّه إليّ سؤالًا واحدًا عني. لم أكن واثقة من استعدادي للخروج في موعد آخر... أبدًا. تعبت كثيرًا من اضطراري إلى الكلام مع أشخاص غرباء أثناء تناول أطباق الباستا في حين كنت لا أريد شيئًا غير أن أخرج مع زوجي للتسكع مساء يوم السبت مرتدية بنطلون رياضة، مثلما تفعل صديقاتي المتزوجات.

كيف صارت حياتي هكذا؟

قبل سنتين من ذلك، كتبت في «*أتلانتيك*» زاوية بعنوان «ملفات هو وهي» سردت فيها قصة القرار الذي اتخذته عندما كنت في السابعة والثلاثين، القرار بأن أنجب طفلًا وحدي. من الواضح أن هذا لم يكن حلم طفولتي؛ لكن حلم طفولتي لم يكن أيضًا أن أتزوج شخصًا لا يكون «هو». في ذلك الوقت، بدأت أعتقد أنني لن أجد ذلك الـ«هو» الذي في خيالي. أردت إنجاب طفل طالما أنني لا أزال في سن الإنجاب. وبدلًا من الانضمام إلى موقع مواعدة جديد على الإنترنت، سجلت اسمي في موقع (على الإنترنت) للتبرع بالنطاف. سرعان ما صرت حبلى، لكني ظللت آمل أن ألتقي «السيد هو». كانت خطتي أن أنجب طفلًا أولًا، ثم أعثر على «الحب الحقيقي». أحسست نفسي قوية في ذلك الوقت، بل إنني كتبت في صفحات المجلة قائلة إن ما أفعله يبدو لي رومانسيًا.

وأما الحقيقة... هاهاهاها!

والآن، في هذا العشاء مع المحرر، لم أستطع التوقف عن الضحك. بكل تأكيد، كان حبي لطفلي عارمًا. لكن، فلنواجه الأمر: ليست الأحوال رومانسية جدًا في بيت غوتليب. كنت أعاني قلة النوم مثلي مثل صديقاتي المتزوجات اللواتي لديهن أطفال صغار؛ وكنت مثلهن متوترة أحس أنني واقعة تحت ضغط كبير... لكن، ليس مثلهن، لأنني أفعل ذلك وحدي. أعلم أنه كانت لديهن، أحيانًا، شكاوى في شأن أزواجهن، شكاوى جعلتني أول الأمر معتزة بنفسي لأنني اتخذت قرارًا بألّا تسير حياتي مثلما سارت حياتهن، أي بألّا تنتهي حياتي بزواج لا يبدو مثاليًا، بزواج من رجال ليسوا مثاليين. لكن أدركت بعد وقت غير طويل أن ما من واحدة منهن ترضى بأن نتبادل مكانينا ولو ثانية واحدة. فعلى الرغم من شكاويهنّ كلها، كانت صديقاتي سعيدات، كلهن، وفي حالات كثيرة، كنّ أكثر سعادة من أي وقت مضى. تلك الأمور كلها التي كانت تبدو بالغة الأهمية عندما كنّ يخرجن في مواعيد عاطفية، صارت الآن قليلة الأهمية في حياتهن. بدلًا من ذلك، صارت فكرة اختيار إدارة بيت على نحو مشترك -مهما يكن هذا أمرًا صعبًا، «دنيويًا»، غير لامع- تبدو كأنها هي «الحب الحقيقي» في أقصى تجلياته. لماذا لم أنظر إلى الزواج بهذه الطريقة قبل خمس سنين؟

قلت للمحرر، «لو كنت أعلم يومها ما أعلمه الآن، لكان تعاملي مع المواعدة مختلفًا». ولكن، كيف لي أن أعلم؟

بحسب تعبير صديقة لي تبلغ من العمر اثنين وأربعين عامًا، ثمة معضلة في هذا الأمر بالنسبة إلى نساء كثيرات. قالت إحدى صديقاتي، «لو تزوجتُ في التاسعة والثلاثين، لظلت لديّ دائمًا فكرة خيالية مفادها أن ثمة شيئًا أفضل كان موجودًا هناك. الآن، صرت أعرف أن هذا غير صحيح. وفي الحالتين، خسرت».

فوجئت يومها عندما سمعتُ صديقتي، تلك المنتجة الذكية الجذابة، تقول ما معناه إنه كان عليها أن «ترضى بأن تستقر». لكنها أوضحت لي أنني أخطأتُ فهمها. لم تكن تعني أن عليها أن ترضى لنفسها بحياة بائسة مع

رجل لا يهمها أمره كثيرًا. كانت تعني جعلَ نفسها منفتحة على فكرة عيش حياة مرضية مع رجل ممتاز قد لا يمتلك كل ما في «قائمتها» من صفات. قالت لي إنها كانت تفهم كلمة «استقرار» عندما كانت في الثلاثينات على أنها تعني القبول بأي شيء أقل من الرجل المثالي. لكنها صارت في الأربعينات فأدركت أنها كانت تخلط بين «الاستقرار» و«التنازل».

وقد توصلت بدوري إلى تلك النتيجة عينها فبدأت أطرح على نفسي عددًا من الأسئلة المهمة. ما الفرق بين الاستقرار والتنازل؟ فيما يتصل بالزواج، ما الذي نستطيع العيش من دونه وما الذي لا نستطيع العيش من دونه؟ وكم تكون الفترة المنطقية التي يمكن أن تظل المرأة خلالها تنتظر ظهور شخص أفضل... شخص قد لا تجده أبدًا، أو قد لا يكون موجودًا، أو قد يكون موجودًا لكنه ليس في متناولها - في حين يمكن أن تعيش سعيدة مع شخص موجود أمامها الآن؟

طرحت تلك الأسئلة على المحرر الذي كان معي تلك الليلة، فلم تكن لدى أيّ منا إجابات عنها. ظل بعد ذلك ساعتين يحدثني عن زواجه؛ وحدثته عن «عالم المواعدة». ومع انتهاء جلستنا، قال لي إن عليّ مناقشة هذه المسائل في مقالة أكتبها في الصحيفة.

قابلت خلال الأسابيع التي أعقبتْ ذلك صديقات ونساء أعرفهنّ وتحدثنا عن علاقاتهن فتبين لي أمر فاجأني. بصرف النظر عمّا إذا كانت الواحدة منهن قد تزوجت بعد حب عاصف، أو من دون حب عاصف، فالظاهر أن أثر ذلك لم يكن كبيرًا من حيث مقدار سعادتهن الآن. فرصة أن يكون الزواج ناجحًا أو غير ناجح تكاد تكون متساوية في الحالتين. وفي حين كانت النساء العازبات اللواتي تكلمت إليهن يواصِلن -على الرغم من عدم سرورهن بأنهن عازبات- طردَ الرجال «المهووسين بالرياضة» أو الرجال ذوي «القامات القصيرة» لتصورهن أنهن إذا تزوجن شخصًا قصيرًا لا يقرأ الروايات فسوف يكون زواجهن غير موفق، كانت النساء اللواتي فعلن ذلك، بالضبط، يعشنَ زواجًا لا يستطيع أحد وصفه بأنه غير موفق.

عندما ظهرت مقالتي في عدد «أتلانتيك» الصادر يوم الفالنتاين، وكان عنوانها «اقبلي به زوجًا: دفاعًا عن الاستقرار مع السيد 'جيد بما فيه الكفاية'»، بدأت تأتيني إيميلات من أشخاص غرباء عني تمامًا، رجالًا ونساء، متزوجين وغير متزوجين، أعمارهم بين الثامنة عشرة والثامنة والسبعين. كانت تلك الرسائل ذات طابع شخصي إلى حد عجيب؛ وقد أقر أكثر أصحابها بأن هذه الأسئلة كلها قد عذّبتهم في حياتهم. تمكّن قسم من النساء من العثور على حلول سعيدة. وكانت تلك النساء شاكرات لأنهن يعشن الآن مع نسخة أكثر واقعية من «الشخص المثالي» الذي كان في خيالهنّ. وقد أسف عدد من النساء على أنهن تركن رجالًا رائعين يفلتون من أيديهن نتيجة ما يبدو لهنّ الآن «أسبابًا تافهة». إلا أن نساء غيرهن قلن إن زواجهن نتيجة «حب ناري» قد ترك لديهن إحساسًا غير مريح لأن استقرارهن جاء «بعد فوات الأوان». فبعدما صارت الواحدة منهن قادرة على رؤية زوجها بوضوح، أدركت أنه ليس ما كانت تريده. كما قال لي أشخاص آخرون -من بينهم رجال دين ومعالجون نفسيون في قضايا الزواج- إن «تعديل» التوقعات بطريقة صحية من شأنه أن يساعد الناس في الوصول إلى الرضا العاطفي.

ولكن، في أي موقع يتركني هذا الكلام؟ ففي «عالم المواعدة»، كنت أفعل، بالضبط، ما اقترحتُه على الناس في مقالتي في «أتلانتيك». كنت أحاول أن أصير امرأة ذات ذهن أكثر انفتاحًا، وأن أصير أكثر واقعية وأركز على ما سوف يكون مهمًا في زواج يستمر زمنًا طويلًا بدلًا من التركيز على المشاعر الرومانسية المباشرة. لكن ما بدا لي هو أنني لم أجد هذا ناجحًا. لا أزال مستمرة في الانجذاب إلى الرجال الذين يوافقون صورة بعينها موجودة في ذهني؛ وعندما أقابل رجالًا ليسوا كذلك، لا أحس انجذابًا إليهم. صحيح أنني لم أعد أبحث عن تلك المشاعر التي نشبّهها بـ«رفرفة الفراشات»- ولكن، ألا ينبغي أن يكون بعضٌ من ذلك موجودًا؟ وإن كان بعضٌ منه موجودًا، فما المقدار الذي أستطيع اعتباره كافيًا؟

ماذا لو كنت أريد «ثمانية» مختلفة؟

تلقيت بعد ذلك إيميلًا من امرأة عازبة تقول إنها لا تبحث عن شخص يحقق درجة عشرة من عشرة... ستكون درجة ثمانية أمرًا عظيمًا! بل إنها كانت تقابل بالفعل رجلًا لا يستحق أكثر من ثمانية. لكنها قالت إن ثمة مشكلة واحدة: «ماذا لو كنت أريد ثمانية مختلفة؟».

أدركت عند ذلك أن هذه هي مشكلتي... هي بالضبط! وأدركت أنها أيضًا مشكلة نساء كثيرات. لقد كانت تلك المرأة مُقرّة بأن عليها أن تبحث عن «رجل جيد بما فيه الكفاية» (رجل موجود) بدلًا من «الأمير الساحر» (الذي لا وجود له). لكنها لم تكن تعرف كيف تطبق هذا الكلام - وأنا أيضًا لم أكن أعرف. الحقيقة أنني كنت أتلقى رسائل تقول لي صاحباتها إنهن قررن الارتباط بسبب مقالتي، فأقلقني احتمال أن أتلقى -بعد سنين من ذلك- سيلًا من الإيميلات التي تقول لي صاحباتها إن طلاقهن كان ناتجًا عن مقالتي؛ وذلك لأن ما من أحد كان يعلم المعنى الفعلي لفكرة أن نكون نساءً أكثر واقعية. فما مقدار التنازلات التي ستكون أكثر مما ينبغي؟ وكيف يكون التمييز بين الإفراط في التدقيق وبين أن يكون لدينا شخصان لا يناسب أحدهما الآخر؟ إن كان وجود المرأة مع «رجل جيد بما فيه الكفاية» يعني عاطفة وصِلة مشتركة، فهذا جيد! لكنه يعني أيضًا أن تكون التطلعات منطقية. فكيف السبيل إلى الموازنة بين الأمرين؟

بغية العثور على الإجابة، قررت أن أجعل نفسي «فأر التجارب» في ميدان المواعدة. سوف أذهب وأحصل على بعض الإجابات... ثم أطبقها في حياتي، في العالم الحقيقي.

بدأت الأمر بالحديث مع أشخاص متميّزين في ميدان الدراسات التي تتناول الزواج، ومع مختصين في الاقتصاد السلوكي، وكذلك مع علماء اجتماع وعلم نفس وأنثروبولوجيا وأعصاب وقادة روحيين ومختصين في المعالجة النفسية للثنائيات، ومحامي طلاق، و«مدرّبي مواعدة»، ووسطاء زواج، ومختصين في علم السكّان. استمعت أيضًا إلى قصص أشخاص

عازبين ومتزوجين كانت لديهم تجارب مفيدة. بالطبع، لم أتوقع أن أجد الإجابة عند أي منهم بمفرده، لكني رجوت أن تزوّدني أحاديثي معهم بأفكار يمكن أن تجعلني أكثر قربًا من العثور على الرجل المناسب... وقد أتمكن من مساعدة غيري أيضًا!

ما سيأتي بعد هذا الكلام ليس كتاب نصائح، ولا دليلًا عمليًا في المواعدة. ما من جداول ينبغي ملؤها وما من قواعد ينبغي اتباعها. بدلًا من ذلك، سيكون كتابًا صادقًا في شأن الأسباب التي قد تجعل «حياة المواعدة» تسير خلافًا لما هو مخطط لها وخلافًا لما قد تكونه «القواعد» التي يضعها كل إنسان لنفسه. بعد ذلك، يكون من شأن القارئة وحدها أن تقرر طبيعة الخيارات التي تريد اعتمادها في المستقبل.

وسوف أحذر القارئات من أن ما يقوله بعض الخبراء قد لا يعجبهن. في البداية، لم تعجبني تلك الآراء فأمضيت وقتًا طويلًا في «الصراخ» مُنكرةً الحقائق. لكني أدركت آخر الأمر أن المعرفة قوة وأن هذه الرحلة قد غيرتني تغييرًا عميقًا وغيّرت أيضًا «حياة المواعدة» التي أعيشها. ومن الممكن أن تغيركِ أنتِ أيضًا.

أقول هذا لأنني اكتشفت آخر الأمر أن العثور على رجل تستطيع المرأة أن تكون معه على حقيقتها هو وحده «قصة الحب الحقيقية».

القسم الأول

كيف وصلنا إلى هنا؟

1

خنادق المواعدة

اتصلت صديقتي جوليا ذات يوم وقالت لي إنها تركت صديقها كريغ. قالت لي، «لم أكن أرى فيه ما يُلهمني».

عندما التقت جوليا صديقها كريغ قبل سنتين من ذلك اليوم، كان كلاهما في الثامنة والعشرين ويعملان معًا في واحدة من المنظمات التي لا تهدف إلى الربح. رأته شخصًا ظريفًا، حلو الطباع، ذكيًا جدًا. كان شخصًا غير أنيق يرتدي دائمًا بنطلونًا قديم الطراز عالي الخصر- لكنها وجدت نفسها معجَبة بأنه «شخص حقيقي» و«غير مدّع»، وكذلك بأنه «غير مادي». فوق هذا كله، كانت ترى نفسها مرتاحة معه على نحو لم تعرفه مع من سبقوه. أبدًا، لم تكن لجوليا علاقة مع أي شخص «مُسانِد» مثل هذا الرجل. كان يساعدها مهما تكن أهدافها. وإذا أساء إليها أحد، فهو يدافع عنها. كلما ضعفت ثقتها، يجعلها ترى نفسها جميلة. قد يظن المرء أن من شأن هذا أن يجعلها تحبه أكثر؛ وهذا ما كان بالفعل... أول الأمر. أما الآن، بعد أن بدأ كريغ يطرح فكرة الزواج، فقد بدأ يظهر لذلك كله أثر معاكس.

قالت لي: «كان كريغ يجعلني أحس نفسي أروع امرأة في العالم. لذا، بدأت أقول لنفسي: إن كنت رائعة إلى هذا الحد، فربما ينبغي أن أكون مع شخص أفضل منه!».

كانت تعني بكلمة «أفضل»، جزئيًا، «شخصًا أشد جاذبية». من الممكن أن يكون كريغ خجولًا وأن يحس شيئًا من قلة الأمان في بعض المواقف

الاجتماعية، في حين كانت جوليا امرأة واثقة منطلقة. كانت جوليا تفهم النكات السريعة القصيرة، في حين كان إحساس كريغ بالنكات أكثر رهافة. كان شخصًا منحدرًا من خلفية أكثر تواضعًا من الوسط الذي انحدرت منه جوليا؛ وهذا ما يجعله أحيانًا «بعيدًا» عن أجواء بعض الأحاديث التي تدور بين جوليا وأصدقائها.

في غضون ذلك، وبفضل تشجيع كريغ، ارتقت جوليا السلم الوظيفي وصار دخلها، آخر الأمر، أعلى من دخله. ليس أعلى منه كثيرًا، لكن هذا جعل جوليا غير مرتاحة.

قالت لي: «أريد أن أعمل. لكن، لست أدري! لم أكن أتخيل أن زواجي سيكون هكذا».

سألتها عما كانت تتخيله فأطلقت زفرة فيها قدر من الحرج.

قالت: «صدقًا!؟ أظنني أريد أن يكون زوجي رجلًا أكثر اهتمامًا بكسب المال».

قلت لها إن طبع كريغ أحلى من طبع أي شخص عرفتْه... صديقها الأخير خاصة، ذلك المحامي الطموح الذي كان يحدث له كثيرًا أن «ينسى» الاتصال بها عندما يعدها بأنه سيتصل. كان كريغ رجلًا محبًا، تستطيع الاعتماد عليه. وكان متحمسًا لعمله. كان الجنس بينهما رائعًا. كانت اهتماماتهما مشتركة، خاصة وأنهما يعملان في المجال نفسه. كانا يمضيان معًا أوقاتًا جميلة.

كررت جوليا عباراتها، «لم أكن أرى فيه ما يلهمني. إنه كذلك تمامًا، كما تعلمين، لطيف فعلًا، نوع معتاد من الرجال. لقد بدأت أقول لنفسي: 'أهذا هو الأمر؟ أهذا هو الرجل الذي انتظرته طيلة حياتي؟'. يقلقني أنني يمكن أن أسبقه على المدى البعيد، وسوف أكون راغبة في المزيد».

سألتها: «المزيد من ماذا؟».

ظلت صامتة زمنًا بدا لي طويلًا جدًا. ثم قالت: «المزيد مما كنت أتخيّله. هو غير صالح لأن يكون زوجًا لي».

وهكذا، كانت الخيبة من نصيب ذلك الرجل الرائع... أو، هل كانت الخيبة من نصيبه فعلًا؟ على أية حال، ما الذي تريده المرأة في الزوج هذه الأيام؟

أي شيء إلّا أن يكون شخصًا مُضجرًا

لم ينقضِ وقت طويل بعد حديثي مع جوليا حتى التقيت في بار في مدينة لوس أنجلوس خمس نساء تتراوح أعمارهن بين العشرين والثلاثين عامًا. سألتهن عما يجعل العثور على «مادة الزوج» أمرًا صعبًا إلى هذا الحد. اتفقن جميعًا على الإجابة التالية: قد يعجبني هذا الرجل أو ذاك... لكني لست في حاجة إلى رجل! فلماذا يتعين عليّ أن أخفض معاييري؟

قالت أوليفيا، التي هي مصمّمة مواقع إنترنت في السابعة والعشرين من عمرها: «أفضّل البقاء وحدي على الاستقرار مع رجل. عشت في أوائل العشرينات مع شركاء سكن مزعجين، لكني لا أستطيع تخيّل أن أتناول عشائي كل يوم، وأن أنام في سرير واحد، مع شريك سكن من الذكور لمجرد أنه الزوج الذي استقرّ أمري عليه».

أومأت رفيقاتها برؤوسهن موافقات على ما قالته.

تابعت أوليفيا، وكانت نصف مازحة: «لست أدري كيف تنظرين إلى هذا. لكن، لا بد لي أن أقع عميقًا جدًا في حب واحد من الناس كي أستطيع أن أنظف أسناني على مسافة قدمين فقط من المكان الذي يقضي فيه حاجته كل صباح».

قلت لها، وبصرف النظر عن المزاح: «إن إغلاق باب الحمام أمر ممكن، لكن فرص التقاء رجال جيدين ليست متوفرة على الدوام». ثم سألتُ تلك النساء عن تعريفهن كلمة «استقرار». هل يعني هذا اختيار رجل يكون مزعجًا حقًا، أو التنازل عن بعض الصفات المرغوب فيها مقابل الحصول على صفات أخرى أكثر أهمية؟ وماذا يمكن أن تكون تلك الصفات؟

قالت لورا التي تعمل مذيعة في محطة راديو: «لا أستطيع أن أكون مع رجل مضجر حتى إذا كان رجلًا لطيفًا ذكيًا جذابًا».

قالت كلير، وهي طالبة في الجامعة: «بالضبط! ثمة رجال أذكياء، لكن مما يصدمك أن يكونوا غير قادرين على إثارة اهتمامك على الرغم مما لديهم من ذكاء. على الرجل أن يكون ذكيًا على نحو يجتذب الاهتمام. عليه أن يكون *فضوليًا!*».

قالت نينا: «فضولي، لكن من غير أن يكون جادًا كثيرًا. على الرجل أن يكون عصبيًا قليلًا». تعمل نينا مديرة تسويق.

قالت لورا: «لكن عليه ألّا يكون شديد العصبية. ينبغي أن يكون طبيعيًا... لكن غير مضجر».

طلبت منهن إعطائي أمثلة عما تعنيه كلمة «مضجر».

قالت نينا: «ينبغي أن يكون لديه إحساس بالفكاهة. لا يكفي أن يجلس هناك ويضحك لأنني قلت شيئًا طريفًا. الرجال المضجرون ليسوا طريفين، لكنهم يظنون أنك طريفة فيضحكون».

قالت كلير: «على العكس تمامًا. يظنون أن المرأة صاحبة إحساس جيد بالفكاهة إذا ضحكت عند سماعها نكاتهم. وحده الرجل المضجر هو من يعتقد ذلك».

قالت لورين التي تعمل في جمع الأموال من أجل حملات سياسية: «أو الرجل النرجسي».

قالت أوليفيا: «الحقيقة أن النرجسيين مضجرين أيضًا!»، فضحك الجميع.

كانت النساء الخمس جذّابات إلى حد معقول، لكنهن لسن حسناوات؛ فيهن ما يلفت الأنظار، لكنهن لسن ساحرات. قلت لهن إنه قد يأتي وقت تشعر فيه الواحدة منهن بالوحدة بعد خروجها في تلك المواعيد كلها، باحثة عن «الرجل الكامل» بدلًا من بنائها حياة لطيفة مع «أحدهم».

قالت لورين: «أشعر بالوحدة منذ الآن؛ لكن الوحدة أفضل من

الضجر». أحيانًا، تجد لورين عملها في جمع الأموال مضجرًا، لكن غالبًا ما تعتبره مُرضيًا لها. لهذا السبب، هي غير مستعدة لترك عملها من أجل مَيلها الحقيقي الذي هو الرسم؛ وذلك أن هذا يبدو لها مخاطرة كبيرة.

سألتها: «يعني هذا أنك مستعدة للتنازل في ما يتصل باختيارك عملك، لكن غير مستعدة للتنازل عند اختيار شريك الحياة. أنت مستعدة لقضاء ثماني ساعات كل يوم في وظيفة 'جيدة إلى حد معقول' بدلًا من تركها من أجل شغفك الحقيقي، أي أن تكوني فنانة».

ضحكت لورين طويلًا عندما سمعت هذا.

قالت لي: «الحقيقة أن هذا شيء مختلف. أنا إنسانة عملية في ما يتصل بمهنتي. لكن... أن أكون عملية في الحب!؟ لا تستطيعين أن تكوني عملية في شأن مشاعرك. يبدو هذا أمرًا... غير رومانسي أبدًا».

في تلك اللحظة تمامًا، دخل إلى المكان رجل ظريف الهيئة بدا في الثلاثين تقريبًا. مر بنا ملقيًا على النساء الجالسات نظرة متفحّصة. تجاهلتْه النساء. سألتهن عن السبب.

قالت أوليفيا: «قصير أكثر مما ينبغي». لا يتجاوز طول أوليفيا 158 سم.

أضافت كلير: «وماذا عن تلك النظارة؟». هي أيضًا تضع نظارة كبيرة الحجم.

تساءلت إن كنّ منفتحات على فكرة مواعدة رجل قصير القامة يضع نظارة من موديل السنة السابقة إن كان يتمتع بعدد من الصفات التي قلن إنهن راغبات فيها: ذكي، ظريف، عصبي قليلًا، لطيف، ناجح... وبالطبع، غير مضجر. ما مدى أهمية المظهر الذي نراه في النظرة الأولى؟

قالت لورا: «لقد جرّبت ذلك. لكني لا أستطيع إرغام نفسي على الانجذاب إلى واحد من الناس. ينبغي أن أشعر بذلك منذ البداية. إذا لم تحسي انجذابًا جسديًا عندما ترين شخصًا، فهذا يعني أنك ترغمين نفسك... هذا الأمر لا ينجح أبدًا».

فوجئت أول الأمر كيف سارعت تلك الفتيات اللواتي كنّ في العشرينات

إلى «صرف النظر» عن هذا الرجل الظريف، حتى من غير التفكير في بدء حديث معه لمعرفة المزيد. أعني، نحن لسنا في المدرسة الثانوية حيث يوفر «الملعب» فرصًا متساوية من ناحية الاحتمالات الرومانسية المتاحة. نحن في عالم الكبار، العالم الذي يقترن فيه الناس ويتزوجون، العالم الذي يتناقص فيه عدد الرجال العازبين المتاحين لنا من غير أن تكون هناك آلية موجودة تسمح لنا بأن نلتقي أشخاصًا يفكرون كما نفكر، مثلما كان الأمر في الماضي.

لكني تذكرت نفسي عند ذلك، تذكرت نفسي في العشرينات عندما كانت الاحتمالات لا تزال تبدو لي لا نهائية إلى حد مدهش ـ مع أنها لم تكن لا نهائية!

شديدة التوق، لكنها شديدة التدقيق

آه، نعم، إنه الاختلاف الناجم عن عقد من السنين! بعد خمس ليالٍ، التقيت في ذلك البار نفسه خمس نساء عازبات تتراوح أعمارهن بين أواخر الثلاثينات وأوائل الأربعينات. طرحت عليهن ذلك السؤال نفسه: لماذا يصعب أن نعثر على رجل جيد؟ ونقلت إليهن ما دار من حديث بيني وبين النسوة الأصغر سنًا في شأن الضجر والإحساس بالوحدة.

ستيفاني طبيبة أطفال جذابة في التاسعة والثلاثين. قالت لي: «اسأليهن بعد عشر سنين من الآن. إن كنّ اليوم في انتظار 'الأمير الساحر'، فسوف تجدينهن ضجِرات وحيدات. لن يظل العمل مثيرًا بالنسبة إليهن، وسوف يصبح تناول شرابٍ مع الصديقات أمرًا عتيقًا. وفي أيام العطلات، سيخرجن في نزهاتٍ مع صديقاتهن المتزوجات وأطفالهن، أو مع أبناء وبنات أشقائهن وشقيقاتهن. وهذا كله سيجعل الواحدة منهن أكثر اكتئابًا لأنها لم تكوّن لنفسها أسرةً».

اعترفتُ لهن بأنني تفهمت تلك الشابات الراغبات في أن تكون لهن علاقات، لكن لديهن فكرة شديدة التعقيد عن الرجل الذي يمكن أن

يعجبهن. قلت إن «حياة المواعدة» التي أعيشها تصير، كلما كبرت أكثر، أشبه بهذه المفارقة السامّة: شديدة *التوق*، لكنها شديدة *التدقيق*. فهمتْ النساء الجالسات معي فهمًا دقيقًا ما عنيته بهذا التشبيه.

قالت ليز، كاتبة السيناريو البالغة سبعة وثلاثين عامًا: «هذا صحيح جدًا! تتملكني رغبة في أن أهزّ النساء الأصغر سنًا وأقول لأيّ منهن: هل تعلمين أن الرجل الذي يضحك بصوت أعلى مما ينبغي عندما يكون بين الناس قد لا يحب طريقتك في مضغ الجزر في ولائم العشاء؟... لكن طريقتك هذه التي لا تعجبه لن تجعله يصرف النظر عنك تمامًا».

كان سهلًا على تلك النساء ذكر ما كان في أذهانهن من أمور تجعلهن ميّالات إلى صرف النظر عن أي شخص... أي ذكر تلك الأسباب التي جعلتهن ممتنعات عن استمرار علاقاتهن وتطويرها عندما كنّ أصغر سنًا. هذا ما سمعته منهن:

- «كان شخصًا مُحبًا جدًا، لكنه لم يكن رومانسيًا بما يكفي. أعدّ لي في يوم الفالنتاين شريط تسجيل فيه مجموعة من الأغاني المفضّلة عندي، وأهداني جلسة تدليك استمرت ساعة كاملة. لكني أمضيت النهار كله في العمل أنظر إلى الشاب الذي يعمل في متجر الأزهار سائرًا في الممر يوزع الأزهار المرسَلة إلى زميلاتي؛ وكنت أقول في نفسي: أين أزهاري؟ أردت رجلًا يرسل إليَّ أزهارًا».
- «كان يقدم لي أزهارًا، لكنها كانت أزهارًا رخيصة ناطقة بذوق رديء... ناطقة بإحساس مفاده أنني لا أستحق أزهارًا أجمل منها».
- «لم يكن مثيرًا بما يكفي. أحسست كأننا قد تزوجنا بالفعل. كان هذا أمرًا لطيفًا في ناحية منه، لكن من المفترض أننا كنا لا نزال في فترة الغزل».
- «كان شعر أنفه طويلًا. وكان هذا يزعجني. لم أمتلك الجرأة اللازمة كي أقول له أن يقص ذلك الشعر. لذا... توقفت عن رؤيته».
- «كان يبكي. لم يعجبني هذا في المرة الأولى، لكن لا بأس! في المرة الثانية، تقزّزت. أحسست أنه صار ضعيفًا جدًا في نظري».

- «لقد كان شخصًا يسهل كثيرًا توقّع تصرفاته. هذا ما جعلني أبدأ الخروج مع أشخاص يُبقونني في ترقب دائم فلا أعلم ما يمكن توقعه منهم. كان ذلك فظيعًا. أنا الآن مستعدة لتقديم أي شيء مقابل شخص يسهل عليّ توقّع ما يفعله».
- «كان صوته مصدر إحراج لي. يرد على الهاتف أحيانًا عندما يكون في شقتي، فيظن الناس أنني أنا التي تجيبهم؛ وهذا لأن لديَّ صوتًا منخفض النبرة. وأما من النواحي الأخرى، فقد كان رجوليًا تمامًا. كان رجلًا رائعًا».
- «كان شخصًا مفرط التفاؤل. مبتهجًا جدًا طيلة الوقت، حتى في الصباح الباكر عندما ينطلق رنين المنبه. وكنت أجد هذا مزعجًا جدًا. يعرف دائمًا كيف يعثر على وجه إيجابي لكل شيء... 'تعطل موقد الطبخ. فلنذهب ونتعشى في الخارج!'... لكني أكون غير مسرورة لأن عليّ أن أشتري موقدًا جديدًا. لم أكن راغبة في النظر إلى 'الجانب المشرق' طيلة الوقت. بعد ذلك، خرجت مع رجل أكثر ميلًا إلى التهكم والإحساس بالمرارة. وبعد فترة من الزمن، صار ذلك محبطًا لي. هذا ما دفعني إلى محاولة استعادة الرجل المتفائل، لكنه قال لي إنني متشائمة أكثر مما يعجبه».
- «كان أصلع الرأس تمامًا عدا تلك الحلقة من الشعر وسط رأسه وبضع شعرات في جبهته. كان هذا يطفئ رغبتي فيه، لكني أحاول تجاوزه لأن الرجل يعجبني، يعجبني حقًا. قالت لي صديقاتي، 'إنّ له وجهًا لطيفًا، وجسدًا جميلًا. ثم إن أكثر الرجال يصابون بالصلع آخر الأمر'. لكنه كان في الخامسة والثلاثين فقط. وأنا، كان يجذبني دائمًا الرجال الذين لهم شعر أستطيع أن أمرر أصابعي فيه. والآن، أعتبر نفسي محظوظة إذا كان على رؤوس الرجال الذين ألتقيهم أي مقدار من الشعر، وإن يكن قليلًا».

- «كان يعتبر ابتكاره كلمات غريبة أمرًا طريفًا مسليًا، كلمات من قبيل 'عاجيييب'، كان يفعل هذا كثيرًا... أمام الناس أيضًا. كنا في حفلة ذات مرة، فقال لأحدهم: 'أن تكون طبيبًا ليس أمرًا عاجيييبًا'. أحرجني هذا. تركته في اليوم التالي».
- «كان يحبني كثيرًا. وكنت أحس كأنه أشبه بكلب منزلي ينظر إليّ دائمًا بتلك العينين الوالهتين. أردت رجلًا أكثر رجولة».
- «لم يكن ممن يتقنون السلوك الرفيع. لا يعرف كيف يطلب قائمة النبيذ. بل إنه لم يشاهد فيلم '*كازابلانكا*'. أمر عجيب! كيف يكون المرء في الثانية والثلاثين ولم يشاهد ذلك الفيلم؟».
- «لم أكن أحس الأمر، هكذا فقط... وأنا أسأل نفسي الآن: ماذا كنت أنتظر أن أحس؟ وهذا لأنني، في حقيقة الأمر، كنت أحب أن أكون معه أكثر مما أحببت وجودي مع أي شخص غيره. لم أحس تلك الكيمياء القوية قبله، ولا بعده».

أصغيت إلى تلك النسوة، وفكرت في الأسباب التي جعلتني أتخلى عن رجال عرفتهم عندما كنت أصغر سنًا. أتذكر توم أكثر مما أتذكر أي شخص آخر. كان يحلق شعره في صالون واحدة من صديقاتي. وكانت تلك الصديقة من المثليات. قالت لي إنه صيدلاني وسيم ساحر لامع. وأرادت أن ترتّب موعدًا بيني وبينه.

قالت لي: «إنه الشخص الوحيد الذي يستهويني». بدا لي هذا مديحًا حقيقيًا من امرأة محايدة تجاه الرجال. كان لديّ اهتمام بالعلوم؛ وبدا لي هذا الرجل جذّابًا جدًا. لكني رفضت، رفضت عندما كنت في التاسعة والعشرين. رفضت لأن صديقتي الحلّاقة قالت لي إن شعر توم أحمر اللون فلم أتوقع أن أنجذب إليه. كنت واثقة من أن الشعر الأحمر أمر لا يناسبني. (من الواضح أن الصفات التي أطلبها في الرجال كانت أعلى مما لدى صديقتي!).

كان هناك أيضًا ذلك المحامي الذكي الطريف الجذاب الذي خرجت معه مرات كثيرة قبل أن أفقد اهتمامي به لأنه يكثر من استخدام كلمة «رائع». أذكر أنني قلت لواحدة من صديقاتي، «كل شيء 'رائع' عنده! ليس 'عظيمًا' ولا 'ممتازًا' ولا 'جذابًا'، ولا حتى 'لطيفًا'. إنه 'رائع' دائمًا». حاولت تجاوز مشكلتي مع تلك الكلمة، لكنها كانت تضايقني كلما قالها. (لست أدري كيف... لكن حقيقة أنني أكرر كثيرًا استخدام كلمات «مثل» و«كما تعلم» لم تكن تزعجه أبدًا).

عندما كنت في أوائل الثلاثينات، التقيت في إحدى الحفلات شخصًا شديد الجاذبية يعمل مبرمجًا. أعطاني رقم هاتفه في العمل وقال لي أن أتصل به في أي وقت لأنه «موجود هناك دائمًا» - هكذا قال. لم أرد أن أكون مع واحد من مدمني العمل، فلم أتصل به أبدًا. لم يتبادر إلى ذهني أنه قد يكون في عمله طيلة الوقت لأنه يحاول النهوض بشركته التي أسسها بنفسه، أو أنه سيكون لديه سبب يجعله يعود إلى البيت ليلًا لو كانت له صديقة. ثم إنني لم أحفل أصلًا بتقصّي الأمر لأنني كنت أفترض دائمًا أنه ستكون هناك فرصة أخرى، رجل آخر في حفلة أخرى. أو احتمال التعرف على شخص جديد عبر الإنترنت. وحتى مع تضاؤل عدد الرجال وتضاؤل فرص لقائهم مع بلوغي أواسط الثلاثينات، بقيت مصرة على أن تكون لي علاقات جادة مع رجال يلبّون معاييري المتشدّدة التي صرت أراها -عندما أنظر إليها الآن- معايير سطحية. كانت خلاصة موقفي أنني «لم أُمضِ هذا الزمن كله أبحث عن 'الرجل الصحيح' لمجرد أنني أريد الاستقَرار». ولكن، هل يكون تنازلًا من جانبي أن أستقر مع الصيدلاني ذي الشعر الأحمر، أو مع المحامي الذي يحب كلمة «رائع»، أو مع المبرمج الذي يواصل العمل حتى منتصف الليل كي يجعل شركته تنطلق؟

لن أعرف هذا أبدًا.

كانت النساء اللواتي التقيتهن في البار مُحرَجات مثلي لأنهن صرفن النظر عن بعض الرجال في ما مضى... كان لديهن تقييم لكل رجل منهم:

لديه أكثر مما ينبغي من «هذا الأمر»، أو ليس لديه ما يكفي من «ذلك الأمر». لم يكن أولئك الرجال يلبّون الصورة التي في أذهاننا عن الشخص الذي نعتقد أن الأمر سينتهي بنا معه. هذا ما تركنا «ننتهي» مع: لا أحد.

سألتُ المجموعة إن كانت الأشياء التي من هذا النوع لا تزال الآن أمورًا لا يمكن التنازل فيها.

قالت كيثي، وهي استشارية في الثامنة والثلاثين: «إذا قابلت الآن رجلًا لم يشاهد فيلم 'كازابلانكا' فلن أسقطه من حسابي، مع أن هذه النقطة ستظل موجودة في مكان خفيّ في ذهني. لا أستطيع القول إنني سأتخلى عنها تمامًا لأنها تنطق بمشكلة خواء ثقافي أكبر حجمًا. مع ذلك، يمكن القول إجمالًا إن الشروط التي لا أستطيع التنازل عنها قد تغيرت».

فما هي الأمور التي لا يمكن التهاون فيها عند تلك النساء؟ شخص مدمن، أو شخص رديء الطبع، أو شخص غير لطيف، أو شخص من غير عمل، أو شخص من غير دفء، أو شخص ليس لديه طبع كريم، أو شخص لا يتحلى بالمرونة، أو شخص غير مسؤول، أو شخص غير صادق، أو شخص لا يمكن أن يكون أبًا جيدًا، أو شخص كبير السن إلى حد يجعل المرأة تجده مثل أبيها. أما بقية الرجال، فهم «قابلون للتفاوض»؛ لكنّ هذا الإدراك قد يكون متأخرًا جدًا: فبحسب تجاربهن، غالبًا ما يكون الرجال الذين يُقبلون الآن على مواعدتهن رجالًا لديهم بعض من هذه الصفات المرفوضة الخطيرة، في حين أنها لم تكن موجودة لدى الرجال الذين كانوا «متوفرين» قبل عشر سنين.

«بشكل من الأشكال، لا أزال أبحث عن ذلك النوع نفسه من الرجال الذي كنت أبحث عنه في الخامسة والعشرين، إلا أنني أريد من الرجل الآن أن يكون راغبًا في إنشاء أسرة وقادرًا على الإنفاق عليها جيدًا، أمران لم أكن أفكر فيهما آنذاك. ففي ذلك الوقت، كان هؤلاء هم الرجال الذين أنهي علاقتي بهم». هذا ما قالته مندوبة المبيعات الصيدلانية بث البالغة سبعة وثلاثين عامًا.

توافقها اختصاصية التصميم الداخلي آمي التي صارت الآن في الثالثة والأربعين. قالت إنه كان لديها أصدقاء إلى أن بلغت التاسعة والثلاثين، عندها «لم يعد يريد الخروج معي إلا رجال بلغوا الخمسين».

سألتهن: لماذا لا تعدن إلى أولئك الرجال الذين لم تكنَّ راضيات بهم... الآن بعد أن صاروا جذابين بالنسبة إليكن؟

أجبنني بصوت واحد: «لقد تزوجوا كلهم!».

من عساها تهتم إن كان قد شاهد فيلم كازابلانكا؟

كان لا بد لي من التساؤل: من هنَّ النساء اللواتي تزوجن أولئك الرجال؟ التقيت عددًا منهن بعد أسبوع من تلك الجلسة. من حيث الظاهر، بدت تلك النساء لي شبيهات بالنساء اللواتي لم يعجبن بأزواجهن من قبل. نساء في السن نفسها تقريبًا، ولسن أحسن منهن، ولا أسوأ منهن، من حيث المظهر والتعليم. الحقيقة أنني وجدت نفسي قادرة على تخيل تلك النساء المتزوجات وقد انتهى بهن الأمر مثلما انتهى بنظيراتهن العازبات لولا صفة واحدة تميزهنّ: القدرة على إعادة تعريف الرومانسية. شرحت لي الأمر نانسي التي تزوجت الرجل «الذي يسهل توقع تصرفاته»، شرحته على النحو التالي:

«أظن أن الفرق بين النساء اللواتي يتزوجن والنساء اللواتي لا يتزوجن هو، أن المرأة التي لا تتزوج امرأة لم تتخلّ أبدًا عن فكرة أنها ستتزوج براد بت، ولم يتبادر إلى ذهنها أبدًا احتمال أنها لن تتزوج على الإطلاق. قد تقول الواحدة منهن، 'لن أقابل أي شخص أبدًا' لكن ذلك يشبه قولك، 'أوه، أنا سمينة' مع أنك لا تصدقين ذلك. ليس هذا إلا شيئًا مما تقوله النساء بطريقة فيها انتقاص من الذات. تلتقين رجالًا كثيرين عندما تكونين صغيرة السن، لكنك تظلين مقتنعة في قرارة نفسك بأن 'ذلك الرجل' سوف يظهر لك فجأة. لا يخطر في ذهنك احتمال أنه ما من مشكلة في ألّا يكون 'ذلك الشخص' شبيهًا ببراد بت، وألّا يكون ممن يكسبون الملايين،

أو لا يكون رجلًا يجعلك تفقدين رشدك كلما كنتما معًا. الحقيقة أن هذه الأمور كلها تبادرت إلى ذهني، لكن ليس قبل بلوغي الخامسة والثلاثين».

كان ذلك عندما التقت «الرجل الذي يسهل توقع سلوكه».

قالت نانسي: «ما أكثر النساء اللواتي تقول الواحدة منهن إنها تفضل البقاء وحيدة على أن 'تقنع بأن تستقر'، لكنها تصير وحيدة وبائسة أيضًا - وتظل متمسكة بتلك المعايير غير الواقعية نفسها. تفترض أن 'شقيق روحها' سوف يظهر يومًا وهو يستحق الانتظار. ثم تصيبها صدمة ودهشة كبيرتان عندما لا يحدث هذا. عندها، يكون الوقت قد فات».

كانت تعني بقولها «يكون الوقت قد فات» أن المرأة تكون قد فوّتت على نفسها فرصة تلك الحياة التي تعيشها هي الآن مع الرجل «المتوقع سلوكه».

أقرت نانسي بهذا عندما قالت: «صحيح أنه شخص يمكن توقعه دائمًا، لكن هذا أفضل كثيرًا من أن أظل في حيرة دائمة مع رجل أشد منه إثارة. ذلك ليس حبًا. ما أعيشه الآن هو الحب الحقيقي. عندي زوج رائع وطفلان رائعان. ما كنت لأحلم بأسرة أفضل من هذه. ثم إن زوجي مثير فعلًا، لكن بطرق أقل وضوحًا».

تبلغ سارة الثانية والأربعين؛ وقد تزوجت رجلًا شبه أصلع (صار الآن أصلع تمامًا بعد أن بلغ الثالثة والأربعين... باستثناء تلك الشعرات القليلة في مقدمة رأسه). قالت لي إنها تعتبر نفسها محظوظة لأنها بلغت لحظة في حياتها، عندما كانت في الرابعة الثلاثين، كفّت فيها عن التعلق بأمور من قبيل كمية الشعر على رأس الرجل.

لقد قالت لي: «قبل ذلك بسنة أو اثنتين، كان غير ممكن أبدًا أن أفكر في لقاء رجل أصلع».

وهي سعيدة لأنها غيّرت رأيها -هكذا تقول- فلو لم تغير رأيها، لما وقعت في حب هذا الرجل الذي صار زوجها. ولعله كان محتملًا أن ينتهي بها الأمر إلى البقاء من غير زوج أبدًا.

قالت: «لا أعرف أي شخص 'يتوفر' له ما لزوجي من جاذبية ويقبل أن يواعد امرأة في سني. لو كنت اليوم عازبة، لكان من المحتمل كثيرًا ألّا يقدم على مواعدتي هذا الرجل الذي هو الآن زوجي. لن يُبصرني راداره! فلماذا يخرج رجل في الثالثة والأربعين، رجل ناجح لطيف حلو الطبع، مع امرأة في الثانية والأربعين إن كان لا يجد أية صعوبة في استمالة امرأة لا تقل عني جاذبية، لكنها في الخامسة والثلاثين... امرأة أجمل مني ولا تزال في سن مناسبة جدًا لإنجاب الأطفال؟».

قلت لسارة إن هذه الطريقة في التفكير قد تكون مسيئة في نظر نساء كثيرات، لكنها اكتفت بأن هزت كتفيها.

قالت: «دعيني أعبر عن الأمر بهذه الطريقة: من حسن حظي أنني التقطْتُ زوجي عندما التقيته. فلو تلكأت ولم أهتم به، لكان الآن متزوجًا ولكنت لا أزال جالسة أتساءل: أين هم أولئك الرجال الجيدون القلائل؟».

رجال جيدون قلائل

هذا، بالضبط، هو السؤال الذي كنت أطرحه على نفسي: أين هم أولئك الرجال الجيدون القلائل؟ عندما بعثت عبر الإيميل برسالة إلى عدد كبير من الناس أقول فيها إنني أبحث عن رجال عازبين بين الخامسة والعشرين والأربعين كي أجري معهم مقابلات من أجل هذا الكتاب، كانت الإجابة التي تكررت كثيرًا: «لست أعرف أي رجال عازبين. لكن، إن كنت في حاجة إلى مقابلة أية نساء عازبات فأنا أعرف كثيرًا منهن».

بعد ذلك بأسبوعين اثنين، تلقيت بضعة إجابات (لكنها لم تأتني إلا بعد أن وسّعت تعريفي لكلمة «عازب» بحيث صارت مشتملة على الرجال غير المتزوجين حتى إن كانوا ملتزمين بعلاقاتهم الحالية). من ناحيتهم، بدا لي أولئك الرجال حائرين مثلهم مثل النساء عندما قابلتهم في ذلك البار نفسه وطرحت عليهم السؤال المألوف: لماذا تقول النساء إنهن غير قادرات على العثور على رجال جيدين؟

يعتقد ديفيد، وهو أستاذ ظريف في التاسعة والعشرين من العمر، أن الرجال الجيدين موجودون بالفعل، لكن النساء لا يدركن أنهم رجال جيدون.

قال موضحًا: «لقد تركتني امرأة لأن الثياب التي كنت أرتديها لم تعجبها. إلا أنها الآن غارقة في حب رجل يهتم بملابسه لكنه لا يتصل بها». ضحك زميله دان البالغ اثنين وثلاثين عامًا... ضحك لأنه مرّ بهذا الموقف من قبل. قال لي: «لا ترغب النساء أبدًا بما هو متوفر أمامهن. إذا لم تستطع الواحدة منهن العثور على الرجل المثالي وهي في الثلاثين، فتصير راغبة في العثور على أفضل منه. لكنهن لا يتعلمن شيئًا من هذا الدرس. حتى إذا ظلت المرأة وحيدة بعد خمس سنين من ذلك، فهي تصير أكثر تدقيقًا. ثم تكاد تبلغ الأربعين، لكنها لم تعثر بعد على الرجل المثالي. عندها، يبدأ الندم على أنها تركت رجالًا عرفتهم من قبل تتمناهم الآن، لكنهم لم يعودوا مهتمين بها».

كورت في الثامنة والثلاثين، وكان خاطبًا يوشك على الزواج. قال إن هذا بالضبط ما جرى لصديقاته السابقات. «يرغب أولئك الرجال المثاليون -إن كانوا موجودين فعلًا- في مواعدة 'أفضل' واحد بالمئة من النساء اللواتي في الثلاثين. إلا أن كل امرأة أعرفها في الثلاثين من عمرها تظن أنها من ضمن تلك الشريحة النادرة، شريحة الواحد بالمئة. تريد كل امرأة رجلًا يحقق درجة عشرة من عشرة. لكن، هل تحقق كل امرأة درجة عشرة من عشرة؟».

ذكّرني سؤاله هذا بأمر قالته لي صديقتي المتزوّجة جولي: «تقول لنا الثقافة السائدة أن نتعامل مع المواعدة مثلما نتعامل مع التسوّق. لكن ما من أحد يتحدث عن أخطائه في التسوق».

كان لدى ستيف الرأي نفسه. هو في الخامسة والثلاثين؛ ويخرج مع محامية. قال: «أظن أن سبب وجود صورة 'متضخّمة' عن الذات لدى بعض النساء هو أنه كانت لديهن 'سلطة فعلية' في المدرسة الثانوية. ثم

كبرنَ متخيلات أن الأمر سيظل هكذا دائمًا. يظل لديهن هذا التفكير -إلى حد ما- حتى بعد أن يصرن في العشرينات، لأن 'الطلب عليهن' يظل موجودًا. قد ينفق رجل ماله كله في مغازلتها واستمالتها... يستثمر في تلك العلاقة... ثم تفاجئه ذات يوم بقولها، 'هل تعلم؟... أنت رجل رائع؛ لكني لا أحس أن هذا ما أريده'!».

تابع كلامه... «يصير الأمر معكوسًا عندما تبلغ الثلاثينات. تقبل الفتاة أن تكون في علاقة جنسية مع رجل وهي تظن أنها 'تستثمر' في تلك العلاقة التي ستنتهي بالزواج. لكن الرجل هو الذي صار الآن محل 'طلب'. يفاجئها بقوله، 'أعلم أنك فتاة رائعة، لكنك لست الفتاة التي أود الزواج منها'. تكون المرأة مصدومة لأنها اعتادت أن 'يعبدها' الرجال عبادة... لكن ميزان القوى تغير! لا أستطيع القول إنني لا أحس قدرًا من التعويض النفسي عندما أرى تلك النساء اللواتي رفضنني قبل خمس سنين تشتكين الآن من أنهن غير قادرات على العثور على رجل».

الرجال المتزوجون

إريك كاتب في الثامنة والثلاثين من العمر؛ وهو واحد من أصدقائي. لا يزال على علاقة طيبة بصديقاته السابقات الثلاث اللواتي تركنه قبل أن يلتقي المرأة التي هي الآن زوجته. يقول إنه سيؤلف ذات يوم كتابًا موضوعه «كيف تحلل النساء الرجال».

قال موضحًا فكرته، «لدي عنوانان محتملان للكتاب. الأول هو '*زوجتي ليست امرأة كاملة - لكني لا أعتبر هذا تنازلًا من جانبي*'. والعنوان الثاني، '*ليست لدي أية فكرة عما جعلها تتركني ـ لكني الآن متزوج وهي لا تزال عازبة*'».

قال لي إن المرأة قد تتصل بعشر من صديقاتها وتناقش معهن، نقطة فنقطة، تقييم رجل تعرفه استنادًا إلى مجموعة «صفات» كبيرة جاهزة لديها. وبعد ذلك، إن تبين أن الرجل «مُقصّر» في عدد من الأمور -هو

شخص فوضوي، أو غير حساس بالقدر الكافي، أو لا يكسب مالًا كثيرًا- فسوف يناقشن جميعًا إن كان ممكنًا «إصلاحه» أو «تدريبه» بحيث يصير مثلما تريد. وأما الرجال، بحسب رأيه، فهم يعلمون أن «ما تراه أمامك هو ما سوف تحصل عليه»، وهم يتقبلون ذلك.

قال لي إريك: «عندما يقرر الواحد منا أن يتزوج امرأة، لا يفكر في أنه سوف 'يصلحها' ولا يحاول تغييرها. نحن لا نتصرف انطلاقًا من قائمة مُعدّة مسبقًا ولا نحلل أدق التفاصيل مثلما تفعل النساء. إما أن يكون الرجل راغبًا في أن يعيش معها، أو لا يكون راغبًا في ذلك».

صديق متزوج آخر اسمه هنري ويبلغ ستة وثلاثين عامًا قال لي إن بعض الرجال يخشى الالتزام، لكن أكثر الرجال ليس كذلك. يريد الرجل أن يتزوج مثلما تريد المرأة أن تتزوج. غالبًا ما يكون الأمر هو أن هذا الرجل ليس ميالًا إلى العيش مع هذه المرأة، لكنه غير راغب في التخلي عن «منافع» العلاقة.

قال هنري: «يعلم أنه لن يتزوجها. هذا ما يجعله يقول لها: 'لا أبحث الآن عن أي شيء جدي'، أو يقول: 'لست واثقًا من أنني أريد إنجاب أطفال'، أو 'يهمني الآن أن أركّز اهتمامي كله في عملي'. يظن أنه يخبرها بالتالي: إذا كانت تريد أن تنتهي هذه العلاقة بالزواج، فعليها أن تبحث عن غيره. لكن المرأة تظن أن الرجل حائر أو مشوش، وتظن أنها قادرة على تغييره. لكن الحقيقة هي أن الرجل يكون قد اتخذ قرارًا واضحًا».

يتابع هنري: «في غضون ذلك، لا تستطيع المرأة أن تتخذ قرارًا. تحلّل كل عيب تظن أنها تراه فيه، وتُمضي في ذلك شهورًا، أو أعوامًا، قبل أن تصل إلى قرار حول ما إذا كانت تريد الزواج منه أم لا تريد. يعرف الرجل ما يريده منذ فترة مبكرة؛ يعرف أنه التقى المرأة التي يريد أن يتزوجها. المسألة مسألة إحساس داخلي. لهذا السبب، تصيب المرأة صدمة عندما يتركها صديقها 'الذي يخشى الالتزام'، ثم يتزوج غيرها بعد سنة من ذلك».

يقول هنري إن النساء ميّالات، على الرغم من كل كلامهن عن الحب

الرومانسي، إلى الإفراط كثيرًا في تحليل الموقف ودراسته. «إنهن منافقات. يقلن إنهن راغبات في حب حقيقي... لكن من الأفضل أن يكون طول قامة الرجل كذا، وأن يجني من المال مقدار كذا، وأيضًا، ينبغي ألّا يكون صاحب مزاج سيّىء، وعليه أن يكون شخصًا حقيقيًا».

لعل هنري محق في هذا! فبعد شهرين من انفصال صديقتي جوليا عن صديقها كريغ الذي كان «لا يلهمها»، بدأت تواعد طبيبًا جراحًا طموحًا مثيرًا اسمه آدم. وجدت في آدم كل ما لم تجده في صديقها السابق كريغ الذي كان يعمل في منظمة لا تهدف إلى الربح. لكنّ صديقها السابق نفسه، كانت لديه صفات كثيرة غير متوفرة عند صديقها الجديد. بدأت جوليا تشتاق إلى كريغ.

تنهدت جوليا وقالت لي وهي تستعد للسفر إلى هاواي من أجل قضاء عطلة نهاية أسبوع رومانسية مع الطبيب الجراح: «لست أدري ما الذي أستطيع التعايش معه».

ولكن، هل من الضروري أن يكون الأمر هكذا؟ أما من وجود لمنطقة وسطى بين التحليل البارد القاسي وبين العاطفة المتأججة؟

ما يقوله من صاروا في الستينيات

عندما سألت بضع نساء من صديقات أمي ممن تزوجن في العشرينيات عن «هذه المنطقة الوسطى»، قلن لي إن المشكلة التي يعتقدن أنها موجودة لدى جيل بناتهن هي أن تلك المنطقة الوسطى غير موجودة.

قالت سوزان، المرأة التي لديها ابنتان تجاوزتا الثلاثين: «أسمع دائمًا من صديقات ابنتيّ أنهن يبحثن عن رجال يحملون مثل ما لديهن من عاطفة، لكن أسلوب الرجال في التعبير عن العاطفة مختلف عن أسلوب النساء. تنتظر الشابات من الرجال أن يكونوا رقيقين، مهتمين، أغنياء، وسيمين... تريد تلك النساء كل شيء».

هزت كوني رأسها وقالت: «يمكنك أن تنتظري ظهور الأمير الساحر،

لكن الأمير الساحر نفسه يمكن أن يكون جوربه مثقوبًا. من الممكن أن تتزوجي أكثر الرجال كمالًا في العالم، لكنك تظلين قادرة على العثور على مشكلات عنده. لكن الشابات يرين ذلك الثقب، أو تلك المشكلات، فيفقدن اهتمامهن بالرجل».

قالت ميليندا: «توقعاتنا مختلفة. توقعنا أن تكون هناك خلافات بيننا. لم نكن نفكر على النحو التالي، 'سوف أتزوج؛ وإذا لم تسر الأمور جيدًا، فسوف نطلّق'. ثمة إحساس بأننا فريق واحد. ونحن ملتزمان بالعمل على إنجاح زواجنا. بنات اليوم يعتقدن دائمًا أنهن سيعثرن على رجل أفضل».

من تلك المجموعة كلها، لم تكن أية واحدة من الأمهات مقتنعة بفكرة أن «شقيق الروح» هو الشخص الوحيد في العالم الذي يكون مُقدَّرًا للفتاة أن تعيش معه. ففي نظرهن، يعني تعبير «شقيق الروح» شخصًا تكون للمرأة صلة عميقة به، شخصًا يقبلها مثلما هي وتقبله مثلما هو، شخصًا يكون «موجودًا دائمًا من أجلك».

قالت كاثرين: «أظن أن اجتياز المراحل الصعبة معًا يجعل كلًا من الزوج والزوجة يرى أن الآخر 'شقيق روحه'- اجتياز فترات المرض والمشكلات المالية وموت الأهل».

أضافت جون: «لا يتوقع الناس اليوم أن تكون العلاقات في حاجة إلى بذل جهد. لقد مرّ زواجنا بمراحل كان كل واحد منا في حاجة إلى بعض الأمور، في الوقت نفسه، وكان هذا أمرًا شديد الصعوبة. لكني أظن أن نساء كثيرات يعتقدن أن كل حاجة من حاجاتهن سوف تُلبّى. وإذا لم تُلَبَّ، فهذا يعني أن ثمة شيئًا غير صحيح. ما من شيء غير صحيح... هذه هي طبيعة الأمور عندما يكون شخصان معًا».

سألتهن عما يتعين على المرأة أن تتخلى عنه إذا أرادت أن تجد زوجًا جيدًا.

قالت دايان: «لا أرى أنك ستكونين مضطرة إلى التخلي عن أي شيء. عليك أن تبتعدي عن البدء بأي شيء سلبي. تبدأ النساء اليوم انطلاقًا من

تلك الذهنية: تكون لديهن قائمة طويلة بما يردنه؛ ويعتقدن أن تحقيق كل ما هو في القائمة أمر ضروري. لماذا لا تكتفي المرأة بالبحث عن شخص يسرّها أن تكون معه، ثم ترى كيف تسير الأمور؟ فليكن البدء انطلاقًا من التفاؤل، لا من التفتيش عما قد يكون في الرجل من نقائص!».

وافقتها كاثرين على هذا. وقالت: «لدي صديقة عزيزة جدًا عندها بنات عازبات. أحببتُ أن تلتقي واحدة منهن محاميًا كنت أعلم أنه شخص ذكي، طريف، يحب قضاء الوقت مع الأطفال. بحثت الفتاة عنه في غوغل، فوجدت صورة له. قالت لي إنه لا يبدو وسيمًا بما فيه الكفاية. لم تقبل حتى أن تراه. تحول بنات اليوم دون نشوء العلاقات حتى قبل أن تتسنّى للعلاقة فرصة الوجود أصلًا. لديهن توقع رومانسي بأن الواحدة منهن ينبغي أن 'تفقد صوابها تمامًا' منذ اللحظة الأولى وأن يظل الأمر كذلك على الدوام. لكن الحب لا يأتي إلا مع الوقت».

هكذا أتى الحب بالنسبة إلى كوني. قالت لي: «لم يعجبني زوجي عندما التقيته أول مرة. كنت أعمل في مجال الأزياء. وكان غير مهتم بملابسه. كان شخصًا غريب الأطوار. طلب مني أن أخرج معه، ولم أكن راغبة في الخروج معه. لكنه ظل مصرًا. ومع تعرفي عليه أكثر فأكثر، لم يتضح لي أنه رجل رائع فحسب، بل إنه حب حياتي كلها».

كلما مضيت أكثر في أحاديثي مع الناس عن العلاقات مع شابات عازبات، ونساء عازبات أكبر منهن، ونساء متزوجات، ورجال عازبين، ورجال متزوجين، ونساء من جيل أمي- كلما وجدت نفسي أعيد طرح هذين السؤالين: كيف يصير البحث عن الحب أمرًا مربكًا إلى هذا الحد؟ وهل يجعل الأسلوب الحديث في المواعدة النساء سعيدات؟

2

الكوميديا الرومانسية التي تنبّأت بمستقبلي

كنت في العشرين عندما شاهدت فيلم «برودكاست نيوز» أول مرة؛ لكني لم أتوقع أبدًا أن يكون ذلك الفيلم تنبؤًا بمستقبلي. تؤدي هولي هنتر دَور جين، مذيعة الأنباء العازبة التي كان أعز أصدقائها زميلها الموهوب الذكي آرون الذي أدى دوره ألبرت بروكس. يتكلمان بالهاتف في ساعة متأخرة من الليل، ويعرف كل منهما ما سيقوله الآخر قبل أن ينهي جملته، ويضحكان من الأمور نفسها، ويفهم كل منهما الآخر مثلما لا يفهمه أحد آخر. آرون، الذي هو شخص ذكي، طريف، لطيف، واقع في حب جين؛ لكن جين ميالة إلى توم- مذيع وسيم، لكنه ضحل، يؤدي دوره ويليام هارت. يعبّر توم، المهتم بالشكل لا بالمحتوى، عن كل ما تعارضه جين. لكن جين ميّالة إليه على الرغم من ذلك. في نهاية المطاف، تدرك أنها لا تستطيع التنازل عن قيَمها إلى الحد الذي يتيح لها أن تكون مع توم، ولا تستطيع التنازل بما يكفي لأن تكون مع آرون. تحب جين آرون حبًا عميقًا، لكنها لا تحس أية «ألعاب نارية».

لقد مررنا كلنا بهذا... أليس كذلك؟

قد يبدو أنّ معضلة جين -الاختيار بين «الألعاب النارية» والصداقة- قديمة قِدم الزمان نفسه، لكنها ليست كذلك. قد يكون الصراع الداخلي أمرًا قديمًا، لكن حرية المرأة في الاختيار (ليست حرية اختيار هذا

الشخص بدلًا من الآخر فحسب، بل حرية عدم اختيار أي واحد منهما) لا تزال أمرًا جديدًا نسبيًا. فبدلًا من الاختيار بين آرون وتوم، قررت جين أن تنتظر ظهور «الرجل الصحيح»، ذلك الرجل الذي لم يظهر أبدًا. في نهاية الفيلم، نرى تلك الشخصيات الثلاث بعد سبع سنين من ذلك. تشير جين إشارة غامضة إلى أنها تقابل شخصًا... لكن، وماذا؟ ما احتمال أن تنجح هذه العلاقة وتستمر بعد أن عاشت جين علاقات كثيرة خلال تلك السنوات السبع، علاقات بدت كلها واعدة، لكنها لم تتمخض عن شيء؟ فضلًا عن ذلك، من تراه يستطيع القول إن هذا الرجل مناسب لها أكثر من آرون الذي كان «شقيق روحها» العاطفي، الذكي؟ نعلم بعد ذلك أن آرون تزوج وصار له ابن. نعلم أيضًا أن توم موشك على الزواج.

نهاية حزينة! لكني كنت في العشرين ولم أسأل نفسي إن كانت جين قد اتخذت قرارًا صائبًا. وأما عن حقيقة أن الأمر قد انتهى بها إلى أن تظل عازبة، ومن غير أطفال... فقد اعتبرتُ أن المخرج الذي يكره النساء -تخيلوا هذا- هو المسؤول عنها. لست أقول هذا مازحة. اليوم، يحرجني ذلك الرأي الذي توصلت إليه وقتها. لكن الواقع أنني تحدثت يومها مع صديقات لي عن أن هوليوود كانت غير مستعدة لإظهار امرأة قوية تدافع عن رأيها وتتمسك به من غير أن تعاقبها على ذلك. لم يتبادر أبدًا إلى ذهني أن تلك كانت «نتيجة مرجّحة» للخيار الذي تبنّته جين. الحقيقة أن كثيرات منا مررن بالعشرينات والثلاثينات من أعمارهن وهن مصرّات على ذلك الخيار نفسه -الأمير الساحر، أو لا أحد- ثم انتهى بهنّ الأمر عازبات.

ما اعتبرتُه -واعتبَرَتْه صديقاتي أيضًا- «كرهًا للنساء»، اتضح أنه «واقع».

ظل الأمر هكذا إلى أن صرت في أواخر الثلاثينات وشاهدت الفيلم نفسه من جديد فأدركت أنني قد صرت جين وأنني فوّتُّ على نفسي كثيرين جدًا ممن هم مثل آرون قبل أن أكتشف بعد فوات الأوان أن من أريده شريكًا لي في حياتي ليس إلا واحدًا مثله. ومثلما جرى لآرون في الفيلم، تزوج أولئك الرجال الذين قررتُ أنا وصديقاتي عدم اختيارهم

أتذكر أنني كنت أرى (عندما كنت في العشرين) أن أكثر لحظات الفيلم حزنًا هي تلك اللحظة التي باح فيها آرون لجين بحبه: «أنا واقع في هواكِ. فما رأيك في هذا؟ لقد كنت أخفي أهم شيء». حزنت كثيرًا على آرون.

بعد عشرين سنة من ذلك، صارت اللحظة الأكثر حزنًا في نظري لحظة يتوقع فيها آرون كسير القلب ما سينتج عن رفض جين له من أجل توم الفاتن، الضحل: «بعد ست سنوات من الآن، سأعود إلى هذا المكان مع زوجتي وطفلين. وسوف أراك. سيقول لي واحد من طفليَّ: 'بابا... من هذه؟'، وسوف أجيبه، 'ليس تصرفًا لطيفًا منك أن تشير بإصبعك إلى امرأة سمينة عازبة'!».

الآن، صار قلبي حزينًا على جين لأنني أعلم كم يمكن أن تكون ملاحظة آرون اللاذعة صادقة.

شخص أحسن مظهرًا من بيلي كريستال

بعد سنتين اثنتين من ظهور فيلم *«برودكاست نيوز»*، عُرض في دور السينما فيلم *«عندما التقى هاري وسالي»*. في هذا الفيلم، يقع صديقان حميمان في الحب. كان ثمة أمر رومانسي إلى حد عجيب في فكرة، *اسمعي! انتظري لحظة! انظري مرة ثانية إلى هذا الرجل الذي هو صديقك!* مع ذلك، كنت غير مهتمة بأمثال الممثل بيلي كريستال، الموجودين في عالمي، أنا التي كنت يومها في العشرينات. ومن جديد، اتفقت مع صديقاتي -بكل غباء- على اعتبار الرسالة التي حملها الفيلم مهينة للمرأة. فلماذا يكون على امرأة مثل ميغ رايان أن «تخفض معاييرها»؟ في الحياة الحقيقية، هل يمكن لامرأة في مثل جمال سالي (ميغ رايان) أن تقبل برجل مثل هاري (بيلي كريستال)؟ كان هذا هو السؤال الذي حيّرَنا. أمر طبيعي ألّا تقبل! كان واقعًا في هواها، لكنها قالت له إنها لا تريد أكثر من أن يكونا صديقَيْن.

لكننا لم نفكر، في سيناريو «الحياة الحقيقية» الذي كان في أذهاننا، في

ما قد يحدث بعد ذلك: ترفضه وتواعِد رجالًا آخرين أكثر منه جاذبية، في حين يذهب ويتزوج امرأة أخرى. قد تعثر على أحدهم، وقد لا تعثر على أحدهم، أو يمكن أن تعثر على أحدهم، لكنه لا يكون شخصًا تستطيع أن يكون لها معه ذلك التواصل القوي الذي كان بينها وبين هاري. من الممكن أيضًا أن تعثر على أحدهم، لكن، ليس في الوقت المناسب لأن تنجب منه أطفالًا.

لم يكن في ذهني شيء من هذا كله عندما كنت في الثانية والعشرين وشاهدتُ سالي تبكي أمام هاري بعد أن أتاها خبر زواج صديقها السابق. كانت تقول له: «سوف أصير في الأربعين!» يذكّرها هاري بأنها لا تزال في الثانية والثلاثين، وبأن ثماني سنين لا تزال تفصلها عن الأربعين. لكن سالي تصيح: «لكنها هناك، إنها تجلس هناك في انتظاري كأنها طريق مسدود. ليس الأمر هكذا بالنسبة إلى الرجال. لقد أنجب شارلي تشابلن أطفالًا عندما كان في الثالثة والسبعين».

في ذلك الزمن، كانت فكرة الوصول إلى سن الأربعين، بل حتى إلى الثانية والثلاثين، تبدو لي أمرًا بعيدًا جدًا جدًا. سأكون في ذلك الوقت متزوجة. هذا أمر مفروغ منه! لم أتخيل أبدًا أن تكون حياتي مثل حياة جين في آخر فيلم «برودكاست نيوز». كنت أظن أن حياتي ستكون أشبه بحياة سالي: قصة رومانسية رائعة عن صديقَيْن حميمَيْن يقعان في الحب، لكن مع اختلاف واحد هو أن ذلك سيحدث لي في سن الثلاثين وأنني سأتزوج رجلًا لا يكون صديقًا عزيزًا فقط، بل رجلًا مثيرًا جدًا- رجلًا أحسن مظهرًا من بيلي كريستال. يا لها من فرضية! فأنا لست شيئًا إذا قارنت مظهري بمظهر ميغ رايان؛ وفي أحسن أيامي، قد لا يكون لي نصف ما لهولي هنتر من سحر. لكنني كنت أرى نفسي في ميغ رايان وهولي هنتر، مثلي مثل شابات كثيرات. عندما كنت أواعد رجالًا في العشرينات من عمري، كنت أتصور أن آفاقي الرومانسية ينبغي أن تضاهي آفاق ميغ وهولي... مهما يبدو ذلك تفكيرًا واهمًا.

ومثلي كان عدد كبير من صديقاتي. لو سُئلنا يومها، فمن المؤكد أننا سننكر هذا، لكننا سنكون كاذبات. كنا نقول إننا لا نؤمن بالقصص الخيالية، لكننا لا يمكن أن نقبل بما هو أقل من «قصة خيالية» عندما نوضع على المحك. كنا نقول إننا نريد حبًا حقيقيًا، لكننا كنا باحثات عن الرومانسية ونخلط بينها وبين الحب. كنا ندرك أن قصص الأفلام خيال، لكننا كنا (في لا وعينا) نتابع تلك الأفلام كأننا نتابع برامج وثائقية.

كتبت لي آليسون، وهي امرأة عازبة في الثامنة والثلاثين من منيابوليس: «كنت في السابعة والعشرين. وكنت أقلّد السلوك الذي أراه في الأفلام الرومانسية عندما تقع مشاجرة بيني وبين صديقي الذي أحبه فعلًا. كنت مخطئة في ذلك السلوك». لقد تركته. وهي الآن آسفة على ذلك القرار. إنها تخطط اليوم، بعد أن صارت من دون أية توقعات رومانسية، لأن تجري تلقيحًا اصطناعيًا كي تصير أمًا بمفردها.

القصص الرومانسية

بطبيعة الحال، الأمر غير مقتصر على الأفلام وحدها. ثمة «صناعة» بأسرها مكرّسة من أجل حفلات الزفاف التي تشبه القصص الخيالية (حفلات الزفاف التي صارت، مصادفة، مصدر خلاف في فيلم *«الجنس والمدينة»* ذي الشعبية الكبيرة جدًا). وثمة إعلانات الصحف التي تنشر قصصًا من نوع «نظر كل منّا في الغرفة من حوله فتلاقت عيوننا على الفور». تغذّي تلك القصص نظرة خيالية إلى ما يُفترض أن يكون مظهر الحب عندما نعثر عليه. لكن الأفلام لا تقول لنا، ولا تقول لنا قصص الصحف والمجلات التي نقرأها في ما يسمونها «صفحات الرياضة الخاصة بالنساء»، أي شيء عما يحدث في الزواج الفعلي.

إليزا آلبرت تعلم هذا تمام العلم، إليزا التي نشرت صحيفة نيويورك تايمز صور زفافها. بحسب تعبيرها: «إعلان زواجي في نيويورك تايمز كان عند قراءته يوحي، مثله مثل حفلات زفاف كثيرة جدًا، بزفرة ارتياح ناضحة

بالرضا عن النفس». لكن ما تلا حفل الزفاف كان خراب العلاقة كلها. انفصلت عن زوجها في غضون سنة واحدة، ثم أتى الطلاق الرسمي بعد فترة وجيزة من ذلك.

في مقالة نشرتْها في إحدى المجلات، تصف آلبرت الزوبعة العاطفية التي أثمرت ذلك الزفاف الذي أوردت نيويورك تايمز أنباءه، ذلك الزفاف الخلاب المؤثر، وواقع ما بعد حفل الزفاف الذي اتضح عندما أدركت، وأدرك زوجها أيضًا، أنهما غير متوافقين فيما يتصل بالزواج (كانا على الدوام غير متوافقين). صحيح أنه قد يكون مفيدًا أن تعرض الأفلام حفلات الزفاف، لكن آلبرت تتمنى أن تنشر الصحف في تلك الصفحات نفسها إعلانات «الطلاق» كي يصير الناس على بينة من مآل قصص الغرام الرومانسية الجميلة تلك. فعندها، على الأقل، ستكون لدى العازبين والعازبات فكرة أفضل عمّا هو حبّ وعمّا هو ليس حبًا.

إن في رأيها قدرًا من الوجاهة! لقد عشت عشريناتي وثلاثيناتي أقول إنني أريد حبًا حقيقيًا ولكن، كيف أستطيع حتى أن أعرف ما تعنيه عبارة «حب حقيقي»؟ نادرًا ما يتحدث المتزوجون مع أصدقائهم العازبين عن واقع زواجهم؛ وقصص «الحب» التي يراها أكثرنا على الشاشة هي تلك القصص التي نرى فيها رجلًا وامرأة يتبادلان قبلة بعد نجاحهما في حل نزاع أو خلاف بينهما، فيكون ذلك مبعث نشوة جماعية لدى المشاهدين. ثم يخبو اهتمامنا بهما. تنتهي القصة. لا يبقى لنا غير افتراض أنّ هذين الاثنين قد عاشا بعد ذلك حياة سعيدة. ولكن، إذا كانت تلك النزاعات كلها قد نشأت بينهما لمجرد أنهما كانا في علاقة عاطفية، فما الذي يجعلنا نظن أنهما سيكونان أكثر نجاحًا في زواجهما؟ لعلكم تتساءلون عما يجعل هذا الأمر مهمًا في كتاب يعالج مسألة العثور على الرجل المناسب! ولعلكم تتساءلون عما يجعلني أظن أن أي واحد من الناس -حتى لو كان بنصف عقل- يمكن أن تتأثر «حياة المواعدة والعلاقات» لديه بالأفلام أو المسلسلات التلفزيونية أو القصص الرومانسية أو أخبار الزواج في

الصحف أو ما يراه على غلاف مجلة «*بيبول*»! لو سُئلت منذ سنين إن كنت أظن نفسي متأثرة بهذه الأمور، لاستنكرت ذلك السؤال. أعني... نعلم جميعًا أن الممثل الذي يؤدي الدور الرئيسي لا تطابق حياته الحقيقية ذلك النموذج الذي يؤديه (هل تتذكرون هيو غرانت وكيف كان يخون إليزابيث هيرلي مع الموسسات؟ وماذا عن براد بت الذي ترك جنيفر أنستون من أجل ممثلة شاركته بطولة فيلم؟). لكن، لماذا تتجاهل أكثر النساء الرجال الذين لا يحققون مثال «رجل الخيال» لكنهم يمكن أن يكونوا شركاء حياة رائعين؟

فكرت في ما كتبه عالما النفس ويليام ومارغريت بيتشر عمّا أسمياه «الموقف الطفولي إزاء الزواج» وذلك في كتابهما «*ما هو أبعد من النجاح والفشل: طرق من أجل النضج والاعتماد على الذات*»: «لا نستطيع إلّا أن نخمن الأمر تخمينًا عندما ننظر إلى عدد قصص الحب التي يجري كل شهر سردها واستهلاكها في الكتب والصحف والمجلات والتلفزيون والراديو والأفلام، إلخ. لا يمكن أن يدفع الناس ثمن هذه الأشياء إلا إذا اعتقدوا أنها ممكنة. تحقق القصص الخيالية هذا القدر من المبيعات لأن الناس يرون فيها ذلك القدر نفسه من الروعة الذي يحلمون به».

مشكلة «عدم وجود مشكلة»

هذه الأيام، في الأفلام أو في الحياة الحقيقية، لا وجود لقدر كبير من المشكلات الخارجية التي يتعين على رجل وامرأة أن يتغلبا عليها كي يعيشا معًا. فالأمر الآن أقل صلة بالفوارق من حيث الطبقة أو الدين أو الجغرافيا أو القيَم منه بالنزاع الداخلي الناجم عن عدم معرفة ما إذا كان هذا الشخص هو «المُراد».

بكلمات أخرى، لا تقع امرأة هذه الأيام في حب روميو وتقول له إن العلاقة محكوم عليها بالفشل لأنه من عائلة مونتاغيو. ففي الواقع، تبدأ المرأة مواعدة روميو متغاضية عن حقيقة أنه من تلك العائلة، لكنه يبدأ

الإكثار من الوقت الذي يمضيه مع ألعاب الفيديو، أو ينسى اسم واحدة من صديقاتها المقرَّبات في المدرسة الثانوية، فتبدأ المرأة بالتساؤل عما إذا كان عليها أن تبحث عن شخص آخر يكون أكثر نضجًا أو أكثر اهتمامًا بها. فبدلًا من الوقوع في هوى رجل واكتشاف عقبات عملية يبدو تذليلها صعبًا أو مستحيلًا (مثلًا، ستنشب حرب أهلية إذا اقترن العاشقان)، نقع في هوى رجل ثم نخلق بأنفسنا تلك العقبات التي يبدو تذليلها مستحيلًا، عقبات تقنعنا بأننا لا نستطيع البقاء معه (ليس مرحًا إلى الحد الكافي، أو يصيبه توتر شديد عندما يقترب موعد تسديد الضرائب). فيما مضى، كان العشاق يعلمون أنهم يريدون أن يكونوا معًا، لكنهم لا يستطيعون ذلك. الآن، يستطيع العشاق أن يكونوا معًا، لكنهم غير واثقين من أنهم راغبون في ذلك فعلًا. وبعد هذا، نشتكي قائلين إننا لا نستطيع العثور على زوج مناسب!

بدأت، عميقًا في داخلي، أصير مؤمنةً بأنني مصابة بـ«عقدة سندريلا» الكلاسيكية على الرغم من كل ما كنت مقتنعة به على المستوى الذهني، وعلى الرغم من اعتقادي بأنني امرأة منطقية قوية. وكما تقول الأغنية الشهيرة، كنت أتوقع أن يأتي أميري ذات يوم و«يجعلني أذوب نشوة». لم يتبادر إلى ذهني أبدًا أن عليّ أن أتخلى عن «حذاء سندريلا» وأستبدل به حذاءً أستطيع استخدامه فعلًا.

شقيق الروح الأوحد

عندما أتذكر كيف كنت أواعد الرجال في أوائل العشرينات والثلاثينات من عمري، لا يفاجئني تفكيري وقتها في أن من المنطقي تمامًا أن أبقى عازبة، مع استمرار بحثي عن رجلي المثالي. فحقيقة الأمر أن النساء جميعًا كنّ يفعلن ذلك في الحياة الحقيقية، وكذلك في ما أراه على الشاشة. وفي أوج سنوات المواعدة عندي، كانت فترات البث التلفزيوني الرئيسية زاخرة بمسلسلات تعرض نساء عازبات مثيرات ناجحات يبحثن عن الحب ومن

حولهن جماعات كبيرة من رجال جيدين جذابين عازبين مثلهن. كان هناك استثناءان بارزان من ذلك هما *«الجميع يحبون رايموند»*، وهو مسلسل عن الزواج كانت الشابات العازبات المتطلعات إلى الزواج -يا للمفارقة- قليلات الاهتمام به، و*«مجنون بك»* الذي كان كوميديا مرحة ذكية تتحدث عن رجل وامرأة شابيْن يستعدان للحياة الزوجية... مسلسل ظلت الشابات العازبات تعتبرنه جذابًا إلى أن أضيف إليه طفل صغير فكفّت تلك النساء عن متابعته وانتهى به الأمر إلى الفشل. فهل كان في هذين المثاليْن قدر زائد من الواقعية بالنسبة إلى الشابات العازبات الحالمات بزواج سعيد؟

في عروض «الفتيات العازبات» التلفزيونية - «آلي ماكبيل»، و«كارولين في المدينة»، و«فرندز»، و«الجنس والمدينة»، و«تشريح غراي»- يتابع المشاهدون الحلقات فيَرون امرأة تواعد رجلًا، ثم تنخرط مع صديقاتها في أحاديث لا نهاية لها عن الأسباب التي تجعله غير مناسب لها، وكذلك عمّا يدفعها إلى أن تبحث عن واحد آخر أفضل منه. هناك دائمًا ذلك الافتراض القائل بأن الأمر سينتهي إلى عثورها على «الحب الحقيقي»، أي إن هناك «شقيق روح» واحد فقط، وأن ذلك الشخص سيكون الخيار الصحيح الواضح في ما يتصل بانتقاء شريك حياتها. تكون هذه الشخصيات قلقة من احتمال الوقوع في الخطأ لأن ثمة فرصة واحدة، على ما يبدو، لأن تصيب الاختيار. لذلك، فمن الأفضل لها أن تكون واثقة كل الثقة من أنّ «هذا هو الأمر». ما من أحد يقول إن من المحتمل وجود كثير من الرجال «المناسبين». بطبيعة الحال، تكون لكل شريك في الحياة الحقيقية حسناته وسيئاته. لكننا لا نرى الحياة الحقيقية معروضة أمامنا على الشاشة إلا في حالات نادرة.

برامج «الواقع»

من بين ما نشاهده، يكون أقرب شيء إلى «الحياة الحقيقية» هو ما يسمونه «عروض الواقع»، وذلك من قبيل مسلسل *«الرجال العازبون»*.

ثمة معنى لا يخفى على أحد في أن المشاهدين هالَهم أن يُقلّص براد -الشخص العازب في واحدة من الحلقات- خيارته إلى امرأتين اثنتين، ثم يستقر خياره على ديانا، ثم يغير رأيه قبل اللحظة التي كان منتظرًا أن يفاتحها بأمر الزواج.

ثارت ثائرة المشاهدات: ما العيب في ديانا؟ أرادوا أن يعرفوا هذا. إنها امرأة ساحرة، تحب أن تكون لها أسرة، فضلًا عن كونها ذكية جذابة. فمن يحسب براد نفسه حتى يتخلى عنها؟

كل ما في الأمر أن براد لم يكن لديه إحساس بأن هذا ما يريده. إذا رفضت امرأة شريكًا مقبولًا جدًا لأنها لا تحس بأن «هذا هو»، فنحن نساندها ونقول لها أن تبحث عن «الحب الحقيقي». نقول إنها اتخذت قرارًا ينم عن قوة. وأما إذا رفض الرجل امرأة مقبولة للسبب نفسه تمامًا، فهذا يعني أنه وغد. هوجم براد في كل مكان... في البرامج التلفزيونية ومدونات الإنترنت، وذلك لأن المشاهدين أرادوا منه أن يرتبط بهذه المرأة وكانوا مقتنعين بأنه سوف يصير لديه ذلك الحب الكبير إن كان لا يحسه الآن. أي منذ البداية، هم لا يريدون منه أن «ينتظر» إلى أن يجد «شيئًا أفضل».

وبطبيعة الحال، تصرفت ديانا مثلما تتصرف أية عازبة تريد انتقاء شريك حياتها. وعندما وصلت إلى الخيار الأخير بين مرشحَيْن اثنين، فضّلت الشاب الظريف الأحمق قليلًا الذي يحب التزلج على الثلج مع أنه لم يكن واثقًا من استعداده للزواج... فضلته على الرجل الآخر الذي كان أبًا عازبًا يحبها كثيرًا ويعيش أصلًا تلك الحياة العائلية التي تزعم أنها شديدة الرغبة فيها. ساند المشاهدون قرارها القاضي بتفضيل الرومانسية على الجوانب العملية. الظاهر أن المشاهدين يرون أن الرومانسية أكثر أهمية بالنسبة إلى المرأة. لا يغيّر في الأمر شيئًا حقيقة أن ديانا قد انفصلت بعد ذلك عن خطيبها الذي اختارته.

إن ما يصلنا عبر وسائل الإعلام من رسائل عن الحب متضارب ومتناقض كثيرًا، فضلًا عن كون تلك الرسائل غير بنّاءة، بل ضارّة أيضًا.

إن كانت قصة الحب المعتادة تجري على النحو التالي: شاب يلتقي فتاة. الشاب والفتاة يكره كل منهما الآخر. يتبادل الشاب والفتاة أحاديث فيها قدر من الطرافة. يدرك الشاب والفتاة حانقَين أن كلًا منهما يحب الآخر. وبعد ذلك يعيش الشاب والفتاة سعيدَين (مع أننا لا نرى هذا الجزء أبدًا) - فما الرسالة التي تحملها القصة؟ أيكون علينا أن نبحث عن الشخص الذي يزعجنا أول الأمر، أو الذي يجذبنا أول الأمر؟ وإذا كان الحب يأتي عندما لا نتوقعه، فهل يعني هذا أن الحب الذي نجده عندما نبحث عنه لا يكون حبًا حقيقيًا؟ هل يعني هذا أن علينا ألّا نحاول أبدًا لأن الحب الحقيقي لن يعثر علينا إلا عندما نكون لا نبحث عنه؟ أية فكرة ينبغي أن نعتمدها: «لا يستطيع أحد أن يستعجل قدوم الحب»، أم إنه «انطلقي وكوني مبادِرة»؟

بطبيعة الحال، وعلى الرغم من شدة ما كان بي من حيرة، كنت مدركة أنني لم أبق عازبة لمجرد أنني أفرطت في متابعة المسلسلات الرومانسية أو في مشاهدة برامج تلفزيون الواقع. لقد نشأتْ أجيال النساء التي سبقتني على تلك الأفكار نفسها، لكن جيلي -والأجيال التي تلته- واجه أيضًا مجموعة من الرسائل المتناقضة التي كان عليه أن يحاول فهمها: ما معنى أن تكون المرأة «قوية» وأن تكون أيضًا راغبة في حياة زوجية سعيدة مستقرة؟ بكلمات أخرى، إذا كانت النزعة النسويّة تُعلمنا أننا لسنا في حاجة حقيقية إلى «فارس»، فكيف نستطيع التوفيق بين ذلك وبين حقيقة أن من بيننا نساء كثيرات راغبات في أن يكون لهنّ أزواج وأُسر؟

وإذا كانت القصة الخيالية تنتهي بـ«الفوز بكل شيء»، فماذا يكون معنى «الفوز بكل شيء»؟

3

كيف خرّبت النزعة النسويّة حياة الحب عندي

أعلم أن قول هذا الأمر لن يلقى «شعبية كبيرة»، لكنَّ النزعة النسويّة خرّبت حياة الحب عندي، بل خرَّبتها تمامًا. إنما عليّ أن أكون منصفة: ليست النزعة النسويّة بالضبط، ففي نهاية المطاف، لم تنشر «النسويّة» دليلًا عمليًا للمواعدة... لكن ما أعتبره «الأسلوب النسويّ في التصرّف» لم يكن عاملًا مساعدًا. أنا واثقة من هذا. لا يعني ما أقوله أنني مستعدة للتخلي عن مكتسبات النسويّة مقابل أي شيء. صدقوني عندما أقول إنني غير مستعدة للتخلي عنها. كل ما في الأمر أنني أتمنى لو أنني لم أحاول أن أطبّق ما كنت أعتبره «المُثُل النسويّة» على حياة المواعدة التي عشتها.

أثناء نشأتنا، كنت وصديقاتي نرى أن النسويّة رائعة. ففي نظرنا، كانت النسويّة تعني «حرية» و«خيارًا» في جوانب حياتنا كلها. كان في وسعنا أن نسعى خلف النجاح المهني، وأن نأخذ ما نشاء من وقت كي «نعثر على أنفسنا» قبل أن نتزوج. وكذلك أن نقرر عدم الزواج إذا أردنا ألّا نتزوج، وأن نلبّي حاجاتنا الجنسية على النحو الذي يعجبنا. بدت لنا مصدر قوة حقيقةُ أننا لسنا في حاجة إلى رجل كي نعيش حياة راضية مُشبَعة. ففي آخر المطاف، من منا كانت راغبة في فعل ما فعلته أمهاتنا: تجد لنفسها رجلًا، وتتزوجه، وتنجب أطفالًا؟ فعلت أمهاتنا ذلك كله في سن مبكرة: لم تكن قد أنهت دراستها إلا قلة منا في السن التي تزوجت فيها أمهاتنا.

وبعد ذلك، لم نجد في أنفسنا ذلك الإحساس «بالقوة» عندما صرنا في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات، وكانت كثيرات منا في حالة تنقّل بين علاقة وعلاقة، أو كنّ يمضين فترات طويلة من دون أية علاقة ذات معنى. الحقيقة أن كل واحدة من صديقاتي العازبات كانت راغبة في الزواج، لكن ما من واحدة منا كانت مستعدة للاعتراف بأنها توّاقة إلى الزواج خشية أن تبدو ضعيفة أو محتاجة أو -لا سمح الله- معادية للنسويّة. لقد كنا ذلك الجيل من النساء المنتَظَر منهن أن يكنّ مستقلات، مكتفياتٍ، لكننا لم نعرف أبدًا كيف نعثر على طريقنا في هذه «الأرض الحديثة» من غير التضحية ببعض الرغبات الجوهرية.

حقيقة الأمر: لم نكن راغبات في «غداء يوم أحد» آخر مع الصديقات. أردنا عمرًا كاملًا مع «الرجل».

في تلك الفترة، كان يجري امتداح طموحنا في المضي في العالم، وفي الوقت نفسه كان يُقال لنا إن من شأن طموحنا هذا أن يلهينا عن العثور على زوج. لم أكن قادرة على فهم ذلك. فأنا لا أظن أن النساء شديدات الانشغال بأعمالهن إلى حد «ينسيهن» التركيز على الحياة الشخصية. في آخر المطاف، كان تسعين بالمئة من أحاديث معارفي من النساء اللواتي هنّ في سن المواعدة (حتى المرأة التي تحاول أن تصير شريكة في مكتب قانوني، والمرأة التي تسعى إلى الحصول على وظيفة جيدة في الميدان الطبي) يدور حول الرجال: من هو ذلك الطبيب الظريف الجديد في المستشفى؟ وهل من الأفضل أن أنتقل للسكن مع صديقي؟ وما معنى توقف ذلك الرجل عن مكالمتي بعد خروجنا في خمسة مواعيد؟ في الحقيقة، كان عملنا في بيئات يُحتمل فيها أن نلتقي رجالًا يثيرون اهتمامنا أمرًا نستطيع اعتباره ميزة من حيث كثرة الفرص. لم تكن ساعات عملنا الطويلة مشكلة تحول دون ذلك، ولم تكن طموحاتنا الكبيرة مشكلة بدورها. لكن أيًا منا لم تستطع تحديد مكمن المشكلة الحقيقي.

لم أدرك الأمر إلا بعد أن وجدت نفسي عازبة في أواخر الثلاثينات.

لعل المشكلة كامنة في سوء الفهم التالي: كنا نظن أن «الحصول على كل شيء» يكافئ الزواج السعيد المستقر. لكن كثيرات منا كنّ غير سعيدات!

بدأت أرى نمطًا متكررًا أستطيع وصفه على النحو التالي: كبرنا معتقِداتٍ أننا نستطيع أن نحصل على كل شيء. وكان معنى «الحصول على كل شيء» في نظرنا أنّ علينا ألّا نتنازل في أي مجال من مجالات الحياة، بما في ذلك المواعيد والعلاقات العاطفية. وكان عدم التنازل يعني «وضع معايير مرتفعة». كلما كانت معاييرنا أكثر ارتفاعًا، كلما كنا نساء «أكثر قوة»!. ولكن، هل كنا كذلك فعلًا؟

هذا ما جرى في الواقع: على نحو ما، صارت «القوة» مرادفة لامتلاك معايير مستحيلة التحقق بصرف النظر عن حقيقة أن الإنسان لا يستطيع في العالم الحقيقي أن يحصل على كل ما يريد عندما يريده ووفق شروطه وحدها. هكذا كانت، بالضبط، كيفية «تقويتنا» أنفسنا تجعلنا أكثر بُعدًا عن احتمال العثور على شريك حياة جيد.

حققت كل شيء... في الثالثة والعشرين

بحسب ما جاء في آخر تقرير صادر عن مكتب الإحصاء الأمريكي، لم يتزوج حتى الآن ثلث الرجال وربع النساء ممن هم بين الثلاثين والرابعة والثلاثين من العمر. هذه النسبة أعلى بأربع مرات مما كانت عليه في سنة 1970. للوهلة الأولى، من الممكن أن يبدو هذا ميلًا إيجابيًا: يكون الناس الآن أكثر نضجًا عندما يتزوّجون. لكن ثمة مشاعر مختلفة لدى نساء عازبات كثيرات ممن تحدثت إليهن. قد يكون شعورًا «مُحرِّرًا» أن تبحث المرأة عن الحب عندما يكون متوقعًا أن تستطيع مواعدة أشخاص كثيرين (وعندما يكون متوقعًا أن تكون أمامها خيارات كثيرة) قبل أن تجد «الرجل». لكن مواعدة أولئك الناسِ جميعًا تنتهي إلى أن تصير أمرًا مرهقًا، بل متعبًا، فضلًا عن كونها أمرًا مربكًا أيضًا. ويصير ذلك الضغط الثقافي الذي يدفع في اتجاه الزواج المتأخر (لكن، ليس الزواج المتأخر جدًا!) مؤذيًا أكثر

مما هو مفيد لنا. تعمل جيسيكا مديرة اتصالات في المتحف. حكت لي عن تلك الليلة، قبل ست سنين، عندما عرض عليها الزواج صديقها من أيام الجامعة. كان الاثنان في الثالثة والعشرين ويعيشان في شيكاغو. كان ديف يدرس الطب؛ وكانت تحاول العثور على أول وظيفة لها. مضى على علاقتهما أربع سنين وهي تحب ديف كثيرًا. إلا أن جيسيكا رفضت الزواج منه لسبب واحد فقط: رأت أنها لا تزال صغيرة على الزواج.

قالت لي: «فكرت على النحو التالي: أي امرأة مستقلة ترضى أن تتزوج حتى قبل أن تحصل على وظيفتها الأولى؟ هذا ما جعلني أقول له إنني أريد أن أكبر وحدي وأخشى ألّا أتمكن من فعل ذلك إذا تزوجت مبكرًا إلى هذا الحد. وقد قلت في نفسي أيضًا إن عليّ ألّا أتزوج أول شخص تكون لي معه علاقة جادّة. اعتقدت أنّ من الأفضل لي أن أخوض تجارب مع رجال آخرين».

بعد انفصالهما، كان قلب ديف محطمًا فطلب منها قطع أي تواصل بينهما. بدأت جيسيكا تفعل كل ما أحست أنها في حاجة إلى فعله كي «تنمو شخصيتها». انتقلت إلى مدينة جديدة، والتقت أشخاصًا جددًا، وركزت اهتمامها على عملها، وخرجت مع رجالٍ كثيرين. لكنها لم تستطع أن تكفّ عن التفكير في ديف.

فكرتْ مرات كثيرة خلال السنتين اللتين أعقبتا الانفصال في أن تتصل بديف وتقول له إنها ارتكبت غلطة كبيرة جدًا. لكن صديقاتها اللواتي كنّ يعشن، مثلها، ما يدعى «حياة الفتاة العازبة القوية» حرصنَ في كل مرة على إقناعها بالعدول عن ذلك.

قالت لي: «كلما فكرت في الاتصال به تجعلني صديقاتي أشكّك في نفسي. 'ماذا؟ هل تريدين الاستقرار في الرابعة والعشرين؟ وماذا عن حياتك أنتِ؟'. بدأت أسأل نفسي: هل هذه الحياة التي أعيشها الآن رائعة جدًا؟ كنت أحب عملي وأحب صديقاتي. وكنت أكره الإكثار من الخروج مع الرجال. تعرفت على صديقين تحمّست لكل منهما كثيرًا، أول الأمر

فقط؛ لكني وجدت نفسي غير قادرة على أن أحس نحوهما ما كنت أحسه نحو ديف. لم أرتح معهما مثلما كنت مرتاحة معه. لم يستطع أي منهما أن 'يستولي عليّ' مثلما كان الأمر مع ديف. أكون أحيانًا غير مولعة بهما؛ ويكونان أحيانًا غير مولعين بي. ظللت أفكر وأسأل نفسي: ما الذي أواصل البحث عنه بعد أن وجدت الشخص الذي أوَد أن أمضي معه حياتي؟».

كانت جيسيكا تبحث، سرًا، عن أخبار ديف في غوغل. تفعل ذلك ليلًا. لكنها لم تستطع العثور على معلومات كثيرة. لم تعلم شيئًا عنه غير أنه لا يزال في كلية الطب. مكتبة سُر مَن قرأ

«كنت أجلس أمام الكمبيوتر في الليل، كأنني معتوهة، وأقول في نفسي إن هذا أمر محزن حقًا. هذه ليست الحياة التي كان منتظرًا أن أعيشها، أنا الفتاة العازبة القوية في المدينة الكبيرة! لم يكن خروجي مع أشخاص آخرين واكتسابي مزيدًا من الخبرة في الحياة مما يغني حياتي بأي شيء ذي معنى. كنت أحب عملي، لكني كنت قادرة على العثور على وظيفة مماثلة في شيكاغو. وبدلًا من أن أطلب إلى البيت طعامًا جاهزًا أو أخرج كي أتعشى مع مجموعة من صديقاتي العازبات، أريد أن أعدّ العشاء لديف عندما يتأخر في المستشفى». لكنها ظلت تخفي تلك المشاعر كلها لأنها مصدر حرَج لها.

أخيرًا، بعد ثلاث سنوات من طلب ديف الزواج منها، عثرت جيسيكا على رقم هاتفه من خلال كلية الطب التي يدرس فيها. استجمعت شجاعتها واتصلت به. تسارعت دقات قلبها عندما سمعت صوته.

قالت لي: «لحظة أجابني، أحسست أنني عدت إلى حيث أنتمي. كدت أبكي». لكن ديف ظل صامتًا عندما أخبرَتْه بالسبب الذي جعلها تتصل به. الآن، جاء دور جيسيكا... انكسر قلبها. لقد أمضى ديف أكثر من سنتين حتى استطاع تجاوز الأمر ونسيان جيسيكا. وفي آخر المطاف، قبل اتصالها بنحو ثمانية شهور، التقى فتاة أخرى. صارا يخرجان معًا، وصارت علاقتهما مستقرة. كانت أكبر من ديف بسنة واحدة –طبيبة مقيمة

في المستشفى عمرها سبعة وعشرون عامًا- وتسعى إلى لقاء رجل يمكن أن تتزوجه.

ديف الآن متزوج من تلك المرأة. كلاهما طبيب أطفال. علمت جيسيكا من خلال شخص كان صديقًا مشتركًا أيام الجامعة أنهما أنجبا ابنًا منذ فترة قريبة.

تكسّر صوت جيسيكا وهي تكلمني. «تخليت عنه نتيجة فكرة كانت مزروعة في رأسي، فكرة أن على المرأة أن تؤسس حياتها الخاصة أولًا، ثم تشاركها مع شخص آخر. عليها أولًا أن تنطلق وتسعى إلى تحقيق أحلامها. والآن، ها أنا هنا، لا أزال أحلم بأن ألتقي شخصًا رائعًا مثل ديف».

كان لقصة جيسيكا وقعٌ في نفسي. فبدوري، نشأت مقتنعة بأن أوائل العشرينات من عمري هي وقت خوض تجارب مختلفة، أعمال مختلفة، ورجال مختلفون. وبعد ذلك، طبقًا للجدول الزمني الذي وضعتُه لنفسي، يأتي 'الرجل' فجأة وأجده عند بابي. بل إنني لم أفكر حتى في البحث الجاد عن زوج عندما كنت بين أوائل العشرينات وأواسطها. أي عندما كنت، في حقيقة الأمر، امرأة «مرغوبًا فيها» أكثر من أية فترة أخرى. كان هدفي أن أخرج إلى العالم و«أحقق نفسي» قبل أن أتزوج. لم أتخيل أنه سيأتي يوم أكتشف فيه أنني «حققت نفسي» لكني صرت نادمة.

جيسيكا أيضًا لم تكن تتخيل هذا. قالت لي: «كنت أظن أن الرسالة على النحو التالي، 'يمكنك أن تظفري بكل شيء،لكن ليس في الثالثة والعشرين'! لكني صرت الآن في التاسعة والعشرين؛ ومن المفترض أن أكون قد ظفرت بكل شيء. إلا أن هذا لم يحدث! كان كل شيء متاحًا لي في الثالثة والعشرين! لكن المشكلة متمثلة في أحكام الناس عندما تتزوجين في وقت مبكر! وأما إذا انتهى بك الأمر إلى أن تكوني عازبة في الثلاثين أو في الخامسة والثلاثين، فإن نظرة الناس إليك تصير سلبية لأنك لم تتزوجي بعد».

لقد كانت محقة في ذلك: ثمة «وصمة» عندما لا تنتظر المرأة زمنًا كافيًا؛

وثمة «وصمة» إذا انتظرت زمنًا أطول مما ينبغي. قد يقول بعض الناس إنني «شجاعة» لأنني أنجبت بمفردي عندما قاربتُ أواخر سن الإنجاب، لكن تلك الصفة كانت تُطلق عليّ -دائمًا- مثلما يمكن أن تُطلق على واحد من مرضى السرطان عندما نقول إنه «إنسان شجاع». كنت أدرك تمام الإدراك أن هناك أشخاصًا كثيرين يعتبرونني حالة مأساوية بعض الشيء، إن لم نقل إنهم يعتبرون قصتي «قصة تحذيرية». كنت كابوسًا فظيعًا في نظر البعض ممن لعلهم غير راغبين في أن يكونوا ملتزمين بأية قواعد تقليدية، لكنهم راغبون في تكوين أسرة من النوع التقليدي. بدت لي النساء اللواتي تحدثت إليهن حائرات -نساء في أواخر العشرينات وفي الثلاثينات- لأن أفكار النزعة النسويّة التي نشأن عليها لا تعكس بالضرورة ما قد تكون الواحدة منهن راغبة فيه. يبدو لهن الآن أن ما كان «مفترضًا» أن يرغبن به، وما هنّ راغبات فيه فعلًا، أمران متعاكسان.

وهكذا... ينتهي الأمر بكثيرات منّا إلى حالة من الفشل.

العلاقة من غير ارتباط

بروك امرأة في السادسة والعشرين تعيش في مدينة بوسطن. وتدرس الآن كي تحصل على شهادة جامعية في «دراسات المرأة». قلت لها إنني شديدة التأييد لتمكين المرأة، في الأمور الجنسية وغير الجنسية. لكنني فوجئت عندما قالت لي نساء شابات كثيرات إن الرجل الذي تخرج معه المرأة ثلاث أو أربع مرات من غير أن يقوم بينهما اتصال جسدي سوف يعتبر أنها غير مهتمة به فيتركها ويبحث عن غيرها. أردت أن أصل إلى إجابة عن السؤال التالي: متى صار عدم قيام تواصل جسدي مع شخص لم تعرفه المرأة إلّا فترة محدودة جدًا -فلنقل إن مجموعها ثماني ساعات- يشير إلى قلة اهتمامها به؟

وأهم من هذا أنني أردت معرفة ما معنى الأمر بالنسبة إلى النساء اللواتي يحدث كثيرًا أن يصِرن على ارتباط عاطفي مع الرجال الذين يضاجعونهن،

أو بالنسبة إلى النساء اللواتي يجدن العلاقات الجنسية العارضة غير مُرضية؟ أين هو «التمكين» في الجنس الخالي من أي نوع من أنواع الارتباط؟

تنهَّدت بروك وهي تحدثني، تنهدت كأنني واحدة من صديقاتها القدامى. ثم قالت: «هذا يتيح لنا الخيارات نفسها المتوفرة للرجال». قالت ذلك كمن تقرر أمرًا واقعًا.

أجبتها: «لا بأس! هل العلاقات الجنسية العابرة هي ما تريدين؟».

قالت: «لا. لكنني أريد أن تُتاح لكل امرأة لديها تلك الرغبة حرية تحقيقها».

في غضون ذلك، كانت بروك تعيش مع صديقها منذ نحو سنتين. اعترفت لي بأنها تفكر في احتمال ترك العيش معه عند بلوغها السابعة والعشرين. وقالت: «أنا الآن جاهزة لعيش علاقة جادة».

تساءلت عما تعنيه بعبارة «علاقة جادة». أليس عيشها مع صديقها سنتين كاملتين أمرًا جادًا تمامًا؟

أجابتني: «الجميع يعيشون معًا. هذا ليس أمرًا مهمًا».

في واقع الأمر، وبفعل «الحرية» التي نتمتع بها الآن، يعيش نصف عدد النساء اللواتي تتراوح أعمارهن بين خمسة وعشرين عامًا وتسعة وعشرين عامًا مع رجال. فما الذي تجنيه امرأة تريد الزواج من قضاء زهرة سنوات عمرها مع صديق بدلًا من قضائها مع زوج؟ تساءلت عمّا جعل بروك تقرر العيش في شقة صديقها «المؤقت» إن كانت تريد الزواج، أي إن كانت غير مكتفية بهذا الشكل من العيش المشترك.

أجابتني كأنها تقر بأمر كانت تخفيه: «أظن أن جزءًا مني كان راغبًا في أن يعني العيش مع أحدهم شيئًا. لا يتحدث أكثر الناس الذين يقررون العيش معًا عما قد يعنيه هذا بالنسبة إلى المستقبل. أعني، يكون الاثنان كأنهما خطيبين، لكن على نحو غامض. يقرران العيش معًا لأنهما متحابان، ولا شيء أكثر من ذلك».

حب من غير أي خطط من أجل المستقبل: ما أجمل الحرية! ولكن، هل يجعلنا هذا النوع من الحرية أكثر سعادة؟

«العلاقة» كلمة مؤلفة من عدة حروف

فلننظر في تناولنا مسألة العلاقات الرومانسية. اليوم، يتكلم العازبون على هذه العلاقات وكأنها «جنة». لكن، هل لا يزال في حياتنا أي قدر من الرومانسية؟ أين ذهب الغَزَل؟ تبدو هذه الكلمة نفسها غريبة بالنسبة إلى النساء اللواتي تحدثت إليهن، النساء اللواتي اعتدن الخروج مع الرجال واعتدن المواعيد الجماعية والعلاقات التي تأتيهن ببعض المنافع. لست أدري حتى إن كانت كلمة «علاقة» لا تزال صالحة لوصف ما يجري الآن! وكأن الكلمة قد صارت من غير معنى («هذا ليس موعدًا عاطفيًا؛ ليس أكثر من تناول فنجان قهوة!»). لست أدري ما قد يكون للكلمة من معنى بعد أن صار الناس يقولون: «نحن لسنا في علاقة... نتواعد فقط»؛ مع أنهم يمضون الوقت معًا، وينامون معًا. بعض الأحيان، لا ينطوي «الموعد» على أي موعد فعلي. تتلقين دعوة إلى الذهاب مع رجل ورفاقه إلى حفلة (وأن تجلبي معك صديقات جذّابات!). يرن هاتفك الخليوي في التاسعة مساء. يسألك أحدهم إن كنت تحبين «الخروج وقضاء الوقت معه» لمتابعة فيلم في بيته، أو إن كنت تحبين لقاءه مدة عشرين دقيقة لتناول القهوة بعد انتهاء مباراته في كرة السلة (يعني هذا أن رائحة عرقه ستكون فائحة وأنه سيتركك تدفعين ثمن قهوتك بنفسك).

يُنتظر من النساء أن يتقبلن هذا كله. يبدو لي أنه، في عالم المواعَدة، هذا قدرٌ من قلة الاحترام. لكن تلك النساء تقول إن علينا التخلي عن ترقّب أي سلوك فروسي وأية مغازلة من النوع التقليدي، فضلًا عن التخلي عن فكرة احتمال الزواج ضمن فترة زمنية معقولة، وذلك كله نتيجة هذا المستوى من «الانفصال» أو «الاستقلالية» الذي يُفترض أن يجعلنا «مُمَكَّنات».

من النساء من تقول إنها تُقدّر هذه «المواعيد» التي هي ليست مواعيد، وتراها أمرًا حسنًا. لا بد لي من الإقرار بأنني كنت مثلهن. لكن واحدة من صديقاتي المتزوجات (أكبر مني سنًا) صححت لي هذه النظرة.

سألتُها: «لماذا يكون عليّ أن أهدر الوقت في تناول وجبة غداء تمتد

ساعتين كاملتَين في أول موعد لي مع رجل عندما تكون أول ثلاثين ثانية من لقائي به لتناول قهوة سريعة كافية لمعرفة إن كان رجلًا من النوع الذي يعجبني؟».

أجابتني: «لأنك لا يمكن أن تعلمي خلال ثلاثين ثانية تمضينها مع واحد من الناس إن كان يمكن أن يجعلك سعيدة إذا تزوجتما».

صحيح، هكذا هو الأمر! كنت شديدة الانشغال بأن «أظفر بكل شيء» فغفلتُ عمّا يمكن أن يجعلني أعيش زواجًا سعيدًا. كنا نفكر في الزواج من حيث هو أمر مريح مستقر؛ وهذان شيئان جيدان، الراحة والاستقرار! لكن، وبما أن النساء لم يعدن في حاجة إلى الزواج من أجل تحقيق الأمان الاقتصادي ولا حتى من أجل إنجاب الأطفال، فإن كثرة من العازبات تقول اليوم إن الغاية الأولى من الزواج هي أن يجعل المرأة سعيدة على الفور، وعلى الدوام. لا ننتظر كي نرى إن كانت العلاقة سوف تتطور من خلال قضاء وقت حقيقي مع الرجل! إذا وجدنا أن العلاقة تستدعي بذل جهد كبير، فنحن نقرر أنها لم تعد تجعلنا سعيدات: فنعبّر عن الغضب. لا يثير هذا ضغينة الرجل، ولا يجعله يسيء فهمنا! لو كان هو «ذلك الرجل» لما رغب في أن يمضي وحده بعض الوقت عقب عودته من العمل مع أنني أريد أن أقصَّ عليه مجريات يومي.

في زمن أمي، تكون المرأة «سعيدة» في زواجها لأن لديها أسرة، ولأن لديها علاقة، ولأن لديها شريك، ولأنها آمنة مستقرة. وفي زماننا هذا، تقول النساء إنهن يردن أيضًا عاطفة جارفة، وإثارة، وحماسة، وخمسين أمرًا آخر، يردن أمورًا كثيرة لم تكن موجودة في «قوائم» أمهاتهن. مع ذلك، وطبقًا لبيانات «الرضا الزواجي» التي جمعها ديفيد بوبينوي من «مشروع الزواج الوطني» في جامعة روتغرغ، فقد كانت النساء أسعد حالًا في تلك الزيجات القديمة.

لكن أولوياتي كانت شديدة التشوّش والاختلاط نتيجة فهمي المعوَجّ لما يعنيه أن أكون «نَسَويّة».

ما الذي ينبغي أن تريده المرأة؟

قالت لي كارولين التي تعمل في تجارة الملابس، وهي امرأة في الثالثةوالثلاثين، «إنها تعتبر نفسها نسويّة». لكنها لا تزال تريد «أن يكون الرجلُ رجلًا».

عبَّرتْ كارولين عن الأمر على النحو التالي: «لست في حاجة إلى أن يعتني بي رجل، لكني لا أقبل أن أكون مع رجل لا يستطيع فعل ذلك. أود أن يكون لي عملي بعد أن أنجب أطفالًا، لكني أود أيضًا أن تتوفر لي إمكانية اختيار ألّا أعمل إذا غيرت رأيي». لفت نظري أنني سألتها عن الصفات التي تبحث عنها في العلاقة بالرجل، فحدثتني عن الرومانسية والعاطفة و«الكيمياء»؛ لكنها لم تحدثني عن أي أمر من الأمور التي يمكن أن تتيح لها اختيار ألّا تعمل.

لكن ثمة نساء على غرار كثير من زميلاتي في الجامعة ممن كن يشعرن بالإساءة إذا اعتبرهن الرجال الذين يخرجون معهن «مادة غير مناسبة» للعلاقة لأنهم يريدون نساء مستعدات للبقاء في البيت مع الأطفال. كان إحساس تلك النساء أن أولئك الرجال ذوي المظهر الحديث الذين يريدون أيضًا تكوين أسرة ذات طبيعة أكثر تقليدية يقلّلون عدد الرجال «المناسبين» أكثر فأكثر. مع هذا، انتهى الأمر بكثير من تلك النساء إلى أن يصرن أمهات سعيدات جدًا يعملن بوقت جزئي، أو لا يعملن على الإطلاق؛ وهذا ما أثار لديهن دهشة كبيرة. اتضح لهن أنهن لسن «تقدميات» بقدر ما كان يُخيّل إليهن؛ وكنّ سعيدات بأن ما من أحد يطالبهن بجني نصف الدخل اللازم لعيش الأسرة.

في سنة 2006، كتب جون تييرني في صحيفة نيويورك تايمز أن السؤال القديم كان «ماذا تريد المرأة؟»، لكن النسويّات الحديثات جعلنه «ماذا ينبغي أن تريد المرأة؟». وقد استشهد بدراسة قام بها اثنان من علماء الاجتماع في جامعة فيرجينيا هما برادفود ويلكوكس وستيفن نوك. تناولت الدراسة مسألة «ما يجعل المرأة سعيدة في زواجها هذه الأيام». اتضح أن النساء

اللواتي يلازمن بيوتهن كن أكثر رضا إزاء أزواجهن وإزاء الزواج نفسه بالمقارنة مع الزوجات العاملات. وحتى بين الزوجات العاملات أنفسهن، كانت النساء الأكثر سعادة هن من يجني أزواجهن ثلثي دخل الأسرة.

قال ويلكوكس لتييرني: «تتوقع النساء من الزوج الآن قدرًا أكبر من المساعدة في البيت وقدرًا أكبر من الاهتمام العاطفي. لكنهن لا يزلن راغبات في أن يكون الأزواج معيلين وأن يمنحوهن الحرية والأمان المالي».

لا عجب في هذا: غالبًا ما يتضح أن مكان العمل التقليدي غير مُرضٍ للنساء بعد قضائهن فيه خمس عشرة سنة، أو عشرين سنة. فنتيجة ساعات العمل غير المرنة، وسياسات المكاتب، وضرورة تحقيق خمسين ساعة عمل كل أسبوع للبقاء «على طريق» الحصول على ترقيات -وبعد ذلك ظهور مديرين أصغر سنًا لديهم متطلبات غير منطقية- فإن «التركيبة» كلها لا تكف عن أن تكون جذابة فحسب، بل تصير أيضًا غير متفقة مع نوع الحياة العائلية التي تريدها نساء كثيرات.

وكما قال لتييري عالم الاجتماع الآخر المشارك، ستيفن نوك: «تريد المرأة الإنصاف. وهذا ليس، بالضرورة، معادلًا للمساواة».

لماذا لا يستطيع الرجال فهمنا؟

قال كثير من الرجال الذين تحدثت إليهم إنّ لما سبق آثارًا سلبية على طبيعة المواعَدة والعلاقات بين الناس.

«لديّ ابنة. وأنا سعيد لأنها ولدت في الزمن الذي صارت المرأة قادرة فيه حتى على خوض انتخابات الرئاسة». هذا ما قاله إريك البالغ ثمانية وثلاثين عامًا، ومتزوج منذ سبع سنين: «عندما كنت أخرج مع النساء، كانت أغلبيتهن ترغب في أن تستطيع المرأة خوض انتخابات الرئاسة، لكنهن لم تكن راغبات في تولي ذلك المنصب فعلًا. ما أردنه كان مقتصرًا على ’فرصة‘ فعل ذلك. وذلك أننا، نحن الرجال، نقول الآن للمرأة،

’عظيم! انطلقي!‘، فتجيبنا بأنها راغبة في عمل بساعات أقل! تريد المرأة منا أن نتولى نصف أعباء رعاية الأطفال ونصف أعباء غسل الملابس، لكنها غير راغبة في جني نصف دخل الأسرة. صحيح أنني مع ’النسويّة‘ من كل قلبي، لكني أجد الأمر كله محيّرًا».

قال لي صديقي بول، وهو محام في الثلاثين، إنه ليس مهتمًا كثيرًا بمدى نجاح المرأة من الناحية المهنية، ولا بطبيعة العمل الذي تجني منه عيشها، مع أنه مهتم بالخروج مع نساء ذكيات.

قال موضحًا: «إن من صديقاتي العازبات من هنّ غير قادرات على فهم السبب الذي يمنع الرجال من اعتبارهن ’صيدًا ثمينًا‘ لأنهن صرن شريكات في مكاتب المحاماة مع بلوغهن سن الثلاثين، أو لأنهن يجنين قدرًا مقبولًا من المال من خلال عملهن. لكن، إن أردن الصدق، معنى كون المرأة ناجحة هو أن تشعر بالرضا والإشباع الشخصييْن وأن تكون قادرة على إعالة نفسها. ليس معنى هذا أنها تصير قادرة على اجتذاب رجل، لأن الرجال يعلمون أنهم غير قادرين على الاعتماد على أن تجني المرأة نصيب الأسد من دخل الأسرة. بالتالي، نحن أكثر اهتمامًا بطبيعة ’الشريك‘ الذي ستكونه المرأة في الزواج. هل نحب أن نكون معها؟ هل تثير لدينا اهتمامًا حقيقيًا؟ هل ستكون شريكة حياة جيدة؟».

قال لي بول إنه كان مترددًا في الكلام في هذا الأمر لخشيته من أن يبدو شخصًا متحيّزًا ضد النساء. لكنه لم يلبث أن أضاف: «لن أسعى إلى امرأة لمجرد أنها ناجحة جدًا. لكن أعرف نساء كثيرات ممن يمكن أن يجدن الرجل جذابًا لأنه ناجح، أو لأنه ثري، وذلك مع استمرارهن في القول إنهن ’نسويات‘!».

قال لي واحد من زملاء صديقي بول (اسمه براندون، وهو رجل عازب في الثالثة والثلاثين): «إن النساء في شركة المحاماة التي يعمل فيها يعتقدن أن الأمور يسيرة على الرجال لأنه ليست لديهم ساعة بيولوجية تثير

قلقهم». قال لي إنه يرى هذه الفكرة صحيحة. لكنه اكتشف، عندما صار -وصار أصدقاؤه كذلك- مستعدًا للزواج، أن النساء يخضعهن لمعايير متشدّدة إلى حد غير معقول.

قال: «لا يكفي أن تكون ندًا للمرأة، عليك أن تكون ناجحًا أكثر منها، ولو قليلًا. هذا ما يؤدي إلى استبعاد القسم الأكبر من زملاء تلك النساء، وإلى استبعاد عدد كبير من الرجال. وأما إذا كنت أكثر نجاحًا -بمعنى أنك تحتل في الشركة موقعًا أعلى من موقعها- فإن عليك أيضًا أن تكون طويل القامة، وأن تكون ظريفًا، وذلك كله حتى تستحق 'الموعد الأول'!».

قال لي بول الذي يبلغ طول قامته مئة وسبعين سنتمترًا، وقد بدأ يفقد قسمًا من شعره، إنه كان يخرج مع بائعة في متجر أحذية تعرّف عليها عندما كان يجرّب حذاء رياضيًا هناك، لكن زميلاته المحاميات تذمرن قائلات إن المحامين الذكور غير راغبين في مواعدة نساء من أندادهم.

يقول بول إن هذا غير صحيح. «كنت أخرج مع تلك المرأة لسببين اثنين. الأول، هو أنها تعجبني فعلًا. والسبب الثاني، هو أنها تقبل بالخروج معي! تقول النساء إن أندادهن من الرجال لا يرغبون في الخروج معهن؛ لكن الحقيقة هي أن استعدادهن للخروج مع أندادهن غير متوفر لديهن. يعتقدن أنهن 'مُمَكّنات' كثيرًا، أو شيء من هذا القبيل. لكني أراهُنّ متحفظات، باردات، بعيدات. وأنا لا أظنهن سعيدات بذلك».

امرأة مُمَكّنَة أم امرأة وحيدة؟

لعل بول كان محقًا في كلامه! لقد نشأتُ وأنا أفهم النسويّة على أنها فكرة عن التمكين: ليس منتظرًا منا أن نكون قويات ومستقلات فحسب، بل يُنتظر منا أيضًا أن نكون سعيدات بهذا. يُنتظر منا أن نركز على حياتنا؛ وعندما يظهر لنا شريك، يكون ذلك الشريك «إضافة حسنة»، لكنه ليس «المسار الرئيسي». لا نستطيع أن نكون سعيدات في علاقاتنا قبل أن نتعلم كيف نكون سعيدات بمفردنا! هذه هي الفكرة التي نشأت عليها.

لازمتني هذه الأفكار سنوات طويلة، لكني كنت غير راغبة، في أعماق قلبي، في أن أكون سعيدة بمفردي. فمهما تكن حياتي ممتلئة (وظيفة وأصدقاء جيدون؛ وبعد ذلك، وظيفة وأصدقاء جيدون وطفل رائع)، فقد كانت لديّ رغبة دائمة في أن أَمضي عبر الحياة مع شريك. صحيح أنني لم أكن فتاة تقص صور فساتين الزفاف وتحلم بتفاصيل يوم عرسها، لكني كنت أعتبر أن ذلك سيأتي من دون أي ريب. لم يتبادر إلى ذهني أبدًا أن حياتي لن تكون مشتملة على زوج وأطفال وألعاب أطفال. يعني هذا أنني لم أكن أحاول أن أصير «امرأة رائدة» عندما أنجبت طفلي بمفردي. بكل بساطة، وددت أن أكون أمًّا قبل أن يفوت الأوان.

لكن مجرد حقيقة أنني كتبت تلك المقالة في «أتلانتيك» عندما كنت في الأربعين وقلت فيها إنني تواقة إلى أسرة تقليدية مع شخص جيد بما فيه الكفاية وضعتْني (في أذهان بعض الناس) ضمن فئة النساء المتحرّقات شوقًا إلى ذلك. فبحسب أقوال بعض القراء، لم أكن إلا «نوعًا من إساءة» موجّهة إلى الحركة النسائية كلها. في ما يلي بعضٌ مما قالوه:

«هل يمكن أن تكوني أشد تحرقًا إلى ذلك؟».

«كم هو محزن أن يكون ابنك غير كافٍ في نظرك».

مكتبة
t.me/soramnqraa

«تهولني كثيرًا حاجتك إلى رجل».

«أنت شخصية مأساوية فعلًا».

«فليكن لديك شيء من التقدير لذاتك!».

«لقد نزلتِ بفكرة الاعتماد المتبادل إلى حضيض لم تعرفه من قبل».

«يحزنني أنه كانت لديك هذه الرغبة الجارفة في الإنجاب. والآن، يحزنني أن لديك هذه الرغبة الجارفة في الزواج».

«ألا تظنين أن من حق نفسك عليك أن تكوني أكثر انسجامًا معها قبل أن تبحثي عن شريك؟».

«إذا غيّرتِ مظهرك، وإذا لم تُظهري هذه الحاجة الشديدة، فقد تلتقين شخصًا مناسبًا».

«إذا كبرت ابنتي وصارت امرأة لديها نصف ما لديك من رغبة في العثور على رجل، فسوف أدرك أنني أخطأت تنشئتها».

بعد زمن الروائية جين أوستن، لست أدري كيف صار من المعيب أن تعترف المرأة بما تعانيه من وحدة وأن تقّر برغبتها الشديدة في أن تكون جزءًا من أسرة تقليدية. فمن هي المرأة المتعلمة الذكية الحديثة التي لها دور فاعل في الحياة الاجتماعية، ثم يكون لديها وقت لأن تشعر بالوحدة؟

هل تشعرين بالوحدة؟ فلتكن لديك حياتك! احصلي على ترقية في عملك! فلتكن لك هواية! فلتكن لك تسريحة شعر جديدة! انطلقي، يا فتاة!

رأيت مرةً في برنامج تلفزيوني صباحي مجموعة نساء تناقشن فكرة أنهن يفضلن الوحدة على الارتباط برجل «جيد إلى حد معقول». هل هذا صحيح حقًا؟ هل تفضّل الواحدة منهن أن تصير في الأربعين، وأن تذهب إلى المقاهي مع مجموعة صديقات يبدو واضحًا عليهن جميعًا أنهن تجاوزن السن التي يمكن أن تسنح لهن فيها فرصة لقاء رجل يحقق أحلامهن كلها؟ لم تكن أية واحدة من تلك النساء في البرنامج التلفزيوني شديدة الجاذبية، لكن هذا لم يبدُ قادرًا أبدًا على أن يهز قناعتهن بأن كل واحدة منهن ستلتقي «الأمير الساحر». بل إن إحداهن قالت إنها تفضل أن تظل الآن وحيدة لأن المرأة لا تعرف أبدًا متى يمكن أن تعثر على الحب الحقيقي... قد تجده في دار المسنين! *دار المسنين!* هل تريد تلك المرأة فعلًا أن تظل عازبة إلى أن تصير في الثمانين؟ وحتى عند ذلك، ألا تدرك أنه ستكون لها منافِسات كثيرات على ذلك الرجل العازب الوحيد (الذي قد يكون مصابًا بالزهايمر) ضمن تلك البيئة التي صارت تعيش فيها؟

قالت لي زميلتي في العمل -اسمها هيلي، وتبلغ من العمر تسعة وعشرين عامًا- إنها غير راغبة في أن تتغير من أجل أي شخص مع أنها تود

أن تمضي حياتها مع شريك. ولكن، هل هذا تمكين أم هو انعدام للمرونة؟ أليس التغير جزءًا لا يتجزأ من القدرة على الوصول إلى تفاهمات وعلى عيش علاقة ناضجة؟ هل جعلتنا «قوة المرأة» شريكات رديئات منشغلات بأنفسهن؟

لعله ليس من المصادفة في شيء أن تكون نساء كثيرات قد بقين من غير رجل بعد أن تبنينا، نحن النساء، موقف «لستُ في حاجة إلى رجل». في سنة 2007، ظهرت في مجلة تايم مقالة حملت عنوان «من تريد زوجًا؟» (مممم... أنا). أوردتْ تلك المقالة ما قالته سارا جيسكا باركر التي تقدم برنامج «الجنس والمدينة»: «بعد أن صارت النساء غير محتاجات إلى الاعتماد على الرجال لإعالتهن ماديًا، صارت صديقاتي تبحثن عن علاقات فيها من الإشباع والتحدي والمرح ما تجدنه في علاقاتهن مع صديقاتهن».

يا لها من فكرة حمقاء! لا أريد أن يكون زواجي شيئًا يشبه علاقتي بصديقاتي مهما تكن صداقاتي النسائية ممتعة لي. وأظن أن هناك نساء كثيرات جدًا لهنّ رأي مثل رأيي. فكّري في ما لدى صديقاتك من متطلبات عاطفية وانفعالية، وفي تقلبات مزاجهن، وتخيلي كم سيكون مرضيًا لك، وممتعًا لك، أن تعيشي على هذا النحو أربعًا وعشرين ساعة من كل يوم من أيام الأسبوع طيلة ما بقي من حياتك! قد تكون صديقتك مستعدة لأن تصغي جيدًا إليك وأنت ترويين لها تفاصيل ما جرى في يومك... لكن، هل تريدين فعلًا أن تربي أطفالك معها وأن تبني معها أسرة؟

في تلك المقالة نفسها في «تايم»، تقول امرأة تعمل في الإنتاج الإعلامي وتبلغ الثانية والثلاثين إنها أنهت علاقة استمرت سبع سنوات بينها وبين صديقها الذي يعمل في الاستثمارات المصرفية لأنها أحست، «مع أنها تحبه كثيرًا»، أن الحياة معه ستكون «حياة تضع لها حدودًا ضيقة جدًا». قالت إنها لم تكن سعيدة لأنها لم تر أنها ستستطيع «المحافظة على روحها المعنوية». لكنها كانت تحبه إلى حد جعلها تبقى معه سبع سنين!

ماذا سيحدث لهذه المرأة بعد عشر سنين من الآن عندما تنظر إلى الماضي وتفكر في قرارها هذا؟

لعلها ستكون راغبة في الإصغاء إلى ما قالته، في المقالة نفسها، امرأة عازبة في التاسعة والأربعين: «عشت أيامًا كان الرجال فيها شديدي التوفر. لا أظنني كنت لطيفة مع عدد منهم. كثيرًا ما أتساءل إن كان الرب يعاقبني على ذلك. أتذكر الماضي أحيانًا وأقول، 'أتمنى لو أنني اتخذت قرارًا مختلفًا تلك الأيام'!».

تورد المقالة أيضًا ما ذكرته امرأة أخرى من أنها تستطيع، من غير صعوبة، أن تلبّي حاجاتها الجنسية من غير زواج. فماذا إذًا؟ في استطلاع للرأي أجرته كل من تايم وCNN وأوردت المقالةُ نفسها قسمًا من نتائجه قالت أربعة بالمئة من النساء إن الجنس هو غايتهن الأولى من الزواج، في حين قالت خمس وسبعون بالمئة إن الرفقة هي الغاية الأولى. فهل تستطيع تلك المرأة أن تلبي تلك الحاجة إلى الرفقة من غير زواج؟ أن تلبيها كل يوم، طيلة ما بقي من حياتها؟

شاي لشخص واحد

بصرف النظر عن إقرارنا أو عدم إقرارنا بهذا، غالبًا ما يعني بقاء المرء عازبًا أن يكون شخصًا يشعر بالوحدة، وذلك خاصة مع بلوغه أواسط الثلاثينات، أي عندما يصير الأصدقاء منشغلين عنا بأسَرهم. لا يعني هذا أن المرأة لا يمكن أن تحس اكتمالًا من غير وجود رجل. كم كنت وحيدة قبل أن أنجب طفلي. عندما كنت أستيقظ كل صباح في بيت خالٍ فأتناول وجبة الإفطار وحدي، وأقرأ الصحيفة وحدي، وأغسل الأطباق وحدي.

وكم كان مرهقًا لي أن أروي لصديقاتي، كل أسبوع، ما جرى في الموعد الذي ذهبت إليه، وأن أطمئن هذه أو تلك إلى أنها ليست مذنبة إن كان الرجل الذي خرجَتْ معه غير مناسب، ثم سماعها تعيد عليّ الكلام نفسه كي تطمئننِي بعد عودتي من موعدي الفاشل في الأسبوع التالي! وكم

كان أمرًا محبطًا أن أهدر وقتي المحدود على هذه الأرض في سلسلة من لقاءات مؤقتة في حين كنت قادرة على بناء حياة مشتركة تستمر عمرًا كاملًا مع رجل واحد ملتزم بالعلاقة! وكم من الوقت كنت قادرة على مواصلة تحليل المكالمات الهاتفية والإيميلات وعلى إهدار ساعات في الكلام على شخص سيكون قد خرج من الصورة كلها بعد ثلاثة أيام، أو ثلاثة أسابيع، أو ثلاثة شهور... ثم يحل محله شخص آخر، ثم آخر، ثم آخر؟

كم كان إحساسًا بائسًا أن أنتقل إلى شقة جديدة وحدي، وأن أشتري الخضار والبقالة من أجل نفسي فقط، وأن لا يكون لديّ من أبادله الكلام في تلك اللحظات الحميمة قبل النوم، لا أحد غير صديقاتي اللواتي أكلمهن بالهاتف فنثرثر عن... عن ماذا؟ عن الرجال! كان شيئًا مضجرًا جدًا. إن كنا نستبعد هذا الشخص أو ذاك لأنه «مضجر جدًا»، فما من شيء أكثر إضجارًا من ذلك الفراغ الدائم الذي تعنيه حياة العزوبية.

أدّى وجود طفل في البيت إلى تغيير هذه التفاصيل - لم أعد وحدي أبدًا. والواقع أنني صرت في توق شديد إلى شيء من الوحدة. لكن ذلك التوق إلى شريك راشد يظل موجودًا. عندما قررت إنجاب طفل، لم يكن لهذا القرار أية صلة بالتخلص من الوحدة. كان عليّ أن أفعل ذلك أملًا في العثور على «الرجل» من غير أن أكون تحت ضغط ساعتي البيولوجية. صحيح أنه لم يكن لديّ إدراك كافٍ لمعرفة أن الطفل لن يكون علاجًا لافتقاري إلى رفقة رجل، لكني كنت أعتقد (كان ذلك اعتقادًا ساذجًا إلى حد مدهش) أنني أستطيع، بكل بساطة، أن أجعل الأمور تجري بطريقة معكوسة: الطفل أولًا، ثم «شقيق الروح». كان العثور على «الرجل» شديد الصعوبة حتى قبل أن أصير أمًا. لكن ما لم أتوقعه هو أنني، بعد إنجابي طفلي بمفردي، سأكبر عشر سنين خلال الشهور العشرة الأولى وحدها؛ ولم أتوقع أنه لن يكون لديّ وقت كي أستحم، أو آكل، أو أستخدم المرحاض، أو حتى كي أخرج من البيت إلّا إلى العمل حيث أمضي كل لحظة من تلك الساعات التي يمضيها طفلي في الحضانة. في ظل هذا

الوضع، تتضاءل كثيرًا فرصة أن يأتي أي رجل -فما بالكم بـ«الرجل»- ويدق بابي كي ينضم إليّ في حياتي هذه.

وفوق هذا، ثمة سؤال مهم: أين تستطيع المرأة أن تلتقي رجالًا عازبين بعد أن تصير أمًا؟ بكل تأكيد، لا يأتي أولئك الرجال العازبون إلى حفلات أعياد ميلاد الأطفال الصغار، ولا إلى «أنشطة الأطفال»؛ كما أن الرجال القلائل الذين يمكن أن أصادفهم في متجر البقالة ليسوا من الذين يذهبون إلى ذلك المتجر كي يختاروا أمًا تنشد أغنية «تفاحات وموزات» كي تلهي طفلها الجالس في عربة التسوق. (لو كان الأمر معكوسًا، لاهتمت المتسوقات جميعًا بذلك الأب الوحيد).

لم يتناقص إحساسي بالوحدة بعد إنجابي طفلًا. صار إحساسًا مختلفًا، بل لعله صار إحساسًا مركّبًا بالوحدة: وحدة المرأة العازبة، ووحدة عدم القدرة على مشاركة تلك اللحظات الصغيرة في حياة ابني مع شخص مهتم به اهتمامًا عميقًا يماثل اهتمامي.

لكن قول هذه الأشياء جهارًا يجعل الناس يحسون قدرًا من عدم الراحة. أتذكر أنني تلقيت إيميلًا من أم عازبة لم تتزوج أبدًا، مثلي، قالت لي فيه إنها عبّرت عن وحدتها من خلال موقع إنترنت خاص بالأمهات العازبات فطلب منها الناس بأن تكف عن الأسف على نفسها وأن تحاول أن «تكون لها حياتها». بل إن واحدة من النساء اقترحت عليها عبر ذلك الموقع أن تضع طفلها في دار من دور الرعاية إن كانت حقيقةُ أنها أم عازبة تجعلها تعيسة.

قالت لي تلك الأم العازبة: «أحرقوني حرقًا لقولي إنني أشعر أحيانًا بالوحدة. لكن ما من أحد اعترض على ما قالته تلك المرأة من أن عليّ أن أضع طفلي في دار رعاية!».

ما وجه الصعوبة في قبول الكلام على الوحدة وعلى الرغبة في التواصل؟ أيكون لدينا خلل في قيَمنا، أو في «تقدير الذات»، إذا كنا راغبات في وجود من يشاركنا حياتنا، بالمعنيَيْن الحرفي والمجازي؟ نقلق

كثيرًا لأننا غير «مستقرات»، لكننا لا نلبث أن نجد أنفسنا «غير مستقرات» على نحو تعس... نعيش في شققنا وحدنا، ونجلس أمام التلفزيون ونأكل طعامًا جاهزًا طلبناه من الخارج، ونأمل أن يظهر لنا رجل نستطيع أن «نستقر» معه.

عندما سألت نساء كثيرات عمّا تعنيه كلمة «النسويّة» تلقيت إجابات كثيرة أستطيع تلخيصها كلها بأن المرأة ينبغي أن تتاح لها الفرص نفسها التي تتاح للرجل أيضًا. لكن المضي في الكلام إلى ما هو أعمق من ذلك كان يوصلنا إلى رؤية حقيقة أن احتياجاتنا مختلفة وأننا، في واقع الأمر، قد لا نكون راغبات في الأمور نفسها التي يريدها الرجال. ليست لدينا تلك الفرص المتاحة للرجال في ما يتصل بالمواعدة والعلاقات؛ ويصير هذا أكثر صحة كلما تقدمت السن بنا.

قد يبدو هذا أمرًا واضحًا، لكني اعتقدت أنني أستطيع أن أنجب طفلًا بمفردي، وأن أضع «حياة المواعدة» على الرف سنة أو سنتين، ثم أعود إلى «اللعبة» من جديد. اعتقدت أن هذا ما تعنيه كلمة «مساواة» وعبارة «الفوز بكل شيء».

بعد ذلك، عندما صرت مستعدة للمواعدة من جديد، ذهبت إلى واحد من لقاءات المواعدة السريعة التي تقام أيام الخميس. لكن، كنت وقتها قد تجاوزت الأربعين وكان كل شيء قد تغير.

دعوني أحكي لكم ما جرى في ليلة الخميس تلك.

4

كارثة المواعدة السريعة

كنت أسمع عن المواعدة السريعة منذ سنين، لكن تلك كانت أول مرة أحاول فيها أن أكون مع أشخاص غرباء عني تمامًا، وأن أجلس مع كل واحد منهم خمس دقائق قبل أن أضع له «درجة» على «بطاقة الدرجات». قد يبدو هذا أسلوبًا غريبًا في تحقيق اللقاء بين امرأة ورجل؛ لكني اعتقدت أن «كثرة العدد» و«الكفاءة» يمكن أن يكونا تعويضًا عما يفتقر إليه هذا الأسلوب من حيث الجوهر. ففي الحقيقة، يكون المشارك كأنه ذهب إلى عشرة مواعيد مع أشخاص لا يعرفهم خلال ساعة واحدة فقط. عند انتهاء الأمسية، وإذا كتبت المرأة كلمة «نعم» إلى جوار اسم واحد من الرجال، وكان قد كتب «نعم» إلى جانب اسمها، فإن كل واحد منهم يحصل على معلومات الاتصال الخاصة بالآخر كي يتابعا كلامهما في وقت لاحق.

كان اللقاء الذي ذهبت إليه ذلك الخميس مخصصًا للرجال والنساء العازبين بين الأربعين والخمسين سنة من العمر. كنت في الحادية والأربعين، وكنت قادرة على الذهاب إلى لقاء مخصص لمن هم بين الثلاثين والأربعين لأن الشركة المنظِّمة قالت لي إنها تتسامح بفارق سنة واحدة ـ لكني قررت أن من الأفضل لي أن ألتقي رجالًا في مثل سني.

استبدت بي الحماسة والإثارة عندما كنت أرتدي ملابسي وأستعد للذهاب. سوف تسنح لي فرصة لقاء عشرة رجال جُدد عازبين، أي أكثر

كثيرًا من «صفر رجل عازب» ألتقيه في أي يوم عادي من أيام العمل من البيت. ظننت أن «خروجي» من جديد سيكون ممتعًا حتى إذا لم أعثر على «رجلي الرومانسي». لا يمكن أن يكون الأمر سيئًا!

طائرةٌ أتت بي إلى هنا

في السابعة من مساء ذلك اليوم، وصلت إلى مطعم أنيق قريب من الشاطئ حيث كانت، في زاوية منه، طاولتان كبيرتان موضوعتين جنبًا إلى جنب. كانت هناك تسع نساء غيري، سبع منهن بدا لي أنهن لم يتجاوزن الثانية والأربعين. رأيت ستة رجال جالسين قبالة ست نساء. كانت تلك المفاجأة الأولى: ستة رجال متاحين من أجل عشر نساء متاحات!

نظرتُ إلى الرجال الستة. المفاجأة الثانية: بدوا جميعًا، عدا واحد فقط، أكبر من خمسين عامًا. بدا لي واحد منهم كبير السن إلى حد جعلني أراه شبيهًا بوالد واحدة من صديقاتي. (هذا أكثر من تلك «السنة الواحدة» التي تتسامح بها الشركة المنظِّمة). إذًا، هكذا كان الأمر: ثماني نساء في أوائل الأربعينات، وامرأتان في أواخر الأربعينات، ورجل واحد في أواسط الأربعينات، وخمسة رجال تجاوزوا الخمسين. قيل لنا إن على كل واحدة منا أن تتعرف على الشخص الجالس قبالتها وتتحدث معه إلى أن تسمع صوت رنين الجرس. عند ذلك، ينتقل الرجال جميعًا مقدار كرسي واحدة. تم تحديد الأماكن، رُن الجرس، وحان وقت البدء. رجلي الأول كان اسمه سام. كان أصلع الرأس، متغضّن الجلد، يرتدي سترة رياضية مقلّمة عليها رقعتان عند مرفقيها. خمس دقائق لتبادل الحديث؛ لكني وجدت نفسي، بعد دقيقة واحدة، أتساءل كيف لي أن أستطيع إكمال الدقائق الأربع الباقية. بدأ الأمر بداية بريئة إلى حد معقول. سألني: «هل أنت من لوس أنجلوس؟». ابتسمت وقلت له إنني من سكان هذه المدينة، ثم سألته من أين هو. قال إنه من نيويورك.

حاولت تجاهل حقيقة أنني أجلس قبالة شخص يبدو كأنه جَدٌّ من لاس فيغاس، «أوه، فما الذي أتى بكَ إلى الشاطئ الغربي؟».

أجابني: «أتيت بالطائرة». لم يكد يستطع إخفاء ابتسامته، وكأنه أول شخص يقول هذه النكتة. ابتسمت ابتسامة هزيلة. تلت ذلك لحظة صمت طويلة.

قال: «الحقيقة أنها قصة طويلة جدًا». قال هذا على الرغم من أننا في «لقاء مواعدة سريع». لو قال لي: «أتيت لأنني أحب الطقس هنا» أو «انتقلت إلى هذه المدينة بغية الدراسة» أو «أتيت من أجل فرصة عمل»، لكان هذا كافيًا. بدلًا من ذلك، راح يخبرني أنه غير منسجم مع عائلته؛ وهذا ما دفعه إلى الابتعاد عنهم إلى أقصى ما يستطيع. روى لي كيف لم يستطع إنهاء دراسة الدكتوراه لأن نوبة قلبية أصابت المشرف على أطروحته. وأنه حاول تغيير الجامعة، لكنه لم يفلح في ذلك. انتقل للعيش مع امرأة ظن أنها ستصير زوجته، لكنها تركتْه من أجل رجل آخر. انتهى به الأمر إلى أن يعمل لدى شركة توظيف، لكن الأمر لم ينجح لأن... رُن الجرس. لحسن حظي، رُن الجرس، فصار على ذلك الرجل أن ينتقل إلى الطاولة الثانية.

كان اسم الرجل الثاني بول. كان بول «جَدًا آخر» (شعر رمادي خفيف، وجلد متهدل تحت الذقن). سألته عن طبيعة عمله فقال لي إنه في مرحلة انتقالية. سألته من أين ينتقل! وإلى أين. قال إنه كان يعمل مدرّسًا يحب عمله، لكنه شخص يكره السياسة. هذا ما جعله الآن يُكثر من لعب الغولف. يتمنى حقًا أن يترك شقته المستأجرة المتداعية التي فيها غرفة نوم واحدة. لكن، بما أنه لا يعمل الآن، فهو غير قادر على دفع إيجار شقة أخرى فيها غرفتا نوم. أراد أن يعمل في مهنة أخرى، لكن ذلك ليس سهلًا عندما يكون المرء في الخامسة والخمسين لأن أصحاب العمل يفضلون هذه الأيام توظيف «صغار السن». اندفع في سرد حكاية طويلة عن مدير المدرسة التي كان يعمل فيها، لكنني سمعت رنين الجرس. رأيت الشخص التالي يجلس أمامي.

كان اسم الرجل الثالث ساندي. رجل ظريف. كان أصغر الرجال هناك، لعله في أواسط الأربعينات. قال لي لحظة التقت عيوننا: «يسألني الجميع

عن اسمي الكامل الذي أختصره إلى ساندي». لم أطرح عليه هذا السؤال. «إنه اختصار لسانفورد. ألا تعرفين ساندي كوفاس، لاعب البيسبول؟ كان اسمه سانفورد، مثلي. سانفورد كوفاكس». ابتسم معتزًا بنفسه. يأتي ساندي إلى هذه اللقاءات منذ زمن بعيد. قال لي إنه يأتي من سنين. أسمعني نكاتًا كثيرة فبدا لي أنه يرويها منذ سنين. أخطاؤه في اللغة كثيرة. كلما ارتكب غلطة، يسألني كيف تكون الكلمة الصحيحة. «أنت تعلمين، بما أنك كاتبة، وتلك الأمور كلها...». كان شخصًا ذا طبع عذب مثلما يكون صبي صغير ذا طبع عذب. لكننا كنا مثل الزيت والماء. وبعد خمس دقائق من نكاته، صرت توّاقة إلى سماع صوت الجرس.

الرجل الرابع. كان اسمه روجر. رجل وسيم مثلما يكون شخص عجوز وسيمًا، مثل بيل كلينتون! بعد تبادل عبارات قصيرة، قال لي روجر إنه انتقل للعيش في لوس أنجلوس سنة 1973. سألني: «ألا تتذكرين أزمة المحروقات وكيف كنا ننتظر طويلًا؟». كنت في السادسة! هذا ما أردت قوله له، لكني ابتسمت بكل شجاعة وسألته عما يفعله لكسب عيشه. لديه شركة توظيف، لكن أعماله لا تسير على ما يرام. سألني عن عملي، فقلت له إنني كاتبة.

انحنى روجر فوق الطاولة مائلًا صوبي. قال لي: «هل تبحثين عن وظيفة؟».

ظننته يمازحني فقلت: «ليس الآن. لكني سأخبرك إن حدث أي تغير. لعلك قادر على مساعدتي».

لم يفهم النكتة. قال: «عليك ألا تنتظري فقدان عملك كي تبحثي عن عمل جديد. عليك أن تبحثي وأنت تعملين».

قلت مازحة من جديد: «أشكرك. سوف أتذكر هذا».

واصل كلامه: «حياة الكتّاب سهلة. ماذا تفعلين طيلة اليوم؟ تتجولين مرتدية بيجامتك؟».

قلت، «ممم، ليس هكذا».

«الأوبرا؟».

قلت: «عفوًا!؟».

«ألا تتابعين الأوبرا كل يوم؟ الكتّاب الذين أعمل معهم، كلهم، لا يفعلون أي شيء».

رُن الجرس. ناولني روجر بطاقته. قال لي وهو ينتقل إلى المرأة التي بعدي: «فعلًا، أنا قادر على مساعدتك».

لم أدرِ أأضحك أم أبكي.

كانت له ابنةٌ في الرابعة والثلاثين.

لم يكن هناك «الرجل رقم خمسة». فنتيجة قلة الرجال بالنسبة إلى عدد النساء، كانت هناك أربع نساء جالسات وحدهن في كل مرة.

جلس منسق الأمسية قبالتي كي يعينني على قضاء الوقت. كان شخصًا ظريفًا في الثلاثينات؛ وكان مضحكًا. قلت له إنها أول مرة آتي فيها إلى لقاء من هذا النوع. أليس من المفترض أن تكون الأعمار بين الأربعين والخمسين؟

قال متعاطفًا معي: «أعلم هذا. نحن نستخدم هذا النظام، لكن هذا الأمر يحدث كل مرة. لا يأتي الرجال الذين هم في الأربعينات إلى هذا اللقاء لأنهم -كما تعلمين- يريدون مقابلة نساء في الثلاثينات. فكرنا في التشدّد في شأن حدود السن، لكننا سنخسر زبائننا جميعًا إن قلنا للرجال الذين هم في الأربعينات إنهم لا يستطيعون الذهاب إلى لقاءات فيها نساء أصغر سنًا».

نهض المنسق الظريف عن الكرسي كي ينتقل إلى امرأة أخرى من النساء المنتظرات وحدهن.

بقيت وحدي في الجولة السادسة أيضًا فبدأتُ حديثًا مع المرأة الجالسة إلى جانبي. كانت تنتظر انتهاء هذه الجولة. طبيبة أسنان طويلة القامة، شقراء في فستان مثير من الجلد. كانت شخصية ظريفة ذكية منطلقة.

اكتشفنا أننا نخرج للجري في الحديقة نفسها وأننا انتهينا من قراءة الكتاب نفسه منذ فترة وجيزة. بعد حديثي معها مدة خمس دقائق، رأيت أن من الممكن أن نصير صديقتين. ولأول مرة منذ تلك الليلة، لم يسرّني سماع صوت الجرس.

أخيرًا، أتاني الرجل رقم خمسة. كان اسمه كيفن. لديه شركة لتنقية المياه. شاءت المصادفة أن أكون مهتمة بمعدات تنقية المياه فسألته إن كانت منظومة التنقية التي يستخدمها قادرة على إزالة الفلور من الماء.

«لقد طرحت عليَّ طبيبة الأسنان هذا السؤال نفسه». قال هذا مستغربًا تلك المصادفة، «أليس هذا غريبًا؟».

لم أر غرابة في أن تكون طبيبة الأسنان مهتمة بالسؤال عن الفلور، ولا في أن تهتم بالأمر امرأة لديها طفل صغير. لكنه كرر التعبير عن استغرابه ثلاث مرات، أو أكثر. بعد سلسلة الاستغرابات تلك، أجاب عن سؤالي: «لست واثقًا من هذا. هل الفلور مادة مركبة؟». عجبتُ كيف يمكن أن تكون لديه شركة لتنقية المياه من غير أن يعرف هذا الأمر البسيط. لا يُعقل أن يكون وجود الفلور في الماء أمرًا غامضًا بالنسبة إلى شخص يكسب عيشه من تنقية المياه لأن مادة الفلور موجودة في معظم شبكات المياه في البلاد.

في غضون ذلك، علم الرجل أنني صحافية فحاول أن يطلب مني كتابة مقالة عن شركته. رفضت طلبه عدة مرات. قلت له إنني لا أكتب عن الشركات. حاولتُ تغيير الموضوع تمامًا من خلال سؤاله عما يفعله في أوقات فراغه، لكنه لم يلق بالًا إلى محاولتي كلها بل أمضى الدقائق الثلاث الباقية في محاولات جديدة لدفعي إلى كتابة مقالة عن شركته. أوشكت لشدة يأسي أن أقول له إنني لست صحافية في حقيقة الأمر - *كان هذا مزاحًا... ها ها ها! حقيقة الأمر أنني أعمل محاسبة. لا علاقة لعملي بالكتابة ولا بالمياه، ولا بالكتابة عن المياه*... لكن لم أحظ بفرصة لقول شيء من هذا لأن الحظ أسعفني فسمعت رنين الجرس.

جلس الرجل السادس أمامي. اسمه روبرت. كان أرملًا، وشخصًا

ذكيًا، وحلو الطبع. كان محاميًا. لعله كان بالغ الوسامة منذ ثلاثين عامًا. لم يذهب من قبل إلى أية أمسية مواعدة سريعة. قال لي - «من أجل الصراحة التامة»- إنه في الستين؛ لكنه لم يعثر على لقاءات مواعدة سريعة من أجل الأشخاص الذين هم في مثل سنه. لم أفكر في هذا الأمر من قبل: ماذا يفعل الناس عندما يكونوا عازبين وتجاوزوا الخمسين أو الخامسة والخمسين؟ ماذا لو بقيت عازبة حتى تلك السن؟ كيف أستطيع أن أقابل رجالًا؟

قبل ذلك، خلال «استراحاتي»، كنت قد نظرت من حولي ولاحظت أن المرأتين الأكبر سنًا (اللتين تبدوان أنهما قد قاربتا الخمسين) كانتا شديدتَي التعلق بكل كلمة يقولها روبرت. لم يكثر روبرت من النظر في عينيّ أي منهما. بدا لي أنه يتعامل مع الأمر بطريقة عادية، لكن هاتين المرأتين كانتا تغازلانه. كانتا شديدتَي الميل إليه. كانتا شديدتي التوق. ولكن، لم تكن لديهما أية فرصة! قلت في نفسي: أهكذا سأكون بعد عشر سنين؟ ثم انتبهت... هذه هي حالي منذ الآن! إنني أشارك في هذه الأمسية، مثلهما. وألتقي الرجال أنفسهم الذين تلتقيهم هاتان المرأتان. هذه هي حياتي الآن.

خلال الدقائق المعدودة التي أمضيتها في الحديث مع روبرت، وجدته شخصًا لطيفًا لافتًا. لم يُخفِ أن قدومه الليلة إلى هذا المكان لم يكن فكرته، بل فكرة ابنته البالغة أربعة وثلاثين عامًا. هي من دفعته إلى المجيء. قلت في نفسي: *ابنته في الرابعة والثلاثين!* سألته إن كانت ابنته قد شاركت في أي لقاء من لقاءات المواعدة السريعة هذه. قال ضاحكًا: «لا. إنها متزوجة. الحقيقة أنني صرت جدًا مرة ثانية!».

«مرة ثانية!؟». قلت هذا ثم تكسّر صوتي عندما حاولت منع نفسي من البكاء، «هل صار لديها طفلان؟».

أجابني روبرت: «لا. ابني لديه طفل أيضًا. لديه طفل في الثانية». لم أجد كلامًا أقوله. طفلا هذا الرجل متزوجان! لديهما أطفال! ابني في مثل سن حفيده! حدّقت في الطاولة فلم يلبث روبرت أن كسر الصمت. سألني: «وماذا عنك؟ هل كنت متزوجة؟».

قلت في نفسي: لا. *وعلى هذا المنوال، لن أتزوج أبدًا!* تمالكت نفسي واستطعت أن أقول له: «ليس بعد»؛ وبعد لحظة من ذلك، بعد لحظة بدت لي دهرًا، رُن الجرس.

بما أنني كنت قد قابلت الرجال الستة جميعًا، فقد بقيت جالسة وحدي طيلة الجولتين الأخيرتين. ملأت بطاقة الدرجات ووضعت كلمة «لا». عند اسم كل واحد من الرجال.

تحليل الأسباب

هذا ما كان. وصلت الأمسية إلى نهايتها. طلب منّا منسق الأمسية الظريف أن نصفّق لأنفسنا (*تهانينا! لقد نجحتم في تجاوز معاناتكم هذه الليلة!*)، ثم طلب منّا أن نسلمه بطاقات الدرجات. حملت النساء حقائب اليد، ولاحظ المنسق تعابير وجوههن جميعًا. قال لنا: «أنصحكن بالمحاولة مرة أخرى. قد يكون الأمر مختلفًا». لكن كلامه هذا لم يكن مقنعًا.

في طريق الخروج، مررت بالبار الذي في المطعم. رجال ونساء متأنّقون باسمون كانوا يتبادلون الأحاديث والابتسامات. لم يبدُ لي أن فيهم من تجاوز الثلاثين.

قدت سيارتي عائدة إلى البيت، ورحت أحسب تكاليف تلك الأمسية الفاشلة. رسم الاشتراك: خمسة وعشرون دولارًا. جليسة الطفل: أربعون دولارًا. موقف السيارة: ثمانية دولارات. الزمن الذي أمضيته في الاستحمام وإزالة الشعر عن ساقيّ وتسريح شعري ووضع مواد التجميل واختيار ملابسي: ساعة ونصف. الرحلة ذهابًا وإيابًا في الشوارع المزدحمة: ساعة واحدة. أمسية ضائعة كنت أستطيع أن أمضيها مع ابني الحبيب: شيء لا يقدّر بثمن.

لم أعتبر الشركة المنظمة ملومة في هذا الفشل؛ لكني لُمت نفسي. فعلى نحو ما، كنت أدرك أن هذا لم يكن إلّا نتيجة اتخاذي «قرارات

مواعدة» خاطئة عندما كنت أصغر سنًا. كنت أدرك أن الناس يلتقون من خلال هذه المناسبات. يحدث هذا طيلة الوقت. بل كنت أيضًا على معرفة بامرأة ذهبت إلى ما يتراوح بين خمس وعشرين وخمس وثلاثين أمسية عندما كانت في التاسعة والعشرين؛ وقد التقت زوجها هناك. كان في الثانية والثلاثين. لقد قالت لي إنها ذهبت إلى ثلاث أمسيات؛ وفي كل واحدة منها، كانت أعداد الرجال والنساء متساوية. رأت رجالًا «فاشلين»، لكن أكثرهم كانوا أشخاصًا يمكن أن يكون الحديث معهم ممتعًا، نسبيًا. لم تكن لديهم مشكلات كثيرة، ولا قصص حزينة. حتى من يعيشون في شقق بائسة، كانت لديهم مسارات مهنية واعدة. لم يذكّرها أحد منهم بأصدقاء والدها. في وقت لاحق، سألتُ صديقة عازبة في الأربعين عن تجربتها في عالم المواعدة السريعة. هل كانت تجربتي أمرًا غير مألوف؟

أجابتني: «لا، على الإطلاق! يبدو هذا أمرًا عاديًا بالنسبة إلى لقاءات من هنّ بين الأربعين والخمسين». قالت لي إنها ذهبت إلى اثنتين من أمسيات من هنّ بين الثلاثين والأربعين؛ ثم ذهبت مرة أخرى عندما كانت في الثامنة والثلاثين، ومرة عندما كانت في التاسعة والثلاثين. صحيح أن الرجال كانوا أكثر جاذبية -وضعتْ كلمة «نعم» إلى جوار أسماء عدد منهم- لكنهم لم يكونوا مهتمين إلّا بالنساء اللواتي في أوائل الثلاثينات.

كنت أسمع دائمًا أن المواعدة تصير أكثر صعوبة مع التقدم في السن. لكني لم أفكر في هذا الأمر تفكيرًا جادًا قبل الآن. لم أفكر في أن قرارًا واحدًا (قرارًا من قبيل صرف النظر عن رجل جيد لأن «هناك أمرًا غير موجود لديه») يمكن أن يغير مجرى حياتي كله، أن يغيره إلى الأبد. عندما كنت في العشرينات وفي أوائل الثلاثينات، لم أكن قد تحدثت مع نساء في الأربعينات والخمسينات نادمات أشدّ الندم لأنهن أنهين علاقتهن برجال جيدين جدًا لأسباب سخيفة، وصرن يعشن الآن «وجودًا لا رجال فيه، وجودًا مكوّنًا كله من حياة اجتماعية مقتصرة على النساء»، كما عبّرت عن الأمر مصممة في الثامنة والأربعين لم تعش قبل ذلك من غير أن يكون لها صديق.

فكرت في صديقتي جوليا البالغة ثلاثين عامًا، تلك التي انفصلت عن كريغ الذي يعمل في منظمة لا تهدف إلى الربح. وبدأت تخرج مع آدم الذي كان طبيبًا جراحًا ساحرًا، ثم لم تستطع الاختيار بين الاثنين. وددت أن أتصل بها وأقول لها إن عليها أن تكون واضحة في وضع أولوياتها وأن تقرر طبيعة التنازلات التي هي مستعدة للقبول بها. عليها أن تفعل هذا لأنها، إن أسقطت الآن هذين الرجلين من حسابها، فلن تجدهما في لقاءات المواعدة السريعة لمن هم بين الأربعين والخمسين سنة من العمر، أما هي فقد تكون موجودة في تلك اللقاءات.

لكني لم أتصل بها. بدلًا من ذلك، تكلمت مع ريتشل غرينوالد التي هي «خبيرة في المواعدة» ومتخصصة في إرشاد النساء العازبات اللواتي تجاوزن الخامسة والثلاثين. اتصلت بها كي أرى ما قد تستطيع أن تقدمه لي من نصائح.

أعني... أنا في الحادية والأربعين؛ لكني لست ميتة! كنت في حاجة إلى سماع ما يبثُّ في قلبي أملًا.

القسم الثاني

من الخيال إلى الواقع

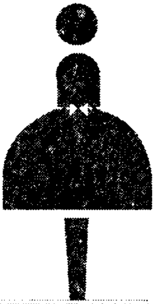

تفرض الأوهام أنفسها لأنها توفر علينا الألم وتتيح لنا أن نستمتع بالمسرات. بالتالي، يتعين علينا أن نتقبل الأمر من غير تذمر عندما تصطدم تلك الأوهام أحيانًا بشيء من الواقع فتتحطم.

سيغموند فرويد

5

أكبر سنًا، مع رغبة في أن أكون أكثر حكمة

ريتشل غرينوالد امرأة من نوع يمكن أن ندعوه «شخصية متفائلة منطقية». إنها تكثر من استخدام علامات التعجب في إيميلاتها؛ تلك العلامات التي كنت قادرة على سماعها في صوتها عندما اتصلت بها في دنفر. تود ريتشل أن يعثر الناس على الحب: هذا ما يثير حماستها. لكن أراءها بدت شديدة التصلب في كتابها الأول الذي حقق مبيعات كبيرة وكان بعنوان *«العثور على زوج بعد الخامسة والثلاثين: استخدام ما تعلمته في مدرسة هارفارد للأعمال»*. تطرح في ذلك الكتاب سؤالًا واضحًا: «باستثناء الأمور غير القانونية أو غير الأخلاقية، هل أنتِ مستعدة لفعل أي شيء كي تعثري على زوج؟». تطرح ريتشل هذا السؤال لأنها تعلم الواقع: يتغير عالم المواعدة بعد أن تتجاوزي العشرينات!

بطبيعة الحال، قالت صحيفة نيوزويك منذ بضع سنين إن المقالة التي نشرتها في الثمانينيات كانت خاطئة ـ ليس صحيحًا أن احتمال تعرض المرأة التي تجاوزت الأربعين للقتل على يد إرهابي أكبر من احتمال زواجها! فالحقيقة أن فرصة زواجها تبلغ أربعين بالمئة. يفترض أن يكون هذا خبرًا مطمئنًا. لكن، فكروا في الأمر: لا يتزوج *إلا أقل من نصف عدد النساء اللواتي تجاوزن الأربعين!* فضلًا عن هذا، سيكون قسم من أولئك النساء اللواتي يعثرن على زوج قد تجاوز سن الإنجاب. ومن الأكثر

احتمالًا أن تتزوج الواحدة منهن شخصًا مطلّقًا لديه أطفال وعليه واجبات إزاء أسرة أخرى - أي إنه قد لا يريد إنجاب أطفال جدد.

قالت لي غرينوالد إن أول ما ينبغي أن أتذكّره هو أنني لا ألتقي الرجال في الفراغ. «قد تكونين عظيمة، لكن ثمة نساء كثيرات عظيمات مثلك، وثمة عدد أقل من الرجال المتاحين. يعني هذا أن عليك أن تُدخلي في حسابك حقيقة أن 'قدرتك' تتناقص مع تقدمك في السن».

استشهدت ريتشل في كتابها بأرقام مستمّدة من الإحصائيات: ثمانية وعشرون مليون امرأة عازبة فوق الخامسة والثلاثين مقابل ثمانية عشرة مليون رجل. عندما ألقيتُ نظرة أكثر تدقيقًا على إحصاءات العازبين والعازبين بين الثلاثين والرابعة والأربعين عامًا، وجدت أن هناك مئة وسبعة رجال عازبين مقابل كل مئة امرأة عازبة. وأما ضمن فئة خمسة وأربعين حتى خمسة وستين عامًا، فلم أجد إلا اثنين وسبعين رجلًا عازبًا مقابل كل مئة امرأة عازبة. هذه أرقام ثقيلة الوقع بما فيه الكفاية؛ لكن غرينوالد قالت إن احتمالات زواج امرأة في مثل سني أقل من ذلك في العالم الحقيقي. فلماذا؟ لأن رجالًا كثيرين يرغبون في الزواج من نساء أصغر سنًا (ويستطيعون ذلك)، ولأن الرجال القادرين على الالتزام وتأسيس أسرة ليسوا، عادة، ممن يظلون متاحين لنساء تجاوزن الخامسة والثلاثين. يعني هذا أن من المحتمل كثيرًا أن ينتهي الأمر بالنساء اللواتي هنّ في أواسط الثلاثينات إلى مواعدة عدد أكبر من الرجال ممن لديهم مشكلات أكثر وممن لديهم ماضٍ أكثر تعقيدًا، تمامًا مثلما يكون الأمر بالنسبة إلى النساء في ذلك الوقت.

قالت غرينوالد: «أستطيع انتقاء امرأتين رائعتين في الخامسة والعشرين. هاتين المرأتين متماثلتين تمامًا من حيث الجاذبية. الآن، اجعليهما تعيشان تجربتين مختلفتين خلال السنين العشر القادمة - واحدة منهما تتزوج، وواحدة تظل عازبة. ثم ضعيهما جنبًا إلى جنب عندما تصيران في الخامسة والثلاثين. سوف ترين امرأتين مختلفتين تمامًا. المرأة التي عاشت زواجًا

سعيدًا مدة عشر سنين ترى أن العالم جيد؛ والمرأة التي ظلت في عالم العازبات عشر سنين ترى أن العالم مكان مشؤوم محبِط. هكذا هو الأمر لدى الرجال أيضًا. فإذا قارنّا بين رجلين عاش واحد منهما زواجًا ناجحًا وظل الآخر في دوامة المواعدة والعلاقات الفاشلة، فسوف نجدهما رجلين مختلفين. هذا هو الأمر المختلف فيما يتصل بالمواعدة والعلاقات عند الأشخاص الأكبر سنًا. إنهم أميَل إلى أن يكونوا أكثر ضجرًا وتبرّمًا. ليسوا جذابين مثلما يكون العازبون الأصغر سنًا، وليسوا مفعَمين بالآمال مثلهم».

قلت لغرينوالد إنني لم أفكر في هذه الأمور عندما كنت أصغر بعشر سنين، أي عندما كنت في انتظار ظهور «الرجل الصحيح» في حياتي. بدا لي أمرًا منطقيًا أن فرصة عثوري على رجل أفضل ستكون أكبر إذا بحثت عنه أكثر. لكنها قالت لي إن هذا المنطق غير صحيح: كلما طال انتظارك، كلما تضاءل احتمال عثورك على شخص أفضل من الأشخاص الذين وجدتِهم حتى الآن.

«قائمة شروط» امرأة في الخامسة والعشرين

لم أرِد القول مما تقدم إن الرجال الأكبر سنًا المتاحين الآن «فاشلون» جميعًا مثلما قد تظن نساء كثيرات. كل ما في الأمر هو أنهم لا يبدون شبيهين بالشخص الذي تخيلنا أن نكون معه عندما كنا في سن المراهقة. لو التقيتِ هذا الرجل عندما كان في السابعة والعشرين لوجدتِ أنه أقرب كثيرًا إلى الصورة التي في ذهنك عن الرجل الذي يمكن أن تفكري في الزواج منه. لكن ذلك الرجل نفسه الذي بلغ الآن الخامسة والأربعين يمكن أن يظل عريسًا ممتازًا - حتى إن صار يبدو شخصًا في أواسط العمر، وحتى إن كانت له زوجة سابقة وطفلان، وحتى إن كانت حياته قد مرت بمجموعة خيبات. قالت لي غرينوالد إن مفتاح الأمر كامن في إدراك أن كلمة «واقعي» ليست كلمة سيئة.

قالت لي أيضًا: «الهدف هو أن تتزوجي شخصًا تحبينه فعلًا، شخصًا سوف يعاملك معاملة جيدة حقًا، وسوف يجعلك سعيدة. لكن هذا كله لا علاقة له بسن ذلك الرجل، ولا بالصلع الذي غزا رأسه - أي أنه لا علاقة له بكل ما تحتوي عليه قائمة الشروط التي تكون لدى امرأة في الخامسة والعشرين. إذا كنتِ في الأربعين من العمر، وظلت الصورة التي في ذهنك عن 'الرجل المناسب' على حالها، فسوف يخيب أملك».

بالنسبة إلى نساء كثيرات، كما قالت لي غرينوالد، تكون معايير البحث على النحو التالي: «أنا في الأربعين، وأريد أن أنجب طفلًا. وأنا لست مهتمة إلّا بمن يبلغ طول قامته مئة وسبعين سنتيمترًا، أو أكثر، ومن لم تتجاوز سنه الخامسة والأربعين. هذا لأنني لا أزال أتمتع بنشاطي ولا أزال أبدو صغيرة السن. ينبغي أيضًا أن يكون دينه مثل ديني. أفضّل رجلًا ليس لديه أطفال. وإذا كان لديه أطفال، فمن الأفضل أن يكونوا قد كبروا، أو أن لا يعيشوا معه. ثم تستمر قائمة الشروط، وتستمر!».

سرّني أن يكون حديثي مع غرينوالد هاتفيًا لأنني أحسست كيف احمرّت وجنتاي احمرارًا شديدًا. أعني أن كلامها قد أصاب مني مقتلًا. ما العيب في أن تكون المرأة راغبة في هذه الأمور؟ هل يمكن أن تقول غرينوالد لرجل عازب تقدمت به السن: *اسمع! ألم تر تلك النساء اللواتي لم تكن مشدودًا إليهن ولا مهتمًا بهن عندما كنت في العشرينات؟ لا بأس... هل تعلم أنهن لا يزلن متاحات، وأن بعضهن مطلقات، وأن عليك أن تكون صاحب ذهن أكثر انفتاحًا؟*

لكن غرينوالد ظلت مصرّة على رأيها: «لا، أبدًا! لست أقول إن عليك أن ترضي برجل قبيح أو مضجر. لكن من النساء من تبالغ في تضييق نطاق بحثها بحيث تصير غير قادرة حتى على العثور على رجل تخرج معه. لا أقول أبدًا إنني أطالب المرأة بأن ترضى بأي شيء. فبكل تأكيد، لا بد من وجود 'كيمياء' حقيقية بينك وبين الرجل. ولكن، كيف تستطيعين القول إن تلك 'الكيمياء' موجودة إذا كنتِ لا تمنحين الرجل فرصة لأنك غير

راضية بطول قامته، أو سِنّه؟ قد يكون رجلًا عاطفيًا جدًا، أو رجلًا ظريفًا جدًا، وقد تكون لديه صفات أخرى لا تستطيع العين رؤيتها على الفور».

المشكلة الكبرى، كما قالت لي غرينوالد هي أننا نظل في الخامسة والثلاثين محتفظات بالمعايير نفسها التي كانت لدينا في الخامسة والعشرين. مع أن الأمور التي كنا نريدها في الخامسة والعشرين لا تعود لها أهمية كبرى في حياتنا بعد أن صرنا في الخامسة والثلاثين. ينبغي أن نبحث عن صفات من قبيل الصبر والاستقرار بدلًا من «الفراشات التي ترفرف».

الحقيقة أن علينا أن نبحث عن تلك الصفات حتى عندما نكون في الخامسة والعشرين حتى لا نتزوج رجلًا في تلك السن فندرك عندما نصير في الخامسة والثلاثين أنه يفتقر إلى الصفات الضرورية من أجل زواج جيد.

قالت لي: «لو كنت أتكلم الآن مع امرأة في الخامسة والعشرين، لقدمت إليها هذه النصائح نفسها. لكن بنات الخامسة والعشرين غير راغبات في الاستماع إلى أية نصائح!».

التواضع والغَيرية

النصيحة التي تقدمها غرينوالد بسيطة: استبعدي من قائمة الشروط الضرورية كل ما هو «موضوعي» (السن وطول القامة، والجامعة التي ذهب إليها الرجل، وطبيعة عمله، وحالة شعره، وما إذا كان لديه أطفال أو زوجة سابقة)، وركزي على ما هو «ذاتي» (النضج، واللطف، والروح المرحة، والحساسية، والقدرة على الالتزام).

قلت لها إن من السهل عليها أن تقول هذا، فهي متزوجة منذ سبع عشرة سنة، أي عندما كانت في الثامنة والعشرين. فكيف يكون إحساسها اليوم لو أنها لا تزال عازبة في الأربعينات، ثم يأتي من يقول لها إن عليها ألّا تلقي بالًا إلى هذه المعايير الموضوعية؟

ضحكت غرينوالد عندما سمعت ما قلته، لكنها لم تضحك إلّا لأنها عرفت هذا من قبل. فقالت لي إنها كادت تُفوّت فرصة لقاء زوجها لأنها، هي أيضًا، كانت متعلقة بتلك المعايير الموضوعية. فعندما كانت في مدرسة الأعمال، تكلمتْ عبر الهاتف مع الرجل الذي صار زوجها... تكلما في أمور متصلة بالعمل واكتشفا أنهما مستمتعَين بتلك الأحاديث. لكنها نظرت إلى صورته فلم تُثر حماستها. استبعدته من حساباتها العاطفية. لم تجده ظريفًا -بل أكثر من ظريف- إلا عندما التقته في حفلة وعرفته معرفة أفضل.

قالت لي: «عندما كنت عازبة أبحث عن رجل، كنت أريد الحصول على كل شيء. أردت رجلًا طويل القامة، وسيمًا، ذكيًا، طريفًا. كنت شديدة التدقيق، بل إنني أردت أيضًا أن يكون شعره مموَّجًا». صحيح أنها استطاعت الحصول على قسم من تلك الصفات (لكن، ليس كلها) التي كانت راغبة فيها، إلا أنها لم تلبث أن اكتشفت سريعًا أن تلك الصفات كلها لا علاقة لها بسعادتها في زواجها.

«عندما كنت أقابل رجالًا، كانت هناك صفتان لم يتبادر إلى ذهني أبدًا أنهما مهمتان، لكن ما اتضح لي هو أنهما جوهريتان في زواجنا. إنهما التواضع والغيرية! كثيرًا ما يحدث في الزواج -يحدث كل يوم- أن يكون على المرء تقرير إن كان يريد إسعاد نفسه أو إسعاد شخص آخر. وقد برهن زوجي في مرات كثيرة على رغبته في إسعادي. في فترة المغازلة، نخلط بين الرومانسية والغيرية مع أنهما أمران مختلفان جدًا. فالمبادرات الرومانسية، من قبيل إرسال زهور، ليست مثل استيقاظ زوجي في منتصف الليل كي يعتني بطفلنا الصغير ويتركني أنام».

تابعت تقول: «وبالمثل، يكون التواضع صفة جوهرية - القدرة على القول إن ما من أهمية لمن يكون مصيبًا ومن يكون مخطئًا. فلا مشكلة أبدًا في أن تكون لدى الطرفين آراء مختلفة في هذه الأمور أو تلك. هذا ما يجعلني أسأل النساء: أين يكون موضع التواضع والغيرية في قائمتك عندما ترفضين رجلًا استنادًا إلى سنِّه أو طول قامته؟».

جون غوتمان باحث معروف في أمور الزواج في جامعة واشنطن؛ ومؤلف كتاب «*المبادئ السبعة من أجل إنجاح الزواج*». يقول إنه قادر على توقّع مدى نجاح الزواج بدقة تبلغ 91 بالمئة من الحالات، وذلك من خلال النظر إلى الصفات الجوهرية، أي إلى صفات من قبيل التسامح والاستعداد للتنازل وأسلوب التواصل.

لا تُغفِل غرينوالد الرغبات الموجودة عند كثيرات منا. لكنها تقول إن علينا بدلًا من ذلك، ومع أننا نحب أن يتوفر «كل شيء» لدى الرجل، أن نعيد النظر في معاييرنا، بل أن نعيد النظر بها في وقت مبكر - إن أردنا العثور على شريك مناسب قبل أن تزداد كثيرًا صعوبة العثور عليه.

قالت لي إنها عندما تقابل نساء تجاوزن الخامسة والثلاثين وتستمع إلى قصصهن، تسمع منهن غالبًا أمورًا من قبيل: *كنت في هذه العلاقة الفاشلة مدة ثلاث سنين. وعشت علاقة فاشلة أخرى استمرت خمس سنين*. أو من قبيل: *ظللت أعود دائمًا إلى صديقي السابق بدلًا من الذهاب ومقابلة من هو مناسب لي أكثر منه!* أو من قبيل: *أدركت بعد ستة شهور، أو بعد سنة، أن الأمر لن يُفضي إلى أي شيء. لكني بقيت، على الرغم من ذلك، أملًا في أن تتغير الأمور!*

ما ينبغي أن يتغير هو أسلوب تلك النساء في اختيار شركائهنّ. فبحسب ما تقوله غرينوالد، ضيّعت تلك النساء جميعًا «سنوات الذروة».

قالت: «بشكل عام، كان لدى الرجال الذين انشدّت إليهم تلك النساء صفات تخالف تمامًا ما يردنه على المدى البعيد - الاستقرار، والمسؤولية، والتعاطف، والثبات، والنضج، والرغبة في إنجاب أطفال. عليكِ أن تتذكري دائمًا أنه ليس لديك وقت تضيّعينه مع رجل لمجرد أنك مولّهة به كثيرًا».

أوه، لا! لقد أصابت مني مقتلًا... مرة أخرى!

تذكرت صديقي الذي كان يتودد إليَّ ويتملقني طيلة الوقت، ثم لا يلبث أن ينسحب فجأة بعد أن يجد لنفسه عذرًا سخيفًا من قبيل «استبدّ

بي الخوف». لكني بقيت معه - بقيت معه سنتين وستة أشهر. كان هناك أيضًا رجلان رائعان مثيران، يبدوان رومانسيَّيْن أيضًا، ثم اتضح لي أن كلًا منهما يحب نفسه أكثر مما يحبني. عندما كنت أصغر سنًا، كنت أرى أنني أستطيع أن أترك الأمور تتطور تطورًا طبيعيًا من غير أن أهتم ببدء أحاديث عن مستقبلنا. لكن غرينوالد قالت إن من المهم كثيرًا أن تبادر المرأة إلى هذه الأحاديث منذ فترة مبكرة، أي قبل أن تصير واقعة تحت ضغط الزمن.

«على المرأة الراغبة في الزواج وتكوين أسرة أن تفكر في ما هو مهم فعلًا ـ *وأن تجعل خياراتها في المواعدة منسجمة مع ذلك* - قبل أن تجد نفسها عازبة في أواسط الثلاثينات. لا أريد أن أبالغ في قرع ناقوس الخطر؛ لكن من المؤسف حقًا أن تدرك المرأة هذا بعد أن يصير الأمر أصعب كثيرًا مما كان عليه لو أنها غيّرت رأيها قبل عشر سنين. فلنقل إنك في الثالثة والثلاثين، وتقابلين رجالًا منذ أحد عشر عامًا، أي منذ أن كنتِ في الجامعة. ولنقل إنك تريدين تأسيس أسرة. لا بأس... لا أزال قادرة على جعلك تقابلين رجلًا في الأربعين يرغب في تأسيس أسرة. وأما إذا كنت في الخامسة والثلاثين، فإن الأمر يصير أكثر صعوبة. يصير الزمن الباقي لدى المرأة محدودًا جدًا عندما تبلغ الخامسة والثلاثين. ثم ينتهي ذلك الزمن عندما تصير في الأربعين. إذا كنت في الأربعين، وكنت تواعدين الرجال من خلال الإنترنت، فلن تجدي رجلًا يرغب في إنجاب أطفال. الرجال المطلقون الذين لديهم أطفال يمكن أن يكونوا راغبين في أن يلتقوا نساءً في الأربعين، لكن أكثرهم لن يفكر في الإنجاب».

لو أن غرينوالد قالت لي هذا عندما كنت في الثلاثين من عمري، لاعتقدت أنها تبالغ كثيرًا. أو، على أقل تقدير، لاعتقدت أنني سأكون استثناء مما يجري عادة بالنسبة إلى النساء الأكبر سنًا. بل إنني أقول في نفسي، حتى الآن، إنني «لا أزال جذابة»، أو «لا يزال قلبي أصغر سنًا»، أو «مظهري لا يوحي بسني». لكن كل ما قالته لي تبين أنه صحيح. فمن بين صديقاتي كلهن، العازبات والمتزوجات، لا أجد إلا قليلات ممن

تعرفن أي رجال عازبين في مثل سني، ومن بين أولئك الرجال القلائل الذين تعرفهن صديقاتي، ما من أحد راغب في الخروج مع امرأة تجاوزت الأربعين.

من هنا، كان لي أن أختار بين أمرين اثنين: إما أن أتقبل معاناة النساء العازبات الباحثات عن الحب، أو أن أستخدم هذه المعلومات لما فيه مصلحتي. وكما قالت لي غرينوالد، ثمة بعض الأنباء الحسنة: لديّ فرصة في أن أبدأ من جديد، وفي أن أجعل الأمر ينجح هذه المرة، وذلك من خلال مقابلة رجال فيهم صفات يمكن أن تجعلني سعيدة على المدى البعيد. بدا لي أن ذلك المدى البعيد هو ما ينصبّ عليه تركيز غرينوالد. فعلى امتداد السنوات العشر الماضية، كانت لها مساهمة في عقد مئات الزيجات. على الرغم من مقاومة كثير من تلك النساء اللواتي تزوجن فكرة «توسعة الشبكة» والتركيز على المعايير الذاتية، فما من واحدة منهن (على حد علم غرينوالد) انتهى بها الأمر إلى الطلاق.

إذًا... لعلها تكون محقة!

سعيدة مع «رجل عادي»

تظهر تلك الأفكار نفسها عندما تخبرني نساء سعيدات في زواجهن بما هو مهم في نظرهن بالنسبة إلى المرأة التي تكبر: الأمر المهم هو العثور على «شريك ممتاز»، لا على «شخص ممتاز». لا علاقة للأمر بأن «تخفّض» المرأة معاييرها، بل بأن تكون أكثر نضجًا وبأن تكون لديها توقعات منطقية. ثمة فرق بين ما يجعل شخصًا من الأشخاص صديقًا جيدًا وبين ما يجعله زوجًا جيدًا. فعلى مر السنين، تصير أهمية استقرار الرجل وإمكانية الاعتماد عليه أكثر أهمية من المشاعر المتأججة ومن الثرثرة الممتعة.

لي صديقة من أيام الجامعة اسمها أماندا. وهي الآن في التاسعة والعشرين. ومتزوجة منذ اثني عشر عامًا. قالت لي إنها تتذكر الضغوط

التي أتتها من المجتمع عامة، ومن دائرتها الاجتماعية خاصة، فيما يتصل بنوع الرجل الذي «ينبغي أن تواعده».

قالت لي: «أتذكّر تلك المعلمة التي كانت لدينا في المدرسة الثانوية. كانت امرأة عازبة بائسة، وسمعتْ أنني أخرج مع باري، فقالت لصديقة مشتركة إن في مقدوري أن ’أحصل على ما هو أفضل‘. أتذكر كيف قلت في نفسي إنها لا تعرف شيئًا، وإن ما من فتاة يمكن أن تتمنى شخصًا أكثر لطفًا أو ذكاء. لقد أثبت ما جرى بعد ذلك صحة رأيي. قد لا يكون باري شخصًا يرتدي الملابس التي تعجبني؛ وقد لا يكون شخصًا يهتم بإصلاح بعض الأشياء في المنزل بدلًا من متابعة مباراة في كرة القدم. لكنه مستعد لفعل أي شيء من أجلي. يُعدّ لي حساء الدجاج عندما أمرض بالأنفلونزا، ولا يضع فيه أي قدر من الملح حرصًا منه على استقرار ضغط دمي. في آخر المطاف... هذا هو الحب، وهذا هو الزواج الرائع».

قالت أماندا إن أكبر سوء فهم كان لديها أيام عزوبيتها هو تصورها أن «الاتساق» يعادل الضجر، وأن «التنازل» كلمة سلبية. تتمنى أن تكون لدى ابنتها عندما تكبر تلك الأولويات نفسها التي توصلتْ إليها. قالت لي: «لم يكن ممكنًا أن أتزوج باري، ولا أي شخص آخر، لو أنني ظللت شديدة التمسك بتلك الأمور التي أرى النساء العازبات الآن يرفضن رجالًا من أجلها».

إليز المتزوجة منذ ثماني سنين ولديها طفلان، وصفت علاقتها بزوجها على النحو التالي: «قبل بلوغي الخامسة والثلاثين بفترة وجيزة، تركني ذلك الرجل الذي كانت لديه الصفات التي أردتها. أحسست نفسي محطمة، وبعد بضعة شهور، التقيت الرجل الذي هو الآن زوجي. لم تكن لديه إلا بضع صفات من تلك التي أردتها. لم ’تتطاير الشرارات على الفور‘. ولكن، كانت لديه صفات أخرى اكتشفت أنني أريدها فعلًا. استقامة وصدق تامَّيْن، واستعداد لفعل ما هو صحيح حتى وإن كان متعبًا، واستقرار. وأهم من ذلك كله هو أنه يحبني ويتفهمني. السبب الذي

جعلني أعجز عن العثور عن 'الرجل الصحيح' هو أنني كنت مخطئة في شأن الصفات التي ينبغي أن تتوفر لدى ذلك 'الرجل الصحيح'!».

كان لدى سوزان الرأي نفسه. هي مديرة تسويق في الثلاثين من عمرها تعيش في مدينة أوستن. قالت لي إنها تزوجت في البداية الرجل الذي بدا لها أنه «الرجل الصحيح»، لكنها الآن متزوجة من «الرجل الصحيح الحقيقي». تضحك عندما تتذكر الأخطاء التي ارتكبتها عندما اختارت زوجها الأول، وكادت ترتكبها عندما اختارت الثاني.

قالت: «بالنسبة إليّ، كان التركيز على النقاط التي لا أقبل أية مساومة في شأنها مع استعدادي لتجاهل 'الزبدة' هو مفتاح الأمر كله». فبعد أن رفضتُ الذهاب في موعد مع رجل لافت لمجرد أنه ينتعل صندلًا ويربّي قطة، «صرت 'أكثر استنارة'؛ وهذا يعني في جوهره أنني صرت مستعدة للتغاضي عن بعض الأمور الغبية. وها أنا الآن مع الرجل الذي أتمنى أن أعيش معه شيخوختي».

بطبيعة الحال، تعلم كل من تخرج في مواعيد أن ما دعته غرينوالد صفات ذاتية أمر مهم. كل ما في الأمر هو أننا كثيرًا ما نضفي المقدار نفسه من القيمة على الصفات الذاتية والصفات الموضوعية، لكن من الصعب أن نعثر على كائن بشري حقيقي يجمع بين الناحيتين على قدم المساواة. إذا وجدنا رجلًا لديه صفات ذاتية تفوق صفاته الموضوعية، فإننا نستبعده. وأما إذا كانت لديه صفات موضوعية، فسوف يصير استبعاده أكثر صعوبة علينا لأن الصفات الموضوعية أسهل قياسًا. نفترض أن الصفات الذاتية التي لا تكون ظاهرة كثيرًا على السطح موجودة لديه، لكنها غير واضحة لنا. من الطبيعي ألا يكون هذا التقدير صائبًا على الدوام.

من المؤكد أن لين، المطلّقة البالغة اثنين وأربعين عامًا، تنظر الآن إلى الأمر بطريقة مختلفة. قالت لي،: «كان لديَّ زوج وسيم ذو مظهر رياضي. وعندما خانني ثالث مرة وانفصلنا، بدأت أدرك أن الظاهر على السطح ليس

مهمًا على المدى البعيد. المهم هو العثور على شخص جيد في جوهره. المؤسف أن كثيرات منا لا يستطعن إدراك ذلك إلى أن يقعن في التجربة».

حدثتني لين عن رجلين رائعين في مكتبها يجدان صعوبة حقيقية في الخروج مع النساء. الأول اسمه براد: رجل قصير القامة ممتلئ الجسم بدأ الصلع يغزو رأسه. لكنها قالت لي: «عندما تتعرفين عليه جيدًا، تكتشفين أنه فطن، شريف، ذكي، مرح، تستطيعين أن تحبيه بكل سهولة». لكن أكثر النساء لا تتجاوز أنظارهن رأسه الأصلع وجسده الذي ليس رياضيًا. لم يتزوج براد إلا في الشهر الماضي وبعد أن بلغ الثامنة والثلاثين.

قالت: «ليس ضروريًا أن يكون الرجل رائع المظهر حتى يصلح لعلاقة مستقرة ثابتة. بكل تأكيد، صديقي براد صالح لعلاقة مستقرة. أظن أن الفتاة التي 'أخذته' امرأة محظوظة فعلا».

لدى لين زميل آخر اسمه ميتش يبلغ الثلاثين من العمر، وهو واحد من ألطف الرجال الذين عرفتهم لين في حياتها كلها. تقول إنه خجول، لكن قضاء الوقت معه أمر ممتع جدًا بعد أن تتعرفي عليه جيدًا.

قالت: «ليس له شعر يسرّحه على النمط الحديث. إنه ليس رجلًا ذا مظهر سيّىء، بل مظهره عادي، لا أكثر. فيه صفات ممتازة كثيرة، لكني أظنه رجلًا لا تنظر إليه أبدًا النساء اللواتي في مثل سنه. هذا ما يحزنني. فمن وجهة نظري، بعدما صرت في الثانية والأربعين، أعرف أن هناك رجالًا كثيرين أصغر سنًا ممن يتمنون العثور على الحب ويودون أن يلتزموا ويريدون أن يتزوجوا وأن ينجبوا أطفالًا، لكن النساء بين خمسة وعشرين وخمسة وثلاثين عامًا لا ينظرن إلى أولئك الرجال إلا في ما ندر، وذلك لأنهن يردن الظفر بكل شيء».

هل من أحدٍ يعيد إليّ شيئًا من الرُّشد؟

كنت أدرك أن ريتشل غرينوالد محقة - عليَّ أن أتعامل مع المواعدة بطريقة مختلفة. لكن، حتى إذا حاولت البحث عن تلك الصفات التي قالت عنها إنها صفات ذاتية، فأنا لا أزال أعاني مشكلة: أنا لا ألتقي أي رجال.

فكرت في الاتصال بمن يعملون في ترتيب الزيجات.

في نظري، كانت هذه خطوة «ثورية». لم يتبادر إلى ذهني يومًا أن أستعين بأحد من أولئك الناس عندما كنت أصغر سنًا، وذلك لأنني كنت مقتنعة دائمًا بأنني أستطيع أن ألتقي رجلًا من غير مساعدة. سيكون جالسًا إلى جواري في طائرة، أو واقفًا خلفي في صف الانتظار أمام محل تنظيف الملابس، أو عاملًا في مطعم أو مقهى، أو مشاركًا في حفلة أذهب إليها، أو جالسًا في المقهى نفسه.

يبدو لي هذا التفكير سخيفًا عندما أفكر الآن في احتمال حدوث شيء من ذلك. ففي نهاية المطاف، نحن لا نترك الجوانب المهمة الأخرى في حياتنا خاضعة للمصادفات. عندما يريد إنسان أن يعثر على عمل، فهو لا يكتفي بالتسكع في ردهات مباني مكاتب الشركات آملًا أن يأتيه واحد من أصحاب العمل ويبدأ معه حديثًا. وعندما يكون راغبًا في شراء بيت، لا يسير وحده على غير هدى من حي إلى حي آملًا أن تقع عيناه على بيت معروض للبيع يلائم ذوقه الخاص ويحتوي على العدد المطلوب من غرف النوم والحمامات. سيكون هذا كله عشوائيًا إلى حد كبير. إن كانت تلك طريقتك الوحيدة في البحث عن بيت، فقد ينتهي بك الأمر من غير بيت. هذا ما يجعلك تستعين بسمسار عقارات كي يأخذك لرؤية البيوت التي يُحتمل أن تلبّي متطلباتك. وعلى المنوال نفسه، لماذا لا أستعين ببعض من يرتّبون الزيجات كي أستطيع رؤية الشركاء المحتملين؟ ظلت فكرة أن أكون في مكان من الأماكن وتلتقي عيناي عيني شخص غريب تبدو لي أكثر جاذبية. لكن، في أي مكان، على وجه التحديد، يمكن أن أعثر على ذلك الشخص الغريب الساحر: في غرفة مكتبي حيث لا يعمل أحد غيري؟ أم في غرفة المعيشة أو المطبخ حيث أذهب عندما لا أكون في غرفة مكتبي؟ أم في بار من البارات، أي في مكان يُستبعد أن يكون مكانًا يقصده رجال مناسبون؟

اشتكت النساء العازبات اللواتي تكلمت إليهن من هذه المشكلة نفسها: أين يمكن أن «تصادف» امرأة حديثة منشغلة رجلًا يناسبها؟ فخلال

أيام العمل من كل أسبوع، تكون لكثير من النساء العازبات برامج على النحو التالي: الاستيقاظ، والذهاب إلى العمل، والعمل طيلة اليوم، ارتياد نادٍ رياضي أو نادي كتب روّاده من النساء، وتسخين طعام العشاء، ومتابعة التلفزيون قليلًا، والرد على الإيميلات، ثم الذهاب إلى الفراش. فماذا عن عطلة نهاية الأسبوع؟ تناول الغداء مع الصديقات، إنجاز المهام التي لم يتسع الوقت لإنجازها خلال أيام العمل، ودفع الفواتير، وتفقد البريد، وممارسة تمرينات رياضية، وقضاء أمسية يوم سبت أخرى في حفلة أو في بارٍ لطيف أملًا في حدوث «تلاقي العيون» مع رجل غريب وسيم... لست أقول إن هذا لا يمكن أن يحدث. فالواقع أنني خرجت مرتين مع أولئك الغرباء الوسيمين، لكن الأمر لم ينته بالزواج منهم. لذا، لا أريد أن أترك الأمور للقدر؛ لن أتركها للقدر بعد الآن.

كنت في حاجة إلى مساعدة واحدة ممن يرتبون الزيجات، لكني لم أشأ تركها تهمل معاييري الموضوعية إهمالًا تامًا: لم أكن في حاجة إلّا إلى من يُضفي على عملية البحث قدرًا من المنطق وبُعد النظر، وذلك بالطريقة التي اقترحَتها غرينوالد. أردت الاستعانة بمن تستطيع أن تقول لي: «أتعرفين؟ قد لا يبدو هذا الرجل من النوع الذي يعجبك كثيرًا، لكني أتمنى أن تثقي بي عندما أقول لك إنه مناسب». أردت منها أن تذكّرني بما هو مهم، وأن تساعدني في التخلص من عادتي في استبعاد رجال جيدين لأسباب غير وجيهة.

وهكذا تناولت هاتفي واتصلت بويندي. كانت ويندي امرأة من سكان المنطقة تعمل في ترتيب الزيجات. اتفقنا على اللقاء لتناول القهوة معًا. وبعد أسبوع كنا جالستَيْن وأمام كل منّا فنجان من القهوة بالحليب. حكيت لها عن الأشخاص الذين عرفتهم: الموسيقي الذي خرجت معه عندما كنت في العشرينات (ظريف، ذكي، مبدع، لكن نظرية التجاذب بين شخصيتَيْن متعاكستَيْن لم تكن ناجحة بالنسبة إلينا بعد أن عشنا معًا)؛ والمحامي الذي أتى بعده (ظريف، ذكي، طريف، ناجح، لكنه صار شديد

الميل إلى التملك إلى حد جعل صديقاتي ذوات العقول المنفتحة تعتبرنه مخيفًا بعض الشيء)؛ والمقاول اللامع (ظريف، طريف، ناجح، لكنه أناني وغير موثوق به إلى حد يثير الجنون)؛ وكاتب النصوص التلفزيونية الذي لم يكن مستعدًا لعلاقة ناضجة (ظريف، ذكي، طريف، مبدع، لكنه غير مهتم بأن يلتزم نحوي)؛ ومصرفي الاستثمارات الساحر الذي تعرفت عليه في حفلة علمت في ما بعد أنه كان من المفترض أن يذهب إليها مع امرأة غيري (ينبغي أن تكون هذه علامة منبئة بالخطر، أليس كذلك؟)؛ والصحافي الذي يعيش في مكان بعيد (ظريف، ذكي، طريف، مبدع، فضلًا عن كونه ألطف إنسان في العالم كله، لكننا لم نستطع أبدًا أن نتفق على المكان الذي سنعيش فيه وعلى طبيعة الحياة العائلية التي نريد)؛ والمستشار السياسي الذي اكتشفت أنه يشاركني قسمًا كبيرًا من اهتماماتي والذي بدا لي رائعًا معظم الوقت، إلا عندما يكون كاذبًا، أو عندما يتوقف عن تناول الأدوية المضادة للقلق والاكتئاب (ظريف، ذكي، موهوب، صاحب شخصية تذكّرني بجايكل وهايد)؛ ومخرج الأفلام المثير الذي تعرفت عليه عبر موقع (Match.com) (ذكي، طريف، ناجح، لكنه لا يصلح لأن يكون أبًا).

قلت لها إن كل واحد من أولئك الأشخاص كان، في البداية، جذابًا على الورق، لكن من الواضح أن لديّ عادة اتخاذ قرارات خاطئة.

فهل تظن أنها قادرة على مساعدتي؟

رأت ويندي أنها قادرة على مساعدتي. في حقيقة الأمر، كان لديها شخص ترشّحه لي.

6

ثلاثة آلاف وخمسمئة دولار من أجل الحب

لست معتزة بقول هذا؛ لكني كدت أرفض الرجل الأول الذي أرسلته إليَّ ويندي. حتى قبل أن ألتقيه. وحتى قبل أن أرى صورته. في الحقيقة، بدا لي الرجل (مما حكته لي ويندي) شديد القرب مما كنت أبحث عنه. كان يكبرني بأربع سنين (أي ليس مثل أولئك الرجال الخمسينيين الذين التقيتهم في أمسية المواعدة السريعة). كان متزوجًا من قبل (يريد أن يتزوج من جديد). كان أبًا (يحب الأطفال). ذو تعليم رفيع (لكنه شخص متواضع). يجمع نسخًا من الكتب الحديثة (ويقرأ تلك الكتب). مستقر ماليًا (ويحب عمله).

مع ذلك، عندما سمعت أنه (1) كان قبل سنة من ذلك شديد الاضطراب نتيجة طلاقه (خرجت في الآونة الأخيرة مع سلسلة من الرجال الذين كان الواحد منهم يمضي وقت اللقاء كله في سرد قصة انهيار زواجه)؛ (2) لديه أربعة أطفال (قلت لويندي، «إذا تزوجنا، فسوف يصير في بيتنا خمسة أطفال. هذه ليست أسرة. إنها سيرك!»)؛ (3) شديد الولع بالرياضة (نقطة سلبية في نظري)؛ (4) ترعرع في مكان مرتبط في ذهني بالرجال الذين يكثرون من شرب البيرة ويتكلمون بلهجة ثقيلة في حين كان أصحاب الثقافة الرفيعة «نمطي المفضل» ـ أردت رؤية ما لديها من خيارات أخرى من أجلي.

أصغت ويندي إلى ما قلته لها، لكنها طلبت مني أن أعيد النظر. مضت بضعة أيام تبادلنا فيها الإيميلات جيئة وذهابًا. كانت تؤكد لي أن هذا الشخص بعيد كل البعد عن صورة الرجل «المولع بالمباريات الرياضية، المولود في برونكس، صاحب اللهجة الثقيلة الذي يتجشّأ كثيرًا»، فهو «خريج جامعة ممتازة؛ وهو شخص راقٍ كأنه واحد من محامي كبرى الشركات». وفي ردّها على سؤالي عن شعره وقامته وطبعه، قالت إنه «طويل القامة، كثيف الشعر، صاحب نكتة».

لم تكن ويندي ممن يقولون أنصاف الحقائق. قالت: «بكل بساطة، لا نستطيع أن ندقق في الناس حتى الموت... من *المقبول أن* يكون من *مانهاتن، لكن ليس من برونكس؛ من المقبول أن يكون لديه طفلان، لكن ليس أربعة؛ من المقبول أن يحب الرياضة، لكن ليس كثيرًا جدًا!*

كتبت لي قائلة إن عقلي ذا الميل المفرط إلى التحليل «يخاطر بأن يبالغ في التدقيق إلى أن يبعدك عن أية صلة بشرية».

كنت واثقة برأي ويندي. ليست واحدة ممن يلحّون في ترتيبات الزيجات مثلما يلح بائعو السيارات المستعملة؛ وليست متلهفة إلى أن تأخذ مالي وأن ترسل لي قرينًا لا يقتضي عثورها عليه وقتًا أو جهدًا. وهي ليست شركة مستعدة لإدراج كل من يأتي بدلًا من بذل الجهد في انتقاء الرجال. ثم إنها ليست امرأة في أواسط العمر ترتدي ثوبًا غريب الشكل وتقرأ الهالة التي من حولي زاعمة أن لديها «حاسة سادسة».

إنها امرأة حادة الذهن، عصرية، أمٌّ سعيدة في زواجها، تجاوزت الثلاثين، لديها نجاح مشهود في بناء الصداقات، ثم شاءت المصادفة أن تجعلها ممن يرتّبون الزيجات. لا تحاول الدعاية لنفسها، ولا تقبل تقديم خدماتها إلا إلى أشخاص يحيلهم إليها أشخاص تعرفهم. لقد نجحت حتى الآن في تيسير ست زيجات خلال السنوات الست الماضية، فضلًا عن رجل وامرأة أعلنا خطبتهما منذ فترة وجيزة. وهي ترى أن هذا الشخص وأنا يمكن حقًا أن يُعجَب أحدنا بالآخر.

أخيرًا، وافقتُ على مقابلة الرجل الذي رشّحته لي.

كتبت إليّ: «ركزي على الإيجابيات!»، ثم أرسلت لي اسم الرجل كي أعرفه عندما يتصل بي.

أدركت عندها كم ذهبت بعيدًا في المبالغة في التدقيق: أثار اسمه قنوطي! أعرف أن هذا يبدو شديد الغباء، لكن اسمه كان اسمًا من النوع الذي يصلح لصاحب دَور ثانوي في فيلم من الأفلام. لو كان اسمًا لطفل لسخر منه رفاقه في باحة المدرسة. كان ذلك أشبه بمشهد في «*عندما التقى هاري وسالي*» حيث تصر سالي على أن ممارستها الجنس مع شخص اسمه شلدون كانت عظيمة. فيجيبها هاري: «شلدون!؟ لا، آسف! لم تمارسي جنسًا عظيمًا مع شلدون. شلدون يمكن أن يساعدك في إعداد بياناتك الضريبية. وإذا كانت أسنانك في حاجة إلى معالجة، فهو رجل يصلح لهذا. لكن شلدون لا يصلح للسرير».

أرأيتم كم أنا منفتحة الذهن؟ لم أكتف بتحليل دقيق لتفاصيل حياة الرجل كلها، بل إنني أصدرت حكمًا سلبيًا على أمر لا علاقة له بأي شيء... على اسمه! ثم ازداد الأمر سوءًا: أخذت ذلك الاسم العجيب، وبحثت عنه في غوغل، فوجدت صورة لصاحبه. قلت في نفسي، «هممم، ملامح وجهه تبدو ثقيلة!».

فلنراجع الأمر: لقد بدا لي ذلك الرجل الذي سأدعوه الآن «شلدون» رجلًا لافتًا حقًا: ذكي، طريف، ذو تعليم جيد، لطيف، يحب الأطفال، راغب في علاقة جادة. أما أنا، فقد كنت أمضي الوقت في تحليل اسمه والتفكير فيما إذا كان ممكنًا أن يخفض وزنه عشرة كيلوغرامات. لحسن الحظ، تمالكت نفسي ولم أقل لويندي شيئًا. لم يحن وقت نومي إلا وصرت مدركة أنه أكثر من صادفتهم إثارة للاهتمام منذ زمن بعيد جدًا. أحسست حماسة حقيقية لأن ألتقيه. انتظرت اتصاله الذي لم يأتني إلا في اليوم التالي عندما كنت خارج البيت. ترك لي رسالة لطيفة. أعدت الاتصال به وتركت له رسالة. ثم أتت عطلة نهاية الأسبوع ولم أسمع منه شيئًا.

ثم أتى يوم الثلاثاء وكانت لدى ويندي أنباء سيئة. اتصل بها شلدون مساء يوم الاثنين. كان واضحًا أنه خرج بضع مرات مع امرأة غيري خلال الأيام الستة التي أمضيتها مترددة في لقائه (لم يلتقِ تلك المرأة عن طريق ويندي). وقد تطورت الأمور في عطلة نهاية الأسبوع ونشأت بينهما علاقة جسدية. أراد شلدون أن يستطلع احتمالات تطور هذه العلاقة الناشئة قبل أن يحاول الخروج مع امرأة أخرى.

إذًا، لم يعد شلدون متاحًا... عظيم جدًا!

لم تستطع صديقاتي فهم شيء من هذه القصة عندما رويتها لهن. قالت إحداهن: «انتظري، لقد التقى هذه المرأة منذ فترة وجيزة جدًا، فلماذا لا يقابلك أنت أيضًا؟».

وقالت أخرى: «هذا أسلوب غبي في المواعدة. إنه يعرفها منذ أسبوع واحد فقط. فما الذي يجعله واثقًا من أنه لن يُعجَب بك أكثر منها؟».

حاولت اعتبار الأمور التي سمعتها من صديقاتي مطمئنة لي، لكن ما سمعته جعلني أحترم شلدون أكثر من ذي قبل: الظاهر أن فكرة المرأة «الأفضل» لم تتبادر إلى ذهنه. لم يكن لديه ما دعته صديقتي «أسلوب في المواعدة». إنه رجل صاحب أخلاق لا يقبل أن يضاجع امرأة، ثم يخرج في موعد مع امرأة أخرى. كانت مقاربة شلدون أكثر تعقّلًا. لعل المرأة التي يراها شلدون لا تبالغ في تحليل الأمور مثلما أفعل! أشك في أن لديها اهتمامًا مفرطًا بأنه يحب الرياضة كثيرًا أو بأن عليه أن يخسر بضعة كيلوغرامات من وزنه، أو بأن اسمه غريب بعض الشيء، أو بأن لديه أطفال أكثر عددًا مما ينبغي.

أما النساء اللواتي هن مثلي، النساء اللواتي هن عازبات أبديات مثلي، فكثيرًا ما يفعلن هذا. العلاقات العاطفية تشبه لعبة الكراسي الموسيقية، من يتأخر عن احتلال كرسيه أكثر مما ينبغي، فسوف يجد أن الكراسي كلها صارت «مأخوذة».

هذا ما جرى. هذا ما جرى تمامًا. حاولت ويندي أن تعثر لي على شخص

آخر، لكن البحث عن رجل مناسب لأم عازبة في الحادية والأربعين ليس أمرًا سهلًا. أمضت ويندي عدة أسابيع في استطلاع إمكانية التوفيق بيني وبين محامٍ جذاب ذكي طريف مُطلّق من غير أطفال. ولكن، كلما تحدثتْ معه أكثر، كلما ازداد يقينها من أنه لن يتمتع بالمرونة الكافية لأن تكون مواعيد لقاءاتنا خارج الأوقات التي أكون فيها منشغلة بابني. ببساطة، لم تكن لديه أية فكرة عما تتطلبه تنشئة طفل.

سألها إن كانت لديّ مشكلة في الارتباط بشخص من غير ديني، فقلت لها إنني موافقة على الرغم من ميلي الشديد إلى أن يكون من ديني. لكنها تابعت كلامها مع ذلك المُرشّح فأحسَّتْ أنه يولي مسألة الدين أهمية كبيرة. بدأت تبحث عن شخص غيره، لكنها لم تعثر ضمن شبكة علاقاتها المحدودة على رجل آخر ضمن فئة «في الأربعينات، مطلَّق، لديه أطفال»، متاح ومهتم معًا. كان عليها أن توسّع دائرة البحث.

عندما أفكر الآن في تلك الحادثة، أجد نفسي ميّالة إلى الاقتناع بأن قدرًا من إفراطي الأولي في التدقيق في أمر شلدون كان ناجمًا عن حقيقة أنني دفعت خمسمئة دولار من أجل لقاء شخصين (أي بمعدل مئتين وخمسين دولارًا للقاء الواحد)؛ وبالنظر إلى هذه التكلفة الباهظة، كان منطقيًا أن أرغب في الحصول على أفضل «قرينَيْن» ممكنَيْن. ولكن، ما معنى كلمة «أفضل»؟ لم تكن لدى ويندي طريقة تسمح لها بالتنبؤ بالكيمياء التي يمكن أن تكون بيني وبين شلدون؛ ومن الناحية الموضوعية، كان شلدون قرينًا من المحتمل كثيرًا أن يصلح لي.

إن أردت أن أكون صادقة تمامًا، فلا بد لي من القول إن ترددي في لقاء شلدون كان، في واقع الأمر، ذا صلة بأمر لم أعترف به لنفسي حتى ذلك الوقت: لم أكن قد تصالحت مع حقيقة كوني امرأة عازبة لم أتزوج أبدًا. ففي أعماقي، كنت غير جاهزة للتخلي عن فكرة أن أكون الزوجة الأولى لواحد من الناس، وأن أكون زوجته الوحيدة... وللتخلي عن فكرة أن

في العالم شخصًا «هو الرجل الذي من أجلي» وأن الأسرة التي سنبنيها ستكون أمرًا فريدًا خاصًا بنا وحدنا.

كنت أرغب في «ترتيب» أكثر تقليدية بحيث لا يتضمن «برامج رعاية شائكة» ولا مفاوضات في شأن الأماكن التي نمضي فيها عطلاتنا ولا مشكلات متصلة بزوجة سابقة. ولكن، أين هو ذلك الرجل العازب الذي في سن مناسبة، الرجل من غير أطفال ومن غير زوجة سابقة، الذي يمكن أن يكون مهتمًا بأن يرتبط بامرأة تجاوزت السن التي تستطيع فيها أن تنجب فيها طفلًا، امرأة تكرس لطفلها الشطر الأكبر من وقتها وطاقتها؟ بدا لي أن خياراتي «الواعدة» سيكون أكثرها متجهًا إلى رجال مطلقين لديهم أطفال، وكذلك بدا لي أنه لن يكون عليَّ أن أتقبل ذلك فقط، بل أن أكون متحمسة له أيضًا.

عندما كنت في العشرينات وأوائل الثلاثينات وصرفت النظر تمامًا عن رجال جيدين فعلًا، لم أجلس وأفكر كم ستصير الحسابات الخاصة بالمواعدة معقدة في أواسط العمر عندما تتقلص كثيرًا «مساحة» الرجال المتاحين، وتتقلص أكثر «كمية» الرجال المتاحين الذين يمكن أن يكونوا مهتمين بي، وتتضاءل أكثر فرص لقاء رجال متاحين مهتمين بالخروج مع امرأة في مثل سني وراضين بالتعقيدات العملية الكثيرة التي يحملها معه كل إنسان، تلك التعقيدات التي تتزايد مع التقدم في السن. بدأت الآن أرى هذه الأمور كلها. لكني لم أستوعب حقًا مدى محدودية خياراتي إلا بعد أن تركتُ امرأة أخرى «تجلس على كرسي شلدون» وتتركني واقفة وحدي.

حتى تلك المرأة المختصة في التوفيق بين الثنائيات لم تستطع أن تجد لي رجلًا آخر!

افعلي مثلما أقول، لا مثلما أفعل!

بينما راحت ويندي تبحث لي عن أفق جديد، كان عليّ أن أعثر على سبيل من أجل لقاء مزيد من الرجال. لكن كيف؟ إن كان ذهابي إلى امرأة تعمل في

التوفيق بين الثنائيات جعلني أتلقى نصائح وأفكارًا لا يمكن الحصول عليها من خلال المواعدة عن طريق الإنترنت، فإن النقطة السلبية الكبرى، كما بدا لي، هي قلة عدد الأشخاص الذين يمكن أن يكونوا موجودين ضمن شبكة علاقاتها الشخصية. أما من ناحية أخرى، فقد بدت لي قلة ما هو متاح أمرًا حسنًا، لأنني علمت منذ البداية أن هذا ما يتعين عليَّ أن أتعامل معه. فلو كنت قد أدركت حقًا أنني أمام أمر من أمرين، شلدون أو لا شيء، لكنت ذهبت إلى لقائه من غير تردد كي أرى كيف ستسير الأمور بعد ذلك. لكنني كنت لا أزال عالقة ضمن عقلية المواعدة عبر الإنترنت: إذا لم يعجبك أمر من الأمور لدى واحد من الرجال، فإن أمامك كمية لا آخر لها من احتمالات ظهور مرشحين أفضل منه. توقعت أن تكون شركة للتوفيق بين الأزواج سبيلًا أفضل من التعامل مع ويندي التي تقوم بهذا العمل بمفردها، ثم إن الشركة توفر «إرشادات» أفضل مما توفره شبكة الإنترنت.

أتيت بدليل الهاتف وبحثت فيه. بعد استبعاد الشركات التي بدا لي أنها تركز على التوفيق بين رجال أثرياء ونساء جميلات (الحقيقة أن واحدة من تلك الشركات كان اسمها «نساء جميلات - رجال ناجحون»... اسم يلخص الأمر كله!)، وكذلك استبعاد الشركات الكبيرة المفتقرة إلى أي طابع شخصي، أي تلك الشركات التي لها فروع ومكاتب مختلفة من البلاد، وقع اختياري على شركة اسمها «Make Me A Match» وتديرها امرأتان شقيقتان. دخلت موقع تلك الشركة في الإنترنت، وملأت استمارة معلومات قصيرة - اسمي، ورقم هاتفي، وجنسي، وكيف سمعت بهم - ثم انتظرت أن يتصلوا بي.

بعد مرور بضع ساعات، تلقيت اتصالًا من واحدة من تلك الشقيقتَيْن. كان اسمها كيثي مور. بدأت كلامها باستعراض وجيز للنجاحات التي حققتها شركتها: خمسمئة وخمسون زواجًا، خدمات شخصية، وخبرة في معرفة ما يمكن أن ينجح. بدا لي كلامها شديد الوضوح، كلام محترفين. ثم طلبت مني أن أتحدث.

قالت: «أخبريني عن نفسك».

أوضحت لها أنني صحافية في الحادية والأربعين، وأنني لم أتزوج من قبل أبدًا. وأنني أم عازبة.

قاطعتني بهذا السؤال: «ماذا فعلت؟ هل ذهبت إلى بنك النطاف؟».

صمتُّ لحظة. لم يبدأ الكلام بيننا إلا منذ ثلاث دقائق! ألا يبدو طرح هذا السؤال المباشر غريبًا إلى حد ما؟ أجبتها: «ممم، هذا صحيح».

أجابتني كيثي مور: «أحسنت صنعًا! كان عليَّ أن أفعل مثلك».

... ماذا؟

اتضح لي أن هذه المرأة عازبة في الخامسة والأربعين تتمنى لو أنها أنجبت أطفالًا قبل أن تتجاوز سن الخصوبة. عجبت كيف يمكن أن يحدث هذا: كيف تستطيع العثور على أزواج لنساء غيرها، بينما لا تستطيع العثور على زوج لنفسها؟

قالت: «ليس ضروريًا أن تكوني مريضة حتى تصيري طبيبة ماهرة»؛ لكني لم أقتنع بهذا التفسير. ثم إن تلك المحاكاة كانت بعيدة عن الدقة: لم تكن مور طبيبة معافاة تعالج المرضى. كانت أشبه بطبيبة مريضة عاجزة عن شفاء نفسها من الداء ذاته التي هي متخصصة في معالجته: العزوبية! لا معنى لهذا! أجابتني عندما قلت لها هذا: «الحقيقة أيضًا أنني لا أخرج مع عملائي».

قلت في نفسي إن هذه إجابة لا بأس بها. ولكن، لماذا لا تحاول عن طريق الإنترنت، ولماذا لا تستعين بشخص آخر ممن يرتبون الزيجات كي تعثر لنفسها على رجل؟ بدا أن لديها إجابة عن كل سؤال. قالت: «يعلم الناس من أنا»، أظن أنها كانت تعني طبيعة عملها، «يخشى الرجال الخروج معي».

بدا لي الأمر كله غريبًا بعض الشيء: أأطلب من قلب يعاني الوحدة أن يعثر لي على رجل في حين تعجز صاحبته عن العثور على رجل لنفسها؟ في الوقت نفسه، كنت أكتشف أننا لسنا «أفضل» من يستطيعون

العثور لأنفسهم على عشير؛ وكنت أكتشف في أننا في حاجة إلى «منظور خارجي» كي يوازن أثر الخيالات التي في رؤوسنا عن الرجل الذي ينبغي أن نكون معه.

سألتها عن طبيعة الرجال الذين يأتون إليها. من هم الرجال الذين يقصدون من يرتّبون هذه الزيجات. أقرّت مور بأن عدد النساء بين عملائها أكبر من عدد الرجال. لكنها ظلت مصرّة على أن تعثر لي على أحدهم. قالت إنها، إذا لم تستطع العثور على رجل من أجل امرأة من عميلاتها، فهي تستعين بمساعدة غيرها ممن يرتّبون الزيجات. ثم إنها تبحث في مواقع المواعدة في الإنترنت، وإذا لفت أحدهم نظرها، فهي تذهب للقائه شخصيًا كي ترى إن كان مناسبًا للمرأة التي تحاول أن تعثر لها على زوج. أعجبتني تلك الفكرة: شخص يستعرض في الإنترنت المرشحين جميعًا كي لا أظل مضطرة إلى الخروج بنفسي في سلسلة لا نهاية لها من «مواعيد تناول القهوة».

كانت الخطوة التالية بالنسبة إليّ الذهاب إلى شركة «Make Me A Match» كي تستطيع كيثي وشقيقتها معرفتي ورؤية مَن من الرجال يمكن أن يكون مناسبًا لي. بدا لي الأمر جديرًا بالمحاولة، إلى أن ألقت كيثي تلك القنبلة. سألتها عن التكلفة فراوغت وقالت إن في مقدورنا أن نتكلم في التفاصيل عندما نلتقي. لكني بقيت مصرّة على معرفة التكلفة منذ البداية. ظلت بضع دقائق تتفادى الإجابة عن سؤالي، لكنها رضخت آخر الأمر. من أجل ستة مواعيد على امتداد سنة واحدة، تبلغ التكلفة ثلاثة آلاف وخمسمئة دولار. تناولت آلتي الحاسبة وأجريت حسابًا بسيطًا: خمسمئة وثلاثة وثمانين دولارًا من أجل الموعد الواحد! عندما يدخل المرء موقعهم في الإنترنت يبدو له أنه مصنوع من أجل بشر عاديين، لا من أجل أصحاب الثروات الطائلة فحسب. إن كانت تكلفة الموعد الواحد خمسمئة وثلاثة وثمانين دولارًا، فهي تكلفة باهظة جدًا. وقد طالبتني بأن أدفع لقاء المواعيد الستة كلها معًا... منذ البداية!

قالت لي مور: «أعلم أن هذه صدمة كبيرة. لكنك تحصلين على ما تدفعين المال من أجله. في وسعك أن تتوقعي البقاء هنا ثلاث ساعات عندما نقابلك أول مرة. وسوف نحصل منك على معلومات تفصيلية كلما أرسلنا إليك موعدًا. قد ينجح الأمر منذ الموعد الأول، لكنه قد يكون في حاجة إلى قدر من العمل كي تنتهي الأمور على أحسن حال. أنت تدفعين لقاء الخدمة الشخصية». قلت لها إنني مهتمة بالأمر، لكني غير قادرة على دفع هذا المبلغ.

سألتني: «ما قولك في ثلاثة مواعيد مقابل ألف دولار؟». لم أكن على دراية بهذه الأمور. هل يستطيع المرء مساومة مرتِّبي الزيجات؟

قالت: «يقتضي الأمر عملًا كثيرًا جدًا لإنجاز شيء مقابل ألف دولار. بالنسبة إلينا، لا يستحق الأمر هذه المشقة». كان واضحًا لي أنها تستعجل الفراغ من أمري لأن هاتفها لم يتوقف عن الرنين. تخيلت أنها لا تشكو أي نقص في العميلات اللواتي هن على استعداد تام لدفع المبلغ كاملًا.

قالت بطريقة أوحت لي بها أنها تحدثت مع «أشخاص مثلي» من قبل: «أتعلمين ما أقترحه من أجل من هم مثلك؟ اذهبي إلى موقعJDate». إنها تنصحني بالذهاب إلى موقع مواعدة في الإنترنت!

قلت لها إنني جربت ذلك الموقع، وتعرفت على صديقي الأخير عن طريق الإنترنت. لكني أردت الاستعانة بخدمات من يرتبون الزيجات من أجل اختيار رجل مناسب. لقد كان صديقي الأخير ذكيًا، مثيرًا، ظريفًا، لكنه كان خيارًا خاطئًا تمامًا في ما يتصل باستعداده لأن يكون زوجًا وأبًا. لم أعد واثقة من قدرتي على انتقاء الرجال عن طريق الإنترنت. أنا في حاجة إلى نصح وإرشاد.

قالت مور: «إذًا، إليك ما ينبغي فعله. وفّري مالك. لا أريد أن أكون كمن يسلبك آخر ما لديك من مدخرات في حياتك. ادخري المال. لا تذهبي في تلك الرحلة، أو تخلي عن شراء ذلك الحذاء، وادخري المال من أجل حياة الحب. اجعلي حياة الحب واحدة من أولوياتك».

بدا لي أنها لم تفهم أنني لا أحاول الاختيار بين الرحلات (لم أذهب في رحلة منذ إنجابي طفلي) أو شراء حذاء فاخر (لم أشتر يومًا واحدًا من تلك الأحذية الفاخرة) وبين ما سمَّته حياة الحب. الأمر متصل بحقيقة ما يستطيع الناس العاديون دفعه. أجابتني عندما أوضحت لها هذا: «نحن لا نتعامل إلا مع عملاء مستقرين ماليًا». بدا لي أننا نفهم عبارة «استقرار مالي» بطريقتَيْن مختلفتين.

أنهيت المكالمة وكنت أشد إحباطًا من أي وقت مضى. تخيلت أنها، لو كنت رجلًا، ستخفض السعر، أو تتنازل عنه كله، لمجرد أن يكون لديها مزيد من الرجال الذين تستطيع عميلاتها اختيار واحد منهم. أما أنا، فلست أضيف إلى أعمالها قيمة كبيرة. ذكّرني هذا بنظام البائنة الذي يجعل الأهل مضطرين إلى مبلغ كبير من المال كي يستطيعوا تزويج ابنتهم. هل يمكن أن تكون هذه هي النسخة الجديدة من نظام البائنة الأميركي؟ لا بد لامرأة تجاوزت الخامسة والثلاثين عامًا من مبلغ كبير كي تستطيع تزويج نفسها!

ثم... ها هو الأمر المحزن: على الرغم من إقلاعي عن فكرة الانضمام إلى موقع «Make Me A Match» فإنني لم أستبعد الفكرة استبعادًا تامًا. بدلًا من ذلك، رحت أفكر في طرق من أجل «توفير المال». أنا واثقة من أن كيثي مور كانت تدرك أن هذا ما سوف يحدث. قد لا تعتبر نفسها امرأة تفترس العازبات الضعيفات المستعدات للمضي شوطًا بعيدًا من أجل العثور على رجل جيد، لكني أظن أن قسمًا من النساء اللواتي يأتين من أجل المقابلة الأولى التي تستمر ثلاث ساعات ثم تصيبهن صدمة عندما يكتشفن التكلفة لا ينصرفن قبل تحرير شيك مصرفي وتوقيع عقد مع هذه الشركة. أظن أيضًا أن امرأة مثلي، أي امرأة تقول «لا» أثناء حديثها معهم على الهاتف، تعود إليهم آخر الأمر بعد أن تقترض مالًا من أهلها أو بعد أن تسحب أقصى ما تستطيع سحبه من بطاقتها الائتمانية، وذلك لأن كيثي تتركها في مواجهة سؤال مستحيل: *الحب، بأية تكلفة؟*

بعد أسبوع، أو شهر، أو سنة من الخروج في مواعيد لا طائل منها (أو

بعد علاقة فاشلة، إن كانت المرأة محظوظة)، يمكن أن تصل تلك النساء إلى استنتاج مفاده أن ما تبيعه كيثي مور ليس شيئًا باهظ الثمن، بل شيئًا لا يقدَّر بثمن: الأمل بأن الأمر لن ينتهي ببقاء المرأة العازبة وحيدة.

دروس من معلّمة في ميدان ترتيب الزيجات

ليزا كلامبيت واحدة من مالكي «معهد ترتيب الزيجات» في نيويورك. وهو المكان الوحيد في البلاد الذي يقوم بتدريب مرتّبي الزيجات ويصدر «شهادات اعتمادهم». اتصلتُ بها وسألتها عما يجعل هذه الخدمات باهظة التكلفة إلى هذا الحد. ففي آخر المطاف، ما الذي يعلمه مرتبو الزيجات عما يؤدي إلى نشوء علاقة عاطفية جيدة ولا يعلمه العزّاب والعازبات الذين يلتمسون عونهم؟

تبيَّن لي أن كلامبيت لم تكن على الدوام واحدة من مرتّبي الزيجات – لقد كانت عاملة اجتماعية في ميدان خدمات حماية الأطفال في مستشفى بِلْ فيو. كان العمل مع الناس ممتعًا لها، لكنها أمضت ثلاثة عشر عامًا في التعامل مع الأمراض والصدمات فاستنفدت قواها. في غضون ذلك، كانت تحقق قدرًا من النجاح في الجمع بين الأصدقاء. وذات يوم، أثار اهتمامها أمر قرأته في مقالة صحافية تتحدث عن ترتيب الزيجات. لم تفكر قبل ذلك أبدًا في أن تحترف هذا الأمر؛ بل إنها لم تكن لديها أية فكرة عن وجوده في هذا الزمن. إنما الفكرة أعجبتها ورأت أنها تتيح لها التعامل مع «الجوانب الممتعة في العمل الاجتماعي».

قالت لي، هذا ما ينبغي فعله حتى تصيري «مُرتِّبة زيجات مُجازة»: اشتري «مجموعة الدراسة المنزلية» من موقع كلامبيت في الإنترنت، الذي هو (كما قالت لي) موقع يحتوي كل ما تلزم معرفته في شأن ترتيب الزيجات، بما في ذلك كيفية «دراسة العميل»، وإجراء مقابلة معه، والإشراف عليه، وتأسيس الشركة، وإبرام عقود قانونية. تخضعين بعد ذلك لاختبار يتم عن طريق الإنترنت. إذا نجحت في ذلك الاختبار، فسوف تأتين إلينا كي

تتلقي تدريبًا مدته يوم واحد من أجل الحصول على إجازتك، أو يمكنك إجراء ست جلسات استشارية عن طريق الهاتف. بعد ذلك، تقدمين خطة العمل... فتصيرين «مرتّبة زيجات مُجازة».

سألتها: «أمن أجل هذا يدفع الناس ثلاثة آلاف وخمسمئة دولار؟ ما الذي يمكن أن يعرفه شخص غريب تلقى تدريبًا مدته يوم واحد عمن يمكن أن أنسجم معه؟».

قالت كلامبيت: «إن ترتيب الزيجات ليس عِلمًا معقدًا. تجعلنا هوليوود نظن أن العثور على الرجل هو الأمر الصعب، لكن العلاقة هي الجزء الصعب فعلًا. هذا الصباح، نشبت مشاجرة بيني وبين زوجي قبيل خروجه إلى العمل». ترى كلامبيت أن النساء العازبات يجعلن البحث أكثر صعوبة وأكثر إرهاقًا مما ينبغي أن يكون. وهي تعتقد أن النساء ينفقن وقتًا أكثر مما ينبغي على مظهرهن (على الرغم من أن للجمال أهميته) في حين تكون العقبة الأكبر التي تعترضهن فعلًا هي أنهن لم يكنّ واقعيات إلى الحد الكافي عندما كنَّ أصغر سنًا. فوق ذلك، تصير تلك النساء أكثر بُعدًا عن الواقعية مع مرور الزمن!

«تأتيني نساء كثيرات عندما يدركن على نحو مفاجئ أنهن في حاجة إلى فعل أمر ما بطريقة مختلفة لأنهن صرن في السابعة والثلاثين وبقين عازبات. تشرح لي المرأة ما تبحث عنه، وتظن أنها ستحصل على الرجل الذي تطلبه أثناء مقابلتها معنا لمجرد أنها دفعت لنا مالًا. لكن الواقع ليس هكذا».

هذا الرجل «صفقة جيدة». سوف آخذه!

كلامبيت في الأربعينات، وهي تدرك الأمر تمامًا. ما كان ممكنًا أن تلتقي زوجها لو أنها لم تكن واقعية. قالت لي: «أرى أن زوجي رائع. لكن، هل كنت أقول في نفسي، 'أوه، يا إلهي! إنني مولهة به'؟ لا. كان شديد الود، راغبًا في أن تقوم علاقة بيننا. يحمل شهادة دكتوراه، ويعمل

أستاذًا جامعيًا. لا يهمني المال بقدر ما يهمني الذكاء والثقافة. لذا، فقد قلت لنفسي، إنه صفقة جيدة، سوف آخذه لنفسي».

تكثر كلامبيت من مصطلح «صفقة». وقد يبدو هذا أسلوبًا غريبًا في وصف زوجها. لكنها ترى أن اختيارك قضاء حياتك مع واحد من الناس يشتمل على تقرير ما هو أكثر ملاءمة بالنسبة إليك -أي تقرير الصفقة المناسبة- بالنظر إلى ما أنتِ راغبة فيه من أجل حياتك. قالت لي: «لدى كل إنسان حسناته وسيئاته». كان هذا درسًا تعلمته كلامبيت من زواجَيْها الاثنين اللذين كانا مختلفين اختلافًا كبيرًا.

كان زوجها الأول من النوع التقليدي: تعرفت عليه عن طريق أصدقاء عندما كانوا جميعًا في العشرينات. كان كل منهما قد أنهى المدرسة الثانوية؛ ورأت أنه رجل وسيم مخلص لها، رجل ذكيٍ يعمل في الميدان المالي. لكنه كان يفتقر إلى «قوة الحياة». لم يكن «نشطًا».

تركته بعد عامين من زواجهما.

هل كان هذا قرارًا صائبًا... قرار الطلاق من رجل ممتاز لافتقاره إلى شيء غير ملموس، شيء اسمه «قوة الحياة»، شيء قد نجده لدى شخص آخر، وقد لا نجده؟ ثمة استحالة في الإجابة عن هذا سؤال.

قالت: «أظنني كنت قادرة على جعل زواجنا ناجحًا لو كنت أكثر نضجًا. في ذلك الوقت، لم يكن إنشاء أسرة من جملة أولوياتي. لكنني أرى الآن أن ذلك الشخص كان يمكن أن يصير أبًا رائعًا؛ ثم إن أهله وأقاربه كانوا رائعين. لم أدرِ كيف أعبر عن احترامي له. بدلًا من ذلك، صرت أقول له إنه مضجر. ولكن، أي شيء أفضل من شخص سيكون شريكًا مخلصًا فعلًا؟ وكم هو رائع أن يكون لأطفالك أب جيد حقًا؟ من الممكن أن تجعلي المتعة والمرح أهم شيء في علاقتك. لكني لم أحاول ذلك. كان تركيزي كله منصبًا على احتمال أن أعثر على ما هو أفضل من ذلك. هذا ما يحدث عندما تكونين صغيرة السن، أي عندما لا تكون لديك تجربة في الحياة».

قالت لي إن هذا ما وقع أيضًا للنساء اللواتي في أواخر الثلاثينات

عندما «يتجاوزن رجالًا من غير مَنحهم أية فرصة منصفة». لعل كلامبيت تبدو امرأة حظيت بنهاية سعيدة - التقت رجلها عندما كانت في التاسعة والثلاثين، فتزوجا، وكان شخصًا «نشطًا» لديه «قوة الحياة». لكن الأمر كان أشبه بسيف ذي حدين لأنه جاء منطويًا على تنازلات لم تكن مضطرة إليها في زواجها الأول. كان من بين تلك التنازلات صرف النظر عن إنجاب طفل. لقد أمضيا سنوات كثيرة في محاولة إنجاب طفل واستعانا بـ«معالَجات الخصوبة» باهظة التكلفة، لكنهما فشلا. لو كان أصغر بعشر سنين لما كانت هذه مشكلة كبيرة. إنهما يخططان لتبني طفل. ومن الناحية المالية أيضًا، صار وضعها في هذا الزواج مختلفًا لأن رجلًا يعمل في القطاع المالي يكسب مالًا أكثر (كثيرًا) مما يكسبه أستاذ جامعي. وهناك أيضًا حقيقة أن زوجها «نشط» فعلًا: أمر جيد جدًا في حالات كثيرة، لكن ثمة أوقات يكون فيها أمرًا يستوجب الحذر.

قالت: «زوجي مصدر للمشكلات! وأنا أحب هذه الناحية فيه. لكن عليَّ أن أعرف كيف أتواصل معه عندما يكون 'رجلًا استبدّ به الجنون'، أي عندما نحاول التخطيط معًا لأمر من الأمور، أو عندما ينسى تسديد الفواتير، فأقول له: 'هيا! استوعب الأمر!'. ما كان لشيء من هذا أن يحدث في زواجي الأول».

قالت إنها لا تودّ بهذا الكلام أن تعبّر عن تذمرها من زوجها، بل أن تقول إن ما من رجل كامل من غير عيوب. «ثمة رجال كثيرون تستطيعين معهم أن تجعلي الأمور ناجحة؛ وإذا لم تدركي هذا فقد ينتهي بك الأمر إلى قضاء حياتك كلها متسائلة عما إذا كنت تقدمين تنازلات أكثر مما ينبغي. يميل كثير من الناس إلى إعادة التفكير أكثر من مرة وإلى تقييم مئة أمر من الأمور. إن من حولي كثرة من الرجال الأثرياء، طيلة الوقت، ومن الممكن أن أقول في نفسي: *في وسعي أن يكون هذا الرجل لي!* من الممكن أيضًا أن يفكر زوجي في نساء أخريات بالطريقة نفسها. على كل طرف أن يرى شريكه 'صفقة جيدة'. التوافق على المدى البعيد معتمد

على الاحترام والقيَم المشتركة وبناء أمر من الأمور، لا على البحث عن النواقص وإطلاق الأحكام عليها».

حادثة صنبور المياه

بما أنها تعمل في ترتيب الزيجات، ترى كلامبيت دائمًا أمثلة على ذلك النوع من الأحكام. وقد روت لي قصة حادثة صنبور المياه.

قالت: «جعلتُ تلك المرأة تتعرف على شخص في غاية اللطف. خرجا معًا فلم يطلب زجاجة مياه. قال إن مياه الصنبور جيدة. تعود المرأة إليّ بعد ذلك وتقول لي، 'لقد طلب كأسًا من ماء الصنبور. أتى بالمترو كي يراني. بل إنه لم يطلب سيارة تاكسي عند انصرافنا. إنه بخيل!'. كان الرجل، في حقيقة الأمر، شخصًا طويل القامة وسيمًا. وكان ثريًا أيضًا. قلت لها: قد لا يرغب بالمياه المعلبة، أو بسيارات التاكسي. لكن، إذا كانت هذه الأمور مهمة في نظرك، فقد يتفهم ذلك. عليكما أن تضعا موازنتكما معًا. هذه أمور تستطيعان مناقشتها إذا اتضح أن ثمة إعجابًا متبادلًا بينكما. على الأقل، اخرجي معه مرة أخرى! لكنها كانت شديدة الاستياء. لم يعجبها الأمر كله».

أسرعتُ إلى قول إنني أحب لقاء «السيد ماء الصنبور»، لكن كلامبيت قالت إنه عثر على امرأة أخرى وإن كلًا منهما معجب بالآخر. وأما المرأة التي اعتبرته شخصًا بخيلًا، فهي لا تزال منتظرة.

توفّق كلامبيت بين الناس على النحو التالي ـ قالت: «أنظر أول الأمر إن كان لدى الشخصين أهداف مشتركة في ما يتصل بالعلاقة بينهما. ثم أنظر إلى قيَمهما. أمور من قبيل الاستقلالية والأسرة والدين والإخلاص. ثم تأتي الخطوة الرابعة التي هي البحث عن الصفات المهمة التي يحتاج كل منهما إليها. لا ينبغي البحث عن أكثر من خمس صفات؛ وهي أمور من قبيل 'ينبغي أن يكون رجلًا ذكيًا جدًا'. الخطوة التي تأتي بعد ذلك هي النظر في الاهتمامات المشتركة. الاهتمامات أمر بالغ الأهمية لأنها تجمع

بين الاثنين وتثير حماستهما وتجعلهما يستمتعان بها معًا؛ لكن الأمور الأخرى أكثر أهمية على المدى البعيد. لهذا السبب، أعتبر أن البحث في الاهتمامات المشتركة هو الخطوة الأخيرة».

قلت لكلامبيت إنني، في كل مرة تقريبًا، أنظر في الاهتمامات المشتركة قبل كل شيء. بطبيعة الحال، لا أعني بهذا أنها كافية في حد ذاتها، لكني أحس نفسي، في البداية، مشدودة إلى الرجل نتيجة وجود اهتمامات مشتركة بيننا.

سألتني كلامبيت: «وكيف كانت نتيجة ذلك بالنسبة إليك؟».

حاولت تخيل كيف يكون الأمر إذا تزوجت رجلًا ذكيًا، مخلصًا، طريفًا، ناضجًا، مهتمًا بالأسرة، لكن اهتماماته مختلفة عن اهتماماتي تمام الاختلاف.

لنقل إنه شخص مولع بألعاب الفيديو والسيارات الكلاسيكية، وإنني مهتمة بالأدب وبرحلات المشي! وماذا لو لم تكن لدينا أي اهتمامات مشتركة على الإطلاق؟ مع هذا، لديّ صديقات كثيرات لديهن اهتمامات مختلفة تمامًا عن اهتماماتي، ولا تعجبهن الأفلام والكتب التي تعجبني، لكننا لا نعجز أبدًا عن العثور على أمور كثيرة نتكلم فيها.

قالت كلامبيت: «غالبًا ما يكتشف شخصان ذكيان، ظريفان، منحدران من بيئتَيْن متشابهتين، راغبان في الأمور نفسها، أن لديهما اهتمامات مشتركة أيضًا. إذا كان زواجكما وبناؤكما أسرة اهتمامًا مشتركًا بينكما، فلا أظن أن ألعاب الفيديو ورحلات المشي يمكن أن تسبب أية مشكلة بينكما».

أدركت على نحو مفاجئ أنني كنت أنسى الاهتمامين الأكثر أهمية -بل الأساسيين- فلا أنظر إن كانا موجودين لدى الرجل الذي أفكر في الزواج منه: الحياة العائلية، وتنشئة الأطفال. كنت أدرك أن هذين الأمرَيْن مهمَيْن، لكن قائمة اهتماماتي كانت تغص بالأمور السطحية التي يكتبها الناس على صفحاتهم في فيسبوك.

سألت كلامبيت: كيف يكون الرجل الذي تختارينه من أجلي. ما هو الاختيار الواقعي؟

أجابت بأنها يمكن أن تختار لي شخصًا «قد لا يكون بالغ الوسامة»، شخصًا قصير القامة، أكبر مني سنًا، لديه أطفال.

قالت: «أنت تمثلين تحديًا بالنسبة إلى من يعملون في التوفيق بين الثنائيات... لكنك قابلة للتوفيق».

يا لهذه الجرعة من الواقعية! استنتجت كلامبيت مقدار خيبة أملي عندما تلت ذلك فترة صمت طويلة في مكالمتنا الهاتفية.

قالت لي: «انظري، سأقول لك الأمر نفسه الذي أقوله لنساء أصغر منك سنًا ممن لا يرغبن في سماع هذا. أقول للواحدة منهن: 'إذا واصلتِ فعل ما تفعلين الآن، فما الذي سيتغير؟ لا تريدين أن تكوني في الثلاثين، ثم تجدين نفسك في الخامسة والأربعين فتقولين لنفسك: ماذا فعلت بحياتي؟ أنت تدركين أن الأمر يزداد صعوبة مع مرور السنين'».

كنت أدرك هذا. لكني كنت لا أزال أجد صعوبة في قبول التفكير في شخص «قصير القامة، أكبر مني سنًا، لديه أطفال، وغير وسيم أيضًا». لا أقول هذا لاعتقادي أنني رائعة المظهر (في حقيقة الأمر، أنا قصيرة القامة، ولم أعد صغيرة، ولديّ طفل، ولست امرأة رائعة الجمال)، لكن لأن من الصعب عليّ (بما أنني امرأة) أن لا تكون محفورة في ذهني فكرة أنني (مهما أكن امرأة عادية من الناحية الموضوعية) «أستحق» أن أكون مع رجل هو «زبدة الزبدة» بين الرجال. اقرؤوا أي مقالة في موقع إنترنت من مواقع المواعدة الموجّهة إلى النساء، أو في مجلة نسائية، أو انظروا في كتب النصائح الموجّهة إلى النساء العازبات، وسوف تقرؤون أمورًا من قبيل «أنت تستحقين أن تكوني مع رجل يدفع الحساب عنك»؛ «أنت تستحقين رجلًا يعطيك الأولوية دائمًا»؛ «أنت تستحقين أن تكوني مع رجل يدلّك قدميك عند المساء». وطبيعة الحال، ينبغي أن يكون الرجل المعني طويل القامة، أسمر البشرة، وسيمًا. هل يوجهون إلى الرجال

هذه النصائح نفسها؟ *أنت تستحق أن تكون مع امرأة رائعة الجمال! أنت تستحق أن تستجيب امرأتك لرغباتك الجنسية كلها! أنت تستحق أن تكون مع امرأة مستعدة للسفر بضع ساعات بالطائرة كي تذهب معك إلى مباراة في كرة القدم!*... لا أظن هذا.

أما بالنسبة إلى النساء، فالظاهر أن من يكتبون لهن ذلك الكلام صاروا يستخدمون كلمة «تستحقين» بدلًا من كلمة «تتمنين». لهذا السبب، وعلى الرغم من اقتناعي بأن ما من مشكلة في أن يكون الرجل «قصير القامة، متقدمًا في السن، لديه أطفال»، فأنا لا أزال أرى أنني «أستحق» ما هو أفضل!

«العامل المزعج»

«أرى أنها امرأة مُعوّقة. لا أستطيع قبول أية عميلة شديدة الانتقائية والتدقيق إلى هذا الحد». هذا ما قالته جولي فيرمان التي أسست «كيوبيدز كوتش»، واحدة من أشهر شركات التوفيق بين الثنائيات في لوس أنجلوس، عندما تحدثت عن عميلة محتملة كانت قد زارتها ذلك الصباح.

كنت أطلب من فيرمان أن تقول لي الحقيقة في شأن النساء اللواتي هن مثلي، أي النساء اللواتي يجدن صعوبة في الخروج مع رجال ليسوا من «نمطهن المفضل».

تابعت فيرمان كلامها: «مهما حاولتُ ومهما فعلت، فسوف تصل هذه المرأة إلى نتيجة سلبية. مهما يكن الرجل الذي أقترحه عليها فسوف تقول لي إنه غير مناسب لها لهذا السبب أو ذاك. هنا أستطيع القول إنها امرأة غير منطقية».

تمارس فيرمان هذا العمل منذ عشرين عامًا، وهي متزوجة منذ عشرين عامًا. إنها نقيض الصورة النمطية السائدة في لوس أنجلوس. امرأة من «المدرسة القديمة»، لطيفة دائمًا، في أواسط العمر، آتية من ولايات الغرب الأوسط، تستخدم كلمات من قبيل «سادة» بدلًا من «رجال»، وتقول «غير

منطقية» بدلًا من «غير واقعية». وتقول من غير مواربة «نحن هنا كي نساعد الناس في عدم تفويت الفرص نتيجة *«العامل المزعج»*.

على غرار ليزا كلامبيت، تسارع فيرمان إلى الإقرار بأن زوجها لم يكن، في البداية، مطابقًا لفكرتها عن «الرجل المناسب». لا يعني هذا أنها لم تكن تبحث عن «الرجل المناسب» الذي في ذهنها. كانت قد قاربت الثلاثين، وكان لها عمل جيد جدًا في قطاع الفنادق في مدينة سانت لويس. كانت أيضًا قد جرّبت حظها مع رجال كثيرين فأرهقها الأمر.

أخيرًا، انضمت إلى واحدة من خدمات المواعدة، شركة اسمها «غريت إكسبكتيشنز»، والتقت الرجل الذي صار بعد ذلك زوجًا لها وأبًا لولدَيها. اسمه جيل، وهو نفسه كان مرتّب الزيجات الذي استعانت به، فصار قرينًا لها. تبدو هذه أشبه بواحدة من قصص الخيال، لكن فيرمان أسرعت إلى توضيح ما جرى.

قالت: «لقد أقدمت على بعض التنازلات. كان جيل أكبر مني بأربع عشرة سنة. وهو يهوديًا، أما أنا فكاثوليكية. كانت له لحية كثيفة لم تعجبني أبدًا، ويرتدي ملابس تبدو رخيصة. كانت أمي تقول لي دائمًا: 'ستعلمين أنك عثرت على أحدهم عندما يحترم كل منكما الآخر ويحس أنه مرتاح معه فعلًا'. لم أصغ إلى كلامها أبدًا. ثم التقيت جيل فلم أحس في البداية ميلًا شديدًا إليه، لكنه بعث في نفسي إحساسًا جميلًا جدًا لمجرد كوني عميلته».

وهكذا، راح جيل يعرض عليها ما لديه من رجال يُحتمل أن يكونوا مناسبين لها. أما هي فراحت تتساءل عما يجعله محجمًا عن طلب الخروج معها. وفي يوم من الأيام، طرحت الأمر معه بكل صراحة: سألته لماذا لم تره في «سجل العملاء». أجابها: «لا يعجبني أن أطلب من 'العضوات' الخروج معي». فقالت: «وماذا لو اقترحت واحدة منهن أن تخرج معها؟». أفضى هذا إلى ذهابهما معًا لتناول شرابٍ، وإلى حديث طويل شائق في بارٍ قريب.

لكن موعدهما الثاني لم يسِر سيرًا حسنًا مثل الموعد الأول. قالت لي فيرمان: «كان موعدًا من غير نكهة. قلت في نفسي: لا، ليس هذا هو الرجل الذي أريد». مع ذلك، خرجت معه في موعد ثالث، فكان موعدًا «مريحًا لكن من غير شرارات». كان من الممكن أن ينتهي الأمر عند ذلك الحد. لكن فيرمان غادرت المدينة مدة أسبوع ظلت خلاله تتحدث مع جيل هاتفيًا كل ليلة، فصارا صديقين. في ذلك الأسبوع، بدأت فيرمان تحس «رفرفة الفراشات». قالت لي إنه كانت لديها، في ذلك الوقت، خمسة معايير مهمة في شأن ما تريد توفره في زواجها: شخص يريد تأسيس عائلة ويريد إنجاب أطفال؛ شخص يحترمها وتحترمه؛ شخص يساندها؛ شخص كاثوليكي؛ شخص يشاطرها اهتمامها بالنمو الشخصي.

تنازلت عن الشرطين الرابع والخامس. قالت: «كنت مستعدة للمرونة في شأن الدين، فننشأ طفلانا على دين والدهما». وإذا كان جيل غير راغب في السفر في أنحاء البلاد للاستماع إلى كلمات «معلمين» كثر، فقد كانت فيرمان مستعدة للتخلي عن أسفارها لاستكشاف اهتماماتها على المستوى المحلي، من خلال اليوغا والتأمل، وذلك وفقًا لبرنامج زمني أكثر قابلية للتحكم به.

لكن، ماذا عن التجاذب الجسدي؟ حقيقة الأمر أن فيرمان لم تقدّم عن زوجها صورة شديدة الجاذبية... لحيته المزعجة وملابسه الرخيصة. قالت لي إنها أسقطت، على الفور، الكيمياء الجسدية من قائمتها عندما أدركت أنها قادرة، في حال توفر مستوى بعينه من الإعجاب، على أن تجده جذابًا جدًا، لكن مع مرور الزمن.

قالت فيرمان: «تلك المرأة الصعبة التي التقيتها هذا الصباح يُستبعد كثيرًا أن تقع في الحب مع مرور الزمن». (تبادر إلى ذهني أن من الممكن جدًا أن تعتبرني فيرمان امرأة «صعبة»، وذلك للسبب نفسه). قالت إن لديها عميلة أخرى يبلغ طول قامتها مئة وثمانية وسبعين سنتيمترًا ولا ترضى بأن تخرج مع رجل قصير القامة، أو أصلع، أو مع رجل ليس بروتستانتيًا.

رفضت تلك المرأة معظم الرجال التي حاولت فيرمان اقتراحهم عليها إلى أن لم يبق لديها أي مرشحين مقبولين. بعد ذلك، انتقلت المرأة إلى العاصمة واشنطن حيث وقعت في حب زميل لها في العمل طول قامته مئة وثلاثة وسبعون سنتيمترًا، فضلًا عن كونه أصلع الرأس وعن كونه غير بروتستانتي. تزوجت ذلك الرجل. ولم يكن الرجل الذي تبحث عنه «على الورق»، لكنه كان الرجل الذي تبحث عنه في «الحياة الحقيقية».

مطلوب: نساء عازبات في الثلاثين

عندما تريدين الاستفادة من خدمات فيرمان -تبدأ التكلفة من ألفين وتسعمئة دولار لقاء التعرّف على ثلاثة رجال خلال ثلاثة شهور، ومن الممكن أن ترتفع التكلفة إلى أن تبلغ خمسة عشر ألف دولار- يكون عليها في الخطوة الأولى أن تتعرف عليك جيدًا (سيرتك الذاتية، ومقابلة شخصية معك، وصور لك)؛ ثم تطرح عليك أفضل خمسة مرشحين من أجلك. وهي سريعة في تأكيدها على أنهم «من أجلك» أنت: تبني تقديرها استنادًا إلى طبيعتكِ الشخصية، ومواصفات الرجل الذي تأملين لقاءه، وما هو متوفر لديها في اللحظة المعنية، وكذلك استنادًا إلى (هذه هي أهم نقطة) من ترى أن من المحتمل أن تسير أمورك معه سيرًا حسنًا. تسمح لعميلاتها أيضًا بالبحث في قواعد البيانات لديها عن أشخاص يُحتمل أن يكونوا مناسبين؛ لكنها الوحيدة التي تستطيع ترتيب لقاء.

قالت لي مشيرة إلى رجل متوفر يتمتع بشعبية كبيرة: «قد تبحثين في قائمة البيانات وتعتقدين أن نيل شخص رائع، وأنه هو الرجل الذي يناسبك. لكني أعلم ما يبحث عنه نيل، وأعلم أنه لا يبحث عنك. لهذا السبب، لا أضعكما معًا».

يبلغ نيل الثانية والأربعين، وهو يريد امرأة أصغر سنًا. لكن فيرمان ليست لديها عميلات كثيرات في أوائل الثلاثينات. وعندما تكون لديها امرأة في أوائل الثلاثينات، فغالبًا ما تكون أمها هي التي سجلت اسمها.

فهناك مثلًا طبيبة في الثالثة والثلاثين تواصل دائمًا رفض الرجال الذين تقترح عليها فيرمان لقاءهم.

«تقول لي إن لا وقت لديها، أو إن الرجل المقترح ليس طويل القامة. تود النساء اللواتي في الثلاثين العثور على رجل، لكنهن لا يزلن شديدات الميل إلى المبالغة في الانتقائية لاعتقادهن أن «الأمر» سوف يحدث بطريقة من الطرق. تقول تلك الطبيبة إنها تريد أن تتزوج. تقول إنها تريد أن تنجب أطفالًا. الحقيقة أنها لا تدرك أن عليها الاستفادة من الفرص المتاحة إن كانت تريد إنجاب أطفال».

تكون أكثر النساء اللواتي تأتين إلى فيرمان قد قاربن الأربعين عامًا؛ كما أن أكثرية العميلات لديها الآن نساء في الأربعينات والخمسينات. تكون النساء اللواتي في الأربعينات مصدر صعوبة خاصة لأن لكل منهن تاريخًا: إما كثرة من الأصدقاء السابقين، أو عدد من العلاقات التي استمرت زمنًا. تتساءل فيرمان عن سبب ذلك. أهن نساء ممن يبحثن دائمًا عما هو سيىء لدى الآخرين بدلًا من البحث عما هو جيد؟ إنهن النساء اللواتي تتمنى فيرمان لو قصدنها للاستفادة من خدماتها عندما كن في التاسعة والعشرين.

تقول فيرمان للنساء، مهما تكن أعمارهن، إن عليهن الانتباه إلى الرجال الذين هم ميالون إليهن بدلًا من الانتظار أملًا في العثور على أكثر الرجال جاذبية. قالت لي: «الرجال الذين يبدون ميلًا نحوك هم الأجدر بأن تهتمي بهم. وهم أيضًا الرجال الذين غالبًا تصرف النساء النظر عنهم».

حكت لي عن امرأة أخرى في الثامنة والثلاثين من العمر: «امرأة تريد رجلًا طويل القامة، ناجحًا، أشقر الشعر. كانت تجد عيبًا في كل رجل تقترحه فيرمان عليها. أقول لها: 'لا بأس، في وسعك أن تحصلي على رجل ناجح، طويل القامة. لكن، عليك أن تتنازلي عن الشعر الأشقر'». وعلى نحو مماثل، إذا كان المستوى التعليمي في رأس أولويات العميلة، فهذا أمر لا بأس به شريطة ألا ترفض المرأة رجلًا انطلاقًا من رأيها في ملابسه.

قالت: «بعض الأحيان، لا بد من وصول المرأة إلى نقطة الغضب أو

الحزن قبل أن تبدي شيئًا من المرونة. اتصلت بي هذا الصباح امرأة في السابعة والأربعين. كانت شديدة النزوع إلى الانتقائية والتدقيق مثلها مثل المرأة التي أتتني اليوم وكانت في السابعة والثلاثين. عندما تبلغ هذه المرأة سن الخمسين، سوف تكون فرصها قد شهدت تغيرًا جذريًا، تمامًا مثلما ستتغير فرص ابنة السابعة والثلاثين بعد أن تبلغ الأربعين. أقول لهاتين السيدتين: هل أنتما مستعدتان للنظر في الأمر من جديد؟ إذا وافقتا على ذلك، فسوف تزداد كثيرًا فرصة عثور كل منهما على رجل يناسبها الزواج منه. وأما إذا واصلتا الرفض، فسوف أقول لهما إنني غير قادرة على مساعدتهما».

في حين يتكلم بعض مرتّبي الزيجات على الرومانسية، لا تحب فيرمان حتى أن تستخدم هذه الكلمة. ففي نظرها، تكمن الرومانسية في تطور العلاقة، تمامًا مثلما كان الأمر في زواجها. لقد كان أكثر الجوانب إثارة في زواجها اكتشاف كيف يمكن للطرف الآخر أن يفاجئك. فمن حيث ظاهره، قد لا يبدو الرجل مثيرًا للحماسة؛ لكنه قد يُظهر لكِ على المدى البعيد أمورًا مثيرة جدًا: طريقته في النظر إلى العالم، وقدرته على جعلك تضحكين بعد يوم طويل في العمل، وطريقته الحلوة في تحدّيك كي تصيري شخصًا أفضل، وكونه أبًا رائعًا. هل يصير «فتى أحلامك»؟ بكل تأكيد! كل ما في الأمر هو أنه لا يبدو لك الآن مثلما كان يبدو لكِ في أحلامك.

تقول فيرمان: «تأتي الواحدة من تلك النساء إلى مكتبي قائلة: أنا غير مستعدة للقبول بأي شيء! أقول لها: وأنا لا أطلب منك أن تقبلي بأي شيء. لا أطلب منك إلا أن توسّعي نطاق خيالاتك!».

مدرّب شخصي من أجل الحب

أمضيت الأيام التي تلت ذلك أفكر في الرجُلَين اللذين هما زوجا فيرمان وكلامبيت. مما سمعته، بدا لي الاثنان رجُلَين لا يمكن أن أنظر إليهما إذا اقترحهما عليَّ مرتِّبو الزيجات؛ لكن هذين الرجلين يجعلان هاتين المرأتين سعيدتين! يعني هذا أنه عندما يطلب مرتِّب الزيجات

من عميلاتهم التفكير في شخص لديه «أكثر مما ينبغي من هذا الأمر، أو أقل مما ينبغي من ذلك الأمر»، فهم يقولون لهنّ أمرًا شديد البساطة: في وسعك أن تضعي لنفسك معايير متشدّدة وأن تبحثي عن شخص يلبي تلك المعايير، أو أن تتخلي عن أفكارك المسبقة وتعثري على الشخص الذي ستقعين في حبه.

بعد «حادثة شيلدون»، أحسست أنني في حاجة إلى ما يتجاوز الاستعانة بمرتِّبي الزيجات. كنت في حاجة إلى الاستعانة بخدمات إيفان مارك كاتز، «مدرب المواعدة» ذائع الصيت الذي يشبِّه نفسه بـ«مدرب شخصي على الحب». سوف تشهد مسيرة تعلمي تصاعدًا أكثر مما توقعت؛ فهذا الرجل قادر على إعطائي «تصور الرجال» عن كيفية القيام بالأمر على نحو ناجح، فضلًا عن ثقتي بأن إيفان هو الشخص الذي يستطيع أن يضعني على الطريق الصحيح.

7

«ماذا» مقابل « لماذا»

عندما دخل إيفان بيتي من أجل أول جلسة تدريبية لنا، وكان ذلك في يوم خريفي دافئ، رفعت جليسة طفلي حاجبيها دهشة. إيفان رجل جذاب جدًا. كان يرتدي بنطلونًا قصيرًا وقميص «تي شيرت»؛ جسده قد لوحته الشمس؛ وشعره الكثيف المتموج يبدو كأنه رطب قليلًا... كأنه قد استحم قبل قليل. كان في الخامسة والثلاثين من العمر، لكن من السهل أن يظنه الناس في الخامسة والعشرين. لابد أن جليسة طفلي عجبت كيف استطعت أن أعثر لنفسي على رجل مغرٍ إلى هذا الحد. لكن إيفان كان في انتظار زفافه بعد شهرين فقط.

كان هذا، على وجه التحديد، ما جعلني راغبة في أن يساعدني: لقد تعلم بدوره كيف يكون واقعيًا على نحو يجلب له السعادة. كان موشكًا على الزواج من امرأة لطيفة لا تشبه أية امرأة خرج معها من قبل. كانت خطيبته ظريفة، مليحة، لكنها ليست بارعة الجمال. كانت في التاسعة والثلاثين، وتبدو في تلك السن فعلًا. لم تتلق تعليمًا عاليًا جدًا، ولم تكن امرأة لامعة الذكاء إلى حد مدهش. لو ذهبتُ إلى حفل عشاء، لما كانت متميزة بأي شكل من الأشكال. من الناحية الموضوعية، كانت امرأة عادية، لا أكثر. وكان إيفان مجنونًا بحبها.

لقد سحرني هذا كله! كنت على معرفة بإيفان منذ سنوات كثيرة؛ ومع

أنه كان قد اشتهر بأنه شخص حكيم ناجح جدًا، وبأنه «مدرِّب مواعدة» جاد تمامًا، فكثيرًا ما كانت هذه المهنة التي اختارها لنفسه تثير عجبي. كنت أراه شابًا لعوبًا له علاقات بنساء مختلفات على الدوام. بل إن شبكة CNN نفسها وصفته بأنه «مُواعِد متسلسل». ثم، قبل وقت قصير من اتصالي به صادفتُه في واحدة من المحاضرات فعرّفني على امرأة لم تكن مجرد «صديقة أخرى» من صديقاته، بل خطيبته التي سيتزوجها عما قريب.

حتى إيفان نفسه، ذلك العازب المحترف، كان موشكًا على الزواج!

تحدثنا هاتفيًا قبل أسبوع من لقائنا فأقرّ إيفان بأنه، لو صادف خطيبته عبر الإنترنت، لما كان ممكنًا أبدًا أن يراسلها؛ ولو راسلته، لما أجابها بأكثر من عبارة، «لا، شكرًا».

لم تكن تلك الفتاة من «النوع الذي يفضّله»: أكبر منه سنًا، ليست مثقفة، وليست من دينه.

قال لي إيفان موضحًا: «لكن النساء اللواتي كنت مشدودًا إليهن كثيرًا في الماضي لسن مناسبات لي على المدى البعيد. أدركت أنني لن أعثر على المرأة المناسبة إذا تابعت البحث عن النمط نفسه. تعريف قلة العقل هو أن يفعل المرء الأمر نفسه مرة بعد مرة متوقعًا الوصول إلى نتائج مختلفة».

... ثم التقى بخطيبته في حفلة. لم يكن مهتمًا بعلاقة جادة معها، لكنهما راحا يخرجان ويمضيان الوقت معًا. صار إيفان يزداد حبًا لأن يكون معها كلما ازداد الوقت الذي يمضيانه معًا. كانت امرأة لطيفة دافئة، وكانت مرنة مُسانِدة. لم تتقبل ما لديه من هراء، لكنها لم تنتظر منه أن يكون ذلك «الأمير الساحر» الأسطوري. بحسب تعبير إيفان، لم تكن «تنتقدني دائمًا وتقول لي إن عليَّ أن أتغير بهذه الطريقة أو تلك». لم تكن كثيرة المتطلبات على غرار تلك الصديقة السابقة التي هام إيفان بها وتمنّى استعادتها بعد أن هجرته مع أنها كانت تعامله معاملة سيئة عندما يخرجان معًا. وكان إيفان وخطيبته قادرَيْن على فهم الاختلافات بينهما، وعلى تسويتها. كانت لديهما أهداف مستقبلية مشتركة. كانا يستمتعان كثيرًا بقضاء الوقت معًا. كان كل منهما

يفهم الآخر. صحيح أنه، بطبيعته، أكثر منها ميلًا إلى المرح، لكنها ذات طبيعة أكثر تنظيمًا وأقل توترًا منه في ما يتصل بتفاصيل الحياة اليومية. كان كل منهما يكمل الآخر.

على الرغم من ذلك، قال إيفان إن ما من أحد منهما كان تجسيدًا لصورة «الشخص المثالي» التي في ذهن الآخر.

قال لي: «أنا رجل يهودي يتذمر كثيرًا من أمور صغيرة في الحياة. وقد كنت أمضي في العمل وقتًا أطول مما ينبغي. لكن هذا يعني أيضًا أن لديّ أخلاقيات عمل قوية. أريد أن تكون لي أسرة، وأريد أن أكون أبًا رائعًا. أنا شخص مخلص أستطيع أن أجعل صحبتي ممتعة عندما لا أتذمّر وأشتكي! أنا شخص يفكر كثيرًا ويحاول أن يكون جيدًا. يعني هذا أن من الممكن أن تستاء خطيبتي من أنني لست شديد التفاؤل، أو لست رياضيًا، أو من أن عملي لا يسمح لي بالسفر في أية لحظة مع أنها فتاة تحب السفر. لعل النموذج المثالي الذي كان في ذهنها رجل كاثوليكي طويل القامة أقل مني عصابية؛ لكننا أدركنا معًا أن تلك الصور المثالية التي في ذهنينا ليست، في واقع الأمر، هي ما يجعلنا سعيدين».

قلت لإيفان إنني كنت مثله، أحاول ألا أتورط في التقيد بالصور المثالية التي في ذهني، لكني غير قادرة على تحديد ما ينبغي أن أقبل بالتنازل عنه. أهو المظهر الجسدي؟ أم حسّ الفكاهة؟ أم الحس الجمالي؟ أم كل ما تقدم؟ كيف أعلم إن كنت مفرطة في التدقيق أم غير مدقِّقة إلى الحد الكافي؟

قال إيفان: «عليك أن تحسبي النِّسَب! منذ قليل، كنت على الهاتف مع واحدة من عميلاتي. طرحت عليَّ تلك المرأة هذا السؤال نفسه. إنها امرأة في الخامسة والثلاثين. قالت لي إنها مستعدة لتقديم تنازلات، لكننا رحنا نتحدث فاكتشفت أن لديها في رأسها فكرة ثابتة عن الرجل الذي تريد أن تكون معه. ينبغي أن يكون رجلًا يتجاوز طول قامته مئة وثمانين سنتيمترًا. يبلغ طولها مئة وخمسة وستين سنتيمترًا! قلت لها إن خمسة عشرة بالمئة فقط من الرجال يتجاوز طولهم مئة وثمانين سنتيمترًا. فضلًا عن أن ثمانين

بالمئة من النساء يردن رجالًا من تلك الفئة التي لا تتجاوز خمسة عشر بالمئة. معظم النساء من تلك الثمانين بالمئة غير مستعدات للتنازل عن هذا الأمر. احسبيها بنفسك! كيف تستطيع ثمانين بالمئة من النساء الحصول على خمسة عشر بالمئة من الرجال؟».

طلب مني أن أجرب ذلك بنفسي. قال لي: «اكتبي الصفات التي تبحثين عنها، ثم احسبي نسبة الرجال الذين يلبّون هذه المعايير».

أجرينا تلك الحسابات معًا على الرغم من أننا كنا نتحدث هاتفيًا. حسبنا الأرقام وقدّرنا نسب الرجال الذين هم أذكياء بما يكفي، وراقين بما يكفي، وطريفين بما يكفي، وذوي توجّه عائلي بما يكفي، وناجحين بما يكفي، ولطيفين بما يكفي، وجذابين بما يكفي، [لديهم شعر على رؤوسهم، ولياقة بدنية، ومثيرين]، وعازبين حاليًا، ويحبون الأطفال، ومنفحتين على بدء علاقة عاطفية، ويقعون ضمن فئة العمر المناسبة لي، ويعيشون في لوس أنجلوس... اتضح أن خمسة بالمئة فقط من مجموع الرجال يمكن أن تتحقق فيهم هذه الصفات كلها!

ثم أجرينا حسابًا آخر. حتى إذا بلغت نسبة الرجال الذين يلبون المتطلبات المرغوبة خمسة بالمئة، فما هي احتمالات أن أكون امرأة تلبي متطلباتهم وتوقعاتهم؟ من بين أولئك الرجال، ما نسبة الذين يريدون امرأة في الحادية والأربعين. على غير انتظار، تقلصت «مساحة» الرجال الذين يمكن أن أقابلهم إلى واحد بالمئة. أوووه! وماذا أيضًا لو كنت أريد رجلًا من ديني. بحسب ما قاله إيفان، لا تتجاوز نسبة الرجال اليهود اثنين بالمئة من الرجال في الولايات المتحدة، ولا تتجاوز ستة بالمئة من الرجال الذين يعيشون في لوس أنجلوس. لا بد لي من إدخال هذا الأمر ضمن تلك النسبة البائسة التي توصلت إليها، نسبة واحد بالمئة، كي أتوصّل إلى نسبة الرجال الذين يُحتمل أن يكونوا مناسبين لي. النتيجة النهائية: واحد بالألف!!!!

واو! هل أنا شديدة التدقيق إلى هذا الحد؟ وهل بقية النساء مثلي؟

هذا واضح! قال إيفان إن لدى بعض النساء اللواتي عمل معهن معايير

أشد تدقيقًا، أي إنهن تصلن إلى احتمالات أقل من واحد بالألف، لديهن أمور من قبيل... *أحب الكلاب كثيرًا، وينبغي أن يكون لدى الرجل الذي أعيش معه إحساس مماثل إزاء الحيوانات!*

قال بكل صراحة: «إذا وُجد رجل واحد يحقق ذلك كله، فأنت محظوظة». يعتقد إيفان أن تقبُّل الشريك اهتمامات المرأة أمر مختلف عن مطالبته بأن يكون لديه الإحساس نفسه إزاء تلك الاهتمامات. كلما ازدادت الشروط والمتطلبات، كلما انخفضت النسبة.

لا عجب إن كنتُ أرى أن ما من رجال في العالم! فبحسب معاييري، ما من رجال أبدًا.

قد لا تكون هذه النِسَب دقيقة من الناحية العلمية. لكن لها معنى. فبما أنني لا أريد شخصًا ذكيًا فحسب، بل أريده مثقفًا واسع الاطلاع؛ ولا أريد رجلًا حسن المظهر فحسب، بل أن يكون له شعر أيضًا؛ ولا أريد رجلًا في سن مناسبة فحسب، بل رجلًا لا يبدو عليه أنه تجاوز الثانية والأربعين... فإنَّ نسبة واحد بالألف تبدو لي نسبة صحيحة فعلًا.

قال إيفان: «سيكون أمرًا شديد الصعوبة أن تجدي رجلًا إذا لم توسعي دائرة معاييرك قليلًا. كلما اتسعت تلك الدائرة، كلما استطاع عدد أكبر من الرجال أن يمر عبر تلك المصفاة».

سألته: «ولكن، ألا تعتقد أن ثمة سببًا لوجود تلك المصفاة؟ ليس أمرًا معقولًا أن أخرج وأقابل أي شخص».

أجاب إيفان: «لعل فتحات مصفاتك بالغة الضيق! مع كم رجلًا خرجتِ في الآونة الأخيرة؟».

لم أكن مضطرة إلى الإجابة عن هذا السؤال الذي طرحه. وكنت أعلم بأنه محق في ما قال. ليست المشكلة منحصرة في أن هناك رجلًا واحدًا فقط يصلح لي من بين كل ألف رجل. المشكلة هي أنني أُسقط من حسابي رجالًا يمكن أن يجعلوا تلك النسبة أعلى قليلًا.

لذا فقد كان إيفان مستعدًا، خلال الأسابيع الخمسة الباقية قبل زفافه،

لمساعدتي في تعلم كيف «أوسّع فتحات مصفاتي». اتفقنا على اللقاء وقت الظهر من كل يوم اثنين؛ لكنه سألني أولًا إن كان لديّ الآن أي موعد للخروج مع أحدهم. إن كان سيدربني، فنحن في حاجة إلى العثور على رجال من أجلي.

أخبرته بأمر ويندي وكيف لم تستطع حتى الآن العثور على «أفق جديد» من أجلي.

ابتسم إيفان وقال: «هذه ليست مشكلة». لقد أزمع على أخذي إلى «خنادق المواعدة» عبر الإنترنت.

معلومات أقل، احتمال نجاح أكبر

إن أردتُ الصدق فلا بد لي من القول إنني لم أكن ماهرة في المواعدة عبر الإنترنت؛ لم أكن ماهرة على الإطلاق. فإما أن أستبعد رجالًا استنادًا إلى معيار واحد (شديد الولع بنوع معين من أنواع الأغاني)، أو أحاول أن أكون «منفتحة الذهن». لكني ما إن أبدأ بمراسلة واحد من أولئك الأشخاص حتى أدرك أني لا أستطيع أن أكون متحمسة له. في آخر المطاف، واصلت البحث عن المواصفات نفسها التي كنت أبحث عنها دائمًا... ذلك البحث الذي لم ينته يومًا إلى العثور على الشخص الذي أحب أن أعيش حياتي معه. بدأت أتساءل في نفسي: هل أعرف حقًا ما أريد؟

قبل بضعة أسابيع من اتصالي بإيفان، تكلمت مع دان آريلي وهو المختص في «الاقتصاد السلوكي» في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا. كان قد ألّف كتابًا اسمه «*اللامنطقية المتوقعة: القوى الخفية التي تصوغ قراراتنا*». حدثته عن وضعي فقال لي إنه سمع هذا الكلام من قبل – الحقيقة هي أنه درسه أيضًا.

وأضاف على الفور: «فكرة أن الناس يعلمون ما يريدون فكرة مضحكة جدًا». في رأي آريلي، لسنا مشوَّشين فيما يتصل بما نحن راغبون فيه الآن فحسب، بل إننا لا نعرف حتى كيف ندخل في حسابنا فكرة أن رغباتنا

تتغير مع مرور الوقت وخلال تعاملنا مع ظروف الحياة المختلفة كالمرض والمشكلات المالية والأطفال.

ثم قال إن المواعدة يمكن أن تصير أمرًا صعبًا إذا كنا لا نعرف ما نريد؛ بل إن المواعدة عن طريق الإنترنت تصير أكثر صعوبة. ففي نهاية المطاف، تؤدي المعلومات التي نقرأها في الإنترنت إلى جعل ما نبحث عنه يبدو لنا موضوعيًا (استنادًا إلى البيانات التي نراها في ملف كل شخص) في حين أن العلاقات الفعلية أمر ذاتي إلى أقصى الحدود.

وهمُ الموضوعية هذا هو ما يودي بنا.

قال آرييلي: «كلما قلّت المعلومات المتاحة لك عن الشريك المحتمل قبل أن تلتقيه، كلما كان ذلك أفضل لأنه يقلل فرص بناء خيالات لا أساس لها. عندما تلتقين شخصًا عن طريق الإنترنت، تؤدي كثرة المعلومات التي تعرفينها مسبقًا إلى تضييق مجال الاكتشاف. ثم يتحطم الوهم ما إن ترين عيبًا في ذلك الشخص. لذا، وبدلًا من منحه فرصة، تعودين إلى بيتك، وتجلسين إلى كمبيوترك كي تعثري على شخص آخر يبدو لك 'على الورق' شخصًا مناسبًا».

قلت لآرييلي إنني أكون راغبة دائمًا، عندما أحاول مواعدة شخص عبر الإنترنت، في الحصول على أكبر كمية من المعلومات كي لا أهدر وقتي. حقيقة الأمر أنني لا أستجيب إلى أي شخص لا يقدم معلومات وافية. فهل أنا مخطئة في هذا؟

فأجاب بأنني مخطئة، وأن معرفة كمية زائدة من المعلومات عن الشريك المحتمل تؤدي إلى زيادة صعوبة أن أصير مهتمة به. قال لي إن هناك دراسة قد أجريت أُعطي فيها «المواعدون عبر الإنترنت» صفات شريك محتمل، وذلك مثلما تحصلين على المعلومات عبر مواقع المواعدة في الإنترنت. عندما أعطي المشاركون في التجربة عددًا أكبر من الصفات، صاروا أميَل إلى اعتبار الشخص الآخر أقل شبهًا بهم، وذلك بالمقارنة مع ما جرى بالنسبة إلى الأشخاص الذين تم إعطاؤهم عددًا أقل من الصفات. كلما

ازدادت الصفات المعلومة لديك، صارت في حوزتك معلومات أكثر يمكن أن تدفعك إلى استبعاد الشخص المعني.

هذا ما يدعوه آرييلي «معلوسات أقل، احتمال نجاح أكبر»: إذا وصفتِ نفسك في ملفك على موقع المواعدة بأسلوب أكثر غموضًا، فسوف تصيرين أكثر جاذبية.

شرح الأمر بقوله: «إذا كنت أقرأ صفحتك ووقعت عيني على عبارة 'أحب الموسيقى'، فسوف أفترض على الفور أنك تحبين أنواع الموسيقى التي تعجبني. وأما إذا حددتِ نوع الموسيقى التي تعجبك، فقد يكون ذلك النوع مختلفًا عما أحب -أي إن اهتماماتنا مختلفة- وسوف يكون هذا أقل جاذبية في نظري».

محتالو الإنترنت

ليست كثرة المعلومات وحدها هي ما يجعل المواعدة عبر الإنترنت أمرًا مربكًا: كثرة الخيارات تجعله مربكًا أيضًا. ألا تجدين كل يوم في إيميلك إشعارات عن خمسة أشخاص «مناسبين» جدد؟ حتى إن لم تجدي في أي واحد منهم ما يثير اهتمامك؟ ألا يظل هذا أمرًا يمنحك أملًا بأنك ستعثرين على «الشخص المناسب» في اليوم التالي عندما تأتيك خمسة إشعارات جديدة؟

لاحظت أن موقع «Match.com» يبدو كأنه يشجع من يريدون المواعدة على البقاء على اتصال مع أكبر عدد ممكن من القرناء المحتملين. ففور إرسالك إيميلًا إلى واحد منهم، تأتيك رسالة أوتوماتيكية تقول، «الق نظرة على صفحات أعضاء آخرين تشبه صفحة الشخص الذي راسلته الآن»؛ ثم يظهر لك عدد من الأشخاص الذين يمكن أن يلفت واحد منهم نظرك. تُطرحُ عليكِ خياراتٌ أخرى كي تنظري إليها حتى قبل أن يكون الشخص الأول قد تلقى إيميلك! عندما يحدث هذا، كما قال آرييلي،نجد أنفسنا مدفوعين إلى «بتر» الأشخاص واستبعادهم على نحو لا يمكن أن نفعله إن كان أمامنا عدد أقل من الخيارات. في دراسة أجراها مع زملائه، أخذ

آريلي مجموعة بيانات من واحد من مواقع المواعدة في الإنترنت، ونظر إلى الأشخاص الذين أطلق عليهم صفة «محتالين» - أولئك الذين يتابعون التواصل مع خمسة عشر شخصًا، أو أكثر، في وقت واحد.

قال آريلي: «كان أولئك المحتالون يكتبون إيميلات متدنية الجودة. إذا كان عليك أن تكتبي عشرين إيميلًا، فكم يمكن أن تكون تلك الإيميلات متقنة؟ يؤدي هذا إلى زيادة احتمال ظهورهم بمظهر أقل إثارة للاهتمام في نظر الأشخاص الذين يتلقون الإيميلات، وذلك لأنهم يكتبون إيميلات متسرّعة، متدنية الجودة».

في الوقت نفسه، وبما أن المرء لا يغامر بشيء، فإن التوقف عن مراسلة شخص من الأشخاص يصير أبعد احتمالًا. إذا كان كل ما يستلزمه إبقاء شخص ضمن دائرة الاحتمالات الممكنة لا يتجاوز الجهد المبذول من أجل كتابة إيميل، فلماذا لا أواصل مراسلة ذلك الشخص، ثم أراسل عشرة أشخاص غيره؟ في العالم الحقيقي، قد يُعتبر الواحد منا مبالغًا في التدقيق عندما يستعجل «إلغاء» الناس قبل أن يعرفهم جيدًا؛ أما في عالم المواعدة عبر الإنترنت، فمن الممكن أن تصير «شبكتنا» واسعة جدًا فنصير غير قادرين على إلغاء أحد أو استبعاده.

قال آريلي: «عندما يتواصل أولئك الناس مع عدد كبير من الأشخاص، لا يعودون قادرين على أن يولوا شخصًا بعينه اهتمامًا خاصًا، حتى إذا كان 'خيارًا أفضل' بالنسبة إليهم. لكنهم يواصلون توسيع الشبكة لأنهم لا يعرفون من هو ذلك الشخص فينتهي الأمر بهم من غير العثور على أحد».

هذا، بالضبط، ما كان يحدث عندما تتبّع آريلي النتائج التي يصل إليها أولئك الأشخاص. نظر إلى من تبادلوا أرقام هواتفهم أو اتفقوا على مواعيد، فوجد أن الناس الذين لا يتواصلون مع أشخاص كُثر في وقت واحد والذين يكتبون إيميلات أكثر طولًا وتأنيًا هم من ينتهي الأمر بهم إلى الخروج في مواعيد حقيقية. أما الآخرون الذين يتواصلون مع أشخاص كثيرين، فإنهم يظلون جالسين في بيوتهم... يظلون يتواصلون.

لا بأس، ماذا يحدث بعد أن يلتقي شخصان؟ لم يتتبّع آرييلي هذا الأمر بعينه، لكنه وجد، بشكل أكثر عمومية، أن اللقاءات التي هي من ذلك النوع لا تجري على النحو المأمول نتيجة المبالغة في التوقعات.

فسّر لي الأمر بقوله: «لكنهم لا يتعلمون شيئًا من هذا الأمر، لا يتعلمون أبدًا! ففي كل مرة، لا يستطيعون منع أنفسهم من التفكير على النحو التالي: 'في المرة القادمة، ستكون لديّ توقعات أكثر واقعية'. بدلًا من ذلك، يبالغون في توقعاتهم كل مرة!».

السبب في ذلك هو أنه تصعب كثيرًا، على الرغم من كثرة التفاصيل الواردة في صفحة شخص من الأشخاص، معرفة حقيقة الشخص من خلال الصفحة الخاصة به في دليل الموقع. أو، كما يعبّر آرييلي عن الأمر، «يشبه هذا قراءة قائمة المكوّنات المكتوبة على علبة مأكولات محفوظة بغية تخيّل كيف سيكون طعمها».

وهذا على افتراض أن «قائمة المكونات» صحيحة. ينبع جزء من مشكلة الصفحات التعريفية في مواقع المواعدة عبر الإنترنت من أننا لا نمتلك دائمًا صورة واضحة عن أنفسنا، أو لا نمتلك قدرةَ وصفِ أنفسنا وصفًا جيدًا عن طريق «استمارة معلومات». أتذكر كيف نظرت إلى «تقييم شخصيتي» في موقع «eHarmony.com» بعد سنوات من كتابتها، أحسست أنه لا يعبّر عني على الإطلاق. أكان ذلك لأنني لم أتبصر جيدًا عندما أجبت عن الأسئلة أم لأن تقييمهم لم يستطع أن يلتقط تلاوين طبعي التقاطًا دقيقًا؟ وجدت نفسي أمام واحدة من مشكلات ما بعد الحداثة: لا أود لقاء ذلك النوع من الرجال الذين يريدون لقاء ذلك النوع من النساء الذي يصوّره «تقييم شخصيتي» في ذلك الموقع. لقد صرت في عالم المواعدة عبر الإنترنت أشبه بشخصية الممثل الكوميدي كروشو ماركس!

بغية تفادي هذه المشكلات، ابتكر آرييلي وزملاؤه موقع مواعدة عبر الإنترنت من نوع مختلف. بدلًا من وجود «بروفايل»، يكون كل شخص ممثلًا بمربع أحمر أو بمثلث أخضر يتحرك في فضاء افتراضي. إذا صرت

على مقربة من أحدهم، ففي وسعك بدء الكلام معه. تستطيعان التجول معًا في معرض فني وتبادل الحديث عن الأعمال المعروضة. يتعرف كل منكما على شخصية الآخر. وهكذا تكونان، من حيث الجوهر، قد التقيتما في موعد افتراضي في هذا العالم الافتراضي، لكن من غير أن يعرف أي منكما شيئًا عن الآخر.

بعد ذلك، كما قال آرييلي، يكون على الناس جميعًا أن يذهبوا إلى «لقاء مواعدة سريعة» في الحياة الحقيقية. يحضر ذلك اللقاء أشخاص كانوا في موقع آرييلي، وأشخاص لم يكونوا في الموقع. بعد انتهاء اللقاء، يُسأل كل مشارك عمن يحب أن يخرج معه في المرة التالية. فما هي النتيجة؟

يقول آرييلي: «عندما يكون الأشخاص قد التقوا عبر موقعنا، يزداد مرتين احتمال خروجهم معًا في موعد ثانٍ».

يوضح الأمر: «كم يبلغ طول قامتك، وما هو لون شعرك... ليس هذا هو المهم حتى إن كان الناس يقولون إنه مهم. ففي عالم المواعدة، تتمثل المشكلة في أننا لا نعلم ما هو مهم بالنسبة إلينا».

اختبار M&M'S

كنت قد بدأت أرى أن لا فكرة عندي أبدًا عما هو مهم بالنسبة إليّ، خاصة عندما جلست مع إيلي فينكل أستعرض تاريخي في المواعدة. إيلي فينكل مختص في علم النفس الاجتماعي في جامعة نورث ويسترن، وقد تزوج منذ فترة وجيزة. قلت له إنني كنت دائمةَ البحث عن نوع بعينه من الرجال، لكن ذلك لم يستطع أن يجعلني سعيدة على المدى البعيد. أمن المحتمل أنني لم أكن أعرف ما أريده في الرجل من صفات؟

قال لي: «إن كنتِ مثل معظم الناس، فظنك صحيح».

أخبرني فينكل عن تجربة أجراها مع زميله بول إيستويك. كان هدف التجربة رؤية إن كانت الصفات التي يقول الناس إنهم يريدونها في الشريك هي حقًا ما ينتهي بهم الأمر إلى اكتشاف أنها مهمة بالنسبة إليهم.

في البداية، طلب الاثنان من أشخاص عازبين تحديد مدى اهتمامهم بمجموعة بعينها من الصفات - من الخصائص الجسدية إلى الدخل المادي إلى «دفء القلب». صنّف الخاضعون للتجربة الصفات المذكورة وفق سلم درجات من 1 إلى 9، وذلك بحسب أهمية كل صفة في نظرهم. ثم طُلب من أولئك الأشخاص أن يذهبوا إلى لقاء مواعدة سريع. بعد اللقاء، كان عليهم أن يمنحوا كل شخص كان في الغرفة درجةً فيما يتصل بالصفات التي قالوا إنهم يبحثون عنها. ثم طُلب منهم تحديد مدى «اهتمامهم الرومانسي» بكل شخص ممن قابلوهم. وإذا خرج الشخص (فيما بعد) في موعد مع واحد من أولئك الناس الذين قابلهم، فعليه أن يُبلغ عن مدى استمتاعه بذلك الموعد.

اتضح بعد التجربة أن الصفات المفضلة التي حددها أولئك الأشخاص لم تكن مفيدة في توقّع من يمكن أن يخرجوا معه أو مدى استمتاعهم برفقته.

يقول فينكل: «ثمة ضعف في الارتباط بين ما قال الناس في البداية إنهم راغبون فيه وبين ما انتقوه فعلًا عندما قابلوا أشخاصًا حقيقيين أحياء».

فما سبب هذا؟ كيف يمكن أن نكون بعيدين هذا البعد عن معرفة ما نريده حقًا؟

شرح فينكل لي الأمر مستعينًا بالسكاكر التي كنت أفضلها في طفولتي، M&M'S.

قال: «إذا سألنا الناس لماذا يحبون M&M'S، فقد يقولون إنهم يحبونها بسبب تلك القشرة السكرية الملونة. لكن، إذا أعطيناهم سكاكر من نوع آخر لها القشرة السكرية الملونة نفسها، فلن يحبوها مثلما يحبون M&M'S. يعني هذا أن القشرة ليست هي السبب. لا بد أن يكون السبب أمرًا آخر يعجبهم في M&M'S».

بكلمات أخرى، نعلم أننا نحبM&M'S، لكننا لا نستطيع تحديد السبب، أي إننا لا نستطيع الإجابة عن سؤال «لماذا نحبها؟».

ما علاقة هذا الأمر بالمواعدة؟ يرى فينكل أن له علاقة وثيقة. «يستطيع الناس أن يحددوا ما يعجبهم تحديدًا دقيقًا، لكنهم لا يستطيعون تحديد سبب إعجابهم به. إذا قالت امرأة: 'أجد هذا الرجل جذابًا'، فلا شك في أن ما تقوله صحيح. إنها منجذبة إليه. وأما إذا قالت إن السبب هو أنه يجني مالًا كثيرًا، فقد لا يكون ذلك التفسير دقيقًا. من الممكن أن تكون معجبة به لأنه شخص كريم».

هذه هي الغلطة التي ترتكبها نساء كثيرات: الصفات الضرورية والصفات التي تفسد الأمر كله هي «ماذا» بالنسبة إلينا، في حين ينبغي أن تكون «لماذا».

شرح لي إيستويك (زميل فينكل) الأمر على النحو التالي: قد تقولين في نفسك، «أودّ أن أقابل شخصًا يعمل محاميًا ويجني مالًا يضمن له عيشة مستقرة». أما في حقيقة الأمر، فسوف تكونين سعيدة مع شخص آخر يعمل مؤلفًا موسيقيًا ولا يتلقى مالًا إلا عندما ينجز مشروعًا. كيف يمكن هذا؟ يقول إيستويك، إن السبب هو أنك تريدين، في حقيقة الأمر، شخصًا ذكيًا مثقفًا. تظنين أنك تريدين محاميًا لأن له مهنة مستقرة. لكن حقيقة الأمر هي أن ذلك النوع من «العقل» هو ما يستهويك.

يعتقد إيستويك أن مشكلة «ماذا/ لماذا» تتفاقم نتيجة وجود مشكلة أخرى: وضع معايير شديدة التحديد. أتى على ذكر هذا الأمر عندما حدثته عن صديقة لي تعمل مؤرخة فنية في متحف محلي وتريد رجلًا «يهوى» عالم الفن.

ضحك إيستويك وقال: «قد لا يكون مضطرًا إلى الاهتمام بالفن مثلما هي مهتمة به. يبدو لي أن الرجل الذي تريده ينبغي أن يكون شخصًا مثقفًا صاحب فطنة. لذا، إن كان ذلك الشخص مهتمًا بالسياسة، ويتابع برنامج C-SPAN، فمن المحتمل أن تجده صديقتك مرضيًا لها».

لا عجب في أن تبدو المواعدة عبر الإنترنت أمرًا شديد الصعوبة. إذا

لم نكن دقيقين في شأن ما نحن راغبون فيه، فمن المحتمل أن نتورط في البحث عن أشياء لا نريدها فعلًا.

يعني هذا أن ما من مفاجأة أبدًا في أن تتوصل دراسة أجريت سنة 2005 وتناولت عادات المواعدة عبر الإنترنت في أميركا إلى أن نصف عدد من جرّبوا هذا النوع من المواعدة قد خرجوا في موعد فعلي بعد ذلك، وأن ثلث أولئك الذين خرجوا في موعد فعلي تمكنوا من تكوين علاقات بعيدة المدى. لذا، إن كان جزء من ثلث النصف قد وصل إلى مرحلة الزواج، فإن الفرصة ليست «عظيمة»! لكنها ليست معدومة أيضًا. أعرف أشخاصًا كثيرين عثروا على أزواجهم وزوجاتهم عن طريق الإنترنت.

كان السؤال الذي يهمني: كيف أستطيع زيادة فرصي؟ لقد كنت أعتمد على «مدرّب المواعدة» إيفان مارك كاتز كي يساعدني في تحقيق ذلك.

مكتبة
t.me/soramnqraa

8

لقاءات الاثنين مع إيفان

الجلسة الأولى: النِسب المئوية

قلت لإيفان عندما كنا جالسَيْن أمام كمبيوتري في أول جلسة تدريبية لنا: «قل لي، هل تظن أنني سأعثر على شخص أكون سعيدة معه إن فعلتُ هذا؟». كان إيفان يطالبني بـ«تحديد» ما أراه مهمًا فعلًا في الزوج المرتَقَب؛ وكنت أجد صعوبة في التحديد.

كان إيفان قد جعلني في الليلة السابقة ألتحق بموقعَيْن للمواعدة. والآن، نحن عاكفان على كتابة «تفضيلات البحث» مع الانتباه إلى النِسب الواقعية التي حدثني عنها في مرة سابقة.

في خانة طول القامة المطلوب، أردت إلغاء فئة «177 - 183» سم. ذكّرني إيفان بأن طول قامتي يبلغ 157 سم، وقال إن متوسط طول الرجال في أميركا هو 175 سم، أو نحو ذلك.

سألني: «ما مدى أهمية طول القامة من أجل السعادة على المدى البعيد؟». لقد كان محقًا. خفضت الحد الأدنى إلى 170 سم. لكن إيفان طالبني بالمزيد. قال: «ما الفرق بين أن يكون الرجل أطول منك بمقدار الرأس، أو أن يكون أطول منك بخمسة سنتيمترات؟».

فقلت له إنني سأخفّض الرقم إلى 165 سم، لكني كتبت 168 سم. كنت

أدرك أن هذا الأمر لا ينبغي أن تكون له أهمية؛ لكنه كان ذا أهمية!!! لم أستطع تخيل نفسي مع رجل طول قامته مئة وخمسة وستين سنتيمترًا.

حاولت توضيح موقفي: «لا أود الخروج مع شخص لن أتزوجه».

أجابني: «أنت لا تعلمين من ستتزوجين قبل أن تخرجي معه. من الممكن أن تقابلي رجلًا طوله مئة وخمسة وستين سنتيمترًا فتجدينه شخصًا لطيفًا وتكتشفين فيه صفات لم تتوقعي وجودها. عند ذلك، لن يكون طول قامته مهمًا».

لم أغيّر الرقم الذي كتبته قبل قليل. تركته مئة وسبعة وستين سنتيمترًا. رفع إيفان حاجبيه مستغربًا وقال: «أنت ترفضين مواجهة واقع النسب المئوية».

قلت: «إنه واقع سيىء».

أجابني: «الواقع ليس سيئًا. لو لم تكن في رأسك تلك الخيالات، لما وجدت مشكلة في الواقع».

انتقلنا بعد ذلك إلى اختيار مجال العمر المرغوب. كنت فخورة بنفسي عندما كتبت «35 - 48» عامًا. وقلت: «ألا ترى؟ أستطيع أن أكون مرنة. مجال العمر يغطي أربعة عشر عامًا!».

ضحك إيفان وقال: «على الدوام، يكون الناس مرنين في الأمور التي لا أهمية لها. إنهم مرنون في ما يتصل بوضع الحد الأدنى للعمر بدلًا من المرونة حيث تنبغي المرونة، أي عند وضع الحد الأعلى. أنت لا تضحّين بشيء عندما تقولين إنك مستعدة للخروج مع رجل أصغر منك سنًا أو أطول منك قامة. ما رأيك في زيادة العمر إلى اثنين وخمسين عامًا؟».

لكني كتبت «خمسين عامًا». استمر الأمر هكذا مدة عشر دقائق حاولت خلالها أن أكون «مرنة» إلى أقصى حد استطعته، وذلك في كل فئة من فئات الصفات؛ وكان إيفان يرمقني بنظرات ملؤها الشك.

بعد ذلك، صرنا مستعدين لبدء البحث.

نقرت على لوحة المفاتيح فظهر لي عشرات الرجال. استعرضت عددًا

منهم واستبعدت واحدًا بدا لي شخصًا لافتًا، لكنه كتب «أي شيء» في خانة «المستوى التعليمي المرغوب توفره» لدى قرينته المحتملة. بكلمات أخرى، كان ممكنًا أن يقبل بامرأة لم يتجاوز تحصيلها المدرسة الثانوية.

سألت إيفان: «لماذا يكون رجل حائز على شهادة جامعية راغبًا في الخروج مع امرأة ليست لديها إلا شهادة الدراسة الثانوية؟ من الواضح أنه غير راغب في الخروج مع امرأة تكون ندًا له! لا يريد هذا الرجل امرأة ذكية!».

«أو... من الممكن أن يكون رجلًا يفضل الخروج مع امرأة على مستوى رفيع من التعليم، لكنه يحاول أن يكون شخصًا منفتحًا لاعتقاده أنه من المحتمل أن يلتقي امرأة ذكية ثقّفت نفسها بطرقها الخاصة ولم تذهب إلى الجامعة. لا أظنه يقصد القول، 'مدرسة ثانوية - أريد واحدة من تلك النساء!'. لم يفعل شيئًا غير الضغط على مفتاح 'أي شيء'! لعله، بكل بساطة، يحاول ألا يصدر أحكامًا مسبقة! هل تصدرين عليه حكمًا سلبيًا لأنه يحاول عدم إصدار أحكام مسبقة؟».

أظنني كنت أفعل هذا. هل بالغتُ في التمييز عندما استبعدت رجلًا يحاول ألا يميز بين الناس؟

نظرنا إلى ملف شخص آخر - رجل حسن الشكل إلى حد معقول، مناسب من حيث سنِّه. وجدت أنه كتب نصًا ذكيًا يعبر فيه عن نفسه. لكنني قرأت ما يريده في شريكته فقلت لإيفان إنني لا أريده. يتكلم هذا الرجل على «حمامات رومانسية» مشتركة، وعلى نزهات رومانسية على شاطئ البحر، وعلى صباحات أيام أحد رومانسية، وعلى «كذا» رومانسية و«كذا» رومانسية! استنتجت من ذلك كله أنه لن يكون شخصًا مناسبًا لي؛ فأنا أم عازبة ليس لديها وقت كافٍ لهذا النوع من الرومانسية. كنت أبحث عن نوع من الرومانسية أستطيع العثور عليه في تفاصيل الحياة اليومية، في العيشة المنزلية الراضية. كنت في حاجة إلى شخص يفهم تفاصيل حياة امرأة لديها طفل صغير. ابتسم إيفان وقال: «أنت تعتبرين هذا تمثيلًا حرفيًا لهوية ذلك الشخص! من المحتمل أن يكون قد أمضى خمس دقائق في

محاولة الإجابة عن هذا السؤال بطريقة مثالية. هل ترفضين حتى أن تفكري فيه لمجرد أنه لا يقول: 'وإذا كنتِ أمًا وحيدة، فسوف أدلّك ظهرك بعد فراغك من تنظيف فضلات ابنك'؟ إذا كنت ستُشرّحين كل شخص عازب بهذه الطريقة، فلن يكون أحد صالحًا للخروج معك».

فكرت في النِسب المئوية، ونقلت «السيد الرومانسي» إلى قائمة «الأشخاص المفضلين». بعد ذلك، ذهبت إلى ملف الرجل التالي. لم أره شديد الجاذبية، لكنه كان طبيبًا مختصًا في زرع الأعضاء. بالنظر إلى خلفيتي في ميدان العلوم، بدا لي هذا الطبيب لافتًا حقًا.

قرأت المزيد. نشأ ذلك الرجل في منطقة في الساحل الشرقي. أعجبني هذا! كان متزوجًا من قبل. لا بأس! لديه أطفال. لا بأس! هواياته هي ركوب الدراجات الآلية، والتجذيف، والسفر، والرياضة، وألعاب الحظ، وألعاب الورق... أوففف!

فقلت: «ألعاب الحظ وألعاب الورق!؟ لم يتجاوز الخامسة والأربعين عامًا، لكنه يتصرف كأنه صار في الستين. ما قصة ألعاب الورق؟».

سألني إيفان: «هل تسقطين هذا الرجل من حسابك استنادًا إلى هواياته؟».

أوضحت: «ليست المشكلة في ألعاب الحظ وحدها. إنني أرى ركوب الدراجات الآلية أمرًا منفّرًا. لا أجد أية جاذبية في هذا. ثم، انظر، يقول إنه 'يقرأ' الكتب الصوتية، يعني هذا أنه لا يقرأ... وأنا، أنا كاتبة!».

كان واضحًا لي أن إيفان مر بهذا الموقف من قبل، مر به مع عملاء آخرين. رفع حاجبيه وابتسم ابتسامة العارف، ثم انتظر إلى أن انتهيت من كلامي الغاضب.

فقال: «أنت تبذلين جهدًا أكثر مما ينبغي. وأنت تبالغين في الاهتمام بالتفاصيل على نحو يؤدي إلى جعلك أشبه بامرأة كسيحة. وصولك إلى العثور على علاقة سعيدة كامن في فهمك أننا لا نستطيع تغيير أولئك الرجال -إنهم مثلما هم- يعني هذا أن عليك أن تغيري شيئًا من ناحيتك.

لست أقول لك أن تخرجي مع هذا الرجل، لكن هذا مثال ممتاز على الرجال الذين لا تتيحين لهم أية فرصة على الإطلاق».

هززت رأسي رافضة. قلت: «ألعاب الحظ، وركوب الدراجات الآلية، والكتب الصوتية!؟ نحن لسنا متوافقين».

قال لي إيفان: «ليست لديك أية فكرة إن كنتما متوافقين أم غير متوافقين. ما يتعين عليك بذل جهد من أجله -لأنه لن يأتيك من تلقاء نفسه- هو قائمة المواصفات التي عندك وكيف ينبغي أن تكون تلك القائمة. من الممكن أن تكوني سعيدة مع شخص لديه معظم الأمور التي تبحثين عنها، لكنك غير منتبهة إليها».

في تلك اللحظة، انتبهت إلى ملف رجل يطابق تمامًا ما كنت أبحث عنه.

قلت: «أوووووه!»، ثم فتحت صفحة ذلك الرجل البالغ من العمر أربعين عامًا. قرأت ما كان مكتوبًا أمامي. كان ملفّه لافتًا فعلًا. رجل ظريف لديه مهنة إبداعية، لكنها بدت لي عملًا مستقرًا. أعجبني ما كتبه عمّا يبحث عنه في الشريكة... كلام يطابق وصف شخصيتي إلى حد غير قليل أبدًا.

قال إيفان: «لكن لدينا هنا مشكلة واحدة».

سألته: «ما هي؟».

بدا لي هذا الشخص واعدًا جدًا. ما الذي يمكن أن يكون غير سليم هذه المرة؟

مجال العمر المرغوب لديه من ثمانية وعشرين إلى خمسة وثلاثين عامًا. ويقول إنه يريد إنجاب أطفال.

قلت: «أنا لديّ طفل».

«إنه لا يبحث عن امرأة لديها طفل. لو كان كذلك، لوضع مجالًا مختلفًا للعمر. يريد امرأة يستطيع أن ينجب منها أطفالًا».

«لكن، إذا التقاني، فمن المحتمل أن يعجب أحدنا الآخر. يبدو لي أن لنا شخصيتين متشابهتين وأن لنا اهتمامات متشابهة. لماذا لا أكتب إليه إيميلًا وأرى إن كان سيجيبني؟».

قال إيفان: «في وسعك أن تفعلي هذا. لكن، ماذا تفعلين إن أتاك إيميل من رجل في الخامسة والخمسين؟ أنت الآن تمثلين إليه ما يمثّله بالنسبة إليك رجل في الخامسة والخمسين. لستِ أكبر من الحد الأقصى المرغوب عنده إلا ببضع سنوات، لكنها سنوات حاسمة الأهمية إن كان يريد إنجاب أطفال. أرجّحُ ألّا يرد على إيميلك. هذا ليس استخدامًا حسنًا لوقتك. ما يتعين عليك فعله هو التركيز على الأشخاص الذين يبحثون عمن هنّ مثلك. لا أهمية لمن تبحثين عنه إن لم يكن بدوره يبحث عنك».

قلت: «يبدو لي أمرًا غير منصف أبدًا أن يُستبعد المرء بهذه الطريقة». قلت هذا مع أنني كثيرًا ما أستبعد الناس بهذه الطريقة.

فقال إيفان: «تظنين أنك فوق القواعد لأن لديك الكثير مما يعزز موقفك. لكن الأمر لا يجري على هذا النحو؛ وأظنك لاحظت ذلك. إنه أمر شاق؛ وهو أصعب كثيرًا مما كان في ما مضى. أنا أوافقك على قولك إن الأمر غير منصف. من المحتمل أن تعجبيه إذا قابلك شخصيًا. لكن من المحتمل أيضًا أن تقلقه مسألة أنك أكبر سنًا من أن تستطيعي إنجاب أطفاله. لذا، لك أن تتحدّي القواعد وأن ينتهي بك الأمر إلى حالة من الغضب والإحباط. أو يمكن أن تحاولي العمل انطلاقًا من نظرة واقعية إلى النِسب المئوية بحيث تعثرين على الرجل المناسب لك».

قول «نعم» بدلًا من «لا»

نقرَ إيفان على مفتاح في ذلك الموقع اسمه «البحث العكسي». يُظهر لي هذا البحث الرجال الذين يوافقون المعايير التي وضعتها، لكنهم أيضًا يبحثون عمن هنّ مثلي. لم يكن مفاجئًا ألّا أعثر بينهم على أي رجل بين الخامسة والثلاثين والخامسة والأربعين من العمر. كان أصغرهم سنًا في السادسة والأربعين.

قال إيفان: «إليك ما أريد منك فعله خلال الأسبوع القادم. اختاري رجلًا من بين كل عشرين رجلًا يظهرون لك في قائمة البحث العكسي.

يعني هذا أن تقتصري على خمسة بالمئة من الرجال الذين يحققون المواصفات المرغوبة عندك، تلك المواصفات التي قمتِ بتحديدها في بداية جلستنا اليوم».

بدا لي هذا أمرًا أستطيع القيام به، لكن إيفان كان لديه اقتراح إضافي. عندما أجد لدى شخص من الأشخاص أمورًا «غير جذابة»، فعليّ أن أحاول تقبّله بدلًا من رفضه. على سبيل المثال، إذا وصلني من أحدهم إيميل طويل مرتبك، فهذا لا يعني أنه شخص أحمق. لعله كان متوترًا، أو لعله جديد في عالم المواعدة عبر الإنترنت، أو لعله مهتم بكتابة رسالة شخصية -حتى إن استهلك ذلك بعض الوقت- بدلًا من إرسال بضع كلمات سريعة.

ذكّرني إيفان بأن عليَّ أن «أبحث عن أسباب لقول 'نعم' بدلًا من قول 'لا'. عليكِ أن تحاولي الاقتراب بدلًا من النفور. وعليكِ أن تطرحي على نفسك هذا السؤال دائمًا: إن كان أمامي الآن رجل أراه لافتًا فعلًا، فهل أصرف النظر عنه بسبب بضعة كيلوغرامات أو بضعة سنتيمترات، أو بسبب جملة في ملفه لم تعجبني؟ إن كان الأمر هكذا، فلا بأس! لكن، لا تشتكي ولا تتذمري عندما لا تستطيعين العثور على أي شخص مناسب لأنك استبعدت كل رجل يُحتمل أن يكون مناسبًا نتيجة تفاصيل صغيرة. أقول هذا لأن من المستبعد أن يرغب أولئك الرجال في مقابلتك إن كانوا يفعلون مثلك ويرفضون الناس استنادًا إلى تفاصيل صغيرة».

آخ! لم أفكر في هذا الأمر قبل الآن. كان تركيزي كله منصبًا على ما إذا كنت مهتمة بهذا الرجل أو ذاك فلم أكد أفكر في ما إذا كان مهتمًا بي. نتيجة هذا، طلب مني إيفان أن أدوّن الأسباب التي يمكن أن تجعل رجلًا غير راغب في لقائي والخروج معي، أي كل ما لدي من أمور يمكن أن يجد أي صديق محتمل نفسه مضطرًا إلى احتمالها إذا اختار أن يكون معي.

كتبت بضعة أمور، وقرّبت الورقة من إيفان. نظر إلى تلك القائمة وقال: «أهذا كل شيء؟».

سألته: «ماذا؟ هل أغفلت ذكر أمر من الأمور؟». لقد كتبت في تلك

القائمة أنني قصيرة القامة، وأنني عصابية، وأنني أحب أن يكون لديّ حيّز شخصي متّسِع.

قال إيفان: «مممم... لست أدري. لعل عليك القول أيضًا إنك ممن يَنشدون الكمال!».

لم أرَ عيبًا في ذلك. أليست هذه الصفة حسنة؟

قال إيفان إنني أرتكب غلطة كلاسيكية: نعتقد أننا «صيد ثمين» إلى حد يجعل أي شيء «خاطئ» فينا مقبولًا عند الشريك المحتمل. نقول في أنفسنا: نعم، *إنني ممن يَنشدون الكمال؛ لكن هذا يعني أنني ممن يعملون وفق ما تمليه عليهم ضمائرهم!* نادرًا ما نقول في أنفسنا: نعم، *أنا ممن يَنشدون الكمال، وهذا أمر يجعلني شخصية متصلبة يصعب العيش معها.*

تابع إيفان كلامه فقال، إن هذا ما يجعل أشخاصًا كثيرين يكتبون عن أنفسهم أمورًا تبدو إيجابية في واقع الأمر: *أنا صاحب طموح كبير جدًا* (بدلًا من: *أنا قاس لا أقبل التنازل*). *أنا صادق جدًا*، (بدلًا من: *أنا عديم الإحساس*). *أنا أبالِغ في العطاء* (بدلًا من: *أنا في حاجة*). *أنا مستقل* (بدلًا من: *أنا مدمن على العمل*). *أنا أبالغ في تحليل الأمور* (بدلًا من: *أنا أبالغ في إطلاق الأحكام على الآخرين*).

قال لي: «فكري في الأمور التي سيجد واحد من الناس ضرورة لتحملها حتى يستطيع أن يكون معك». حاولت مرة أخرى، وبِسرعان ما تبادرت إلى ذهني أمور من قبيل: *أنا بالغة الحساسية. لا أتقن إعداد أية وجبة، عدا الباستا. من الممكن أن يكون لديَّ عجز مرضي عن اتخاذ القرارات، وهذا ما كان يثير جنون كل من عرفتهم من الرجال. من السهل أن يصيبني التوتر؛ وعندما يحدث هذا، لا يكون «منظري» حسنًا على الإطلاق. لدي عدد من العادات المزعجة كثيرًا، ومنها إصراري على أن تبقى أشيائي كلها حيث وضعتها تمامًا حتى إن كانت تسبب عرقلة لغيري. لا أستخدم الهاتف الخليوي لاعتقادي أنه يسبب أورامًا دماغية. بالتالي، ينبغي أن أكون قريبة من هاتفٍ أرضي إن أردت التواصل معي. تطول هذه القائمة... وتطول.*

لا عجب في أن أكون قد أفسدت «حياتي في عالم المواعدة»: كنت أريد الإحساس بالأمان والاسترخاء في العلاقة. ولكن، إذا كنت مع شخص لديه عيوب مثل عيوبي، فلن أشعر بالرضا لأنه سيكون شخصًا شديد الاختلاف عن الصورة المثالية التي رسمتها في رأسي. وإذا كان ذلك الشخص «ذو العيوب» متحمسًا لي، فسوف أقول إنه يبالغ في حماسته أو (وهذا أسوأ) سأقول إنه يبدو «شديد اللهفة». وأما لحظة أن أجد شخصًا قريبًا من «الصورة المثالية» راغبًا في مواعدتي، فسوف أتوتر على الفور وأحاول أن أكون متجاوبة و«مسلية» وسأحس قدرًا كبيرًا من عدم الأمان لأن من حول أولئك الرجال، دائمًا، نساء كثيرات يحاولن لفت انتباههم. على الدوام، يبدو لي الرجال «المَعيبون» متحمسين لي أكثر مما ينبغي، ويبدو الرجال «المثاليون» غير مهتمين بي اهتمامًا كافيًا.

كنت أدرك أن النظر إلى عيوبي مهم كي أستطيع تقبّل ما في الأشخاص الآخرين من عيوب، لكني رأيتها مكتوبة أمامي فبدأت أتساءل عما يمكن أن يجعل أي شخص راغبًا في مقابلتي والخروج معي.

ضحك إيفان وقال: «هذا جيد! إذًا، في المرة القادمة، عندما تكونين موشكة على استبعاد رجل لأنه لا يحقق الصورة المثالية، حاولي أن تركزي على الجوانب الإيجابية فيه، وذلك لأن الرجل سيكون عليه أيضًا أن يركز على الجوانب الإيجابية التي عندك حتى إن كان راغبًا في العثور على امرأة ألطف طبعًا أو أطول قامة. كلما بدأتِ 'تشريح' واحد من الرجال بحثًا عن عيوبه، لاحظي أنه يتجاهل، عن قصد، عيوبك كلها حتى يخرج معك. يعجبنا أن يتحمل الناس تقلبات مزاجنا، لكننا نريد شخصًا لا يتقلب مزاجه أبدًا! نحب أن نحس أنفسنا جذابين حتى عندما نهمل أجسادنا، لكننا نريد شخصًا يتمتع بلياقة بدنية ممتازة. ألا يبدو لك هذا ضربًا من ضروب النفاق؟».

صحيح، بدا لي كذلك فعلًا. كنت أريد رجالًا يقبلونني كما أنا، لكني غير مستعدة لقبولهم مثلما هم. في الماضي، كنت أركز دائمًا على التنازلات التي يتعين عليَّ القبول بها مع شخص آخر، لكني لم أفكر تفكيرًا

جادًا في الجانب الآخر من الأمر. لن يكون الشخص الذي معي «فائزًا بجائزة اليانصيب». لا عجب في هذا! فعلى غرار معظم النساء، كانت لدي صديقاتي اللواتي يقلن لي دائمًا إنني «لقطة» عظيمة، وإن أي رجل سيكون «محظوظًا» إن صرت له، وإن عليَّ ألا أتنازل أبدًا عندما أختار رجلي.

لكن إيفان قال لي إن ما تعتبره نساء كثيرات «تنازلًا» ليس في حقيقة الأمر إلا «تقبلًا» بالمعنى القديم للكلمة.

بطبيعة الحال، لم يكن يقترح عليَّ أن أغيّر شخصيتي وأن أصير، على نحو مفاجئ، الآنسة التي «تسير مع التيار». بكل بساطة، كان يقول لي إن عليَّ أن أغيّر رؤيتي إلى الأمر كي أستطيع تقليل عدد «المصافي» التي أستخدمها لاستبعاد الرجال. من السهل كثيرًا أن تعثر على الأمور التي لا تعجبك في شخص من الأشخاص؛ لكن من المجدي أكثر أن تعثر فيه على الأمور التي تعجبك.

أخبرني إيفان عن طبيبة نفسية اسمها جوديث سيلز ألّفت كتابًا رائعًا عنوانه «*كيف تستطيعين الكف عن البحث عن شخص كامل كي تعثري على شخص تحبينه*». تقول سيلز في كتابها إنّ كل شخص يمثل «صفقة متكاملة». لا وجود لـ«بدائل». عليك قبول العادات المزعجة بالإضافة إلى الصفات غير السارة إلى جانب بقية أجزاء تلك الصفقة. قد يكون عليك أن تتعاملي مع أمور لا تعجبك كثيرًا. لقد كتبتْ: «إذا كنتِ تطالبين بشخص يحقق الصورة المثالية التي في ذهنك، فأنت مقبلة على علاقة بعيدة المدى مع أوهامك».

هذا هو، بالضبط، ما كان إيفان يحاول قوله لي. عندما نهض كي ينصرف، ذكرني بالمهمة التي تنتظرني: أن أنتقي واحدًا من كل عشرين رجلًا يلبّون المعايير التي كتبتها ويبحثون عن امرأة مثلي. وأن أكتب إيميلات إلى ثلاثة منهم. وسوف نقارن بينهم يوم الاثنين القادم.

9

ليس هو، بل أنتِ

كنت أجلس إلى كمبيوتري أحاول انتقاء واحد من كل عشرين رجلًا عندما اتصلت بي صديقتي ليزا وسألتني عما أفعله. أخبرتها بالمهمة التي كلفني بها إيفان، واقترحت عليها أن تجرب الأمر بنفسها، هي أيضًا. تأففت ليزا، التي هي عازبة في الخامسة والثلاثين، وقالت إن هذه تبدو لها خطة حسنة، لكنها ملّت المواعدة، ملّتها كثيرًا من خلال الإنترنت، وخارج الإنترنت. وليست راغبة الليلة في الكلام على المواعدة لأن هذا يؤدي إلى جعلها أكثر ذعرًا إزاء حقيقة أنها لا تزال عازبة.

قالت: «فلنتكلم عن الأفلام، أو الكتب، أو الاحترار العالمي، أو عن آخر حلقة من مسلسل ويدز... عن أي شيء غير الرجال».

هذا مختلف كثيرًا عما كان منذ سنتين عندما كانت ليزا في الثالثة والثلاثين وكانت لا تحب شيئًا أكثر من الكلام عن الرجال. أو عن رجل واحد: صديقها. كانت ليزا تخرج مع رايان منذ سنة كاملة. كان محاميًا في الثانية والثلاثين؛ وكانت مغرمة به. يستمتعان كثيرًا عندما يكونان معًا، ويتمنى كل منهما تأسيس أسرة. كانا يبدوان متوافقين صديقين وحبيبين. الحقيقة أن رايان كان يلمّح إلى الزواج. لكن ليزا أحست أمرًا لم تكن مرتاحة له تمامًا.

قالت لي ليزا عندما شارفت سنتهما الأولى معًا على نهايتها: «إنه ليس

فائق الاهتمام بي. لم أعتد أن يعاملني أحد هكذا عندما نكون في علاقة معًا».

في ذلك الوقت، فهمتُ ما تعنيه تمام الفهم: لم تكن تحس نفسها «معبودة» صديقها. كان يقول لها إنه يحبها، لكنه لم يقل إنه «أسعد رجل في العالم» لأنه وجدها. كان يقول لها إنها جميلة، لكنه لا يقول إنها «أجمل امرأة رآها في حياته». كان يأتي لها بالدواء عندما تصيبها نزلة برد، لكنه لا يجلب لها زهورًا من غير سبب. كان على الدوام حلو الطبع معها، محبًا لها، لكنه لم يكن يتعمد إظهار هذا من غير مناسبة. لم يضعها على قاعدة تمثال مثلما كان يفعل أصدقاؤها السابقون. لا أهمية لحقيقة أنها، بدورها، لم تكن تضعه على قاعدة تمثال. تلك هي مهمة الرجل. كان منتظرًا منه أن يغازلها دائمًا، أليس هذا صحيحًا؟

وذات يوم، بعد تلميح جديد إلى الزواج، عبّرت ليزا لصديقها عما بنفسها من شكوك. قالت له: «لا أحس أنك تحبني تمامًا».

قال الشاب: «لكنني أحبك!». لم يستطع فهم السبب الذي جعلها تحس هكذا؛ ولم تستطع ليزا أن تشرح الأمر له، كان ذلك إحساسًا، لا أكثر؛ لكنه كان إحساسًا لم تستطِع التخلص منه. كان يبدو حائرًا كلما فاتحته بالأمر؛ وكانت تحس نفسها «مرفوضة». بعد ذلك، كان يجرّب أنواعًا مختلفة من الإيماءات والتصرفات الرومانسية كي يثبت لها حبه، يطبع على وسادتها قبلة بالشوكولاته في الصباح، ويترك لها رسالة عذبة؛ ويتصل منتصف النهار لا لشيء إلا كي يقول لها إنه يحبها. كانت هذه التصرفات تسحرها، لكنها لم تستطع أن تثق بها. قالت لي في ذلك الوقت: «أريد منه أن يكون راغبًا في فعل هذه الأمور. لكنه لا يفعلها الآن إلا لأنني طلبتها منه».

مع هذا، كانت ليزا تحاول أن تكون مطمئِنة للأمر لأنها وجدت عذوبة في هذه المحاولات التي يبذلها رايان، حتى إن كان يرغم نفسه على فعلها. لكن مشاجرة نشبت بينهما بعد شهرين من ذلك عندما ذهب إلى حفلة خطوبة حيث رفع الخطيب نخب خطيبته وقال إنه لا يمكن أن يحب أية

امرأة قدر ما يحبها. هذا ما شغل بال ليزا، فطرحت على رايان سؤالًا عندما كانا في السيارة عائدَين إلى البيت: «إذا وقع لي أمر ومتُّ في شبابي، فهل تظن أنك تستطيع أن تحب امرأة أخرى قدر ما تحبني؟».

فكر رايان في الأمر لحظة ثم قال: «الحقيقة أن ذلك سيكون مختلفًا عن الحب الذي بيني وبينك».

سألته ليزا: «مختلف!؟ هل يعني هذا أنك تحبني أكثر؟».

قال صديقها: «مختلف يعني مختلف». مد يده وأمسك بيدها. سألها، ما أهمية الأمر؟ أريد أن أكون معك أنت، لا مع امرأة افتراضية أخرى. لا أود التفكير في موتك. أنا أحبك. سيكون صعبًا أن أجد امرأة أحبها بهذا القدر. وأما إذا مُتّ قبلك، فأنا أتوقع أن تقعي في الحب من جديد، وأتوقع أن يكون ذلك مختلفًا عن علاقتنا. لكني أتمنى أن تتابعي، وأن تعيشي حياتك».

تركته ليزا بعد ثلاثة أسابيع من ذلك الحديث.

تقول ليزا الآن، أي بعد سنتين: «أردت أن يكون مجنونًا بي جنونًا مطلقًا. حقيقة أنه قادر على تخيل حب امرأة أخرى مثلما يحبني كانت تعني عندي أنني لست حب حياته. أردته أن يقول لي: 'أستطيع تخيل أن أتزوج من جديد، لكني لن أحبها أبدًا مثلما أحبك أنت'!».

سألتُ ليزا عما كان يمكن أن يحدث لو أن ذلك الوضع الافتراضي كان معكوسًا. لو تزوجت رايان، ثم مات شابًا، فهل تستطيع تخيل أن تحب غيره، أن تقع في الحب من جديد؟

فكرت لحظة، ثم قالت: «نعم. أظنني أعلم -من الناحية العقلية، على الأقل- أنك قادرة على أن تحبي، حبًا شديدًا، أكثر من شخص خلال حياتك. وأما في قلبي، فأنا أريد رجلًا يشعر نحوي بهذه الطريقة، ولا يستطيع أن يحب أحدًا مثلما يحبني».

في ذلك الوقت، أيّدت موقفها تأييدًا تامًا. لكني أظن الآن -وأنا أفكر في ما دعاه إيفان «توقعات غير منطقية» وأستعرض تلك الملفات في موقع

المواعدة على الإنترنت- أنني أحسست فجأة أن ليزا كانت، بدورها، غير منطقية. هذا مع أن الناس كانوا يعتبروننا، أنا وهي، في ميادين أخرى، شخصين منطقيين بشكل عام. إذًا، ما معنى هذا كله؟

أفضل كثيرًا مما يكون في علاقة عادية

يرى د. مايكل برودر، وهو طبيب نفسي في فيلادلفيا متخصص في العلاقات العاطفية، أن في زماننا هذا عازبات كثيرات يضفن إلى العلاقات العاطفية فكرة خطيرة عن الاستحقاق في المواعدة. وهو يعتقد أن إصرار المرأة على أن تكون «معبودة» بتلك الطريقة الخيالية ليس إلا شرطًا غير منطقي مضافًا إلى قائمة شروط غير منطقية أصلًا.

قال لي: «أسمع طيلة الوقت كلامًا من قبيل، 'إذا لم أستطع العثور على رجل يتصف بكذا، أو كذا، فأنا أفضل أن أظل وحيدة'. فأقول لها: 'أستطيع أن أفهم هذا، لكن عليك أن تكون مستعدة للخيار الثاني؛ ففي وجود ذلك الإحساس بالاستحقاق، يصير من المحتمل كثيرًا أن تظلي وحيدة!'».

عند تلك النساء، كما قال، لا يكون الرجل المُتخيَّل صورة وهمية فحسب، بل تكون صورة العلاقة الفعلية وهمية بدورها. ففي آخر المطاف، ثمة حدود لما تستطيع أية علاقة توفيره. يرى د. برودر أن النساء اللواتي لديهن هذا الإطار الذهني يبحثن عن علاقة من منظور ما يستطيع الرجل توفيره لهن -هذا شيء من قبيل «أنا - أنا -- أنا»- بدلًا من تمني قدر أكبر من التبادل بين الطرفين.

على سبيل المثال، حدثتْه في الآونة الأخيرة واحدة من مريضاته عن صديقها الحالي: «لماذا يتعين عليَّ أن أكون مع شخص أقل مني نجاحًا؟ أستطيع أن أظل وحيدة!».

يقول د. برودر إنه يلاحظ ازدياد الإحساس بالاستحقاق إلى حد لم يكن موجودًا لدى أجيال سابقة. لعل من أمهاتنا من كانت تتمنى ذلك، لكن من المؤكد أنها لم تكن تتوقعه، لم تكن المرأة تتوقع من زوجها

أن يظل على الدوام راغبًا في إشاعة السرور في نفسها وفي التعلق بها وتسليتها ومشاركتها متعة اهتماماتها كلها، وكذلك أن يكون أشد الرجال سحرًا. كانت تلك النساء تدرك أن الزواج يستتبع تدهور الصحة، والتقدم في السن، والضجر، وفترات من التوتر والجفاء، والعادات المزعجة، والمشكلات مع الأطفال، وحالات سوء التفاهم، ومشقات من كل نوع. لكن نساء كثيرات في أيامنا هذه، يبدو كأنهن يبحثن عن «اتحاد روحي ذي صفة مثالية» بدلًا من العلاقة الزوجية القائمة على الشراكة.

قال د. برودر: «نرى اليوم ذلك النوع من النساء اللواتي ترى الواحدة منهن نفسها أفضل كثيرًا من أن تكون في علاقة عاطفية عادية. أما إذا سألنا النساء السعيدات في زواجهن عن طبيعة ذلك الزواج، فمن المرجّح أن تقول أي واحدة منهن إنه زواج عادي تمامًا».

إذًا، كيف يصير ما هو «عادي» قبلة الموت في العلاقات العاطفية؟

هل هو واقعٌ ضمن فئتي؟

لعل للأمر صلة بذواتنا! على الرغم من كل ما يقال عن النساء اللواتي يعانين قلة تقدير الذات، يقول د. برودر إن نساء كثيرات يفهمن رسالة «الفتاة القوية» بمعنى «أنا أفوق الخيال»، وذلك إلى حد يجعل وجود شخص «كافٍ» بالنسبة إليهن أمرًا مستحيلًا.

تذكرت فتاة من معارفي في التاسعة والعشرين من عمرها جمعتُ -منذ بضع سنين- بينها وبين رجل قلت لها قبل أن تلتقيه إنه يذكرني بها.

قلت: «إنه ظريف جدًا، ويحب الأفلام القديمة. شخص يشبهك كثيرًا».

ذهبت الفتاة للقائه، ثم عادت وقالت إنني أهنتها.

سألتني: «كيف استطعت القول إنه يشبهني؟».

لم أفهم ما كانت تعنيه بذلك السؤال.

أوضحت: «لم تقولي لي إنه شديد الهزال!». إذًا، هذا يعني أنها، هي أيضًا، شديدة الهزال!

قالت: «ثم إن له ذلك الشعر الغريب». كان مظهر شعره غريبًا بالفعل، لكن شعرها، منذ بضع سنين، كانت فيه خصلة بنفسجية.

سألتها عما توقعتْ رؤيته. فأجابت: «أظنني توقعت رؤية شخص أكثر حيوية. أعني أننا كنا نستطيع الكلام على الأفلام القديمة، فضلًا عن أنه لطيف فعلًا؛ لكنك قلت إنه يشبهني، فتوقعت شخصًا أكثر...» كفّت عن الكلام، لكني أدركت ما كانت تحاول قوله... «أتظنين هذا الرجل من مستواي؟».

في الحقيقة، هذا صحيح! نعم، هذا ما كنت أراه. وكنت أرى أيضًا أن ذلك الرجل يمكن أن يعجبها فعلًا لو أن نظرتها إلى نفسها كانت دقيقة، لو أنها لا تعتبر نفسها أنجيلينا جولي. كان الاثنان، هو وهي، شخصين لطيفين، ظريفين، يحلو قضاء الوقت معهما. لكن أيًا منهما لم يكن متمتعًا بذلك المظهر المذهل، ولا بتلك الجاذبية الشديدة. كانا شخصين عاديَيْن. كانا شخصين عاديين مثل أكثر الناس. (له الآن، بطبيعة الحال، خطيبة تشبهها كثيرًا، لكن من غير نظرتها إلى نفسها. وأما هي، فلا تزال عازبة، بالطبع!).

كلما تكلمت أكثر مع د. برودر، كلما ازداد تساؤلي عما إذا كان هذا المستوى من «الانشغال بالذات» عاملًا مهمًا من بين العوامل التي تجعل العثور على الرجل صعبًا. أليس جائزًا أننا نفقد النظرة الموضوعية فقدانًا تامًا عندما نظن أن لنا خصوصية كبيرة جدًا، نظن أننا استثنائيات إلى حد فريد، جذّابات إلى حد فريد؟ لقد كنت أفكر على النحو التالي: صحيح *أن لديّ معايير عالية، لكني لا أستطيع الامتناع عن أن أكون صاحبة ذوق رفيع*. (بمناسبة الكلام على الذوق الرفيع، لا بد لي من القول إن الأشخاص الذين أختارهم لا يتضح دائمًا أنهم رائعون). يقال لبنات جيلي على الدوام إن عليهن امتلاك «تقدير رفيع للذات»، لكن الظاهر أن النساء اللواتي يقدّرن أنفسهن كثيرًا يصرن في خطر إخراج أنفسهن من عالم الصلات الرومانسية. كلما ازداد تقديرنا أنفسنا، صرنا أكثر انتقادًا للرجال الجيدين.

يكاد يعجبني أن أصير مثل «حكَم أولمبي» وأعطي الرجال درجات من حيث صلاحيتهم للزواج: يبدأ كل رجل بدرجة عشرة، ثم يُنقص الحَكم درجته كلما وجد فيه شيئًا غير مثالي. أليس ظريفًا بما يكفي؟ احذفي نقطتين! هل حاجباه متصلان؟ احذفي درجة أخرى! أليست طريقة أفضل للتعارف وبناء العلاقة أن نبدأ من الصفر وأن نمنح الناس نقاطًا مقابل الصفات الحسنة التي فيهم، كاللطف أو الدفء؟

كنت على الدوام «احذف نقاطًا» عندما أحاول تقرير إن كنت أريد أن أقابل شخصًا من الأشخاص. فعلى سبيل المثال، إذا أردت شخصًا ذكيًا، مرحًا، وسيمًا، ثم اتضح لي أنه ذكي، مرح، وسيم، لكنه مرتبك من الناحية الاجتماعية، فسوف أنسى أنني كنت أريده «ذكيًا، مرحًا، وسيمًا» وأركز بدلًا من ذلك على ضعفه من الناحية الاجتماعية. يعني هذا أنني أركز على الجوانب المخيِّبة بدلًا من اعتبار نفسي سعيدة الحظ لأنني عثرت فيه على الجوانب الإيجابية التي أردتها. هذا ما يمكن أن يفعله بنا ذلك الإحساس المبالَغ فيه بالاستحقاق.

المشكلات موجودة عندك وعنده

لا يتوقف أثر «تلطيف» الموقف عند المساعدة في نجاح العلاقات العاطفية، بل إنه قادر أيضًا على جعل الزيجات أكثر نجاحًا. هذا ما قاله لي جينا غونزاكا، هو عالم نفس ويعتبر واحدًا من أهم العلماء لدى موقع «eHarmony.com»، التقى زوجته أثناء عمله في «مختبر الزواج» الشهير في جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس. لقد ركزت دراسته التي اشتملت على ستمئة زواج واستمرت سنوات طويلة على أمرين اثنين: مقدار الرضا في العلاقة، وما يسمح بالتنبؤ بنجاح الزواج.

قال غونزاكا: «يعتقد من هم سعداء في زواجهم أن شركاءهم أفضل من المعدّل الوسطي، مع أن هذا أمر مستحيل من الناحية الإحصائية. ندعو هذا التصور 'أوهامًا إيجابية'. وهو لا يعني أن أولئك الناس لا يتذمرون

من أزواجهم وزوجاتهم، ولا يعني أن ما من خلافات تنشب بينهم، إلا أنهم يثابرون على اعتبارهم متفوقين بالمقارنة مع معظم البشر الآخرين».

وقال إن هذا الأمر يسير بطريقة عكسية في عالم العلاقات العاطفية، وذلك بالنسبة إلى عازبين كثيرين ممن لا يستطيعون العثور على الشخص المناسب. فبدلًا من النظر إلى الأشخاص الذين نواعدهم من خلال «عدسة إيجابية»، نعتبر أنفسنا متفوقين عليهم. هذا هو السبب الذي يجعل الناس، أكثر الأحيان، ينسبون نواقص العلاقة ومشكلاتها إلى الشريك. لكن غونزاكا يعتبر بأن الطرفين يكونان مسؤولين عن ذلك.

«نميل إلى الانجذاب إلى أشخاص يشبهوننا من حيث الاستقرار العاطفي، والذكاء، والكفاءة. بالتالي، إذا كنت تخرجين مع أشخاص يبدو لك أن بهم عيوبًا، فمن المحتمل أن تكون تلك العيوب موجودة لديك أيضًا. إذا كان الشخص عصابيًا، فمن المحتمل أن تكوني مثله. حتى تفلحي في اجتذاب شخص من النوع الذي في ذهنك، يتعين عليك أن تكوني من ذلك النوع أيضًا. ليست المشكلة ناجمة عن أن كل من خرجت معهم لم يكونوا جيدين إلى الحد الكافي. على الإنسان إدراك أنه طرف في تلك المعادلة».

قال لي غونزاكا إن من يكونون في علاقة ناجحة يقدّر كل منهم النقاط الإيجابية لدى الطرف الآخر بدلًا من التركيز على عيوبه، وذلك لأن ثمة عيوبًا لدى كل واحد منا.

لقد حاولت امرأة في ولاية إنديانا أن تقول لي هذا الكلام نفسه. قالت لورا المتزوجة منذ اثني عشر عامًا: «نحن النساء نحب أن نتخيل أنفسنا ربّات جديرات بأن يعبدنا الرجل ويتفانى في حبنا. نغضب كثيرًا عندما يفشل في منحنا هذا الإحساس. وللأسف، نحن كائنات يتساقط شعرها، وتصدر عن أجسادها رائحة، وتظهر عليها تجاعيد، وتغزو السمنة أجسادها، وتستولي عليها حالات مزاجية غريبة. يصعب علينا أن نتسامح مع هذه الأمور عندما نراها في الرجل، لكننا نتوقع منه أن يتغاضى عنها عندما يراها فينا».

لا بد لي من الكلام على فيلم «الجنس والمدينة»

أعلم هذا! أعلم هذا! لقد صار من الأمور المكررة كثيرًا أن يتحدث الناس عن فيلم «الجنس والمدينة»، وذلك إلى حد يجعلني غير راغبة في التطرق إليه. لكنني لا أستطيع المقاومة لأن في ذلك العمل ما يبدو لي ذا صلة بفكرة «الاستحقاق».

من ناحية أولى، أظهرت وسائل الإعلام اهتمامًا شديدًا عندما حقق الفيلم المستند إلى الكتاب والمسلسل اللذين لقيا نجاحًا كبيرًا قرابة 200 مليون دولار في الولايات المتحدة وحدها، وذلك لأنه بيّن أن الناس مستعدون لدفع المال كي يروا نساء قويات على الشاشة الكبيرة. لكنني أظن أن هذا قد بيّن أمرًا آخر أيضًا: الظاهر أننا غير قادرين على التمييز بين «قوية» و«متمركزة على ذاتها».

إذا كنتِ واحدة من العازبات القلائل اللواتي لم يشاهدن ذلك الفيلم، فإني سأقول لك إن سامانثا تخبر صديقها الرائع الذي وقف إلى جانبها وساندها عندما أصابها سرطان الثدي أنها ستتركه، لأنني «أحبك، لكنني أحب نفسي أكثر». عندها، يصفق الجمهور كله! فلننظر الآن: كان هذا صديقًا مخلصًا محبًا، وكان شخصًا مثيرًا استجاب إلى طلباتها وخاض معها المعركة ضد السرطان، لكنها تقرر تركه لأنها «تحب نفسها». هل يفترض في هذا أن يكون «تعزيزًا» للمرأة؟ إذا قلبنا الأدوار (تبقى معه عندما يصيبه سرطان البروستات، لكنه يتركها)، فلا شك عندي أبدًا في أن الجمهور كله سوف يستهجن تصرفه ويدعوه وغدًا حقيرًا.

ليست سامانثا الشخصية الوحيدة التي لديها إحساس فائق بالاستحقاق. كاري أيضًا كابوس حقيقي لأنها تغضب كثيرًا عندما يقول لها خطيبها إنه سيكون سعيدًا حتى إن تمّ الزواج في «قاعة المدينة». يقول لها إنه غير مهتم بيوم الزفاف نفسه، بل بأن يكون معها كل يوم.

فماذا تفعل كاري؟ تذهب إلى المكسيك مع صديقاتها «المتمركزات حول أنفسهن» مثلها، وذلك خلال الأيام التي كان مفترضًا أن تكون شهر

عسلها. ماذا يفعلن هناك؟ يشتكين من الرجال! لم تسرِ مجريات يوم الزفاف مثلما كان مخططًا لها؛ وها هي الآن في شهر عسلها من غير خطيبها المحبوب! هل هذه فتاة «قوية» أم «فتاة أفسدها الدلال»؟

لم يكن المسلسل التلفزيوني مختلفًا كثيرًا عما سبق قوله. ففي كل أسبوع، كانت الشخصيات النسائية تتولى «تشريح» عدد من الرجال. لا مجال أبدًا لأي قدر من «عدم الكمال». وإذا لم يكن الرجل يحس أن صديقته كاملة، فمن «الواضح» أن عليها أن تتركه.

ذات مرة، قالت كاري لبيغ: «إذا لم تكن تحبني حبًا كاملًا، وإذا لم تكن مجنونًا بي، وإذا لم تعتبرني أجمل امرأة رأيتها في حياتك، فأظن أنّ عليَّ تركك».

يعلم كل بالغ عاقل أن قلة من الرجال -هناك، على كوكب الأرض حيث يعيش البشر- يرون أن المرأة التي معهم هي أجمل امرأة رأوها في حياتهم كلها، والعكس بالعكس. لكن نساء كثيرات ينتظرن من الرجل (مثلهن مثل الفتيات في مسلسل وفيلم الجنس والمدينة) أن يمتدحهن ويتملقهن كأنهن ملكات. ولهذا السبب، نرى تلك البطلات الجميلات الجذابات فتيات لديهن كل شيء، إلّا الرجل. يتعاملن مع الحب مثلما تتعامل معه فتاة في السادسة عشرة، لكنهن لا ينتبهن إلى أن فتاة السادسة عشرة ليست مستعدة بعد لحياة الزواج الحقيقية.

«هل تعتقدين حقًا أن هناك كثرة من النساء اللواتي يشبهن كاري؟». طرحت عليَّ هذا السؤال صديقتي إليزابيث البالغة واحدًا وثلاثين عامًا. إنها تعمل محررة صحافية في نورث كارولينا. قبل أن أتمكن من الإجابة، بدأت تصف لي رجلًا يكتب لها رسائل حلوة، وتقول إنها بدأت تميل إليه من خلال ما يكتبه.

وقالت: «يستمع منتبهًا إلى ما أقوله كل يوم، ويطرح عليَّ أسئلة كثيرة عن حياتي. هذا ما أعتقد أن معظم الرجال ليسوا ماهرين في فعله. ثم إنه يرد على إيميلاتي ورسائلي كلها بسرعة وبأسلوب ذكي. يبحث عن حفلات

موسيقية لطيفة كي نذهب إليها معًا. قال إنه يجدني، بالضبط، الفتاة التي يبحث عنها. أية فتاة لا تريد سماع هذا؟».

واصلت كلامها: «لكن، في الوقت نفسه، يبدو عليه شيء من الغرابة عندما يكون معي؛ ثم إنه ملأ بيته بشعارات الولاية وفرَقها الرياضية. يبدو لي هذا أمرًا طفوليًا. كأنها غرفة فتى في المدرسة الثانوية، غرفة لا ينقصها إلا الملصقات. شيء أشبه بما نراه عند المولعين بالفِرق الرياضية. هو لا يذهب في رحلات مشي. لا يتكلم لغة أجنبية. لا شيء من هذه الأمور يبدو لي متفقًا مع فكرتي عن الرجل الذي أريد أن أكون معه. فهل أنا فتاة مثل تلك الفتيات؟».

أساسٌ للرفض

أرسل إليّ صديقي مارك، الذي هو رجل مطَلّق لديه أطفال، نسخة من المراسلات التي كانت بينه وبين ميلاني التي تعرّف عليها عبر الإنترنت. لم تتزوج ميلاني من قبل. الظاهر أنهما لمسا تقاربًا بينهما فراحا يخططان كي يلتقيا أول مرة.

ميلاني

من: ميلاني/ إلى: مارك

تاريخ الإرسال: الجمعة، 13 حزيران، 2008 – 2:21 بعد الظهر

الموضوع: رد: اللقاء

مارك... ما رأيك في أن يكون لقاؤنا غدًا السبت عند الساعة الحادية عشرة صباحًا؟

مارك

من: مارك/ إلى: ميلاني

التاريخ: الجمعة، 13 حزيران، 2008 – الساعة: 11:30 مساءً

الموضوع: رد: اللقاء

هذا مناسب لي. أراك عند المدخل

ميلاني

من: ميلاني/ إلى: مارك
تاريخ الإرسال: السبت، 14 حزيران، 2008 - 7:36 صباحًا
الموضوع: رد: اللقاء

لم أعد مهتمة. لا أريد أن أراك.

مارك

من: مارك/ إلى: ميلاني
تاريخ الإرسال: السبت، 14 حزيران، 2008 - 7:43 صباحًا
الموضوع: رد: اللقاء

ماذا؟ ماذا جرى؟

ميلاني

من: ميلاني/ إلى: مارك
تاريخ الإرسال: السبت، 14 حزيران، 2008 - 7:58 صباحًا
الموضوع: رد: اللقاء

لم أسمع منك شيئًا حتى اليوم التالي تقريبًا. يشير هذا إلى أنني لست أولوية بالنسبة إليك... هذا ليس مناسبًا لي!

مارك

من: مارك/ إلى: ميلاني
تاريخ الإرسال: السبت، 14 حزيران، 2008 - 8:10 صباحًا
الموضوع: رد: اللقاء

الحقيقة أن هذا ينبّهني إلى أن يكون لديّ هاتف بلاك بيري. فقد كنت يوم أمس بعيدًا عن كمبيوتري من الظهر حتى ساعة متأخرة من الليل لأنني ذهبت إلى حفل تخرج ابني في المدرسة، ثم ذهبت لتناول العشاء معه في المطعم. عندما لا أرد على إيميلك في غضون ساعات قليلة، ألا يمكن أن يكون معنى ذلك أنني بعيد عن كمبيوتري، أو أن حادثة قد وقعت لي، أو أنني اضطررت

للسفر إلى مكان ما، أو أنني ذهبت لحضور مناسبة مهمة، إلخ؟ السبب الممكن الوحيد هو أنني لا أعتبر الشخص الذي أرسل إليّ الإيميل مهمًا بالنسبة لي. أشكرك على هذه الطريقة في التفكير وعلى هذه الطريقة في القفز إلى النتائج من غير تروٍّ!

ميلاني

[لا رد]

سألت مارك إن كانت ميلاني قد عاودت الاتصال به بعد ذلك. قال: «بعد بضعة أيام، اعتذرت وقالت إنها كانت متوترة كثيرًا. وإنها بالغت في ردة فعلها، لكنها لا تزال غير راغبة في لقائي».

بالنظر إلى ما جاء في إيميل ميلاني، كانت «اللحظة قد ضاعت». قال مارك إن هذا النوع من «التمركز على الذات» أمر شائع. كنت في ما مضى أقابل امرأة ليس لديها أطفال؛ وقد قدّمت إليّ إنذارًا نهائيًا. إما أن أقبل دعوة أطفالي إلى عشاء عيد الفصح معهم في بيتنا، أو أن أذهب إلى عشاء عيد الفصح معها ومع أهلها. إذا قبلتُ دعوة أطفالي، فعلي أن أنسى أمر علاقتي بها».

فماذا قرر مارك؟

قال لي بنبرة جافة: «هل يدهشك سماع أننا لم نعد معًا؟».

سألت بعض النساء عن رأيهن في إيميلات مارك وميلاني وفي الإنذار النهائي الذي تلقاه مارك من صديقته السابقة. سمعت منهن كلمات من قبيل «جنون» و«تصلّب» و«أنانية».

مع ذلك، كان لا بد لنا من الإقرار بأننا لم نستطع فهم ما جعل هاتين المرأتين تحسّان إهانة: لا يمكن أن يترك «فتى الأحلام» المرأة تنتظر إيميله تسع ساعات! لا يمكن أن يفضّل «فتى الأحلام» قضاء يوم العطلة مع أحد غير محبوبته! (بكل تأكيد، لا مشكلة أبدًا إن فضّلت امرأة أطفالها على صديقها، وإذا توقع منها عكس ذلك، فهو شخص أناني).

المشكلة هي أن «فتى الأحلام» لا وجود له -خاصة لأننا نبالغ كثيرًا في

أحلامنا- وحتى إذا كان موجودًا، فهل هو حقًا الشخص الذي نوّد أن نكون معه؟ هل نريد حقًا أن نكون مع رجل ليست لديه حياة خارج علاقته بنا؟ رجل يقبل ألّا يُمضي العطلة مع أطفاله؟

لا، بالطبع. لكن، فلنتخيل الكلام الذي دار بين ميلاني و«فتاة عيد الفصح» وبين صديقاتهما في شأن ضرورة إنهاء العلاقة مع مارك.

لعل واحدة منهما قالت: «يا له من تافه!»، فوافقتها صديقاتها الجالسات معها لتناول كأس من النبيذ في بار خاص بالفتيات،بار خاص بالفتيات الباحثات عن رجال «جديرين بهن».

نعم، إنه معها

قد تبدو ميلاني حالة متطرفة، لكن كثيرات منا، ممن لديهن هذا الإحساس بالاستحقاق، غير قادرات حتى على إدراك الأمر. لقد سمعت قصة لافتة من امرأة متزوجة منذ خمس سنين:

ذهبت دانييلا، أيام عزوبيتها، إلى دعوة عشاء لدى واحدة من صديقاتها المتزوجات. أجلسوها إلى جوار رجل سرَّها الحديث معه كثيرًا، لكنها علمت بعد قليل أن المرأة الجالسة إلى يمينه هي خطيبته. كانت تلك المرأة أقل من دانييلا جاذبية وجمالًا وفطنة. (رأيي: دانييلا امرأة جذابة، ساحرة، ذكية). بعد انصراف الجميع، جلست دانييلا في الحديقة مع صديقتها صاحبة الدعوة وقالت لها إنها تعبت من مقابلة رجال «محجوزين». لم تكن قادرة على فهم السبب الذي جعل غيرها من النساء قادرات على الحصول على رجال رائعين، وأما هي فقد ظلت وحيدة.

سألت دانييلا صديقتها: «ماذا عندها من أمور غير موجودة عندي؟». كانت تعني بكلامها خطيبة الرجل الذي أعجبها. لم تتردد صديقتها في الإجابة أبدًا. قالت لها: «أمران اثنان. الأول، التفهم. والثاني، حبه». وأوضحت أن التفهم هو ما يفضي إلى الحب.

كانت صديقة دانييلا قد رأت صديقتها معجبة بعدة رجال خلال السنوات السابقة، تمامًا مثلما أعجبت بالرجل الذي كان إلى جوارها عند

العشاء؛ ولكنها كانت تعثر في كل رجل على أمر «خاطئ»، وذلك بعد مدة قصيرة من معرفتها به. كان ما سمعته دانييلا من صديقتها أشبه بجرس إنذار، فقد أدركت تلك اللحظة أن الأمر سينتهي بها وحيدة إن واصلت إطلاق الأحكام على الـ«مرشحين» المحتملين وإذا واصلت العثور على عيوب فيهم. عندما قابلت الشخص التالي، أفضت العلاقة إلى الزواج.

قالت لي دانييلا: «بعد ذلك الحديث مع صديقتي، صارت نظرتي إلى العلاقات مختلفة تمام الاختلاف. صرت أركّز على تقدير ما يعجبني في الرجل، وصرت أكثر تفهمًا إزاء الأمور التي أراها غير حسنة. أدركت أنني لم أكن أعرف كيف أقدّر أصدقائي في ما مضى».

أقرّت دانييلا بأنها لم تكن منتبهة إلى ذلك الأثر الكبير الذي يتركه إحساسها بالاستحقاق على علاقاتها العاطفية. قالت: «كنت أقول في نفسي، 'هذا لا يحقق لي كل ما أريد'، فأنفصل عن الرجل. ثم انتبهتُ عندما قابلت زوجي إلى أن استمراري على هذا الأسلوب في توقع أمور كثيرة منه بدلًا من تقدير ما هو موجود لديه لا يعني شيئًا غير أنني أدمّر نفسي بنفسي. اتخذت قرارًا واعيًا بأن أكون مسرورة بما يقدمه إلى العلاقة بدلًا من التذمر والشكوى إزاء ما لا يقدمه إليها. أدركت أنه لا يحق لي التذمر من غياب أمر من الأمور إذا كان ذاك الأمر غائبًا عندي أيضًا. قال لي ذات يوم: 'أحب أن أكون رومانسيًا، لكني لا أفهم لماذا يجب أن أتولى أمر الرومانسية وحدي في هذه العلاقة'. انتبهت عندها إلى أنني كنت أنتظر أن تكون الرومانسية آتية منه فقط مع أنها ينبغي أن تكون آتية من الطرفين».

لقد قال د. برودر إننا، في حالات كثيرة جدًا، نتوقع أن نحصل على أمور كثيرة من الرجل -تعبير متواصل عن الإعجاب، ودعوات إلى تناول العشاء، وعطلات وأسفار، ومساندة عاطفية، ومبادرات رومانسية- وأما الرجال الذين لا يلبّون هذه المعايير كلها، فنحن نصرف النظر عنهم من غير أية ضرورة تدعونا إلى ذلك.

انفصلت واحدة من النساء اللواتي تحدثت إليهن عن رجل لإحساسها

أنه لا يتصل بها ويتفقد أحوالها عددًا كافيًا من المرات أثناء النهار. لكنه كان طبيبًا، وهذا ما جعل الانفصال عنه أكثر صعوبة. كانت راغبة في شخص «متاح أكثر منه». كانت ترى أن المشكلة كامنة في أن عليه هو أن يتغير. أليس هذا غريبًا؟ لم يتبادر إلى ذهنها أبدًا احتمال أن يكون متوقَّعًا منها قدر أكبر من التفهم. لو أنها أقدمت على بضعة تغييرات من جانبها، لكان ممكنًا أن تصير أكثر سعادة وأكثر نضجًا. لكن هذا لم يتبادر إلى ذهنها.

قال لي حلاق من مونتانا: «إن هذا الموقف يؤدي إلى نفور الرجل».

قال: «من بين الذين يأتون للحلاقة عندي، هناك عدد كبير من الرجال المناسبين. لكن كثيرين منهم قالوا إنهم صاروا مستعدين للكف عن الخروج مع أية امرأة. يقولون إن المرأة الأميركية الحديثة لا تجلب إلى العلاقة شيئًا غير ذلك الجوع العميق لأن يكون الرجل كل شيء بالنسبة إليها، إلا إذا توفر لها من هو أفضل منه!».

عبّر عن الأمر نفسه طبيب أسنان عازب من أتلانتا في التاسعة والعشرين من العمر عندما قال: «تسأل المرأة دائمًا، 'أين اختفى الرجال الجيدون جميعًا؟'. وأنا أقول لها: 'لا تستطيعين رؤيتهم طالما ظل أنفك مرفوعًا في الهواء أمامك'!».

تذكرت الأحاديث التي أجريتها مع صديقات عازبات على امتداد سنين كثيرة، تلك الأحاديث التي كن يقلن فيها إن الرجال الجيدين صاروا قلائل. لكني بدأت الآن أكتشف شيئًا آخر. لعل هناك كثرة من الرجال الجيدين، لكننا نصرفهم عنا من خلال توقعاتنا المبالَغ فيها كثيرًا.

لعلنا في حاجة إلى أن نتجاوز أنفسنا!

أمر مؤسف... لكني أعلم أنه صحيح. وأنا أيضًا، عليّ أن أتجاوز نفسي. وأنا أيضًا أظنني أعاني هذا المرض الحديث. بدا واضحًا أنه لا بد لي، إن أردت الخروج مع أحدهم، من الكف عن التذمر من الرجال المتوفرين وأن أركز بدلًا من ذلك على أن تكون اختياراتي أفضل.

لكن، كيف؟

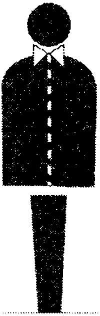

القسم الثالث

خيارات أكثر ذكاء

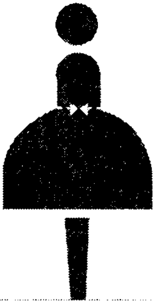

الكامل عدو الجيد

فولتير

10

لا تبالغي في التدقيق - كوني سعيدة

فيما يلي سؤالان حقيقيان طُرحا على كاتبة زاوية النصائح في مجلة «سليت»:

عزيزتي برودانس،

لديَّ مشكلة عويصة. إنني أخرج مع هذا الرجل منذ مدة تجاوزت السنتين. ظننت حينًا من الوقت أن عليَّ أن أتزوجه. إنه ذكي، طموح، لطيف، ونادرًا ما تنشأ بيننا مجادلة أو مشاجرة. لكن لديه أمورًا تجعلني أظن أنه ليس مقدّرًا لنا أن نكون معًا. انتقلت في الآونة الأخيرة كي أعيش معه في بيته، وجلبت معي حوائجي كلها فضلًا عن الحيوانات التي كانت عندي - كلبان وقطتان. أحبه، لكنني لا أحس أننا نعيش تلك العلاقة التي كانت في خيالي، العلاقة التي كنت تواقة إليها على الدوام، ولا نعيش حتى شيئًا قريبًا منها. أظن أن ما تلزمني معرفته هو: الرومانسية الخيالية، هل هي موجودة حقًا؟ أعلم أنه سيحبني ويعتني بي دائمًا. لكن، هل هذا كافٍ؟ أتكون موافقتي على الزواج منه تنازلًا من جانبي؟ لقد استمرت علاقتي السابقة زمنًا طويلًا جدًا (خمس سنين)، وكنت مدركة أننا لن نتزوج أبدًا. لا أريد الآن أن أضيّع خمس سنين أخرى مع رجل آخر كي أقرر في النهاية أننا لا يمكن أن نظل معًا. هل تعتقدين أنه ينبغي عليَّ مفاتحته في هذا الأمر؟

الحائرة

عزيزتي الحائرة،

تفاتحينه كي تقولي له ماذا؟ «هل تستطيع، من فضلك، أن تكون أكثر شبهًا بالأمير الساحر؟». ما لم تكن لديكِ فكرة ملموسة عما يستطيع فعله كي يساعدك في تحقيق خيالاتك... أشياء من قبيل الزهور كل يوم جمعة أو قصائد يضعها على وسادتك، فلن يستطيع عاقل أن ينصحك بإطلاعه على رغبتك في تلك الرومانسية الخيالية. إن الصفات التي قلتِ إنها متوفرة فيه - الذكاء، والطموح، واللطف، وقلة المشاجرات، صفات قادرة (بكل تأكيد) على جعله يبدو أشبه بالأمير الساحر في نظر نساء كثيرات. ثم، يا عزيزتي، لاحظي أنه رحّب بحيواناتك عندما انتقلت كي تعيشي في بيته. وأما في ما يتصل بسؤالك، هل ذلك النوع من الرومانسية الخيالية ممكن الوجود؟ - فسوف أقول لك إن وجوده ممكن. الحقيقة أنني عشت شيئًا من هذا. لكن هذا لا يدوم، ويا للأسف! لا تمثل تلك الخيالات بالنسبة إلى العيشة الرومانسية أكثر مما تمثله الألعاب النارية بالنسبة إلى سماء الليل. إنها حالات عابرة. صحيح أنها تبعث نشوة مؤقتة، لكن ما من أحد يستطيع أن يبني حياته عليها.

برودانس

مرحبًا يا برودانس،

أمضيت بعض الوقت وحيدة بعد وصول زواجي الذي استمر ثماني سنوات إلى نهايته، ثم تلت ذلك سلسلة مواعيد مع رجال يبدون رائعين أول الأمر (تعليم جيد، وذوق يشبه ذوقي في الكتب والموسيقى والفنون، إلخ). لكنهم كانوا رجالًا مضجرين نتيجة غرابة سلوكهم الاجتماعي، أو مضجرين بذاتهم. والآن، أتاني من أظنه «رجلًا مناسبًا»؛ وأنا أراه منذ سنة تقريبًا - رجل لطيف، يقدّرني ويستمع إليّ جيدًا، فضلًا عن أنه عاشق عظيم. لكن المشكلة

الوحيدة التي أواجهها هي أنني أفتقد معه ذلك القدر من المشاركة الثقافية التي كنت أستمتع بها كثيرًا مع زوجي السابق. إنه منفتح على الذهاب معي إلى المتاحف والمسارح التي تثير اهتمامي، لكنني لا أستطيع أن أتوقع منه أية أفكار جديدة فيما يتصل بهذه التجارب. ينبغي دائمًا أن أطلبها منه طلبًا. أحب رجلي الجديد، ولا أريد التقليل من قيمة صفاته الرائعة الكثيرة، لكننا أمضينا معًا سنة كاملة فصرت قلقة من احتمال أن أملَّ هذه العلاقة التي لا تحفزّني من الناحية الثقافية. أتظنين أنني أبالغ في التركيز على عيب صغير، أم أن هذا يبدو شبيهًا بانتظار ظهور المشكلات؟

صاحبة الشكّ الملحّ

عزيزتي صاحبة الشك الملحّ،

لو قلت لي إن لديك رجلًا لطيفًا، يقدرك ويستمع إليك جيدًا، فضلًا عن كونه ناقدًا ثقافيًا لامعًا، لكنه خيبة أمل في السرير، لقدمت إليك إجابة مختلفة. من الواضح لي أنك كنت تستطيعين مع زوجك السابق الحديث عن آخر العروض المسرحية حتى طلوع الفجر، لكن هذا لم يفلح في الحيلولة دون وصول علاقتك به إلى نهاية مزعجة. أنت لا تقولين لي إن رجلك الحالي غير ذكي أو غير مثقف! كل ما في الأمر هو أن اهتماماته الثقافية مختلفة عن اهتماماتك. فأين المشكلة؟ إذا كنت راغبة في مناقشة معمّقة لمسرحية أو معرض فني، فما عليك إلا أن تدعي إلى العشاء ثنائيًا آخر، كي تتحدثوا جميعًا في ذلك. أو يمكن أن تذهبي إلى عرض من العروض مع صديق أو صديقة ممن يشاركونك تلك الحماسة. من المحتمل كثيرًا أن يكون رجلك قد كتب إليّ قائلًا إنكما متوافقين في أمور كثيرة، لكن حبيباته السابقات كلهن كن شديدات البراعة في التزلج على الجليد، وكن مولعات بمراقبة الطيور. وقد

يقول لي إنه يتساءل عما إذا كان، بعد فترة من الزمن، سيحس قدرًا من عدم الرضا لأنه استقر مع امرأة ليس لديها ما يضاهي المهارات التي كانت لديهن في هذه الأمور. ألن تكوني راغبة في القول له، «لا تفرّط بما لدينا الآن من أجل التزلج على الجليد!»؟ وأما إذا كنت راغبة في بدء البحث من جديد كي تعثري على «الرجل غير المكتشَف بعد» الذي يلائمك من كل ناحية فأظن أن امرأة أقل منك إفراطًا في التدقيق سوف تكتشف سريعًا أن رجلك «الذي يُحتمل أن يكون مناسبًا لك» شريك ممتاز بالنسبة إليها.

برودانس

بحسب عالم اجتماع اسمه باري شوارتز، يتألف العالم من نوعين من البشر: المبالغون والراضون. يمكن القول إن هاتين المرأتين اللتين تطلبان النصيحة تبدوان نموذجًا كلاسيكيًا للمبالغين. حقيقة الأمر أن هناك عددًا كبيرًا من النساء العازبات، وأنا منهن، منتميات إلى فئة المبالغين.

ليس هذا أمرًا حسنًا، خاصة في ما يتصل بالمواعدة والعلاقات العاطفية.

في كتابه «*مفارقة الاختيار: لماذا يكون الأكثر أقل*» الذي يصح وصفه بأنه «يفتح العين»، يشرح شوارتز الفرق بين المبالغين والراضين على النحو التالي: لنقل إنك تريدين شراء كنزة جديدة. تقررين أنها ينبغي أن تكون ملتصقة بجسدك، أنيقة، لا تثير الحكة، لونها جميل، وكذلك أن يكون ثمنها مقبولًا. لنقل أيضًا إن على تلك الكنزة أن تتناسب مع بنطلون بعينه موجود عندك. تدخل «الراضية» إلى متجر أو اثنين، وتعثر على كنزة تلبي تلك المعايير كلها، ثم تشتريها.

أنجزت المهمة.

أما المرأة المبالغة فهي تدخل متجرًا من المتاجر وتجد كنزة تلبي تلك المعايير كلها، لكنها لا تلبث أن تقول لنفسها، «*هذه الكنزة لطيفة. ولكن، قد يكون من الأفضل أن أذهب وألقي نظرة على ذلك المتجر الظريف الذي لا*

يبعد كثيرًا عن هذا المكان. ربما أجد هناك ما يعجبني أكثر من هذه الكنزة. ربما أجد شيئًا يباع بسعر مخفَّض». تخبئ المرأة المبالغة تلك الكنزة الجميلة أسفل كومة من الكنزات الأخرى (حتى لا يأتي أحد غيرها فيراها ويشتريها)، ثم تذهب لإلقاء نظرة في المتجر الآخر (أو في خمسة متاجر أخرى).

الآن... قد تظنون أن الأمر سينتهي بالمرأة المبالغة إلى شراء كنزة أفضل من الكنزة الأولى ـ في نهاية المطاف، لا يمكن إنكار أنها نظرت في عدد أكبر من الاحتمالات ـ لكن الأمر لا يسير على هذا المنوال بالضرورة. لا تبحث المرأة الراضية عن أفضل شيء على الإطلاق مع أن لديها معايير عالية. الفرق بينها وبين المرأة الأخرى هو أنها تتوقف عندما تجد شيئًا يلبي تلك المعايير العالية.

أرادت كنزة أنيقة؛ وقد عثرت عليها. هي لا تتساءل إن كانت تستطيع العثور في متجر آخر على شيء أكثر أناقة. أرادت شيئًا ضمن مجال السعر المقبول؛ وقد وجدت ما أرادت. لا تتساءل إن كانت تستطيع أن تحصل على «قيمة أفضل» في متجر آخر. أرادت كنزة لائقة عليها؛ وقد وجدتها. هي لا تتساءل إن كانت تستطيع العثور في متجر آخر على كنزة «لائقة أكثر». لكن المرأة المبالغة ستنفق ثلاث ساعات أخرى، أو ثلاثة أيام، في البحث عن الكنزة المثالية؛ وذلك على الرغم من أنها قد لا تجد شيئًا أفضل، وأنها قد تعود لشراء الكنزة الأولى التي خبأتها تحت كومة الكنزات. «ستشتريها إذا كانت الكنزة لا تزال موجودة، لأن من الممكن أن تكون قد بيعت. من الممكن أن تكون المرأة الراضية قد اشترتها!».

لكن، دعونا نقول إن المرأة المبالغة قد عثرت على كنزة أكثر أناقة، ولو قليلًا، أو على كنزة أخفض ثمنًا. فهل تكون أكثر سعادة بما اشترته إن هي قورنت بالمرأة الراضية وسعادتها بما اشترته؟

يقول شوارتز إن من المحتمل ألّا تكون تلك المرأة أكثر سعادة. هذا لأن المرأة المبالغة لا تكون راضية إلا بالحصول على أفضل شيء على الإطلاق، في حين تكون المرأة الراضية مسرورة بأن تحصل على كنزة جيدة. وبما أن

المرأة المبالغة لا يمكن أبدًا أن تكون واثقة ثقة تامة من أنها حصلت على أفضل شيء على الإطلاق (لا سبيل إلى رؤية كل كنزة معروضة في المدينة بأسرها، فضلًا عن أن موديلات جديدة ستظهر في واجهات المتاجر في الأسبوع التالي وقد تعجبها واحدة منها أكثر مما تعجبها أفضل كنزة وجدتها الآن) فإن العملية كلها تكون مشوبة بقدر كبير من القلق.

في غضون ذلك، علينا أن نفكر في ما أنفقته تلك المرأة المبالغة من زمن وطاقة قبل أن تستطيع اتخاذ قرارها. ومن أجل ماذا؟ من أجل خمسة بالمئة أفضل، أو من أجل ثمن أقل بعشرة دولارات. يعني هذا أنها أهدرت طاقتها ووقتها من أجل شيء لا أهمية له على المدى البعيد. فبدلًا من أن تفرض على نفسها ذلك «العذاب كله»، كان في وسعها أن ترتدي كنزة أنيقة دافئة. وكان من الممكن أيضًا أن تنال بضع عبارات إعجاب.

أما الآن، ولأنها بذلت ذلك الجهد كله من أجل العثور على الكنزة المثالية، فإن ما تتوقعه يصير أكثر كثيرًا لأنها انتقت «الكنزة التي تناسبها تمامًا». يشبه هذا حال المرأة التي تقول: «لقد انتظرت هذا الزمن كله من أجل الحصول على الرجل المناسب، ولن أقبل الآن بأي تنازل». كلما انتظرت تلك المرأة أكثر، وكلما بحثت أكثر، كلما صار على الكنزة -أو على الرجل- أن تكون «أفضل». لا يرغب أحد في تحمل هذا العناء كله كي ينتهي به الأمر إلى كنزة «لا بأس بها» أو إلى رجل «لا بأس به»، أي إلى كنزة (أو رجل) كان في وسعها أن تحصل عليها وتستمتع بها منذ زمن بعيد. هذا سبب وجيه جدًا لشراء الكنزة الجميلة الجيدة إلى حد لا بأس به، واختيار الرجل الجيد إلى حد لا بأس به، وذلك فور ظهور تلك الكنزة أو ذلك الرجل.

ولكن، هل يمكن تشبيه الرجل بالكنزة؟

لا بأس! لا بأس! الكنزة ليست علاقة عاطفية. هذا أمر واضح. لكن، وسواء أكان الأمر متصلًا بالكنزة أم بالشريك في علاقة رومانسية، فإن للمرأة الراضية فرصة أكبر من المرأة المبالغة لأن تكون سعيدة في حياتها.

عندما تجد المرأة الراضية ما تريد فهي تتقبّل ما وجدته، حتى إن لم يكن مثاليًا. وأما المرأة المبالغة، فإما أن تواصل البحث عن شخص أفضل فلا يستقر رأيها على أي شخص، أو أن تختار شخصًا لكنها تعيش قلقًا دائمًا من أن تكون قد تنازلت. لا تفهم المرأة المبالغة أن عدم الحصول على مئة بالمئة مما تريد ليس أمرًا «مقبولًا» فحسب، بل هو الأمر الطبيعي في الحياة.

عندما اتصلتُ بباري شوارتز في كلية ثوارثمور حيث يعمل أستاذًا، قال لي إن مأزق المرأة المبالغة يكون على النحو التالي: «أنت دائمة البحث والنظر كي تري إن كان هناك ما هو أفضل. كلما نظرت أكثر، كلما قل ارتياحك إزاء شريكك أو شريكك المحتمل... حتى عندما يكون ليس بأقل جودة، عند المقارنة، من الأشخاص الذين تنظرين إليهم».

لهذا السبب (على غرار ما رأينا عند المرأتين اللتين كتبتا إلى محررة زاوية النصائح في «سليت») من الممكن أن تبقى المرأة المبالغة سنوات مع أحدهم، لكنها تظل غير متأكدة إن كانت تريد الزواج منه. تقول إن عليها أن «تكون واثقة». لكن شوارتز يقول إن المشكلة ليست في «عدم ثقتها» من إحساسها إزاء ذلك الشخص تحديدًا. المشكلة هي أنها غير واثقة من أن «شخصًا أفضل» يمكن أن يظهر لها في يوم من الأيام. ففي نهاية المطاف، هل تضيف سنة أخرى -بعد سنتين من عمر العلاقة- أية معلومات جديدة مهمة عن الشريك الحالي؟ وهل ستظهر للمرأة صفة لم تكتشفها بعد لأن شريكها كان يخفيها طيلة هذا الزمن؟ أم أنها ستمضي تلك السنة الإضافية في حالة من التردد مثلما أمضت السنة التي قبلها؟

بدلًا من أن تسأل نفسها «هل أنا سعيدة؟»، يكون السؤال الذي تطرحه المرأة المبالغة على نفسها «هل هذا أفضل ما أستطيع؟». إنها تعيش ما يدعوه شوارتز «الندم قبل اتخاذ القرار». وهو يعبر عن الأمر في كتابه على النحو التالي: «تتخيلين كيف سيكون إحساسك إذا اكتشفت أن خيارًا أفضل كان متاحًا لك. قد تكون تلك القفزة التي تقوم بها المخيِّلة هي كل ما يلزم لأن تغرق المرأة في لجّة عدم اليقين».

سياسة «إعادة الزوج»

يتعامل بعض الناس مع الخوف من الندم عن طريق اتخاذ أفضل ما يستطيعون من احتياطات: يعيشون معًا حتى يتمكنوا من أن يقرروا في وقت لاحق إن كانوا يريدون الالتزام التام. يشترون «الكنزة التي لا بأس بها» طالما كانوا قادرين على إعادتها. قد يقولون إن عيشهم معًا يوفر لهم مزيدًا من المعلومات عن مدى التوافق بينهم على المدى البعيد. بل من الممكن أيضًا أن يقولوا إنهم شديدو الحرص على أن يكون زواجهم ناجحًا، وهذا ما يدفعهم إلى فعل كل ما يستطيعون فعله كي يصيروا واثقين من أن هذا هو الخيار السليم. ولكن، هل يؤدي عيشهم معًا إلى تزويدهم بذلك الوضوح؟

يقول «مركز مكافحة الأمراض والوقاية منها» إن معدل الطلاق بين الناس الذين يعيشون معًا قبل الزواج أعلى بمقدار اثني عشر بالمئة من معدل طلاق من لا يعيشون معًا قبل الزواج. وتقول دراسة نشرها في شهر تشرين الثاني من سنة 2008 عالم الاجتماع في جامعة كورنيل دانييل ليختر إن معدل طلاق النساء اللواتي عشنَ مع أكثر من رجل تبلغ ضعفي معدلات طلاق النساء اللواتي لم يفعلن ذلك.

فما هي حقيقة الأمر؟

إن لدى شوارتز قصصًا يرويها. وهو يعتقد أن الناس الذين يقررون أن يعيشوا معًا كي يكون ذلك «فترة اختبار» يمكن أن يكونوا أشخاصًا مبالغين، أي أشخاصًا يريدون أن يكونوا واثقين من أنهم يحصلون على «الأفضل»، لكنهم لا يستطيعون أن يكونوا راضين حقًا. فضلًا عن هذا، فإن الانطلاق من عقلية «إمكانية الإعادة» - «إذا لم تعجبني السلعة، فسوف أعيدها»- يمكن أن يجعل الناس أقل رضا عندما يقررون المضي قدمًا والزواج. وقد حدثني عن دراسة استشهد بها في كتابه: وجدت تلك الدراسة أن الناس يكونون أكثر رضا بالسلع التي لا يستطيعون إعادتها منهم بالسلع القابلة للإعادة.

وقد ورد في كتابه: «يكاد أي إنسان يفضل الشراء من متجر يسمح بالإعادة على الشراء من متجر لا يسمح بها. لكن ما لا ننتبه إليه هو أن فرصة السماح لك بتغيير رأيك تبدو كأنها تزيد احتمالات أن تغير رأيك. عندما نكون قادرين على تغيير آرائنا فيما يتصل بقراراتنا، نصير أقل رضا عن تلك القرارات».

لكن، وبحسب رأي شوارتز، «عندما يكون القرار نهائيًا -لنقل إنه قرار الزواج بدلًا من المساكنة- فإننا نمر بمجموعة عمليات نفسية تعزز إحساسنا بصحة القرار الذي اتخذناه إذا ما قورن بالبدائل التي كانت متاحة».

بكلمات أخرى، كلما ازداد الوقت الذي تمضيه في حالة عدم اتخاذ قرار، أي في التفكير في أن رجلًا بعينه قابل «للإعادة» ولأن يستبدل به رجلًا آخر، كلما ازداد احتمال تركيزك على عيوبه. النتيجة هي أنك لن تجدي أحدًا من غير عيوب. قد يبدو واحد من الناس رائعًا، فإذا قارنته المرأة برجل آخر أذكى منه لكنه أكثر ميلًا إلى السلبية، فسوف يبدو الخياران كلاهما أقل جاذبية. سوف يبدو الرجل الأول أقل ذكاء؛ وسوف يبدو الرجل الثاني أقل ميلًا إلى المبادرة! لا صعوبة في الاختيار بين «جيد جدًا» و«سيىء جدًا». لكن الصعوبة الكبيرة كامنة في الاختيار بين أمرين جيدين جدًا. إذا وضعنا سلعتين جيدتين جدًا جنبًا إلى جنب ورحنا نقارن بينهما، فسوف تبدو لنا السلعتان متواضعتين.

وبحسب تعبير شوارتز، «تستطيع قدراتنا التحليلية أن تحوِّل أمورًا رائعة إلى أمور متواضعة».

كل «ثمانية» تصير «ستة» مع الزمن

والآن، دعونا ننظر مرة أخرى إلى المرأة التي ذكرتها في بداية هذا الكتاب، تلك المرأة التي كتبت قائلة لي إنها لا تبحث عن «عشرة من عشرة»، «ثمانية من عشرة» ستكون أمرًا عظيمًا. في واقع الأمر، كانت

تخرج مع رجل هو «ثمانية من عشرة». فلنتذكر مشكلتها: *لكن، ماذا لو كنت أريد ثمانية مختلفة؟* تدرك تلك المرأة أن عليها أن تقبل بتنازلات لكنها، في مكان عميق في ذهنها، تتساءل إن كانت تستطيع التنازل من أجل الحصول على شيء أفضل. لعلها تستطيع ذلك! بكل تأكيد، ثمة اختلاف بين «أن يكون الإنسان واقعيًا» وبين أن يكون مع شخص لا يناسبه أبدًا. لكن من الجائز أيضًا أن تلك المرأة كانت تعاني مشكلة كثرة الخيارات إلى حد جعل الخيارات «الجيدة جدًا» تبدو لها أقل جاذبية.

قال لي شوارتز إن هناك احتمالًا آخر: لعلها واقعة في تلك العملية النفسية التي يسمونها «التكيف».

وأوضح: «ثمة أمور نعتادها فنعتبرها أمورًا مضمونة مفروغًا منها». يشبه هذا سير المرء في مكان مكيّف الهواء في يوم حار جدًا وتفكيره في أن تكييف الهواء أروع شيء في العالم كله، لكنه بعد ساعة واحدة من ذلك ينسى أمر تكييف الهواء. هذا لأنه يعتاد وجوده فلا يعود أمرًا رائعًا في نظره... إنه أمر متوقع، أو مفروغ منه. في البداية، كان تكييف الهواء «عشرة من عشرة»، وأما الآن فقد صار «خمسة من عشرة» فقط.

على نحو مماثل، بالنسبة إلى المرأة التي أرادت «ثمانية مختلفة» فمن الممكن أن تكون «ثمانيتها» قد صارت الآن «ستة» فقط.

قال لي شوارتز: «سوف يبدو أي شخص جديد شخصًا أفضل، لكن مؤقتًا. الأمر الذي يتعين عليها أن تتذكره هو أن كل ثمانية تصير ستة مع مرور الزمن. تستطيعين أن تستبدلي ثمانية جديدة بالستة التي عندك، لكن تلك الثمانية سوف تصير في آخر الأمر ستة، وسوف تصيرين راغبة في أن تستبدلي بها ثمانية أخرى». ولكن، إذا كان لديك توقع واضح يقول إن الثمانية الجديدة سوف تتحول إلى راحة الستة، وإلى عادية الستة، فلن يخيب أملك. فمن خلال إقرارك بأنك سوف تتكيفين مع أي شخص يقع عليه اختيارك، لا يعود انتقاء «الأفضل» بدلًا من «الجيد جدًا» أمرًا بالغ الأهمية.

فكرة شوارتز هي أن النساء الراضيات لا ينتهي بهن الأمر إلى شراء كنزات أقل جودة مما ينبغي؛ ولا إلى انتقاء رجل أقل جودة مما ينبغي. إنهن سعيدات لعلمهن أن «جيد بما فيه الكفاية» تعني «جيد بما فيه الكفاية». تدرك تلك النساء أن ما من شيء كامل في الحياة،لا العمل، ولا الأصدقاء، ولا الكنزات، ولا العرسان. من هنا يصير الاستقرار هو الخيار الجيد المتاح، ويصير تقدير ذلك الخيار المتاح حق قدره أمرًا منطقيًا جدًا.

الأشخاص المبالغون السامُّون

لكن منصفين: من الممكن أيضًا أن يكون الرجال أشخاصًا مبالغين. من منّا لا يعرف ذلك الرجل الذي يخرج مع سلسلة من نساء تبدو كل واحدة منهن رائعة، لكنه يظل غير قادر على الالتزام بأية واحدة. مع هذا، يقول شوارتز إن المشكلة ليست كامنة في أولئك الرجال تحديدًا. المشكلة هي أن نساء كثيرات يهدرن أوقاتهن في محاولة الحصول على أولئك الرجال ويهملن «الرجال الراضين» الذين يمكن أن يسعدوهن. يحدث كثيرًا أن تخرج نساء مبالغات مع رجال مبالغين، لكنهن يكتشفن أن فيهم عيوبًا، أو يكتشف أولئك الرجال أن في تلك النساء عيوبًا. لا يمكن أن يتكوَّن ثنائي ناجح من شخصين شديدي التدقيق.

هذا جزء من سبب نشوء الوهم القائل بأننا سنلتقي «الرجل الصحيح» إذا انتظرنا فترة كافية. فمنطق هذا التفكير هو أن الأشخاص الذين يظلون «متروكين» إلى وقت لاحق هم «أفضل» لأنهم كانوا شديدي التدقيق (الحقيقة أنهم لم يجدوا حتى الآن من يعتبرونها «جيدة إلى الحد الكافي»). لكن من المرجّح أن يكون عكس ذلك هو الصحيح. فالناس الذين يتزوجون في سن مبكرة، أي الذين عرفوا كيف يتنازلون ويتفاوضون كي يدوم زواجهم، هم الذين من المرجّح أن يكونوا أقل تطلبًا من أولئك الذين أحسوا أنهم غير قادرين على العثور على من هو «جيد إلى الحد الكافي». وهم أيضًا أميَل إلى أن يكونوا شركاء أفضل، وآباء وأمهات أفضل. من

المرجّح أيضًا أن تكون العيشة معهم أكثر متعة على امتداد خمسين سنة. هذه كلها أسباب تدعو المرء إلى أن يبحث عن «الشخص الراضي» وإلى أن يكون «شخصًا راضيًا».

قال لي شوارتز: «كثيرًا ما يظن الناس أن عليهم أن يختاروا بين صفتين اثنتين، كالمظهر والذكاء. لكن من المحتمل كثيرًا أن تكوني سعيدة مع شخص لديه درجة مقبولة من الصفتَين معًا». بكلمات أخرى، لا يطالبك أحد بأن تختاري بين شخص يحوز درجة ثلاثة من حيث المظهر ودرجة ثمانية من حيث الذكاء، وشخص آخر يحوز درجة ثمانية من حيث المظهر ودرجة ثلاثة من حيث الذكاء. معظم الأحيان، تكونين أمام الاختيار بين شخص يحوز ستة من حيث المظهر وسبعة من حيث الذكاء، لكنه يحوز ثمانية في ما يتصل بشخصيته ونمط حياته. شخص جذاب تمامًا لكنه بعيد عن الدرجات القصوى وبعيد عن الدرجات الدنيا.

هذا ما يعتبره الأشخاص المبالغون تنازلًا غير جائز. يريدون درجة ثمانية في كل شيء. إلّا أن الأشخاص الراضين يعتبرون هذا الأمر «صفقة جيدة». المفارقة هنا هي أن الأشخاص المبالغين هم الذين ينظرون، بعد سنين، إلى الأشخاص الراضين (الراضين بشركائهم وأسرهم وحياتهم) ويقولون: «أتمنى لو استطعت الحصول على ما حصلوا عليه». الحقيقة أنهم كانوا قادرين على الحصول عليه. لكن الأشخاص المبالغين قد فوّتوا على أنفسهم تلك الفرص... بكل بساطة.

ففي آخر المطاف، ليس الرضا تنازلًا وقبولًا بشخص ليست لديه الصفات التي تبحثين عنها. الرضا هو العثور على شخص «جيد بما فيه الكفاية» لا على شخص هو «كل شيء».

الزواج: استعراض اللعبة

عندما سألتُ ستيفن مارتين (واحد من علماء السكان في جامعة ميريلاند) عن سبب ازدياد عدد النساء العازبات في كل فئة من فئات العمر،

قال لي إنه ليس مطّلعًا على بيانات كافية، لكن لديه نظرية شخصية. يعتقد ستيفن أن نساء كثيرات ينظرن إلى الزواج بالطريقة التالية:

لنقل إنك تفترضين أن حياتك ستشهد عشرين علاقة عاطفية. ولنقل إنك تحاولين في كل مرة أن تتخذي قرارًا. مثلًا، إذا كان الرجل رقم 3 أفضل من الاحتمالات التي يمكن أن تظهر مع الرجال السبعة عشر الذين بعده، فقد نجد نساء يستقر اختيارهن على الرجل رقم 3 لكن تساؤلًا يظل في أذهانهن على الدوام: أليس محتملًا أن يكون واحد من الرجال الباقين (من 4 حتى 20) خيارًا أفضل؟ قد تتجاوز نساء غيرهن الرجل رقم 3 وينتهين إلى الرجل رقم 20، لكن كل واحدة منهن تمضي زمنًا طويلًا جدًا في التساؤل عما إذا كان تجاوزها الرجل رقم 3 غلطة كبيرة. وستكون هناك نساء يصلن إلى زمن يكفُّ فيه أحد عن محاولة الخروج معهن. هكذا هي مسألة الاختيار: إذا لم تختاري شيئًا، فسوف تظلين من غير شيء.

يقول ستيفن: «أظن أن هذا يعني قدرًا كبيرًا من الحزن والندم».

بكل تأكيد، هذا ما جرى لي. في الماضي، لم يساعدني ذلك التردد والعجز عن اتخاذ قرار الوصول إلى «خيارات مواعدة أفضل»، ولن يساعدني على اتخاذ قرارات أفضل في المستقبل. فعلى الدوام، ستكون هناك «كنزة جميلة دافئة» أخرى في متجر آخر! إن كان لديّ ما أنا واثقة منه ثقة تامة، فهو أنني لا أريد التجمّد بردًا أثناء بحثي اللانهائي عن الكنزة المثالية.

11

أيام الاثنين مع إيفان

الجلسة الثانية - الفرضيات الخاطئة

قال لي إيفان عندما عاد يوم الاثنين من أجل جلستنا التدريبية التالية: «عليكِ أن تفعلي شيئًا من أجل ردة فعلك التلقائية». أراد أن يعرف السبب الذي جعلني غير قادرة على اختيار واحد من كل عشرين رجلًا قال لي كمبيوتري إنهم مناسبون لي. أراد كل منّا أن يفهم ما جعلني أجد صعوبة كبيرة في التخلي عن مَيلي إلى أن أكون «امرأة مبالغة».

من ناحية، كانت هناك حقيقة ما أواجهه: لم يكن الرجال الذين قيل لي إنهم مناسبون مثلما اعتدت أن يكونوا من قبل. فخلافًا لنصيحة إيفان، كتبت إيميلًا إلى الرجل الوسيم ذي الأربعين عامًا الذي وجدته في الجلسة السابقة، ذلك الرجل الذي قال إنه يريد مقابلة امرأة لا يتجاوز عمرها خمسة وثلاثين عامًا. مثلما توقع إيفان، لم يرد ذلك الرجل على إيميلي.

قلت لإيفان إنني أجريت تجربة اجتماعية (إذا لم نقل تجربة مازوخية): خلال يوم واحد من أيام الأسبوع الماضي، أقدمت على تغيير عمري المذكور في الموقع إلى واحد وثلاثين عامًا، فتلقيت ردودًا من رجال كثيرين بدا لي أنهم لافتون. وأما عندما عدت إلى عمري الحقيقي -واحد وأربعين عامًا- فقد كان أفضل خيار واعد أتاني رجلًا في الثالثة والخمسين كان يعمل معلمًا وكانت فكرته عن الذهاب في عطلة تتلخّص في المقامرة في لاس

فيغاس؛ لكنه كان صاحب نكتة، ويحب الأطفال. لم أغير في بروفايلي شيئًا غير سنّي: الصور، والكلام، بل حتى حقيقة أن لي طفلًا، ظلت كلها على حالها! أردت أن أصير «امرأة راضية» لكني وجدت صعوبة كبيرة في تقبل الخيارات التي تظهر لي عندما أصرّح بأنني في الحادية والأربعين.

قال إيفان: «بالطبع، سيكون الأمر أكثر صعوبة. لكن، عليك أن تفكري فيه على النحو التالي: قد تكون 'قيمتك في السوق' أدنى مما كانت منذ عشر سنين، لكنها أيضًا أعلى كثيرًا مما ستكون عليه بعد عشر سنين من الآن. بالتالي، أريد منك أن تحاولي الامتناع عن التعجل في إطلاق الأحكام. هذا لأنني لا أريد أن يتكرر هذا الحديث بيننا عندما تصيرين في الحادية والخمسين، أي عندما تتساءلين عما كان يجعلك ترفضين أولئك الرجال الذين كانوا متاحين لك عندما كنت في الحادية والأربعين».

الحقيقة أنني كنت قد ارتكبت تلك الغلطة بالفعل. فقبل بضعة أيام، كتبت إلى محام وسيم في الأربعين، له بروفايل رائع في موقع المواعدة. استبدت بي الحَماسة عندما رد على إيميلي... إلى أن قرأت رسالته. كان يذكرني بأنه وجدني عبر الإنترنت قبل خمس سنين، وأرسل إلي إيميلًا. تبادلنا عددًا من الإيميلات، ثم تكلمنا هاتفيًا. رأى يومها أن كل شيء سائر على أحسن ما يرام. لكنه طلب مقابلتي في آخر تلك المكالمة الهاتفية فغمغمت بكلام غريب مرتبك مفاده أنني لا أظننا متوافقين.

تذكرت الأمر (تذكرًا غامضًا) عندما قرأت إيميله، لكني لم أستطع فهم السبب الذي جعلني غير راغبة في الخروج معه. من المحتمل أنه كان سببًا سخيفًا، شيئًا من قبيل أنني لم أحس «كيمياء هاتفية» فورية فاستنتجت من ذلك أن خروجي معه سيكون مضيعة للوقت. وأما الآن، فهو الرجل الأكثر إثارة للاهتمام من الرجال الذين أستطيع العثور عليهم عبر الإنترنت. لكنه لم يكن مرحّبًا باستعادة التواصل بيننا. هذه المرة جاء دوره في القول «لا، شكرًا».

بالتالي، كنت أدرك أن إيفان محق ـ ففي وقت لاحق، سأكون نادمة على عدم التفكير في الرجال المتاحين لي الآن. على الرغم من ذلك، كنت

أحس أن من المهين لي أن أتلقى إيميلات من رجال أكبر مني كثيرًا، رجال يمكن أن أكون ابنتهم.

سألني إيفان: «لماذا تجدين هذا مهينًا لك؟ فلنقل إنك جامعة هارفارد. ولنقل إنك تتلقين كل سنة خمسة وعشرين ألف طلب انتساب. لا تحس جامعة هارفارد أية إهانة عندما يتقدم إليها شخص كانت درجاته في المدرسة متدنية. بكل بساطة، تكتب الجامعة إلى ذلك الشخص رسالة تقول «نشكرك على تقديم طلبك». لا تغضب الجامعة من الناس الذين يتقدمون بطلبات انتساب إليها مع أنهم غير مؤهلين لذلك. لكن الفرق الأكبر أهمية بينك وبين جامعة هارفارد هو أن هارفارد تقبل كل سنة تسعة بالمئة من المتقدمين إليها، لكنك لا تقبلين تسعة بالمئة من المتقدمين إليك. في هذه اللحظة، أنت تقبلين اثنين بالمئة فقط».

كان هذا صحيحًا! فمن بين خمسين شخصًا قرأت بروفايلاتهم، لم أراسل إلا شخصًا واحدًا هو الرجل الذي لفت نظري في جلستنا السابقة على الرغم من كوني رأيت أنه قد يكون «مفرط الرومانسية». تبادلنا بضعة إيميلات جيئة وذهابًا، ثم اختفى ذلك الرجل. يا لها من رومانسية!

قال لي إيفان: «دعينا نلقي نظرة على من يقول لك الموقع إنهم مناسبون. أنا واثق من أننا نستطيع جعلك مهتمة بعدد منهم».

ردة الفعل

كان واضحًا أن لديَّ ردات فعل لا أستطيع السيطرة عليها. رفضت الشخص الأول الذي توقف عنده إيفان لأن فيلمه المفضل كان «*لقد تلقيت رسالة*».

سألت إيفان: «أي رجل هذا الذي يختار واحدًا من أفلام ميغ رايان الموجهة إلى النساء الشابات ويقول إنه فيلمه المفضل؟ لاحِظ أنه ليس فيلمًا من أفلام كثيرة تعجبه... إنه فيلمه المفضل!»

قال إيفان: «عليَّ أن أعاقبك بصدمة كهربائية كلما أطلقت حكمًا بهذه الطريقة، ثم إنني أحب ذلك الفيلم أيضًا».

«لا، أنت لا تحبه!». لم أستطع تصديق هذا. لا يعقل أن يكون رجل مثل إيفان معجبًا بذلك الفيلم!

قال إيفان: «بل أعجبني فعلًا. الحقيقة أنه واحد من أفلامي الرومانسية المفضلة. هل يجعلني هذا شخصًا غير مناسب لأن تخرج معي أية امرأة؟»

«لا، لكن لأن هذا ليس إلا شيئًا ليس من طبيعتك. لست صاحب ذوق رديء، فأنا أعرف الأفلام الأخرى التي تعجبك. بشكل عام، أنت لست واحدًا من الأشخاص الذين يحبون ذلك النوع من الأفلام».

«كيف تعرفين أن هذا الرجل ليس مثلي؟».

«الحقيقة، الحقيقة أنني لم أكن أعرف ذلك». وجدت نفسي عاجزة عن مناقشته. أضفت ذلك الرجل إلى قائمتي.

قال لي إيفان: «عليَّ الآن أن أقول لك شيئًا. كان ما قلته مزاحًا، لا أكثر».

وددت أن أقتله. قلت له: «هل يعني هذا أن فيلم *'لقد تلقيت رسالة'* لا يعجبك؟»

«لم أشاهده أبدًا».

«أكرهك».

سألني إيفان: «لا بأس، لكن هذا جعلك تفكرين، أليس كذلك؟»

«لا أزال أكرهك».

ابتسم إيفان ابتسامة المنتصر، وقال: «إنني أقوم بعملي، يا عزيزتي. لا يجوز أن تستبعدي رجلًا لأن ذوقه في الأفلام يخالف ذوقك. لا يعني هذا ما تظنين أنه يعنيه. لعله كتب ما كتبه لاعتقاده أن هذا يعجب النساء ويجعلهن يعتبرنه شخصًا حساسًا. أو، لعله كتب هذا لأنه معجب بميغ رايان. من يدري؟ عليك أن تكفّي عن التورط في فرضيات خاطئة».

إنه بروفايل في موقع انترنت... ليس قصة حياة!

قال لي إيفان إن مشكلتي هي التالية: أبتكر قصص حياة كاملة لهؤلاء الأشخاص استنادًا إلى قدر قليل جدًا من المعلومات. إذا كان الرجل قد

درس في واحدة من كبرى الجامعات، فأنا أفترض أنه شديد الرقي. ليس هذا صحيحًا بالضرورة! وإذا وجدت شخصًا يحب أفلامًا تافهة، فأنا أفترض أن له ذوقًا رديئًا في كل شيء، أو أن لنا مزاجَيْن مختلفين تمامًا. من جديد، ليس هذا صحيحًا بالضرورة. إذا أخطأ رجل في الإملاء، أفترض أنه ليس ذكيًا على الرغم من حقيقة أن صديقتي جوي تزوجت رجلًا لامع الذكاء يخطئ في الإملاء. الحقيقة أنها تعرفت عليه من خلال موقع «Match.com»، لكنه كان قد جعل واحدًا من أصدقائه يدقق ما كتبه في بروفايله قبل أن ينشره، وذلك حتى يكون خاليًا من الأخطاء. بعد أن تعرفت جوي عليه، علمت أنه يرتكب أغلاطًا إملائية كثيرة، لكنها كانت قد رأت بنفسها شدة ذكائه.

قالت لي جوي: «كدت أفوّت على نفسي فرصة التعرف على زوجي لأن من المستحيل أن أرد على إيميله لو أنني رأيت النسخة الأصلية من بروفايله والأخطاء الكثيرة التي كانت فيها. فضلًا عن ذلك، لا يعني كون الشخص ماهرًا في الكتابة أنه سيكون رفيقًا رائعًا. لم أعرف قبله أشخاصًا يجيدون الكتابة إلا وكانت لديهم مشكلات. لم يكن أي واحد منهم صديقًا رائعًا».

هذا بالضبط ما جعل إيفان يقول لي إن فرضياتي خطيرة جدًا. قال: «إن كان الرجل لا يحسن الكتابة، فهذا لا يعني أنه سيكون زوجًا سيئًا. ثمة أنواع مختلفة من الذكاء». كنت مدركة أنه محق. أعني، لو كانت في زمن أينشتاين مواقع إنترنت للمواعدة، فكيف سيبدو ما يكتبه فيها؟ تذكرت أزواج صديقاتي الذين هم رجال أذكياء جدًا لديهم مؤهلات رفيعة. لا فكرة عندي أبدًا إن كانوا يجيدون الكتابة من غير أخطاء إملائية!

اقترح عليَّ إيفان أن أنظر في موقع «Nerve.com» إن كنت راغبة في العثور على رجال مثقفين لهم بروفايلات ذكية خالية من الأخطاء. لكنه قال إن ذلك الموقع يبعدني عن الرجال الأصغر سنًا، فضلًا عن أنه قد لا يكون موجهًا بما يناسب إنشاء علاقات عاطفية. قال لي إن موقع «.Match

com» خيار جيد بالنسبة إليّ لأنه يشبه المول التجاري: كل شيء موجود في المول! وأما موقع «Nerve.com» فهو أشبه بـ«بوتيك» عصري.

سألني إيفان بعد أن نقر على بروفايل شخص آخر: «ما رأيك في هذا الرجل؟»

قلت: «لا أجده جذابًا».

«حقًا! ابتسامته لطيفة».

ضحكت وقلت: «يشبه هذا أن تقول، 'لديه فمٌ'. هل تعلم؟ ليست له ابتسامة لطيفة؟ ابتسامات الناس لطيفة دائمًا، إلا من فقد بعض أسنانه الأمامية».

«ما الذي تجدينه غير جذاب في هذا الرجل؟»

نظرت إلى صورته مرة ثانية فلم أجد فيه شيئًا غير جذاب. كل ما في الأمر هو أن مظهره بدا لي عاديًا. إضافة إلى ذلك، لم يكتب ذلك الرجل شيئًا في خانة «مستوى الدخل».

قلت لإيفان: «ليس لديه مال. لا أستطيع إعالة شخص إضافي. أنا أعيل نفسي وأعيلِ طفلي. أريد أن أكون مع شخص قادر على إعالة نفسه. يقول إن لديه عملًا مستقلًا يديره بنفسه؛ ويمتنع عن ذكر مقدار دخله».

سألني إيفان: «كيف تعلمين أن لا مال لديه؟ أنت الآن تضعين فرضية جديدة قد لا يكون لها أساس في الواقع. أعرف رجالًا كثيرين يتركون هذا الحقل خاليًا لأنهم لا يريدون تلقي إيميلات من النساء لمجرد أنهم يجنون مالًا كثيرًا».

قلت له: «في هذه الحالة، من المحتمل ألا تأتيهم إيميلات كثيرة من النساء. فكر في الأمر: لا يريد الرجل امرأة تراسله من أجل ماله، ولا تريد المرأة رجلًا يراسلها من أجل مظهرها. ولكن، إذا لم تنشر المرأة صورة لها، فلن يراسلها أحد! عندما تخفي المرأة صورها، يفترض الرجل أنها غير جذابة. وعندما يخفي الرجل دخله، تفترض المرأة أنه من غير مال. لكل منا فرضياته».

أطلق إيفان زفرة طويلة: «افترضي ما تشائين، لكن من الممكن أن تفوتي على نفسك رجلًا مستقرًا من الناحية المادية لكنه لا يحب إخبار الجميع عن دخله. انظري إلى هذا الرجل. لديه شهادة جامعية في إدارة الأعمال. أنا واثق من أنه ليس فقيرًا. شعارك هو: 'أطلق النار أولًا، وأطرح الأسئلة بعد ذلك'. لكن من الممكن أن تصوّبي على هدف ليس مناسبًا لك».

عندما يقول رجل إنه «سعيد»، فهذا لا يعني أنه مثليّ

سألته: كيف أعلم ما هو الهدف المناسب؟ أوَليس مفترضًا أن أسترشد بهذه البروفايلات؟ لا أستطيع كتابة إيميلات إلى عشرة آلاف رجل موجودين في هذا الموقع. لا بد لي من وضع فرضيات استنادًا إلى ما كتبوه هنا.

قال إيفان: «صحيح. لكن فرضياتك غالبًا ما يكون فيها قدر من سوء الفهم... من يحب *ألعاب الحظ ينبغي أن يكون جَدًّا. كل من تعجبه الكتب الصوتية شخص لا يقرأ كتبًا حقيقية*».

كنت مدركة أن النصائح التي يعطيني إياها إيفان جيدة لي، لكني صرت الآن في مزاج رديء. بدا واضحًا جدًا لي أنني كنت أبحث عن أمور «خاطئة» في الرجال عندما كنت أصغر سنًا. والآن، بدلًا من كوني سعيدة في زواجي من رجل جيد، ها أنا هنا أجلس وأنفق زمن استراحة الغداء أيام الاثنين في تصفح بروفايلات في الإنترنت وإلى جواري مدرّب مواعدة. لقد تعبت من البحث عن «الرجل الصحيح» ومن محاولة فهم ما «يعنيه» أن يكون من محبي ألعاب الحظ أو من محبي «قراءة الكتب الصوتية». جعلتني محاولة فهم ما «يعنيه» أي شيء أحس دوارًا واكتئابًا.

قلت لإيفان وأنا أفتح بروفايلًا آخر: «هل ترى هذا الرجل؟ يبدو لي أنه لا بأس به. لكن، أتعلم ماذا؟ أتذكر أنه موجود هنا منذ عشر سنين. ما مشكلته؟ لماذا لا يستطيع أن يجد لنفسه صديقة؟ إنه موجود في هذا الموقع منذ عشر سنين!».

أجابني: «وأنت أيضًا لا تزالين منتظرة منذ عشر سنين. لكنك لم تكوني كذلك في كل لحظة خلال تلك المدة. كانت لك ثلاث علاقات استمرت زمنًا طويلًا؛ وقد عدتِ إلى اثنتين منهما بعد الانفصال. لعل هذا ما جرى له أيضًا. لعله انفصل مؤخرًا عن امرأة ظل معها سنتين كاملتين. عليك أن تكفّي عن هذه... »

قلت له: «تريد القول: كفّي عن هذه الفرضيات! أفهم هذا».

بدا لي بالفعل أن قسمًا كبيرًا من فرضياتي كان غير موفق أبدًا، وأنه سيكون عليَّ توخّي قدر من الحذر إزاء الفرضيات إذا كنت راغبة في العثور على أحد. لذا، عدت إلى «قائمة الرجال المفضلين عندي» كي يرى إيفان الرجال الذين ظننت أنهم قد يكونون مناسبين لي. كان الأول شخصًا يعمل في التسويق؛ وقد بدا شخصًا ذكيًا لافتًا، فضلًا عن تمتعه بإحساس ذكي بالفكاهة. شعره خفيف بدأ الشيب يغزوه؛ ووزنه زائد بعض الشيء. كان واضحًا أنه يبدو أكبر سنًا مما كتبه: ستة وأربعون عامًا. لكن رسالة ظهرت لي عند ذلك. قالت تلك الرسالة إنه لم يعد موجودًا على الموقع. لم أستطع تصديق هذا.

قلت لإيفان: «حتى هذا الرجل لم يعد موجودًا! شيء مدهش. لقد عثر على إحداهن».

قال إيفان آملًا أن يجعلني أضحك: «هذا دليل يثبت أن هناك نساء أقل ميلًا إلى إطلاق الأحكام. أو لعله خرج من الموقع لأنه سيسافر مدة ثلاثة أسابيع».

نقر إيفان على بروفايل رجل آخر. قال: «هذا الرجل يبدو لي لافتًا». بدا الرجل لافتًا بالفعل، لكن صورته جعلتني أتردد.

سألت إيفان: «يبدو لي أنه واحد من المثليين، ألا يبدو لك هذا؟»

قال إيفان: «يبدو رجلًا سعيدًا».

«صحيح. لكن هل يبدو لك مثليًا؟»

«في وجود ابنته بين ذراعيه، لا أظنه كذلك».

بدا لي الرجل مثليًا، تمامًا. قلت: «لا أبالي إن كان قد تزوج وأنجب طفلة. لعل زوجته طلقته بعد اكتشافها أنه مثليّ!»

قال إيفان: «ها أنت تخترعين قصص الحياة هذه من غير استناد إلا إلى هذا البروفايل! قد يكون شخصًا مثليًا لكن، ما من شيء في بروفايله يقول لنا إنه كذلك. من الواضح أنه ليس ممن يحبون الإفراط في إظهار رجولتهم. لكن هذا لا يجعله مثليًا. أدرك أن الأمر صعب. وأدرك أنك -بما أنك امرأة في الحادية والأربعين تحاول الاستفادة من موقع «Match.com»- مضطرة إلى التعامل مع متلاعبين وأشخاص يخشون الالتزام ورجال غير مستقرين من الناحية المالية ورجال لا مبالين، ورجال غير منسجمين اجتماعيًا، ورجال في نفوسهم مرارة من طلاق سابق، ورجال أكبر منك كثيرًا، ورجال لا يريدون أطفالًا... اضطرارك الآن إلى التعامل مع أولئك الرجال أكبر مما كان قبل عشر سنين. انظري في صندوق بريدك! لست أخبرك أمرًا لا تعرفينه من قبل. ولكن، هل تم أخذ الرجال الجيدين جميعًا؟ ليس تمامًا. إلا أنك لن تعثري على واحد منهم إذا واصلت وضع الفرضيات».

اكتشاف إن كان الرجل جيدًا أم سيئًا

يعتقد إيفان أن الناس يضعون فرضيات لسبب بعينه، ألا وهو أن المواعدة أمر مرهق. تريد أن تعرف المرأة منذ البداية إن كان هذا الرجل هو «رجلها المثالي»، وذلك مع أن ما من معلومات لديها غير ما كتبه في بروفايله في الموقع.

قال لي: «تريدين أن تقرأي آخر صفحة في الكتاب قبل قراءة الصفحة الأولى. لكنك لا تستطيعين هذا... *أريد أن أعرف فقط إن كان رجلًا ذكيًا. أريد أن أعرف إن كان مستعدًا للالتزام!* تريد المرأة معرفة ما سوف يحدث... *إذا قابلت هذا الرجل*، فسوف يكون *كذا أو كذا!* يعني هذا أنك تضعين فرضيات في ما يتصل بالصفحة الأخيرة من الكتاب؛ لكن عليك أن تقرأي الكتاب كي تعلمي ما سيحدث في النهاية».

لقد عبرت صديقتي كيثي عن هذا الأمر نفسه لكن بطريقة مختلفة. قالت: «لا تعلمين شيئًا عن الاحتمالات الممكنة قبل أن تجلسي مع الرجل. وحتى عندما تجلسين معه، فعليك إدراك أن التردد في البداية يعني رفضًا أكيدًا».

واصل إيفان البحث فوجد أبًا عازبًا في الثالثة والأربعين لديه طفلان اثنان. كان شخصًا مناسبًا من ناحية سنه. منفتحًا على فكرة الخروج مع امرأة ليست أصغر منه كثيرًا (لكني لاحظت أيضًا أنه مستعد للخروج مع امرأة في الثلاثين). يعمل في المحاسبة، أو شيء من هذا القبيل. مظهره لطيف. وسيم إلى حد معقول. أدرج في بروفايله مقتطفًا أعجبني.

قال إيفان عندما هممت بالكلام: «أعرف ما تريدين قوله. لديه أخطاء إملائية! لكن عليك أن تتغاضي عن هذا الأمر. هل أنت موافقة؟»

قلت: «لا مشكلة. أحاول أن أكون منفتحة».

«أنت تحاولين، لكنك استبعدت منذ عشرين دقيقة واحدًا من الرجال بسبب الفيلم الذي قال إنه يفضله».

أعدت قراءة ما كتبه ذلك الأب العازب. كان ذلك شيئًا عاديًا جدًا، شيئًا لا يلفت انتباهي في الأحوال العادية. قال لي حدسي إنه مضجر. لكن حدسي «الذكي» هذا لم يفلح بعد في العثور على زوج من أجلي.

قال إيفان: «لديك خياران اثنان: تستطيعين صرف النظر عن مزيد من الأشخاص الذين يحتمل أن يجعلوك سعيدة. أو تستطيعين الانتظار إلى أن يظهر لك واحد من أولئك الرجال الذين لا تتجاوز نسبتهم اثنين بالمئة والذين يفترض أنهم يلبّون شروطك. وعليك أن تأملي أن يحس واحد من الاثنين بالمئة أنك مناسبة له. حتى بعد ذلك، من الممكن أن يكون الناس الذين تفترضين أنهم يلبّون شروطك غير مناسبين لك في واقع الأمر. انظري إلى من خرجتِ معهم فيما مضى! أريد أن تفكري في هذا الأمر إلى أن يحين موعد لقائنا التالي».

فور انصراف إيفان، كتبت إيميلًا وأرسلته إلى ذلك الأب العازب. وبعد

بضعة إيميلات -الأسئلة المألوفة بين شخصين غريبين- تكلمنا هاتفيًا. لا أزعم أن مكالمتي الهاتفية مع مايك كانت عظيمة جدًا. ففي الواقع، وإذا كنت قد ألغيت موعدي مع ذلك المحامي الوسيم منذ بضع سنين فقط لمجرد أنني لم أجد مكالمتي معه جذابة جدًا، فقد كانت لديّ أسباب أقوى تدعوني إلى عدم مواعدة مايك.

علمت أثناء مكالمتنا أنه من المعجبين بفرقة موسيقية لا أحبها أبدًا - رجل في الثالثة والأربعين يحب هذه الفرقة! لا يعجبني هذا أبدًا! وعندما علم باسم الجامعة التي ذهبت إليها، قال لي: «أووووه! أنت واحدة من أولئك الناس الأذكياء!». قالها بطريقة مزعجة. هذا أوحى لي (هكذا خمّنت) أنه ليس من *أولئك الناس الأذكياء*. فضلًا عن هذا، كان يُكثر من استخدام التورية في كلامه.

ولكن، كانت لديه أشياء حسنة أيضًا. اكتشفنا أن لدينا ميولًا سياسية مشتركة وأن كلًا منا متفانٍ من أجل أطفاله - كان لديه ولدان. قال لي إنه يعمل استشاريًا في ميدان الأعمال، لكنه عمل منذ سنين منتجًا، أي إن فيه (هو أيضًا) جانبًا إبداعيًا. كان الكلام معه يسيرًا. وجدته شخصًا لطيفًا يتفهم كثرة انشغالي. عرض عليَّ أن نتقابل في مكان قريب من بيتي مع أن هذا يعني اضطراره إلى قيادة السيارة مسافة طويلة وقت الزحام. لذا عندما سألني إن كنت راغبة في مقابلته، لم أتردد أبدًا. قلت: نعم.

صار لدينا موعد مساء يوم الجمعة.

12

الرجال الذين «أفلتوا مني»

الآن، بعد أن صرت موشكة على لقاء مايك، بدأت أفكر في الرجال الذين لم أقبل رؤيتهم نتيجة الفرضيات التي وضعتها عنهم.

تذكرت عدة أشخاص. وكلما ازداد تفكيري في الرجال الذين لم أقابلهم أبدًا، كلما ازددت انتباهًا إلى أنني كنت أيضًا أضع فرضيات في شأن الرجال الذين آمل أن أقابلهم وأخرج معهم. كان هناك رجال افترضت من عندي أنهم غير مناسبين لي. وكان هناك رجال افترضت أنهم كاملون، أنهم لا مثيل لهم.

قررت أن أراجع حواري مع بضعة رجال من الماضي كي أرى كم كانت فرضياتي صحيحة.

آندي- الرجل الذي افترضت أنه غير ظريف بما يكفي

قابلت آندي عندما كنت في الثانية والثلاثين. كنت وقتها قد انتقلت للعيش في مدينة جديدة. نصحتني واحدة من صديقاتي أن أتصل به كي يكون لدي من يُعرّفني على موطني الجديد. شربنا القهوة معًا أول مرة وتحدثنا ثلاث ساعات. كان ممكنًا أن يستمر حديثنا ثلاثين ساعة! كان رجلًا ذكيًا، لافتًا، طريفًا جدًا. وكان لديّ إحساس فوري بالراحة، لكنها أشبه بتلك الراحة التي يمكن أن أحسها مع «صديق قديم» لا مع رجل يمكن أن تجمعني به علاقة عاطفية. لم يكن آندي من النمط المفضل

عندي. ممتلئ الجسم قليلًا، وله لحية صغيرة. شخص فيه شيء من أولئك المولعين كثيرًا بالدراسة، أو بالعمل. كان شديد التعلق بالكمبيوترات.

الغلطة الأولى: افترضت أنه ليس ما أريده في الزوج. بعد أسبوع من ذلك، قلت له عندما عبَّر عن اهتمام عاطفي بي، إنني «لا أفكر فيه بهذه الطريقة».

ومع الوقت، صرت وآندي صديقين حميمَيْن. صار كل منا يفهم الآخر جيدًا. كان كل منا قادرًا على إكمال جملة الآخر، وكان يعرف ما يفكر فيه الآخر. كان كل منا قادرًا على جعل الآخر يضحك. يروي كل منا للآخر قصصًا طريفةً، ونكاتًا، وتفاصيل ما جرى في يومه؛ وكنا نتبادل الآراء في كل شيء، من السياسة إلى العلاقات العاطفية. لكننا كنا، في نظري، صديقين حميمين، ولا شيء غير ذلك. لم أقل في نفسي مرة واحدة: «أريد أن أكون في علاقة عاطفية مع آندي». لكني كنت أرى نفسي محظوظة جدًا لأننا صرنا صديقَين.

بعد فترة وجيزة من ذلك، بدأتُ مواعدة شخص اعتبرته «جذابًا». كان صاحب ميول فنية؛ وكان شخصًا مثيرًا، غير تقليدي إلى حد مغر. في تلك الفترة تقريبًا، التقى آندي امرأة جميلة، ذكية، لطيفة. ولم يطل الأمر قبل أن تصير علاقته بها حصرية.

ثم مضى عام ونصف عام فانفصلت عن صديقي (الذي كنت أعتبره شديد الجاذبية). انفصلت عنه عندما اتضح لي أن ما كان يجعله مثيرًا في نظري هو نفسه ما كان يجعله شخصًا يصعب الاعتماد عليه. ثم إن ما كان يجعله شخصًا ساحرًا غير تقليدي هو نفسه ما جعل فكرة الزواج منه وإنجاب أطفال فكرة غير عملية. وأما آندي، فقد عاش فترة صعبة لأنه لم يكن واثقًا من أن جودي هي الفتاة المناسبة له. فهل هي مغرية إلى الحد الكافي؟ وهل بينهما اهتمامات مشتركة إلى الحد الكافي؟ ألا ينبغي أن يبحث لنفسه عن فتاة غيرها، عن فتاة تشبهه؟ كان وقتها في الرابعة والثلاثين، وكان مستعدًا للزواج؛ لكنه لم يرد أن يخطئ في اختيار

زوجته. كان يقول أحيانًا: «أين أستطيع العثور على واحدة مثلك؟»؛ لكننا كنا نضحك بعد ذلك، نضحك كأننا نعتبر هذا السؤال نكتة «خاصة» في ذلك الوقت، نكتة بيننا فقط. صار لي صديق في ذلك الوقت، واعتقدت أنني واقعة في حبه.

سألني آندي ذات يوم إن كنت راغبة في الخروج لتناول العشاء معه. فهمت أن أمرًا قد وقع. قال لي في إيميله: «لديّ أنباء مهمة». توقعت أن يكون قد قرر أخيرًا أن ينفصل عن جودي. لكننا جلسنا في المطعم فكان هذا ما قاله إعلانًا عن خطوبته: «جودي وأنا قررنا الزواج. يريد كل منا الأمور نفسها التي يريدها الآخر». يومها، بدا لي هذا إعلانًا هزليًا. لا أذكر أنني سمعت في حياتي كلها أحدًا يقول: «سوف أتزوج!» بطريقة أقل رومانسية. قلت له: «أهنئكما»؛ لكني حزنت عليه في سري وقلت في نفسي إنه قرر التنازل والقبول بما تيسر له. أتذكر إحساسي بأنني لا يمكن أبدًا أن أتنازل بهذه الطريقة كي أستقر. أتذكر تفكيري في أن آندي وجودي سوف ينتهي بهما الأمر إلى الطلاق، بكل تأكيد، لأنهما لم يعيشا تلك الفترة الأولى من الإثارة المدوِّخة الكفيلة بالمحافظة على الزواج مستمرًا رغم المشقات.

الغلطة الثانية: افترضت أن آندي «شخصٌ مُبالغ» مثلي.

لكن ما فاجأني هو أن آندي ظل يبدو لي راضيًا فعلًا على امتداد تسع سنين بعد ذلك. وبعد انتقالي عائدة للعيش في لوس أنجلوس من جديد، كنت أتلقى منه إيميلات فيها صور له ولجودي، ومعهما أطفالهما الثلاثة. بدلًا من الإشفاق الذي كنت أحسه إزاء آندي، صار شعوري الآن مزيجًا من الحسد... والتشوش. أيكون حقًا شخصًا سعيدًا مثلما يبدو لي في صوره؟ ألا يحس وحدة في زواجه من امرأة وصفها لي ذات مرة، في ما مضى، بأنها «باهتة»؟

عندما سألته عن ذلك، شرح لي الأمر على النحو التالي: «إنها باهتة بطرق لا أهمية لها عند وضعها ضمن منظور الصورة الكبيرة. أنا كثير الكلام، أحب المزاح والثرثرة، ولي ردات فعل شديدة على بعض

الأمور... وهي ليست كذلك. كانت لهذا الأمر أهمية أكبر أثناء علاقتنا قبل زواجنا. حتى الآن، سيكون أمرًا لطيفًا أن تكون هذه الصفات موجودة في زوجتي، لكن دورها بسيط جدًا في حياة الزواج اليومية، أي إن أهميتها صارت الآن قليلة جدًا».

هل زواجه مثالي؟ لا. لكنه لم يكن ينتظر من زواجه أن يكون مثاليًا. «لي أصدقاء كثيرون تزوَّجوا، ثم اكتشفوا أنهم لم يحصلوا على ذلك الزواج الأسطوري الذي تخيلوه، فصاروا غير راضين. صاروا كأنهم يقولون: 'ماذا؟ ليس هذا ما أردته. ليس هذا ما كان متوقعًا'!».

قال لي آندي إنه كان واثقًا من رغبته في الزواج من جودي؛ فمع أنهما لم يعيشا مرحلة «الألعاب النارية» العاطفية الشديدة (بالتأكيد، كانت «الكيمياء الجسدية» موجودة بينهما)، فقد كانت علاقتهما عامرة بأحاسيس السكينة والراحة. لقد ترعرعا في المنطقة نفسها، وكانت هناك معرفة بسيطة بين والديها ووالديه. كانت تربيته تشبه تربيتها أيضًا.

قال لي آندي: «عندما رأيت صورها في طفولتها وقارنت بينها وبين صوري في طفولتي، أحسست كأننا في صورة واحدة. هذا ما جعلني مرتاحًا للأمر كله. هذا ما جعلني أحس أنني لا أزال في بيتي، في موطني. إن فيها صفات كثيرة مما كنت أبحث عنه – أخلاقها، وحسّها المهني، وتنشئتها العائلية المتينة، وجاذبيتها، ولطفها. وأما بالنسبة إلى الأمور التي لم تكن موجودة لديها، فقد قلت في نفسي: «هل ستكون هذه الأمور مهمة فعلًا بعد خمس سنين من الآن؟»

يعتقد آندي أن الأشخاص القادرين على التكيّف يصلون إلى زيجات أفضل، وذلك لأن الأولويات تتغير مع مرور الزمن. قال لي: «بالنسبة إلي، كان إنجاب أطفال نقطة تحول جوهرية. بعد أن صرت أبًا، بدأت أدرك أن الأمر لم يعد متعلقًا بي وحدي. صار وجودي مع أم جيدة لأطفالي أولوية أهم كثيرًا من أن تكون زوجتي 'نجمة لامعة' في دعوات العشاء».

يتذكر آندي أنه، أثناء فترة مواعدته جودي، كان يتردد كثيرًا على واحد

من المتاجر الكبيرة التي تبيع وتؤجّر أقراص دي في دي. كان يمضي أزمانًا طويلة جدًا في قراءة ما هو مكتوب على أغلفة تلك الأقراص ولا يستطيع تقرير الفيلم الذي يريد استئجاره. وعندما يتوصل أخيرًا إلى انتقاء واحد من الأفلام، يكون قد ضيّع زمنًا طويلًا إلى حد لا يترك له وقتًا لمشاهدة ذلك الفيلم عندما يعود إلى البيت. هذا ما جعله يفكر على النحو التالي: «هل أنت ذاهب لشراء أفضل فيلم على الإطلاق، أم إنك ذاهب لاستئجار فيلم والعودة به إلى البيت لمشاهدته؟ كم من الوقت ستبقى في المتجر قبل أن تستطيع اختيار فيلم؟». قال لي إنه أدرك كيف يكون التساؤل عما إذا كان قادرًا على الوصول إلى نتيجة أفضل أمرًا يشبه التعذيب لأن المرء يصير لديه إحساس يقول له إنه قادر في كل لحظة على «التحسين»: يقايض بشيء «سلبي» يعرفه شيئًا «سلبيًا» آخر لا يعرفه.

... «كنت قلقًا لأن جودي ليس لديها عدد من الصفات التي كنت راغبًا فيها. لكني، أدركت أيضًا أن من الممكن أن أنفق كل ما بقي من حياتي في العثور على أسباب تدفعني إلى تقرير عدم العيش مع فلانة أو فلانة أو فلانة. كلما كبرت في السن، كلما ازددت إدراكًا لحقيقة أن الحياة قصيرة. وأنا أحس الآن أنني كنت صاحب حظ ممتاز في حياتي. قد لا تشاركني زوجتي حب الثرثرة والمرح، لكن بيننا رابطة رائعة جدًا قائمة على النظر إلى أطفالنا وهم يكبرون. غريب جدًا كم نبدو شخصين متشابهين فيما يتصل بعلاقتنا بأطفالنا. لا أظنني سأكون مرتاحًا إلى هذا الحد فيما يتصل بشؤون الحياة اليومية لو كنت مع امرأة أكثر إثارة؛ بل لعلنا كنا سنظل مختلفين طيلة الوقت. أفضل كثيرًا زواجي هذا على أي زواج آخر. لقد اتخذت قرارًا واعيًا بتقدير الأمور التي أحبها لدى جودي، تلك الأمور التي أرى أن لها قيمة كبيرة. قررت أيضًا أن الأشياء غير الموجودة لديها لا تستحق أن أحس نفسي بائسًا لأنها غير موجودة. لدي أصدقاء لا يزالون ينفقون زمنًا طويلًا على أفكار من قبيل: *ماذا عن تلك الفتاة التي كانت معي في المدرسة الثانوية؟* فيبحثون عن أخبارها في غوغل! صحيح أن هذا

أمر مغر. لكن على المرء ألا ينسى أن الإنترنت ليس إلا نسخة عصرية من مسرح الدمى - نسخة فيها عدد كبير جدًا من الشخصيات الحقيقية».

صرت الآن أنظر بطريقة مختلفة تمامًا إلى الجملة التي قالها لي آندي منذ سنين عندما أعلن أمامي عن قراره بأن يتزوج جودي، «جودي *وأنا قررنا الزواج. يريد كل منا الأمور نفسها التي يريدها الآخر*». أنظر إلى موقع الإنترنت الخاص بأسرته فأحس غيرة لأنني أتمنى، أنا أيضًا، أن أجد شخصًا يريد تلك الأمور نفسها التي أريدها. المفارقة هي أن صفات آندي التي كنت أجدها «غريبة» هي نفسها صفاته التي أجدها الآن جذابة. تبدو لي استشهاداته السخيفة بعبارات مأخوذة من الأفلام أمرًا لطيفًا جدًا، وأرى أن ترددها على مسامع الأطفال أمر ممتع. ميله الشديد إلى الأغاني التي لا تصحبها الموسيقى وإلى الأفلام التي يصنعها الهواة صار الآن عنصرًا لطيفًا مضحكًا في مقاطع الفيديو التي ينشرها. ثم إن قلة الرقة والنعومة في سلوكه هي ما يجعله شريكًا صادقًا جديرًا بالثقة. وبالمناسبة... لم يعد شخصًا زائد الوزن، ولم تعد له تلك اللحية الصغيرة. بكل تأكيد، أراه الآن رجلًا وسيمًا.

لست أريد القول إن آندي «شقيق روحي»، ولست أقول إن الأمر سينجح لو كنا في علاقة معًا. لست أقول إلا إنني أتمنى لو أنني فكرت في هذا الاحتمال عندما كان لا يزال قائمًا. أتذكر الماضي فلا أكاد أستطيع تصديق أنني عرفت في حياتي رجلًا أحببت قضاء الوقت معه ذلك الحب كله، رجلًا يريد في حياته ما أردته في حياتي من أمور - لكني لم أفكر حتى في أن تكون لي علاقة عاطفية معه. لا يزال آندي حتى الآن واحدًا ممن أحب الكلام معهم. لو استطعت العودة في الزمن، لما ترددت لحظة واحدة في الخروج مع شخص مثل آندي، لا لأن ذلك سيكون تنازلًا مني (أو قبولًا بما هو متيسر لي)، بل لأن الأمور التي أراها الآن مهمة صارت مختلفة عما مضى. ليتها كانت مختلفة منذ زمن طويل!

مات- الشخص الذي افترضت أنه كامل

لو قلت إنّ مات كان رجلي المثالي، لكان ذلك أقل من الحقيقة. كان رجلًا لامعًا، مبدعًا، طريفًا، ناجحًا، وسيمًا، وكان يعرف كيف يسخر من نفسه... على الورق؛ فأنا لم أعرفه يومها. لم أكن قد التقيته أبدًا، لكني قرأت عنه في مقالة في واحدة من المجلات ذات الطباعة الفاخرة. قلت في نفسي: *هكذا هو الرجل الذي أتمنى أن أكون على علاقة عاطفية به.*

بطبيعة الحال، كنت أدرك أن تلك الخيالات كلها عن شخص غريب تمامًا ليست إلا ضربًا من التوهم؛ لكن الحقيقة هي أنني لا أزال راغبة في الارتباط بشخص مثل مات! لو سألني أحد وقتها إن كنت أظن ذلك التفكير واقعيًا، لقلت له لا؛ لكني سأكون كاذبة على مستوى من المستويات. كنت خلال تاريخ علاقاتي كلها أتغاضى عن الرجال الذين يشبهون آندي أملًا في الحصول على واحد يشبه مات.

بعد نحو عشر سنين من ذلك، كنت أنظف صناديق قديمة في مكتبي فعثرت على تلك المقالة التي اقتطعتها من المجلة عندما كنت في الحادية والثلاثين. هممت برميها لكن، بعد كلامي مع إيفان في شأن فرضياتي الخاطئة، بحثت عن مات في غوغل كي أرى أين صار. إنه الآن في الخامسة والأربعين؛ ومثلما تنبأتْ له تلك المقالة، صار مات مهندسًا معماريًا معروفًا مشهودًا له. لا يزال شديد الوسامة. له ابن واحد. وها هو إيميله موجود في موقع شركته في الإنترنت. كتبت إليه رسالة أخبرته فيها عن كتابي وسألته إن كنت أستطيع التحدث إليه. أجابني برسالة طريفة عبّر فيها عن استعداده لأن يكون «فريستي».

واو! فتى أحلامي ورجل لطيف أيضًا!

اعتقدت أنه قد حظي بكل شيء - المظهر الحسن، والشخصية، والموهبة، والسحر، وأسرة محبة. وقلت في نفسي إن زوجته امرأة فازت بـ«الجائزة الكبرى».

تقابلنا، وتحدثنا، فرأيت أن كل ما ظننته كان صحيحًا. لا يزال مات

رجلًا ساحرًا، فطنًا، جذابًا مثلما تخيلت أن يكون. امتدت دقائق اللقاء الثلاثون التي طلبتها فصارت ثلاث ساعات. كان مات -بالضبط- من ذلك النوع من الرجال الذي تمنيته دائمًا. لكنه (انتبهوا إلى هذا) لم يكن متزوجًا. لم يتزوج أبدًا. لقد كان ابنه ثمرة حمل غير مقصود: والدة ابنه واحدة من صديقاته السابقات. نعم، كان مات رجلًا عازبًا، مُتاحًا.

هل يعقل هذا؟ كيف يمكن ألّا يستطيع رجل شديد الجاذبية من نواح كثيرة أن يعثر على شريكة له؟ كلما طال حديثنا، كلما صار الأمر واضحًا لي. لقد كان «رجلًا مبالغًا» إلى حد كبير. ما من امرأة جيدة إلى الحد الكافي في نظره... لا صديقته التي حملت منه (كانت امرأة «ساحرة، ذكية» لكنها «حساسة على نحو يزعجني» وكانت «يداها كبيرتين كثيرًا ـ لم تجذبني تلك اليدان»)، تلك الصديقة التي هي الآن متزوجة وسعيدة بزواجها (أظنها متزوجة من شخص قادر على التعامل مع حساسيتها ومع يديها الكبيرتين)؛ ولا تلك الصديقة السابقة التي كانت «فيها أمور صغيرة 'خاطئة' طيلة الوقت، أمور من قبيل الاتجاه الذي ينبغي اتخاذه في رحلة، «وهذا مما يدل على قلة كفاءتها»؛ ولا تلك الصديقة السابقة الأخرى التي لها طريقة في التواصل مختلفة عن طريقته. لعله كان غير متوافق أبدًا مع تلك النساء، لكن واحدة من علاقاته السابقة دامت خمس سنين، ودامت علاقة أخرى سبع سنين!

إذًا، لا بد أن تكون في هاتين العلاقتين بضع نواحٍ إيجابية... أليس هذا منطقيًا؟

قال مات موضحًا الأمر: «ليست المشكلة أنني غير قادر على البقاء مع أحد. لكني أحسست في ذلك الوقت أنني سأكون قد رضيت بتنازلات كبيرة إن قررت البقاء. لا أعاني أية صعوبة في العثور على امرأة أستمتع بالعيش معها، امرأة راغبة في أن تكون معي. إلا أن هذا يجعل المرء يعيش في عالم يقول فيه لنفسه: أستطيع أن أرمي هذه في البحر وأن أعثر على غيرها».

يبلغ مات الآن خمسة وأربعين عامًا. وقد قال لي إن أكثر أصدقائه الذين من سنّه تزوجوا وصار لهم أطفال. قال إنه يسأل نفسه دائمًا لماذا لم يتزوج هو أيضًا؟

أيعقل أن يكون ذلك لأنه لم يلتق الفتاة المناسبة حقًا؟ أم إنه لم يكن واقعيًا إلى حد كافٍ؟

قال لي بعد أن صمت طويلًا: «أظنني شخصًا واقعيًا. لقد كنت على الدوام، مشدودًا إلى النساء الذكيات، القادرات، الناجحات، الفطنات، المنفتحات، الإيجابيات. وأنا لست شخصًا يقول إنه لا يمكن أبدًا أن يخرج مع امرأة مطلقة، أو مع امرأة لديها أطفال. ليست لدي أية قواعد من هذا النوع».

سألته إن كان يمكن أن يجد نفسه مهتمًا بامرأة ذكية، فطنة، لكنها أقل منه نجاحًا. أجابني قائلًا إن هذا أمر ممكن، من الناحية النظرية. لكنه، إن أراد الصدق، ليس شديد الثقة من هذا الأمر.

قال لي مات مُقرًا بذلك: «أظنني صرت أقل استعدادًا للتنازل والقبول بأي شيء. لقد انتظرت طيلة هذا الزمن، ولن أقبل الآن بأي تنازل. لقد انتهت زيجات كثير من أصدقائي بالطلاق».

أنا أيضًا، كنت أفكر مثله في ما يخص معارفي الذين لم تنجح زيجاتهم. لكني لم أكن منتبهة إلى أن معظم الناس لا يقبلون على الزواج وهم يقولون في أنفسهم إنهم «يتنازلون ويقنعون بما هو متاح أو متيسر لهم». يقرر أكثر الناس الزواج معتقدين أنهم قد وجدوا «الشخص المناسب تمامًا». أشك في أن ارتفاع معدلات الطلاق ناتج عن أن الناس الذين نفترض أنهم قد تنازلوا يتراجعون عن تنازلهم. وأرجّح أن معدل الطلاق مرتفع لأن الناس الذين كانوا قد ظنوا أنهم واقعون في حب جارف يدركون أنهم كانوا يبحثون في الزوج، أو في الزوجة، عن صفاتٍ غير الصفات التي يتعين عليهم البحث عنها.

في الحقيقة، تبادر إلى ذهني أثناء حديثي مع مات أن تلك الصفات

نفسها، التي جذبتني كثيرًا عندما قرأت تلك المقالة عنه منذ عشر سنين، كانت صفات متصلة بخصائص شخصية لا علاقة لها، بالضرورة، بالزوج الذي أتمناه الآن، أي بالزوج الذي ينصبّ اهتمامه على تكوين أسرة. من الممكن أن يكون رجلٌ طموح، لامع، مبدع، رفيقًا رائعًا في حفل عشاء؛ لكن شخصًا يعمل من غير انقطاع ولا يرى ابنه أكثر من أسبوعين في السنة (قال لي مات إنه، لو أنجب مزيدًا من الأطفال، «أظنني كنت سأملّ ذلك») ولا يكاد يطيق أي شيء بعيد عن الكمال، لا يمكن أن يكون زوجًا مغريًا. قد تكون شخصيته وعقله اللذان يثيران الإعجاب أمرين مثيرين في حبيب، لكنهما يصعب أن يتفقا مع شخص تسعده المجريات اليومية في الحياة العائلية. لقد قال لي كل من تحدثت إليهم من الخبراء إن القيَم المشتركة أهم من الاهتمامات المشتركة: لو كنت أنا ومات معًا، لكان أمرًا مستبعدًا ألا نجد أمورًا كثيرة نتحدث فيها؛ وأما من حيث تصريف أمور أسرة تجمعنا، فمن المحتمل كثيرًا أن يكون لدينا، على الدوام، ما نختلف فيه.

في لحظة من لحظات حديثنا، طرح عليَّ مات سؤالًا لافتًا. كان يتكلم على علاقته العاطفية السابقة التي استمرت سبع سنين وكيف كان يجد في صديقته أمورًا مزعجة كثيرة على الرغم من رغبته في نجاح العلاقة واستمرارها. قال لي: «هذا عائد إلى مشكلة أكبر: كم ينبغي أن يتغير الإنسان كي يستطيع أن يجعل العلاقة ناجحة؟».

لست أدري إن كان يتحدث عن نفسه، أو صديقته، أو عن الاثنين معًا. لكني وجدت غرابة في اعتباره (مثلما يفكر كثير من الأشخاص العازبين) أن المشكلة كامنة في ضرورة التغيّر بدلًا من كونها كامنة في الحاجة إلى القبول. وهذا لأنني كثيرًا ما أسمع أصدقائي وصديقاتي المتزوجين يقولون إن الأمر لا علاقة له بتغيير الشخص الآخر، بل بتقبّل أمور موجودة لدى الشخص الآخر؛ أمور يتمنى المرء تغييرها، لكنه لا يستطيع.

قال لي مات بعد ذلك إنه جرّب المواعدة عن طريق الإنترنت، فسألته إن كنت أستطيع رؤية بروفايله. في نظري، كان بروفايله مغريًا جدًا. لو صادفته

في الإنترنت منذ بضع سنين فقط، لما ترددت في تقرير تاريخ الزواج (في ذهني) فور إرسالي أول إيميل إليه. وأما من حيث طبيعة الزوج الذي أريده الآن، ولو كانت لي فرصة الاختيار بين واحد مثله وواحد مثل آندي، فأنا على ثقة تامة من أنني سأختار آندي، ولن أنظر خلفي بعد ذلك أبدًا. منذ عشر سنين، لو قال لي أحد إنني سأفضل آندي على مات، لوجدت في ذلك القول سخفًا شديدًا، إن لم أقل إنني سأعتبر ذلك مستحيلًا. لكن، ها أنا الآن هنا... لا أزال عازبة، و«فتى الأحلام» السابق جالس قبالتي!

جِف ـ الرجل الذي افترضت أنه ليس ذكيًا بما يكفي

في سنة 2006، عندما جرّبت موقعًا للمواعدة قائمًا على أسس علمية من أجل مقالة كنت أكتبها، رفضت رجلًا ظهر لي بروفايله في صندوق البريد الوارد. لقد طرحت في تلك المقالة تساؤلًا: هل يمكن لواحد من مواقع المواعدة في الإنترنت أن يعتبرني (أنا القارئة النهمة التي تحب الكتب الأدبية) متناسبة مع شخص كتب عن نفسه ما يلي:

> *عندما أقرأ الكتب، لا أستطيع مواصلة التركيز إلا فترة قصيرة جدًا. نتيجة ذلك، تتناثر في شقتي الآن كتب كثيرة لم أقرأ إلا جزءًا صغيرًا من أي واحد منها مع أنها كتب جيدة جدًا (هكذا قالوا لي). وبعد أن وضعت تلك الكتب جانبًا، غرقت في قراءة المجلات، وكلما أمضيت في قراءتها بضعة أيام، أنحّيها جانبًا كي أتابع أفلامًا.*

افترضت أنه ما من توافق بيننا فرفضت مراسلته من غير حتى أن أكتب إليه إيميلًا يوضح موقفي. لكنه كتب إليَّ بعد أيام رسالة صغيرة قال فيها إنه كان يقرأ في مجلة «أتلانتك» وفوجئ عندما رأى ما قاله عن نفسه في ذلك الموقع مطبوعًا في المجلة. تساءل في رسالته: أليس غريبًا أن يكون واحدًا ممن يقرؤون المجلة الأدبية الأكثر تقديرًا في البلاد فيعلم أنه قد رُفض لأنه ليس مهتمًا بالأدب اهتمامًا كافيًا؟

قال لي جِف بعد ثلاث سنين عندما اتصلت به في مكان إقامته في شمال

كاليفورنيا كي نتحدث عن سوء التفاهم الذي وقع بيننا: «لقد رأيت الأمر مضحكًا جدًا». كان جِف يصغرني بسنة واحدة، وكان ذا تعليم ممتاز. إنه رائد أعمال في مجال البرمجيات. دار بيننا حديث ممتع عن كتب قرأها في الآونة الأخيرة (نعم، لقد قرأ كتبًا! لكم أن تصدقوا هذا، أو لا تصدقوه). وجدته شخصًا طريفًا يفهم نفسه جيدًا؛ وبدا لي أن ثمة أمورًا كثيرة مشتركة بيننا، من ناحية القيم ومن ناحية الاهتمامات. وبالطبع، لديه الآن صديقة (كانت صديقته في أوائل الثلاثينيات من العمر).

قال لي جِف إنه يفهم السبب الذي جعلني «أقفز إلى الاستنتاجات» استنادًا إلى ما كتبه في بروفايله؛ وقال أيضًا إنه تعلم بدوره كيف يتفادى افتراض أمور من عنده في ما يتصل بالعلاقات الرومانسية. فعلى سبيل المثال، كان يقلقه في ما مضى إحساسه أن لدى صديقته الحالية حس فكاهة مختلفًا عما لديه.

قال لي: «كنت أظن أن حس الفكاهة مؤشر قوي على التوافق، وعلى كيفية عمل الدماغ. هذا صحيح بمعنى من المعاني لأن الأمور التي تستهوينا من الناحية الفكرية مختلفة. أنا شخص يحب الأحجيات والألعاب. لكن تلك الأمور ليست مما يهمها كثيرًا. لديها قدر من «الحزن» لا أستطيع مشاركتها إياه؛ لكننا تطورنا خلال الشهور الستة الأخيرة وعلِمَ كل واحد منا عن الآخر أمورًا فاجأتنا. كلانا ميال إلى التأمل، ثم إن التواصل بيننا جيد جدًا. نستطيع الكلام في أي موضوع من غير أن نختلف اختلافًا مزعجًا. يحب كل منا الجري؛ ونحن مشاركان في نشاطات المجتمع المحلي. يقدر كل منا الآخر ويستمتع بصحبته. في علاقاتي العاطفية السابقة، كنت شخصًا غير ناضج، وكنت أفلح دائمًا في العثور على أمور لا تعجبني».

لقد فعلتُ ذلك الأمر نفسه عندما رأيت بروفايل جِف أول مرة. فبدلًا من التركيز على ما بدا متمتعًا به من جاذبية وذكاء وروح مرحة، لم أر فيه إلا أمرًا سلبيًا واحدًا هو أنه لا يحب الكتب مثلما أحبها، فأسقطته من حسابي. أسوأ ما في الأمر أن ذلك كان افتراضًا خاطئًا لا أساس له. فبكل بساطة،

لم يعكس بروفايله ما يتمتع به من ثقافة وما لديه من حب إطلاع إزاء أمور بعينها يحب أن يقرأ عنها. في آخر المطاف، حتى لو لم يكن شخصًا كثير القراءة، فكم تكون أهمية ذلك على المدى البعيد طالما أنه شخص ذكي لافت مثلما اكتشفت عندما تكلمت معه هاتفيًا؟

ومثلما كان الأمر مع آندي لا أستطيع معرفة ما كان يمكن أن يجري بيني وبين جِف لو لم أستبعده. لكن الأمر لا علاقة له بجِف ولا بآندي ولا بمات. المهم ألا أرتكب هذه الغلطة نفسها مع الشخص التالي.

13

مكتبة
t.me/soramnqraa

العثور على شيلدون جديد

لقد أدركت -بطبيعة الحال- أنني فعلت الأمر نفسه مع شيلدون، العازب الذي تخرج في جامعة ممتازة وحاولت ويندي إقناعي بمواعدته قبل شهر من الآن. لقد دحضَتْ ويندي كل واحدة من فرضياتي الخاطئة، لكني لم أعد إلى رشدي إلا بعد أن كان شيلدون قد بدأ الخروج مع امرأة غيري. بعد ذلك، حاولتْ أن تجد لي رجلًا آخر. لكن الرجال الذين كانت تنظر فيهم كانوا ضمن فئتين اثنتين: رجال لم يتزوجوا قط ويريدون الآن لقاء امرأة من غير أطفال ولا تزال قادرة على الإنجاب (اقرأ: دون خمسة وثلاثين عامًا)، ورجال لا يريدون أطفالًا على الإطلاق. كان الرجال المطلقون الذين استطاعت ويندي العثور عليهم في الخمسينيات، أي إنهم موشكون على إرسال أطفالهم إلى الجامعة في غضون سنوات معدودة، فضلًا عن كونهم غير مهتمين بالعلاقة مع امرأة لديها طفل صغير، (وأيضًا، لم يكونوا مهتمين بالعلاقة مع امرأة من غير أطفال وقادرة على الإنجاب وتريد أن تنجب أطفالًا. لقد شبعوا أطفالًا!). لم تعمل ويندي إلا على رجال انتقتهم لما فيهم من صفات مهمة - اللطف، والمسؤولية، والاستقرار، والرغبة في الزواج، وحُسن الطبع. هذا ما أدى إلى استبعاد الرجال الذين لا يبحثون عن علاقة جادة، والذين لم تستقر أمورهم بعد، والذين كانت تشكّ في حالتهم النفسية والعاطفية (لا يزالون يعانون بعد

الطلاق، أو مكتئبون، أو غير ناضجين). وللأسف، لم تستطع أن تعثر على أحد.

بدأت أتساءل أين اختفى الرجال المطلقون الذين هم من سني. أعني أن أعدادهم لا بد أن تكون كبيرة بالنظر إلى معدلات الطلاق المرتفعة على المستوى الوطني، أليس كذلك؟ قالت لي ويندي إن الآباء المطلقين الأصغر سنًا موجودون، لكن عزوبيتهم لا تستمر طويلًا في حين تطول عزوبية الأمهات المطلقات. يؤدي هذا إلى فائض في النساء العازبات. عثرت ويندي أيضًا على آباء مطلقين لا يريدون الزواج من جديد، ولا يريدون حتى أن يلتزموا بعلاقة بعيدة المدى لشدة ما لاقوه من عيشهم مع زوجاتهم السابقات... لكنهم لا يزالون راغبين في رفقة امرأة.

فضلًا عن هذا، وفي ما يتصل بالأطفال، يلقى الآباء العازبون الأصغر سنًا قدرًا غير قليل من الرواج لأن المرأة تُقدّر الرجل الذي يحب الأطفال. وأما الأمهات العازبات الأصغر سنًا، فهم «عبء» لأن الرجال لا يحبون فكرة التعامل مع أطفال رجال غيرهم. منذ عشر سنين، لم تكن لدي أية فكرة عن حجم الصعوبات الموجودة في عالم المواعدة، لكني صرت الآن قادرة على استيعاب ذلك... أو، هكذا ظننت.

في الأسبوع نفسه، عرضت عليَّ جولي فيرمان (صاحبة «كيوبيدز كوتش» التي تعمل في ميدان التوفيق بين الثنائيات) أن تحاول العثور على قرين لي، وذلك من غير أجر. أسعدني هذا كثيرًا. ملأتُ قائمة البيانات الخاصة بموقع «كيوبيدز كوتش»، ثم اتصلت بها هاتفيًا.

رجل آخر يُفلت مني

كان أول ما فعلته جودي يوم لقائنا أن طرحت عليَّ أسئلة كثيرة لم تكن موجودة في البروفايل الذي ملأتُه في موقعها: ما هي طبائع الرجال الذين خرجتُ معهم في الماضي؟ ما الذي كان ناجحًا؟ ما الذي لم يكن ناجحًا؟ كيف كانت الأسرة التي نشأتُ فيها؟ وكيف كانت طفولتي؟ وما الذي كان

مهمًا في نظري؟ وما الذي كنت متحمسة له؟ استغرق الأمر ساعة كاملة. ثم بدأت تنقر على كمبيوترها. كانت تبحث في قاعدة البيانات الموجودة عندها.

قالت لي: «أبحث الآن عن أفضل خمسة مرشحين عندي. لن أعرض عليك أكثر من هذا لأن الأمر سيصير مرهقًا جدًا. إذا طرحتُ على الناس خيارات كثيرة، فلن يستفيدوا شيئًا غير أن يصيروا أصحاب خبرة في التعامل مع موقعي في الإنترنت... ما الغاية من هذا؟ تنقضي سنة كاملة ينفقون المال خلالها من غير أن يتغير أي شيء».

نظرت إلى شاشة كمبيوترها. رأيت صور خمسة رجال يبتسمون لي. اثنان منهما كانا وسيمَيْن فعلًا. وبدا لي اثنان منهما كبيرَي السن مع أنهما، في حقيقة الأمر، أكبر مني بسنوات معدودة فحسب. من الممكن أن أبدو، أنا أيضًا، «كبيرة» في نظرهما. بدأت ألاحظ هذه الظاهرة منذ بلوغي الأربعين: صار كل شخص قريب من سنّي يبدو لي «كبيرًا» لأنني، عندما أتخيل نفسي، أرى في ذهني صورة لامرأة في الثلاثين. لم أعدّل بعد تلك الصورة بحيث تعكس مظهري اليوم.

هذه مشكلة حقيقية لأنني لا أجد نفسي مشدودة إلى رجال في أواسط العمر. إذا قابلت رجلًا، أو رأيت صورته، أكون واثقة تمام الثقة من أنني، إن كنت قد وقعت في حب ذلك الرجل نفسه عندما كان في العشرينيات أو في الثلاثينيات، ثم أنشأنا أسرة معًا وعشنا أيامنا معًا مدة عشر سنين أو عشرين سنة، فسوف أظل مشدودة إليه وسوف أظل أراه جذابًا، لأن «جوهره» سيكون مخزونًا في عقلي. يشبه هذا أمر امرأة في السبعين لا تزال ترى زوجها الذي بلغ السبعين أيضًا رجلًا وسيمًا جذابًا لأنه كان ذلك ذات يوم، وكذلك لأنها تنظر إلى زوجها الآن فترى فيه ذلك الشاب نفسه حتى بعد مرور تلك السنين الطويلة كلها. وأما إذا التقت المرأة رجلًا في السبعين من غير أن تكون لها معه ذكريات مشتركة، ومن غير أن يكونا قد عاشا شبابهما معًا، ومن غير صورة ذهنية محفوظة منذ أربعين عامًا، فسوف يكون صعبًا عليها أن تصير مغرمة به، أو حتى أن يثير اهتمامها.

أعلم أن عليّ أن أتجاوز هذا الأمر. فمن بين الرجال الذين جعلتني جولي أرى بروفايلاتهم، كان أول من اخترته رجلًا في الثلاثينيات ذا مظهر طفولي. كاتب سيناريو لم يتزوج من قبل، ولم ينجب أطفالًا. لعل ذلك الرجل كان أقل المرشحين ملاءمة لي! قالت لي جودي إنها وضعته بين المرشحين لأنها لا تعرفني بعد مثلما تعرف عملائها الآخرين (لم تمض معي عبر تلك العملية كلها)، ولأنها رأت أن تقدم لي مجال اختيار واسعًا كي تفهم المزيد عن تفضيلاتي. تحدثنا عن كاتب السيناريو الذي أعجبني فأحسست أنها تحاول «إبعادي عنه» وتوجيهي صوب رجل لن يقع عليه اختياري: «شون».

قالت لي إن شون رجل مهتم بالفلسفات الشرقية، وإنه حقق نجاحًا كبيرًا في عمله: مكافحة الحشرات. نعم، هكذا قالت... مكافحة الحشرات! قلت في نفسي إنني أخاف العناكب، وبالتالي يمكن أن يكون هذا الرجل مناسبًا لي. وأما من ناحية أخرى، فلم أجد نفسي قادرة أبدًا على تخيل نفسي مع رجل يكسب عيشه من قتل الحشرات. كان أصلع الرأس. لكنه يبدو شابًا. وبكل تأكيد رأيته شخصًا وسيمًا. لم يكن مظهره يوحي لي بأنه في السادسة والأربعين. لا يبعد مكان إقامته عني أكثر من ساعة واحدة. ليس من ديني. وهو أطول مني بنحو ثلاثين سنتيمترًا. هل يمكن حقًا أن يعمل رجل مهتم بالفلسفات الشرقية في ميدان إبادة الحشرات!؟

لم أكن واثقة من أمري. عدت إلى كاتب السيناريو الوسيم الشاب... الذي هو من ديني أيضًا.

ظلت جولي مصرة، بقوة، لكن على نحو ودي كما يكون الأمر بين صديقتين. قالت لي: «لو كنت شقيقتي فمن الذي سأقول لك أن تتركي كل شيء وتذهبي إلى لقائه؟ إنه شون! لقد عثرتُ لأختي على الرجل الذي هو الآن زوجها. يعود إليّ الفضل في زواجهما وفي إنجابهما أطفالًا».

حاولت تخيل الخروج مع شون وتبادل الحديث معه عن أيامنا أثناء تناولنا العشاء معًا.

لو خرجت معه، فسوف أسأله: «إذًا، حدثني عن تلك الصراصير!». لم أستطع تخيل هذا. وأما كاتب السيناريو، فقد كتب قائلًا عن نفسه إنه يحب برنامجي «*ذيس أميركان لايف*» و«*ذا دايلي شو*». كان رجلًا ظريفًا. هل قلت لكم كم بدا لي جذابًا؟

قالت لي جولي إن عليَّ أن أكون منفتحة إزاء الرجال الآخرين الذين اختارتهم لي. كان لدينا كريس، صاحب شركة في الخامسة والأربعين، مطلق، لديه ابن مراهق. كان له مظهر واحد من نجوم السينما الكلاسيكية الوسيمين، وأنا لا أحب هذا. إنني أكثر ميلًا إلى من لا يكون مظهرهم كلاسيكيًا.

أعلم، أعلم، أعلم أنني استبعدت رجلًا لأنه جذاب أكثر مما ينبغي! هل يمكن أن تصل المبالغة في التدقيق إلى ما يتجاوز هذا؟ الظاهر أنها يمكن أن تصل! رأيت أيضًا أنه قد لا يكون مثقفًا إلى الحد الذي يعجبني لأن شركته تعمل في مجال مواد البناء، ولأنه درس في جامعة سان دييغو الحكومية. (صحيح... لقد مضيت بعيدًا في مخالفة القاعدة القائلة بأن عليَّ ألا أضع أي فرضيات من عندي).

كان لديها روبرت، مدير المواهب الذي يعمل لحسابه. شخص بدا لي مسترخيًا، قليل الطموح. يبلغ طول قامته مئة وثمانية وستين سنتيمترًا. لكن هذه لم تعد مشكلة أتوقف عنها. لقد بدأت أتخلى عن شرط طول القامة. المشكلة الحقيقية هي أنه بدا لي شخصًا شديد الاعتدال، رجلًا ليس لامع الذكاء. أريد رجلًا لامع الذكاء!

أما جون فقد كان رجلًا لامع الذكاء. كان رجل أعمال يهوديًا يعمل في تجارة أجهزة الطب الحيوي وقد بلغ الخمسين من عمره. رياضي الجسم درس في جامعة بارزة. كتب وصفًا لنفسه أحسسته صادقًا ذكيًا. لكنه لم يبد لي صاحب روح مرحة. وكان بيته على مسافة ساعة ونصف ساعة من بيتي. من الناحية العملية كيف يمكن أن نخرج معًا؟ أخيرًا، كان لدينا سكوت: محامٍ بيئي في التاسعة والأربعين يعيش على مقربة مني. كان

وصفه لنفسه رائعًا، لكنه كان أيضًا أبًا لمراهقَين اثنين، وكان كاثوليكيًا. بدا لي متقدمًا في السن.

حاولت جولي دفعي صوب سكوت - نحن ندّان من الناحية الثقافية؛ ولدينا اهتمامات متماثلة؛ كل منا مهتم بتنشئة أطفاله. لكني بقيت على تفضيلي كاتب السيناريو من بين تلك الخيارات كلها.

لست في حاجة إلى إخباركم كيف انتهت هذه الحكاية. فمثلما تفعل شخصية في واحد من أفلام الرعب تسمع عند منتصف الليل صوتًا في قبوها وتدرك أن عليها أن تطلب الشرطة وتخرج من البيت بدلًا من النزول إلى القبو وملاقاة الأهوال فيه، جعلتُ جولي تصلني بكاتب السيناريو الذي وجدته مثيرًا. تكلمنا عبر الهاتف. كان رجلًا ظريفًا. كان رجلًا مبدعًا. يحب الأغاني التي أحبها. دافئًا لطيفًا. لكنه كان أيضًا شخصًا مضطرًا إلى تولي أعمال حرة كثيرة كي يستطيع تسديد فواتيره، فضلًا عن كونه يعيش في شقة صغيرة جدًا في حي غير لطيف. فوق هذا، لم تكن لديه أية خبرة (ولا أي اهتمام) فيما يتعلق بالأطفال الصغار. خرجنا معًا، وذهبنا ليلًا إلى المقاهي، وأمضينا وقتًا مع أصدقائه العازبين الشباب. بدا لي أن كلًا منا قد استمتع بالأحاديث التي دارت بيننا، لكني تبيّنت مع مضيّنا في تلك الأحاديث أننا في «مرحلتين مختلفتين» من الحياة. لم يطلب مني لقاءً آخر؛ ولم أطلب منه لقاءً آخر.

في غضون ذلك، لم أتابع أمر أي واحد من المرشحين الآخرين الذين انتقتهم جولي من أجلي إلا بعد مضي بضعة أسابيع عندما ألقيت نظرة أخرى على بروفايل سكوت.

قرأت ما كتبه، فأحسست هذه المرة كأنني تلقيت ضربة على رأسي. إنه رجل من ذلك النوع الذي كنت أقول دائمًا إنني لا أستطيع العثور عليه. كان مهتمًا بكل ما أنا مهتمة به، تقريبًا. وقد بدا لي شخصًا أحبُّ فعلًا أن أمضي معه وقتًا. فما المشكلة إن كان مظهره يوحي بأنه أكبر سنًا، وإن كان لديه طفلان مراهقان، وإن كان دينه غير ديني؟ كانت لدينا قيَم مشتركة. نمط

حياته يشبه نمط حياتي، وأهدافه تشبه أهدافي. يضع كل منا تنشئة أطفاله في المقام الأول من حيث الأهمية. كل منا مثقف، وكل منا مبدع (كانت لديه أيضًا هواية جانبية: التصوير). أعجبني ميله الفكاهي إلى السخرية من نفسه. كان سكوت رجلًا راغبًا في الزواج مرة أخرى.

لكن هذه المعلومات كلها لم تكن جديدة! لقد سمعتها من جولي يوم اقترحته عليّ، لكن كاتب السيناريو الجذاب، الأكثر شبابًا، كان قد أعمى بصيرتي: شخص من ذلك «النوع» من الرجال الذي كنت دائمة البحث عنهم، بل خرجت مع عدد منهم، لكني لم أقل أبدًا إنني وجدتهم مناسبين لي.

أرسلت إلى جولي إيميلًا عبّرت فيه عن اهتمامي بلقاء سكوت فأتاني ردها بعد ساعات قليلة من ذلك. لقد بدأ سكوت يخرج مع واحدة أخرى من عميلاتها. لم يعد «مطروحًا في السوق». قلت في نفسي، «بالطبع، لم يعد مطروحًا!». يعني هذا أنني تركت «شيلدون آخر» يفلت من يدي!

ما هي مشكلتي، بحق الرب؟ كنت مدركة، على المستوى العقلي، أنني أُقدِم على خيارات لا تؤدي إلى السعادة على المدى البعيد. وكنت مدركة أن ما يقوله لي الخبراء صحيح صحة مطلقة. ولكن ذلك الجزء من طبيعتي، ذلك الجزء غير العقلاني، كان يستحوذ عليّ ويتركني محبطة غاضبة من نفسي. كيف أترك هذا الأمر يحدث لي مرة بعد مرة؟ ومتى سأتعلم دروسي؟ خفت من أنني قد أظل وحيدة إلى الأبد إذا لم أتعلم تلك الدروس سريعًا.

ثمة أمر ينبغي أن يتغير! ما هو ذلك الأمر الذي ينبغي أن يتغير؟ إنه أنا، أمر واضح! أليس كذلك؟

14

أيام الاثنين مع إيفان

الجلسة الثالثة - مساوئ «الرجال المتميزين»

وصلت إلى المقهى مساء يوم الجمعة وكنت مبكِّرة بضع دقائق على موعدي مع مايك، ذلك الأب العازب المعجب بفرقة موسيقية لا أحبها. إنه الرجل الذي كتبت إليه إيميلًا أثناء جلستي التدريبية السابقة مع إيفان. كنت أجلس إلى إحدى الطاولات أرتشف القهوة بالحليب عندما سمعت صوتًا يقول: «لوري!؟».

رفعت رأسي: يا إلهي. فوجئت عندما رأيت أن مايك شخصٌ وسيم إلى حد يصعب تصديقه... أمر لم يكن واضحًا في صوره التي وضعها في ذلك الموقع. كان ذا طبع فروسيّ فعرض عليَّ أن يأتيني بمزيد من القهوة، أو أن يطلب وجبة عشاء. سألني إن كنت أحب الجلوس في الخارج لأن الضجيج شديد في المقهى. جلسنا إلى طاولة صغيرة في الخارج وتحدثنا عن مشكلات الاختيار، وعن الأبوة والأمومة، وعن عمل كل منّا. ثم اكتشفنا وجود معارف مشتركين بيننا.

كان إيفان محقًا عندما قال لي إن عليَّ أن أمتنع عن وضع أية فرضيات: اتضح أن إعجاب مايك بتلك الفرقة لا يعني أنه يحب ذلك النوع من الأغاني كله، ولا يعني أنه يقود سيارة عليها ملصقات كثيرة لتلك الفرقة، ولا يعني أنه يمضي أيامه في تعاطي المخدرات. خلافًا لما كتبه عن نفسه في ذلك الموقع، تبين لي أنه لا يكثر من التلاعب بالكلمات، ولعله كان متوترًا أثناء تلك المكالمة الهاتفية التي جرت بيننا. بدا لي شخصًا لامعًا

مع أنه لا يعتبر نفسه «واحدًا من أولئك البشر الأذكياء». أقرَّ بأنه لم يكن في يوم من الأيام طالبًا متفوقًا. تلك الأحكام التي كوّنتها عنه قبل أن أراه كانت أحكامًا غير دقيقة على الإطلاق.

ولكن، على الرغم من ذلك، قلت لإيفان في جلستنا التدريبية الثالثة إنني لا أحس أننا «على الموجة نفسها» في ما يتصل بالصورة الكبيرة. لقد كان مايك شخصًا «مسترخيًا» في شأن الأمور العملية والطموحات المهنية. إنه شخص من غير طموحات كبيرة. لم يبدُ لي أن لديه أهدافًا يسترشد بها. لم يكن رجلًا...

قاطعني إيفان قائلًا: «تريدين القول إنه ليس ذكرًا متميزًا».

أجبته: «الحقيقة... نعم. لكنني لا أظن نفسي، بالضرورة، شديدة الاهتمام بأولئك الذكور المتميزين. لست ساعية خلف المستثمرين المصرفيين أو خلف سائقي سيارات السباق وكل من يتسمون بذلك النوع من الرجولة الفائضة. يجذبني الرجال الأذكياء. طبيب، أو محام، أو عالِم يجري أبحاثًا لافتة، أو كاتب أحترم أعماله. لا أريد شخصًا لا يمّيّزه شيء سوى أنه لا يتأخر عن عمله. أريد شخصًا لديه حماسة لما يفعله.

قال إيفان: «بالضبط. الذكور المتميزون. إنهم جذابون في نظر نساء كثيرات جدًا. لكن تلك النساء أنفسهن تشتكين من صعوبة العلاقة مع أولئك الرجال. إلّا أنهن، في الوقت ذاته، غير راغبات في الخروج مع رجال ليسوا ذكورًا متميزين. لا تحب تلك النساء الخروج مع رجل خجول، أو مع رجل ليس قائدًا. تجد النساء أن الرجال الناجحين الواثقين من أنفسهم يوحون بالثقة».

وافقته على هذه الفكرة. ثمة أمر شديد الجاذبية في الرجل الذي يكون قادرًا، واثقًا من نفسه. رجل يستطيع أن يؤسس شركة، أو يكسب قضية في المحكمة، أو يشفي المرضى. رجل يضع خطة، ويكسب مالًا، ويتولى زمام المبادرة. رجل لديه جسد رياضي قادر على هزيمة الأشرار المتخيّلين. رجل (يحرجني هذا الاعتراف) قادر على حمايتنا من العالم مع أننا لسنا في حاجة إلى حماية!

رجل لطيف، لكنه جريء

أتذكّر حديثي مع امرأة عازبة في الخامسة والثلاثين، كانت تعمل في ميدان الإعلانات. قالت لي إنها انفصلت، قبل خمس سنين، عن رجل كان يعلِّم الأطفال الصغار الموسيقى، وذلك لأن عمله بدا لها «ضعيفًا». انتهى الأمر بأن تزوج ذلك الرجل امرأة غيرها، ثم اتضح أنه (بالطبع!) أب رائع لأن لديه حبًا حقيقيًا للأطفال. أقامت بعد ذلك علاقات مع محامين وعاملين في المصارف، لكن الأمر لم ينجح. وصار لديها شك في أن يكون أولئك «الذكور المتميزون» أزواجًا جيّدين، أو آباء جيّدين، مثلما كان معلم الموسيقى. ليست لديهم مرونة كافية؛ وهذا ما أفضى إلى خلافات كثيرة. لكن معلّم الموسيقى الذي كان «ضعيفًا» في نظرها، كان يبدو لها مفرطًا في «تقبل كل شيء». كان هذا يزعجها. لماذا لا تكون لدى معلم الموسيقى آراء «أقوى» في شأن أمور الحياة اليومية؟ ولماذا كان يقول لها على الدوام، «إذا كنت راغبة في فعل ذلك، فلا مشكلة عندي أبدًا»؟

قالت تلك المرأة عن صديقها السابق: «هذا ليس تفكيرًا منطقيًا. لكن، لو كان لديه برنامج موسيقي، لكان من المحتمل أن يصير شعوري نحوه مختلفًا. على الأقل، سيبدو شخصًا أكثر قوة... لست أدري! كانت لديّ دائمًا فكرة تقول إنني سأكبر وأتزوج شخصًا يكسب مالًا لا يقل عمّا أكسبه، أو يكسب أكثر مما أكسبه، لكن المال الذي يجنيه أقل كثيرًا! وأيضًا، كان لديه ذلك الوقت الحر كله عندما لا يقوم بتعليم الأطفال؛ لكني أكون في العمل. كان ذلك كأنه سيصير 'السيد ماما'، وسأصير أنا من تأتي بالمال وتعمل طيلة السنة في عالم الشركات. أعلم أن هذا لا يبدو تفكيرًا جيدًا، لكني أحسست حرجًا عندما أخذته إلى حفلة عيد الميلاد التي أقامها العاملون في المكتب وراح يقول لهم إنه يعلّم أطفالًا في الثانية من العمر كيف يعزفون على طبول من البلاستيك».

قال لي إيفان إنه يسمع هذه القصة دائمًا: نساء متذمّرات من أن «الذكور المتميزين» الجذّابين أشخاص غير مهتمين إلّا بأنفسهم، أو أشخاص يصعب الاعتماد عليهم؛ لكن الرجال اللطيفين فعلًا ليسوا جذابين بالنسبة إليهن.

قال إيفان: «تقول النساء إنهن يبحثن عن ذكر متميز يكون لطيفًا... أو، ربما عن رجل لطيف يتمتع بالجرأة. تريد النساء شخصًا يخلق لديهن إحساسًا بالإثارة وبالأمان، معًا».

لقد عبّرت تلك المرأة التي تعمل في الإعلان عن ذلك بقولها: «أريد رجلًا طموحًا لديه أيضًا تلك الصفات التي تجعل الرجل الذي يعلّم الأطفال الموسيقى جذابًا... الدفء، والحساسية، والكرم، والرعاية. لكنني أريده أن يتمتع بتلك الصفات في البيت، وأن يتمتع بصفتَي الطموح والجرأة خارج البيت، في العالم. لست أدري إن كان لهذا الكلام أي معنى!».

في نظري، كان كلامها ذا معنى.

لكن إيفان سألني عندما قلت له هذا: «ولكن، ألم تلاحظي أن أولئك الرجال نادرون، بل نادرون جدًا؟». حتى إذا عثرتُ على واحد منهم، فهل يكون ذلك ما أريده حقًا؟ قال لي إيفان إن الرجال المتميزين يشبهون «الفتيان السيئين» الذين خرجت معهم عندما كنت في العشرينات. لكن، وبدلًا من الخروج مع عاشق الموسيقى المتمرّد الذي يظل مسافرًا ثلاثين أسبوعًا كل سنة، صرت الآن أخرج مع رجل ساحرٍ في الأربعين، رجل لم يتزوج سابقًا، رجل يعمل ستين ساعة في الأسبوعٍ فيجعلني ذلك أبدو كأنني أحتل المركز الثاني في أولوياته بعد عمله وحريته.

أما الرجال اللطيفون فهم... رجال لطيفون. إنهم رجال يحبّون إشاعة السرور في قلب المرأة. يسعدهم فعل ما تريده المرأة. لكن من النساء، كما قال إيفان، من لا تحب أن يكون الرجل لطيفًا إلى هذه الدرجة. ينبغي أن يتولى القيادة، وأن يتخذ القرارات ويقود السيارة بدلًا من المواظبة على القبول بكل ما تقترحه المرأة عليه.

قال إيفان: «لكن القادة يمكن أن يكونوا أشخاصًا شديدي الغرور، شديدي الصعوبة، وأن يكونوا ميّالين إلى الغضب والعدوانية».

أخبرني إيفان عن امرأة تحس ضيقًا إزاء الرجل الذي بدأت تخرج معه. أخذها إلى مكان فيه موسيقى صاخبة. وعندما أحسَّ أنها غير مسرورة

بذلك، سألها عن المكان الذي تحب الذهاب إليه بدلًا من ذلك النادي. أدّى هذا إلى زيادة انزعاجها: لم يكتف باختيار ذلك المكان السيىء، بل أراد من المرأة أيضًا أن تختار بنفسها مكانًا بديلًا كي تصلح غلطته! لماذا لا يستطيع هذا الرجل أن يتخذ قرارًا... وأن يكون قراره جيدًا؟

كثيرًا ما يسمع إيفان من عميلاته العبارات التالية: يردن قادة يهتمون بمشاعرهن ويحسنون أيضًا قراءة أفكارهن. أو يردن أن يلعب الرجل دور «الرئيس» شريطة أن تظل المرأة متمتعة بـ«حق النقض».

قال لي: «المشكلة الوحيدة هي أنك ستجدين نفسك في حالة خلاف دائم مع الرجل المتميّز الذي تخرجين معه؛ وذلك لأنه شديد الإصرار على رأيه... وإلا ففي وسعك أن تذهبي في حال سبيلك! تريدين منه أن يكون راغبًا في إسعادك، لكنك لا تحترمين الرجال اللطيفين الذين يحاولون إسعادك فعلًا».

كثيرًا ما يسمع إيفان عميلاته يذكرن عددًا من الصفات التي يندر أن تجتمع في شخص واحد: شخص شديد الطموح لديه أيضًا قدر كبير من الوقت الحر كي يذهب، في أية لحظة، في رحلة تمتد يومًا كاملًا؛ رجل شديد الوسامة، لكنه لا يجذب إليه انتباه بقية النساء في حفلة!

أوضح إيفان فكرته: «قد تكونين راغبة في الحصول على الأمرين معًا، لكن عليك أن تقرري أيهما أكثر أهمية بالنسبة إليك. أظن أن الإجابة ستكون واضحة إلى حد كبير عندما تنظرين إلى المسألة بهذه الطريقة. وبالمناسبة، قد لا يكون أولئك الذكور المتميزون مهتمين بالحصول على الصفات الموجودة عندك».

لا يريدني «الذكور المتميزون» زوجة لهم

بحق السماء... ما معنى هذا؟ لماذا يمكن ألّا يكون «ذكر متميّز» راغبًا في الخروج معي؟ أجابني إيفان: «لا بأس، ماذا جرى عندما خرجت في الماضي مع رجال من ذلك النوع؟».

حكيت لإيفان عن اثنين من «الذكور المتميزين» كنت مشدودة إليهما في ما مضى. المحامي الذي كان يبدو مصمّمًا على كسب كل قضية في المحكمة، ورائد الأعمال الناجح الذي اعتاد أن يلبّي العاملون لديه كل ما يطلبه منهم ولم يكن مستعدًا لـ«اللقاء في منتصف الطريق» في علاقتنا.

أومأ إيفان برأسه وقال لي: «عندما نكون مهتمين بالمواعدة، عادة ما نكون نبحث عن أشخاص يشبهوننا تمامًا. عادة ما تبحث المرأة الناجحة عن رجل ناجح. لكن تلك الصفة نفسها التي تجعلهما شخصَيْن ناجحَين تُسبِّب احتكاكات بينهما، فيصل الأمر إلى أن نرى شخصَيْن من أصحاب الإرادة القوية لا يستطيعان الكف عن الخصام والمجادلة. إنهما شخصان يطالب كل منهما بأن يحظى بالاهتمام كله. شخصان يضع كل منهما عمله قبل علاقته. فبدلًا من أن نبحث عمن يكملوننا لا عمّن ينافسوننا، نظل مصرّين على محاولة الحصول على 'نسخ أفضل' من أنفسنا، فتكون العاقبة وخيمة علينا. قد تجدين رجلًا تستطيعين اعتباره 'قائدًا' في ميادين كثيرة، لكنه لا يكون كذلك في عمله».

سألت إيفان: «هل تقول لي إنّ على النساء الطموحات ألا يخرجن مع أنداد لهن؟».

هزّ إيفان رأسه نفيًا وأجاب: «أقول لك إن عليك أن تعثري على ندٍّ لك لديه مواطن قوة تكمل ما لديك؛ فالصفات التي تجدينها جذابة في الرجال قد لا تكون ذات أثر حسن ضمن إطار الزواج: طموح، متمسك برأيه، ميال إلى المنافسة».

قلت: «لكن أولئك الرجال يتزوجون دائمًا».

«صحيح. لكن، هل يتزوجونكِ أنت؟».

حاولت التفكير في «ذكور متميزين» ممن عرفتهم وفي صفات زوجاتهم: أمهات لا يعملن لأنهن تخلين عن مهنهن (وأعجبهن ذلك)، أو نساء عاملات في مهن غير بارزة. عندما فكرت في الأمر وجدت أن كثيرات منهن يعملن في مهن «مساعدة»، ممرضات مثلًا. للأسف، هذه الصفات لا تنطبق عليّ!

قال إيفان، «فكري في الأمر! ما الذي يكسبه ذكر متميز عندما يخرج معك؟ العالم يدور من حوله عندما يكون في عمله. وهو يحب الإثارة الذهنية والآراء الواضحة. يحب التحديات. لكن ذلك كله متوفر له طيلة اليوم، ما لا يستطيع الحصول عليه في عمله هو الدفء والرعاية. قد تكونين قادرة على تقديم ذلك كله، لكنك لست صاحبة شخصية يسهل التعامل معها في حين يريد ذلك الرجل أن تكون حياته في البيت سهلة. أنت تريدين رجلًا قادرًا على تولي القيادة، لكنه قادر أيضًا على التنازل وتركك تتولينها بدلًا منه. قد يؤدي هذا إلى خلافات بينكما».

أفهم من هذا أن إيفان يقول لي إن عليَّ أن أتخذ قرارًا: هل أريد الخروج مع مايك مرة أخرى؟

قال إيفان: «عليك أن تقرري ما أنت راغبة فيه أكثر. هل أنت راغبة في ذلك النمط من الرجال الذي كان يستهويك في الماضي مع أنه لم يحقق نجاحًا حتى الآن؟ أم إنك راغبة في محاولة التعرف على مايك الذي هو شخص لطيف وأب ممتاز، لكنه ليس صاحب طموحات كبيرة؟ لست أقول إن مايك هو الشخص المناسب لك. قد يكون غير مناسب أبدًا. لست أقول لك شيئًا غير أنك لم تتمكني فيَ اللقاء الأول من الحصول على قدر كاف من المعلومات التي تريدين معرفتها».

لقد كان إيفان محقًا. لم نلتق إلا مرة واحدة فقط. كان من عادتي أن أستخدم الموعد الأول بمثابة اختبار للرجال: إما أن يجتاز الرجل ذلك الاختبار أو يفشل. يعني اجتياز الاختبار «تطاير الشرارات». ويعني الفشل فيه كل شيء آخر. لكن، لعلي كنت مبالغة في تقدير أهمية الموعد الأول! الحقيقة أنني أمضيت مع مايك وقتًا ممتعًا. كل ما في الأمر هو أنه لم «يذهلني». من المحتمل كثيرًا أنني لم «أذهله». لكني أظنه طلب مني لقاءً ثانيًا لأن ما جرى في اللقاء الأول كان حسنًا إلى حد معقول جدًا. فلماذا لا أخرج معه مرة ثانية؟

على أية حال، ما مقدار الأهمية التي ينبغي أن نعلّقها على اللقاء الأول؟

15

ما الذي يقوله لنا الموعد الأول؟

«أوووووه! يعني أنه أعجبك حقًا». هذا ما قالته لي صديقتي لوتشيا عندما أخبرتها بأنني ذاهبة إلى موعدي الثاني مع مايك. حاولت أن أشرح لها أنني لست معجبة به ولست غير معجبة به. في الحقيقة، كانت مشاعري حيادية.

لكن لوتشيا التي أحسّت أنها «مبهورة الأنفاس» عندما قابلتْ زوجها أول مرة ظنّت أن الخجل قد تملكني.

سألتني: «هل تحاولين حماية نفسك، أم ماذا؟ أراهن على أن إعجابك به أكبر كثيرًا مما تفصحين».

لم يكن الأمر هكذا، لكن لوتشيا وجدت صعوبة في إدراك السبب الذي يدفعني إلى رؤيته مرة أخرى إذا كانت مشاعري محايدة فعلًا. فبحسب رأيها، لماذا أهتم به إن كان لا يعجبني كثيرًا؟

تغيير الحكاية

من ناحيتي أيضًا، كنت أسأل نفسي: «لماذا أهتم به؟». بطبيعة الحال، كنت على معرفة بثنائيات من المتزوجين السعداء في زواجهم ممن لم تكن لقاءاتهم الأولى «عظيمة». لكني، كنت أتوقع -لسبب لا أعلمه- أن يكون لقائي الأول مع من سيكون زوجي أمرًا استثنائيًا. لم أتجاوز مشكلة «قراءة الأمور» منذ اللقاء الأول إلّا في الآونة الأخيرة. لقد عرفت من قبل كيف يكون الأمر عندما تستبّد بي الإثارة بعد لقاء واحد مع الرجل لاكتشافنا أننا

نأكل النوع نفسه من حبوب الإفطار بالشوكولاته مع أنه نوع غير معروف كثيرًا («أليس هذا غريبًا؟ إنه القدر!»). لكن ذلك لم يكن يعني أننا «شقيقي روح»... لم يكن يعني إلّا أن لدينا عادات غذائية رديئة متشابهة. ثم لم ألبث أن اكتشف، في اللقاء الثالث، أن ما من شيء مشترك بيننا غير حبوب الإفطار تلك! مع ذلك، وكلما سمعت من الناس قصصًا عن أنهم «علموا علم اليقين» منذ لقائهم الأول، كلما صرت أكثر ميلًا إلى الفكرة القائلة إن البدايات التي تكون من هذا النوع تؤدي إلى زيجات سعيدة.

تقول دايان هولمبرغ، الباحثة الكندية التي تدرس العلاقات العاطفية، إن هذا غير صحيح؛ بل تقول أيضًا إن قصص اللقاءات الأولى التي أسمعها قد لا تكون صادقة تمامًا. لقد اكتشفت دايان أن قصص نشوء الحب بين ثنائيات المتزوجين كثيرًا ما تتغير مع مرور الزمن. ففي كتابها *«قصص محكية ثلاث مرات: متزوجون يحكون قصصهم»*، تحلل دايان مع شركائها في تأليف الكتاب كيفية قيام ثنائيات المتزوجين بوصف العلاقة بعد السنة الأولى من الزواج، ثم بعد السنة الثالثة، ثم بعد السابعة. اتضح للمؤلفين أن تلك القصص لا تظل على حالها.

تشرح دايان ذلك بالقول: «اخترت مجموعة ثنائيات من المتزوجين الذين شهدت حياتهم الزوجية تدهورًا كبيرًا. ثم اخترت مجموعة ثانية من الثنائيات التي عاشت السنة الأولى من الزواج على نحو يماثل ما عاشته ثنائيات المجموعة الأولى، لكن أمورها ظلت مستقرة بعد ذلك. تفحّصت كيفية كلام تلك الثنائيات على المراحل الأولى من العلاقة».

وجدت دايان أن قصص بدايات العلاقة لدى مجموعة الثنائيات المستقرة في زواجها قد صارت «أكثر إيجابية» في السنة الثالثة بالمقارنة مع ما قالته تلك الثنائيات بعد سنة واحدة من الزواج؛ في حين صارت قصص البدايات لدى الثنائيات الأقل سعادة أكثر ميلًا إلى «السلبية» بالمقارنة مع قصصها التي روتها بعد السنة الأولى. من المهم هنا تذكّر أن القصص كلها كانت متماثلة النبرة في السنة الأولى. بكلمات أخرى، صارت الثنائيات

السعيدة بزواجها تصف مراحل العلاقة الأولى على نحو أكثر إيجابية، في حين صارت ثنائيات المجموعة الثانية الأقل سعادة تصف تلك المراحل الأولى على نحو يزداد سلبية مع مرور الزمن.

لم تتناول تلك القصص ذكريات اللقاءات الأولى وحدها بل غطّت مرحلة ممتدة من اللقاءات الأولى حتى الاتفاق على الزواج. إلا أن تلك القصص كلها تُبيّن، كما قالت هولمبرغ، وجود نوعٍ من «إعادة النظر في التاريخ».

هل كانت قصة الموعد الأول التي سمعتها من لوتشيا صحيحة، أو دقيقة؟ لست أدري شيئًا عن ذلك لأنني لم أكن على معرفة بها عندما التقت الرجل الذي هو الآن زوجها. مهما يكن الأمر، فقد صرتُ الآن مدركة أنه لا بد لي من تغيير طريقتي في النظر إلى المواعيد الأولى والكف عن اعتبارها مؤشرًا لاحتمالات المستقبل مع هذا الرجل أو ذاك.

تعلم غريس المتزوجة منذ ست سنين أن اللقاءات الأولى يمكن أن تكون مضلّلة.

قالت لي: «عندما التقيت زوجي أول مرة، سمعت صوتًا يخاطبني. سمعته بالمعنى الحرفي للكلمة. قال ذلك الصوت: سوف *تتزوجين هذا الرجل وتنجبين منه ولدًا!* كلما كنتُ قريبة منه، أحس كأن العالم قد توقف وأحس كأنني صرت متصلة به».

إن لديهما الآن ولدًا. تمامًا مثلما قال لها ذلك الصوت. لكن العلاقة بينهما لم تبق صامدة: لقد شرعا في إنجاز إجراءات الطلاق.

تقول غريس الآن معترفة بحقيقة كانت موجودة منذ البداية: «الأمر الجوهري هو أنني لم أعرفه معرفة حقيقية».

في واحدة من حلقات البرنامج الإذاعي *«الحياة الأميركية»* بُثّت مؤخرًا، سمعت قصة رجل وامرأة عاشا علاقة حب من النظرة الأولى كانت رومانسية إلى حد كبير جدًا. كان حبًا يستحق أن يتم تحويله إلى فيلم سينمائي. لكن ذلك الحب أفضى إلى زواج شهد صعوبات كبيرة لم

يتوقعها أي من طرفَيْه. صار الأمر شديد الصعوبة فكاد الاثنان ينفصلان؛ لكنهما اختارا العمل على تفهُّم الاختلافات بينهما لبناء ما صار الآن زواجًا قويًا مستقرًا. قال الرجل في مقابلة أجراها معه البرنامج إن الناس كانوا يُبدون، على الدوام، رغبة في سماع قصة حبهما لأنه كان حبًا مدهشًا رائعًا بدأ منذ أول لقاء بينهما... لكنه يرى أن الناس يطرحون عليهما سؤالًا خاطئًا.

قال: «يسأل الجميع دائمًا كيف التقينا؛ لكن أحدًا لم يسأل أبدًا كيف استطعنا أن نبقى معًا».

لن أرد على اتصالاته

لدينا أيضًا قصة جولي التي لم تكن هناك أية «شرارات وألعاب نارية» عندما التقت زوجها. الحقيقة أنها لم تكن راغبة حتى في تناول القهوة مع جِف. لم يكن أول لقاء بينهما في مطعم رومانسي، بل في واحد من أقسام العناية المشدّدة في ولاية كارولينا الشمالية. كان اللقاء عند سرير واحد من المرضى هناك. كانت جولي طبيبة؛ وكان جِف ممرضًا.

بعد ذلك اللقاء الأول عند سرير المريض، ترك جِف رسالتَيْن صوتيتَيْن على المجيب الآلي في هاتف جولي، لكنها لم ترد عليه بشيء لأنها لم تستطع العثور على طريقة مهذبة لقول «لا، شكرًا!». كانت واثقة من أنه ليس لديها أي اهتمام رومانسي بجِف؛ لكن مواجهته بالرفض بدت لها أمرًا مربكًا لأنهما قد يلتقيان في المستشفى.

وبعد ذلك، كانت جولي تستعد ذات ليلة للانضمام إلى أصدقاء من العمل قرروا الذهاب لحضور مباراة في البيسبول عندما اتصل بها جِف. قال في ما بعد إن ذلك الاتصال كان محاولته الثالثة... والأخيرة.

قالت جولي: «اهتديت إلى طريقة ممتازة للرد على محاولة جِف التي وجدت نفسي غير راغبة في الاستجابة إليها: دعوته إلى الذهاب مع تلك المجموعة من أصدقاء العمل، فهم أشخاص يعرفهم أصلًا».

بكلمات أخرى، كانت تلك طريقة ممتازة لرفض الخروج معه في موعد.

ذهبا لحضور المباراة. وعندما جلسا على رابية معشّبة إلى جوار الملعب، فقدا أي اهتمام بمتابعة مجريات المباراة.

قالت جولي: «رحنا نتحدث كأننا صديقان قديمان. ورحنا نضحك لكثرة ما اكتشفناه من تشابهات بين نشأتي ونشأته. أحسسته شخصًا مألوفًا بطريقة مريحة. بعد تلك الليلة، لم يخرج أي منا مع شخص آخر».

إنهما متزوجان منذ اثني عشر عامًا.

قالت جولي: «كان جِف 'طَردًا' وصل إلى عتبة بابي مرتين، لكني لم أر الكنز الذي في ذلك الطرد إلا عندما انفتح أمامي... عندما كنا جالسَيْن هناك».

الأمير الضفدع

تعمل هيلينا روزنبرغ طبيبة نفسية في لوس أنجلوس. ولديها خبرة في تقديم المشورة إلى النساء العازبات الباحثات عن أزواج. تسمّي هيلينا الرجال الذين يشبهون زوجها «الأمراء الضفادع»، وتعني بهذا أنهم أشخاص لا تعتبرهم النساء أزواجًا محتملين عند رؤيتهم أول مرة؛ ثم يتبين لهن أنهم أمراء، لكن بعد أن يتعرفن عليهم جيدًا.

تبلغ جنيفر السادسة والثلاثين؛ وقد التقت زوجها منذ سبع سنين. إنها متزوجة من «أمير ضفدع».

قالت جنيفر مشيرة إلى زوجها: «كنت في حفلة، ولم يلفت داني انتباهي على الإطلاق. لفت انتباهي شخص آخر. بدأت أخرج مع ذلك الشخص الآخر. أما أنا وداني فقد صرنا صديقَيْن. وسرعان ما أدركتُ أن داني هو الأكثر إثارة للإعجاب. كل ما في الأمر هو أنه ليست لديه تلك الصفات التي تظهر للمرأة عند جلوسها معه إلى طاولة في لقائهما الأول. أفضل الأزواج هم من لديهم هذه الصفات غير المرئية، الصفات التي لا ترينها إلا بعد فترة... صفات من قبيل اللطف، والصبر، والكرم، والصدق».

الطبيب النفسي سكوت هالتزمان في جامعة براون هو مؤلف كتاب «*أسرار النساء السعيدات في زواجهن: كيف تحصلين على المزيد من علاقاتك العاطفية من خلال القيام بما هو أقل*». قال لي في مكتبه في مدينة بروفايدنس، إن من المهم أن تدرك المرأة هذا الأمر عندما تبدأ الخروج مع واحد من الرجال. «يشير ما رأيته في عملي إلى أن الانطباعات الأولية ليست مؤشرًا قويًا على احتمال نجاح الزواج. لديّ ابنة في السابعة عشرة. قالت لي ابنتي إنها خرجت مع شابٍ فوجدته مضجرًا. فقلت لها: عظيم! أمر جيد أن يكون مضجرًا! هذا أفضلُ من أن يكون رديئًا. إذا لم تحسي خطرًا أو تقزّزًا، فاخرجي معه مرة أخرى. إذا استطعتِ أن تقولي لنفسك إن لدى الشاب بضع صفات جيدة، فاخرجي معه مرة أخرى. قد يتطلب الأمر لقاءات كثيرة قبل أن تكوني واثقة مما إذا كانت لدى ذلك الشخص أمور تجذبك وتثير اهتمامك. بعد ذلك، من الممكن أن تجدي نفسك معجبة به إعجابًا فعليًا».

ذكّرني هذا الكلام بأمر قالته آن ميارا من فريق «ستيلر وميارا» الكوميدي في مقابلة مع نيويورك تايمز تحدثت فيها عن زواجها المستمر منذ أكثر من ثلاثين سنة: «هل كان حبًا من النظرة الأولى؟ لم يكن كذلك يومها، لكني واثقة من أنه صار كذلك».

بدا لي قصير القامة... في صورة لا يظهر فيها إلّا رأسه

الآن، صار الأمر واضحًا: لا تخبرنا اللقاءات الأولى إلا بأقل القليل. لكن، إذا أجرت مجلة «كوزموبوليتان» مسابقة تشتمل على قصص اللقاءات الأولى، ثم طلبت من القرّاء تخمين اللقاءات التي أثمرت زواجًا سعيدًا واللقاءات التي أثمرت زواجًا فاشلًا، وكذلك اللقاءات التي لم تفضِ إلى الزواج... أنا واثقة من أن كثيرات منّا لن يستطعن الفوز في تلك المسابقة. فلنأخذ قصة تريسي وفيل! لم تكن تريسي راغبة حتى في لقاء ذلك الرجل الذي صار زوجها لأنها بحثت عنه في غوغل فوجدت صورة له استنتجت منها أنه قصير القامة. كانت صورة لا يظهر فيها منه إلا رأسه.

تبلغ تريسي الآن الثانية والثلاثين. قالت لي عبر الهاتف (من فيلادلفيا) إن والدتها على معرفة بوالدة فيل وأرادت أن تجمع بينهما.

«قالت لي أمي إنه فتى جيد، وإن عائلته جيدة. وإنه قد أنهى دراسة القانون وبدأ تدريبه كي يصير محاميًا». فتّشت تريسي في الإنترنت عن موقع الشركة القانونية التي يتلقى فيها تدريبه. واستنادًا إلى صورة مقاسها إنشان فقط لا يظهر فيها إلا رأسه، افترضت أنه شخص قصير القامة.

قالت لي تريسي: «لم أصدق أمي عندما قالت إن فيل طويل القامة. لم أصدقها لأنها لا تعتبر طول القامة أمرًا مهمًا. كانت أمي تبحث لي عن شخص يمكن أن يصير رفيقًا جيدًا لي. أنا أريد ذلك أيضًا، لكن من الضروري أن أجد نفسي مشدودة إلى الرجل. أحب أن يكون الرجل طويل القامة».

كانت لدى فيل بدوره تحفّظات مماثلة. «قالت لي أمي إن تريسي ذكية جدًا، وإنها حصلت على درجة الماجستير من جامعة نيويورك. قالت إنها فتاة جيدة، وإن عينيها جميلتان. هذا ما جعلني أفترض أن بقية صفاتها ليست جيدة».

التقيا آخر الأمر؛ وكان اللقاء في احتفال أُقيم في بلدتهما أثناء عطلة عيد الميلاد. أحس كل منهما أن ظنونه كانت في محلها. على الرغم من اكتشافها أن قامة فيل يبلغ طولها مئة وخمسة وتسعين سنتيمترًا، لم يُثِر أي منهما انطباعًا قويًا في نفس الآخر. قالت لي تريسي: «اعتبرت نفسي غبية لأنني ظننته قصير القامة. لكني واثقة من أن أية 'شرارات' لم تظهر لي في ذلك الوقت. لم يأتني إحساس داخلي يقول لي: *واو! أود أن أكلمه*».

على غرار تريسي، كانت مشاعر فيل فاترة أيضًا. «كان لها شعر طويل متموج... لم أر في ذلك أمرًا حسنًا. بدت لي مثل كلب من نوع بودل».

بعد بضعة أحاديث وديّة، لكنها غير متميزة، طلبت تريسي التي كانت شخصيتها منفتحة أن تحصل على رقم هاتف فيل. رأت أن فيل شخص مهذب ذكي، وتوقعت أن يحدث تقارب بينهما عندما يلتقيان في المرة التالية.

قالت لي تريسي: «لم تكن لديّ أية توقعات رومانسية لأنني لم أحس أية 'كيمياء' بيننا، وأيضًا لأننا نعيش في ولايتين مختلفتين». كانت تريسي تعيش على مقربة من العاصمة واشنطن؛ وكان فيل يعيش في نيوجرسي، «بالتأكيد، لم أكن مهتمة به من الناحية العاطفية، لكني فكرت في أنّ من الممكن أن نصير صديقَيْن نظرًا للعلاقة بين عائلتي وعائلته».

عندما اتصلت تريسي بفيل آخر الأمر، اتخذ الحديث بينهما وجهة حسنة على نحو مفاجئ. قال لي فيل،: «لو لم تتصل بي لما اهتممت بتقصّي أخبارها». لكنهما وجدا نفسيهما يواصلان تلك المكالمات الهاتفية طيلة شهر كامل.

كان فيل يتصل بها كل يوم، لكن تريسي لم ترَ أية احتمالات رومانسية. قالت لي: «كنت لا أزال أعتبره شخصًا جيدًا جدًا. وكنت لا أزال أعتبر أنني قد كسبت صديقًا مخلصًا حقًا».

لم يكن فيل واثقًا من مشاعره، لكنه ذهب كي يزور أمه في ميريلاند، وتوقف في طريق عودته في المنطقة التي تعيش فيها تريسي كي يلتقيها على العشاء. كان اهتمامها أكبر تلك المرة، لكن أيًا منهما لم ينتابه إحساس بأن «صاعقة قد أصابته». قالت لي تريسي إن التجاذب بينهما كان «لا يزال في بدايته».

قال لي فيل: «كان قد انقضى شهر كامل من المكالمات الهاتفية بيننا، فصارت معرفتي بها أفضل من قبل. وأيضًا، صارت تبدو لي أجمل من قبل، لكن ذلك لأنني صرت أعرفها معرفة أفضل».

أضافت تريسي: «كان إحساسي مثل إحساسه. لقد صرنا صديقَيْن. وهذا ما قرّب بيننا. لو لم يتعرف كل منّا على الآخر بشكل أفضل خلال الشهر الذي سبق ذلك، أظنني ما كنت لأشعر بأي شيء نحوه».

بعد ذلك، صارا يتكلمان هاتفيًا عدة مرات كل يوم. وصار فيل يسافر بسيارته إلى واشنطن في عطلات نهاية الأسبوع، كلما استطاع ذلك. على الرغم من المسافة، أو ربما بسبب تلك المسافة، يقول تريسي وفيل مازحَيْن

إنهما أمضيا في الكلام عبر الهاتف وقتًا أكثر مما تمضيه في الكلام المباشر أكثر الثنائيات التي تعيش في مكان واحد.

قالت لي تريسي: «كان لديه استعداد دائم للكلام معي. وكان لهذا معنى كبير عندي. عرفت قبله أصدقاء كانوا جذّابين، وكانوا ناجحين، لكن معاملتهم لي لم تكن حسنة. لم يكونوا أشخاصًا لطيفين. كان مظهرهم جيدًا، وأعمالهم جيدة، وعائلاتهم محترمة، لكن سلوكهم لم يكن لائقًا. كانوا أشخاصًا مغرورين. أما فيل، فكان لطيفًا معي على الدوام، وكان موجودًا دائمًا كلما احتجته. لم أجد نفسي مضطرة إلى التساؤل عمّا إذا كان سيتصل، ولا إلى القلق إزاء تلك الألاعيب كلها».

والآن، بعد زمن طويل من زواجهما، لا يزالان كأنهما يعيشان هناءة المتزوجين حديثًا. لكنهما يسارعان إلى القول إن كلًّا منهما كان عليه أن يقبل ببعض التنازلات.

قال لي فيل: «إنها إنسانة رائعة... فأنا أراها شريكًا حقيقيًا، ندًّا حقيقيًا. لا تقلّ عني ذكاء، ولديها حس فكاهة عظيم. أمر ممتع أن نكون معًا، تجعلني شخصًا أفضل، وتريد أن تكون شخصًا أفضل. لكني أظن أنها تصير زائدة الحساسية أحيانًا. لو كانت لديَّ قائمة بالصفات المثالية، فلا أتوقع أن تكون هذه الصفة موجودة فيها. لكننا نعمل على هذا الأمر لأن لدى كل منا اهتمامًا حقيقيًا بأن يفهم الآخر».

تقرّ تريسي بأنها انفعالية إلى حد زائد، وتقول إنها تقدّر صبر فيل عليها. إن كانت قادرة على تغيير أمر في زوجها، فهو أنه ليس شديد الحرص مثلما تريد له أن يكون.

قالت لي: «يعجبه أن أكون هكذا لأنني أتابع الفواتير كلها وأتابع الأمور التي ينبغي إنجازها. لكن استرخاءه طيلة الوقت لا يعجبني كثيرًا. أتمنى لو كان أكثر اهتمامًا بأمور حياتنا. أحس أحيانًا أنني راغبة في إلصاق ملاحظة على جبهتي كي يتذكر فعل بعض الأمور فلا يؤجلها. لكنه قادر على احتمال طبعي، وعليَّ أن أكون منصفة معه. نحن فريق واحد».

إن لدى فيل وتريسي تلك الطاقة الرومانسية التي أتوق إليها: يعرف كل منهما كيف يكمل جملة يقولها الآخر؛ ويحرص كل منهما على أن يكون لطيفًا إزاء نقاط ضعف الآخر، ثم إن علاقتهما مريحة وتسمح لهما بأن يسخرا مما فيهما من صفات غير حسنة تمامًا. لو لم يستطيعا تجاوز الانطباعات الأولى التي تشكلت في ذهنيهما، لكان ذلك أمرًا محزنًا!

بدورها، تفكر تريسي في هذا الأمر. قالت لي: «أقول لصديقاتي العازبات إنه إذا كان الرجل ظريفًا وبدا شخصًا طيبًا ذكيًا، فعليهن أن يخرجن معه مرة ثانية حتى إن لم يكن من النمط المفضّل، وحتى إذا كان الموعد الأول مضجرًا ولم يثِر عندهن أي إحساس خاص. إذا اعترضت واحدة منهن على قول هذا، فإنني أجيبها: انظري إلينا، أنا وفيل!».

ثلاثمئة غلطة من أغلاط الموعد الأول

هو ليس من النمط الذي يعجبني! كان موعدنا مضجرًا! لم أحس شيئًا! ليست هذه إلا ثلاثة من الأسباب التي تقدّمها النساء تبريرًا لعدم الإقدام على رؤية الرجل مرة أخرى. لكن مدرب المواعدة إيفان مارك كاتز قال لي إن قائمة الأسباب يمكن أن تطول، بل أن تطول إلى حد عجيب.

قال لي إيفان: «كتبت إيميلًا إلى النساء لأنني أردت معرفة ما يخطئ الرجال فيه أثناء اللقاء الأول. توقعت أن أحصل على قائمة فيها بضعة أمور: *لم يدفع الحساب! كان فظًا مع النادلة! لم يسألني عن حياتي!* لكن تلك النساء أرسلن لي ثلاثمئة سبب! لم أكن أعرف أبدًا أن هناك ثلاثمئة أمر يمكن أن أخطئ فيها أثناء الموعد الأول. لو كانت عشرة أمور لبدا الأمر معقولًا. لكن، ليس ثلاثمئة! تخيلي كم ينبغي أن تكوني شديدة التدقيق حتى تستطيعي ذكر هذه الكمية الهائلة من الأمور التي قد تجعلك تمتنعين عن الخروج معه مرة أخرى. لقد قالت تلك النساء أمورًا من قبيل: 'لا يصح أن يغير صوته حتى إذا كان من أبرع الناس في تقليد الأصوات'، و'لا يجوز أن يقول لها إن ما من شيء يستطيع منعه من متابعة المباراة النهائية'

و’لا يجوز أن يستخدم حزامًا بنيًا مع حذاء أسود، أو العكس بالعكس‘. لقد جربتُ الأمر نفسه مع الرجال، فلم يذكروا إلا بضعة أمور يمكن أن تثنيهم عن الخروج مع المرأة مرة أخرى: *’لم أرها جذابة بالقدر الكافي! لم تستطع أن تثير شيئًا في نفسي! ليست امرأة دافئة!*».

قال لي إيفان إن المشكلة عند النساء تبدو على النحو التالي: نحن لا ندرك أن ذلك مجرد لقاء، لا أكثر. وبحسب تعبيره: «تقول المرأة في نفسها، ’هل هو زوجي؟‘. لكن هذا المعيار أكثر ارتفاعًا من أن تقول، ’هل ينبغي أن نخرج معًا في موعد جديد؟‘. سوف يطلب منك الرجل لقاء آخر إذا رآك ظريفة وإذا استمتع بالجلوس معك. أستطيع القول مما رأيته حتى الآن إن النساء أميَل كثيرًا إلى إطلاق الأحكام بعد اللقاء الأول».

الخلط بين «المُواعِدين الجيّدين» و«الأزواج الجيّدين»

حدثني المعالج النفسي في فيلادلفيا، د. مايكل برودر، عن الإحساس بالاستحقاق الزائد فقال إن تلك التوقعات غير المنطقية تبدأ اعتبارًا من الموعد الأول.

قال لي: «لا يكاد يوجد أحد من الناس لا يعرف أشخاصًا متزوجين سعداء... لكن ’الشرارات‘ لم تظهر منذ بداية العلاقة. إلّا أن نساء كثيرات يذهبن إلى الموعد الأول فتقول الواحدة منهن، ’أريد أن تبدأ العاطفة الملتهبة على الفور، وإلا فمع السلامة!‘. لا تريد تلك النساء الانتظار لرؤية إن كان يمكن أن ينشأ شيء جديد في اللقاء الثاني، أو في اللقاء الثالث. يردن الحصول على كل شيء، على الفور، ولا يصبرن أبدًا على الرجال الذين لا يتركون لديهن انطباعًا ممتازًا على الفور. إذا لم ’يدوّخها‘، فلن تكون راغبة في رؤيته مرة أخرى».

يعتبر د. برودر أن النساء غالبًا ما يخلطن بين «المواعِدين الجيدين» و«الأزواج الجيدين»؛ وهن يعتقدن أن «المواعدين السيئين» سيكونون «أزواجًا سيئين». ننسى، نحن النساء، أن الرجل الذي يكون مرتبكًا أو زائد

الهدوء أو غير طريف في الموعد الأول، يمكن أن يكون سلوكه ناجمًا عن أنه «متحمس» كثيرًا، لا عن أنه «غبي». الحقيقة أنه يمكن أن يكون شخصًا جيدًا فعلًا. فالرجل الذي لا يثير ذهولك أسلوبه البارع في المواعدة يمكن أن يثير ذهولك من كونه زوجًا محبًا. وأما ذلك الشخص البارع فقد يتضح لك أنه ليس زوجًا ممتازًا. ليست المهارة في المغازلة -في الموعد الأول خاصة- مؤشرًا موثوقًا على طبيعة الزوج الذي سيكونه الرجل. هذا ما جعل ليزا كلامبيت (الاختصاصية في التوفيق بين الثنائيات، والتي تعمل في مدينة نيويورك) تقول لي إنها تحاول تشجيع العميلة على الخروج في موعد ثانٍ إذا وجدتها غير متحمسة بعد الموعد الأول. من الطبيعي أنها لا تفرض عليها فعل ذلك، لكنها توضح للطرفين، منذ البداية، أن كلًا منهما سيكون قادرًا على التوصل إلى قرار صائب بعد الموعد الثاني إذا كانت المشاعر «محايدة» في اللقاء الأول. ففي بعض الأحيان، يكون الناس متوترين في اللقاء الأول، وفي أحيانٍ أخرى، يكون لديهم إحساس يقول لهم إن أمامهم فرصة واحدة فقط، -مثلما يكون الأمر في مقابلات العمل- فيصير تركيزهم كله منصبًا على «ضمان» الموعد الثاني إلى حد يجعلهم غير قادرين على الاسترخاء في الموعد الأول. أما إذا كان الموعد الثاني «مضمونًا» فإن التفاعل بين الطرفين في الموعد الأول يصير طبيعيًا أكثر. وحتى إذا كان التفاعل الأول «محايدًا»، ولم تظهر أية شرارات -مثلما جرى بيني وبين مايك- فإن ليزا كلامبيت ترى أن الأمر غالبًا ما يتغير في اللقاء الثاني حيث يمكن أن ينظر كل طرف إلى الآخر بعين مختلفة لأنه قابله من قبل.

أما عندما يكون الموعد الأول «سلبيًا جدًا»، فإن كلامبيت تتحدث مع الطرفين كي تفهم سبب ذلك.

قالت لي: «أتفهّم الأمر، أحيانًا. وفي الوقت نفسه، لا أريد منهما أن يكونا غير منطقيَيْن فيفوّتا الفرصة».

سألتها عن النصيحة التي يمكن أن تقدمها إلى واحدة من صديقاتي خرجت في موعد أول مع رجل وصفته بأنه شخص ذكي، ظريف، كثير الأسفار، لكنه

«غير بارع في الكلام». فبحسب تعبير صديقتي تلك، «كان اللقاء يشبه قليلًا جلسة فيها عشرون سؤالًا. وكانت فيه لحظات صمت مربكة، لحظات 'وماذا بعد؟'». لم تكن صديقتي راغبة في الخروج معه مرة أخرى.

سمعت كلامبيت تتنهد في سماعة الهاتف. سألتني: «ماذا يتوقع الناس عندما يلتقون شخصًا أول مرة؟ هل تتوقعين أن تحسّي راحة تعادل ما تحسينه مع أشخاص تعرفينهم من قبل؟ أحيانًا، يجري الحديث الأول بكل يسر؛ لكن الأمر يتطلب -أكثر الأحيان- لقاء ثانيًا وثالثًا ورابعًا قبل أن يصير الإحساس طبيعيًا. لا مشكلة لدينا في منح زملائنا في العمل أو أشخاصًا يمكن أن يصيروا أصدقاء لنا فرصة أكبر عندما نلتقيهم أول مرة، وذلك إذا لم نر تلك التفاعلات الأولى مشجعة جدًا! فلماذا لا نمنح الأزواج المحتملين تلك الفرصة نفسها؟

تقول كلامبيت إنكِ لا تستطيعين معرفة الكثير من خلال تلك الأحاديث الأولى. هي لا تطالبكِ بأن تتزوجي ذلك الرجل؛ لكنها تريد منك أن تنفقي ساعتَيْن إضافيتَيْن كي تري إن كان الوقت الذي تمضينه معه جيدًا أو ممتعًا.

قالت لي: «ينبغي أن يتزايد الحب مع الزمن لا أن يبدأ من الذروة! الحب الحقيقي يتطور مع الزمن. الحب الحقيقي هو تعلم كيفية تكوين الثقة والرابطة بين الطرفين، وكيفية تكوين أسرة معًا سواء أكانت أسرة مع أطفال أم من غير أطفال. هذا ما يجعلني أنصحك بألّا ترهقي نفسك في التفكير فيه منذ البداية. تميل النساء خاصة إلى التعجّل في استبعاد الرجل. بحسب تجربتي، النساء أكثر من الرجال رفضًا لفكرة الخروج في موعد ثانٍ».

لم تكن كلامبيت أول من أشار إلى أن المرأة ميّالة أكثر من الرجل إلى المبالغة في التدقيق. فهل يصح هذا على وجه العموم، وليس على المواعيد الأولى وحدها؟ فكرت في تلك الأغلاط الثلاثمئة التي قالت النساء إن الرجال يرتكبونها في الموعد الأول. بدا لي هذا شيئًا شديد التطرف.

من هنا، كان لا بد لي من معرفة الإجابة عن السؤال التالي: هل صحيح أن النساء أكثر تدقيقًا؟ هل النساء أكثر تدقيقًا من الرجال؟

16

النساء أكثر تدقيقًا من الرجال

قلت لصديقي كايل: «أوه! هذا غير معقول!». كايل رجل متزوج يعمل صحافيًا في نيويورك. كنا نتكلم على من يبالغون في التدقيق. لم أستطع تصديق النظرية التي سمعتها منه: إذا كانت المرأة طبيعية، وكان لديها بعض الجاذبية، فسوف يمنحها أكثر الرجال فرصة أخرى.

شرح الأمر على النحو التالي: «إذا لم يبد على الفتاة أنها ممن يكثرن من نوبات البكاء غير المفهومة، أو ممن يكثرن من تناول مضادات الاكتئاب، أو ممن يمضين في مناقشات لا نهاية لها تتناول أدق التفاصيل في العلاقة، أو ممن يحاولن التفتيش في الإيميل عن أسماء صديقات الرجل السابقات، فهذه مزايا عظيمة في نظرنا. هذه بداية حسنة جدًا!».

لعله كان نصف مازح عندما قال لي ذلك، لكن في ما قاله قدر من الحقيقة: متطلبات الرجال أقل صرامة من متطلبات النساء.

في سنة 2007، أجرت كل من «سي إن إن» و«تايم» استطلاعًا عبّر فيه ثمانون بالمئة من الرجال والنساء بأنهم وجدوا، آخر الأمر، شريكًا ممتازًا. أما عندما سُئلوا إن كانوا سيتزوجون شخصًا آخر لو أنهم لم يعثروا على ذلك الشريك الممتاز، أو على تلك الشريكة الممتازة، فقد أجاب أربعة وثلاثون بالمئة من النساء بنعم، وذلك بالمقارنة مع واحد وأربعين بالمئة من الرجال. لم تفاجئ هذه النتيجة ليزا كلامبيت. غالبًا ما يكون عملاؤها

الذكور أصحاب ذهن أكثر انفتاحًا بالمقارنة مع النساء. إذا طلبت من واحد من الرجال أن يزيح الحد الأقصى لعمر المرأة التي يريدها من ثلاثين إلى خمسة وثلاثين عامًا، فعادة ما يستجيب لطلبها. وإذا طلبت منه التفكير في امرأة طول قامتها مئة وثمانية وخمسون سنتيمترًا بدلًا من مئة وثمانية وستين سنتيمترًا، فمن المرجّح أن يقبل ذلك.

قالت لي كلامبيت، «الرجال أكثر انفتاحًا على الأنماط المختلفة، في حين تجد النساء صعوبة في ذلك. لديهن قواعد كثيرة في شأن من يردنه ومن يمكن أن يخرجن معه. لا تستطيع النساء التخلي عن صورة الرجل المثالي التي في أذهانهن».

لقد درس عالم الاقتصاد السلوكي في معهد ماساشوستس للتقنية، دان آرييلي أكثر من عشرين ألف شخص ممن يواعدون عبر الإنترنت فتوصل بدوره إلى أن النساء أكثر تدقيقًا من الرجال. فمن حيث الأساس، وإذا كان لدى المرأة قدر من الجاذبية والدفء يتجاوز عتبة بعينها، فإن الرجل يصير مهتمًا بها. لا يبالغ الرجال كثيرًا في تحليل التوقعات المتصلة بدخل المرأة ومستواها التعليمي وطبيعة عملها وطول قامتها وعِرقها بالقدر الذي تبلغه النساء في تحليل الرجال فيما يتعلق بهذه الصفات.

قال لي آرييلي: «إن في أذهان النساء صورة أكثر وضوحًا لما ينبغي أن يكون عليه الرجل. وأما الرجل، فإن الفكرة التي في رأسه أكثر غموضًا، وهو أقل تصلبًا في شأن التفاصيل».

لا بأس! لا بأس! لكن هذا من حيث التجاذب الأولي. أما بعد أن تبدأ العلاقة، فقد عرفت رجالًا كثيرين ممن تركوا النساء نتيجة ما اعتبروه أسبابًا عرجاء. قال لي بن البالغ خمسة وأربعين عامًا (وهو يعمل في مصرف) إنه أنهى علاقته مع صديقته لأن كاحليها نحيلين كثيرًا. وقال شخص آخر إن ذوقَيْهما في الأثاث متباينان («أحسست أن من غير الممكن أبدًا أن نتفق على ترتيب بيتنا»). وقال شخص ثالث إنه ترك صديقته لأنهما «متشابهان أكثر مما ينبغي»! لكم أن تصدقوا هذا أو لا تصدقوه!

متشابهان *أكثر مما ينبغي!!!* قال الرجل موضحًا موقفه: «كنا نمضي أوقاتًا طيبة، لكنني أدركت في النهاية أننا لسنا مختلفَيْن بالقدر الكافي لجعل العلاقة بيننا مثيرة للاهتمام على المدى البعيد». عندما سألت بن عن المشكلات التي يمكن أن تكون صديقاته السابقات قد وجدنها فيه، ذكر لي أمورًا من قبيل قلة اهتمامه بقصصهن، ومَيْله الشديد إلى المماطلة والتأجيل، وتركه جسده «في حالة مهملة» (لكنه لم يستطع احتمال رقة كاحلَيْ صديقته!؟). مكتبة سُر مَن قرأ

انفصل محام جذاب عن امرأتين كانت رفقتهما ممتعة له كثيرًا... إلا في دعوات العشاءٍ: واحدة منهن كثيرة الكلام («كانت تهيمن على الحديث كله»)، والأخرى شديدة الخجل («كنت أحس نفسي على الدوام مسؤولًا عن استمرار مشاركتها في الحديث»). الظاهر أن ذلك الرجل لم ينتبه إلى أنه لن يذهب إلى دعوات عشاء كثيرة بعد أن يتزوج وينجب أطفالًا، ولم يدرك أن استمتاعه بالوقت الذي يمضيه مع زوجته وحدهما هو ما سوف يصير ذا أهمية كبيرة.

قال الرجل: «إنني أبحث عن التوازن الصحيح... شيء يشبه قصة الدببة الثلاثة». (أعتقد أن الإيمان بالقصص الخرافية ليس مقتصرًا على النساء).

قال لي آريلي عندما رويت له هذه القصص: «لا بأس! أحيانًا لا يتعلّق الأمر بالمبالغة في التدقيق بقدر ما يتعلّق بالجوانب الحميمة في العلاقة. من الممكن أن تكون لدى الرجال والنساء مشكلات من هذه الناحية. لكن، على وجه الإجمال، ولدى البشر الأصحّاء من الناحية النفسية الذين يرغبون في الزواج، تُكثر النساء من الحسابات المتعلقة باتخاذ القرار أكثر مما يفعل الرجال. ما يلزم الرجل كي يقع في الحب أقل مما يلزم المرأة. اسألي النساء والرجال عن نسبة من يمكن أن يخرجوا معهم، وسوف تجدين أن النسبة التي تذكرها النساء أدنى كثيرًا، فلماذا؟ أعلم أن عالم العلاقات العاطفية قد شهد تطورًا، لكنني أظن أيضًا أن هناك سببًا ثقافيًا».

من حيث التطور الذي شهده ميدان العلاقات العاطفية، كما قال لي،

كان على النساء توخي قدر أكبر من التدقيق لأنهن كنّ في حاجة إلى من يعينهن على تنشئة الأطفال. وأما في أزمان أحدث عهدًا، فالظاهر أن المعايير الثقافية هي التي تجعل النساء شديدات التدقيق... وهذا غير مقتصر على الأمور المتصلة بالأطفال، كمستوى الدخل و«الجينات الجيدة». أحببت التحقق مما سمعته فسألت عشرات النساء عما يبحثن عنه في الشريك. تلقيت الإجابات المعتادة كلها: جذاب، مرح، ذكي، لطيف، مستقر من الناحية المالية. لكني تابعت التدقيق فوجدت أنهن يردن أيضًا -بل يشترطن، في واقع الأمر- شريكًا يتمتع بحياة انفعالية وعاطفية ديناميكية، أي رجلًا يصغي إلى أحاسيسهن ويحدثهن عن أحاسيسه مثلما تفعل صديقاتهن. عندما سألتهن عن السبب، قالت لي نساء كثيرات إنهن راغبات في رجل «غير بسيط» من الناحية العاطفية، وذلك لاعتقادهن أن رجلًا يحقق هذه الصفة ينبغي أن يكون شخصًا فطنًا ميّالًا إلى التأمل.

بدا لي هذا المطلب مشروعًا. ألا يريد الرجال أيضًا شريكات فطنات متبصّرات؟ نعم ولا، كما قال لي آرييلي. فهو يرى أن لدى الرجال نظرة مختلفة إلى النواحي الانفعالية والعاطفية: تبدو لهن النساء غير البسيطات من الناحية العاطفية نساء عصابيات يصعب التعامل معهن. هذا ما يراه رجال كثيرون. وأما نظرة النساء إلى هذا الأمر فقد تكون شبيهة بنظرة الرجل إلى الشخصية غير المستقرة.

تعتقد ميليسا البالغة ثلاثة وثلاثين عامًا أن آرييلي محق؛ وهي مقرة بأنها امرأة غير بسيطة من الناحية الانفعالية.

قالت لي: «يقول الناس إن الرجال يقبلون بالنساء اللواتي لا يمثّلن تحديًا بالنسبة إليهم. لكني أظن هذا غير صحيح لأنني أرى أن ذلك ما يبحث عنه رجال كثيرون... المرأة المطواعة، المحبة، التي يسهل التعامل معها. يريدون امرأة لا تبالغ في التفكير في كل أمر. هذا ما يجعل الرجال يبدون كأنهم أقل ميلًا إلى الإفراط في التدقيق. ولكن، هل الرجال أقل ميلًا إلى الإفراط في التدقيق، أم إن الرجال والنساء يريدون أمورًا مختلفة؟».

التسوّق من مكان واحد

يقول الرجال الذين تحدثت إليهم إن لدى النساء توقعات كثيرة جدًا... وإن الرجال لا يستطيعون تلبية تلك التوقعات كلها. قال لي كايل، وهو صحافي في نيويورك، إن النساء كنّ يبحثن (في ما مضى عندما كان يخرج مع النساء) عن رجل ثري طويل القامة يستطيع أن يكون «معادلًا عاطفيًا» لصديقاتهن.

شرح كايل ما عناه على النحو التالي: «تريد النساء من الرجال أن يكونوا مثليين وغيريين في وقت واحد. هذا ما يؤدي إلى خيبة أملهن في الرجال، وإلى نفورهن منهم. لا يحب الرجل الطبيعي الكلام في الأزياء ولا التنقيب عن النواقص الشخصية عند الناس مثلما يحب ذلك الرجال المثليون».

ذكرني كلامه بحديث جرى بيني وبين واحدة من صديقاتي المقربات عندما قلت لها ذات ليلة إنني أريد الحصول على ما حصلتْ عليه عندما وجدتْ زوجها: كانا يبدوان لي عاشقين مثاليين وصديقين حميمين.

قالت لي: «الحقيقة أن صديقتي الحميمة هي أنت».

ثم فسرت كلامها كالتالي: «إذا حكيت لزوجي نصف ما أحكيه لك، فسوف يقتله الضجر، وسوف يحاول إسكاتي. عندها، سوف نتشاجر لأنه لا يحب أن يصغي إليّ. ثم إنني أشكو همومي إليك بدلًا من إزعاجه كل يوم».

حيّرني كلامها. سألتها: «إذا كنت صديقتك الحميمة، فهل يعني هذا أن زوجك ليس صديقًا حميمًا لك؟».

ابتسمت قبل أن تقول: «ربما. ولكن، أحبه أكثر مما أحبك».

تقول صديقتي إنها كانت، قبل بضع سنين من ذلك، غير قادرة على هذا التمييز. وذات يوم، أدركت الأمر بعد انزعاجها من عدم اهتمام زوجها بأحاديثها العاطفية. «قلت في نفسي: أقرب أصدقائنا لا يلبّون احتياجاتنا كلها. ولهذا فإن لدينا عددًا من الصديقات المقربات، وليس صديقة واحدة فقط. إذًا، لماذا يتعين على الزوج أن يكون صديقًا مثاليًا يلبي حاجاتنا كلها

ويشاركنا اهتماماتنا كلها؟ كيف له أن يستطيع التعامل مع هذا النوع من الضغوط؟».

تعتقد صديقتي أن على النساء العازبات تعلُّم هذا الدرس جيدًا.

تذكرت أيضًا ما سمعته من صديقي آندي عندما حدثني عن زوجته. قال لي آندي: «أظن أن ثمة مبالغة في تقدير فكرة 'قضاء الحاجات كلها من مكان واحد'. أحصل على جزء من حاجتي الانفعالية والعاطفية في المكتب، أثناء العمل، أو مع أصدقائي الذين أتحدث معهم أحيانًا أو أتصل بهم. هذا أمر مختلف. و، يا إلهي! سيكون أمرًا رائعًا أن أستطيع فعل ذلك مع زوجتي. لكني أمضي مع الناس في مكان عملي وقتًا أطول مما أمضيه معها».

سألته إن كان يعتبر هذا الأمر تنازلًا من جانبه، أو قبولًا بما هو متوفر. أجابني: «لا، على الإطلاق! لديها قدر كبير من الصفات التي أردتها في زوجتي. لقد أرهقني البحث عن الصفات غير الموجودة لديها».

بدا لي أكثر الرجال الذين تحدثت إليهم أشخاصًا واقعيين في ما يتصل بمحدودية قدرة أي إنسان على توفير حالة من الرضا الكامل لإنسان آخر. وبحسب تعبير كورت، الشاب الخاطب الذي تحدثت إليه في ما مضى في بار في لوس أنجلوس، «لا يهم الرجل أن تجلسي وتتابعي معه مباراة في كرة القدم؛ لكن المرأة لن تتزوج الرجل إذا لم يكن مستعدًا لسماع تفاصيل كثيرة عن لقاءات نادي القراءة الذي تذهب إليه».

لقد بدأت أرى الأمر على النحو التالي: إن على الرجل والمرأة، كليهما، أنْ يقدما تنازلات حتى يستطيعا العيش معًا، لكنهما يتنازلان بطريقتين مختلفتين. فبالنسبة إلى الرجال المتزوجين، يكون اقتصار العلاقات الجنسية على امرأة واحدة أكبر تنازل يقدمه الرجل. وأما المرأة المتزوجة، فإن أكبر تنازل من جانبها هو تقبّلها ألّا تقتصر «منافذها» الانفعالية والعاطفية على شخص واحد. يمكن القول بكلمات أخرى إن التنازل متمثل في قبول عدم امتلاك صلة عاطفية واحدة مشتملة على كل

شيء، والاضطرار إلى جعل جزء من تلك الصلة واقعًا خارج إطار الزواج. إنه قبولها فكرة أن مخلوقًا بشريًا واحدًا غير قادر على أن يقدم إليها تلك «الكثافة العاطفية» التي لا يرغب فيها معظم الرجال أصلًا.

أستطيع أن أكون أقل تدقيقًا... نظريًا

آني امرأة في الرابعة والثلاثين؛ وقد عادت إلى عالم المواعدة من جديد. لقد ظلت ثلاث سنوات متزوجة من رجل وسيم، ذكي، مرح، مثير كان قبل ذلك صديقًا رائعًا لها ثم اتضح لها أنه زوج «فظيع». عندما تستعيد آني ذكريات الماضي، ترى أنها أهملت الانتباه إلى العلامات التحذيرية التي ظهرت لها. لقد كانت على الدوام امرأة شديدة التدقيق، لكنها بدأت، بعد طلاقها، تحاول التعامل مع عالم المواعدة بطريقة مختلفة.

قالت لي: «لا أزال راغبة في أن ينشأ لدي إحساس إيجابي إزاء الرجل، وفي أن أجده شخصًا لافتًا. لكن ما تغير الآن هو عدم إصراري على ضرورة إحساسي بأنني 'لم أشعر هكذا من قبل' أو 'أحس خدرًا في أصابع قدمي'. هذا ما كنت أحسه مع الرجل الذي كان زوجي، لكنني أعرف الآن أن ذلك الإحساس يمكن أن يكون مضللًا».

تقول الآن إنها صارت مدركة أن هناك صفات أخرى أكثر أهمية من هذا.

قالت: «أحاول أن أكون أكثر تقديرًا للصحبة الجيدة ولطف الطبع... هذه أمور مهمة كثيرًا، لكنني لم أكن أنتبه إليها بالقدر الكافي. لا أريد الآن إلا شخصًا ذكيًا نسبيًا، شديد اللطف، مستقرًا من الناحية المالية، ويريد تكوين أسرة الآن. سوف أعيد النظر في مسألة المظهر الجسدي. أنا مقتنعة بهذا، لكنني أجد نفسي أحيانًا وقد عدت إلى أسلوبي القديم».

أخبرتني أنّ واحدة من صديقاتها حاولت في الآونة الأخيرة ترتيب لقاء بينها وبين محام يعمل مع زوجها في شركة قانونية واحدة. نظرت آني في صفحته في فيسبوك فرأت أنه يبدو ظريفًا، لكن ما كتبه لم يعجبها.

قالت لي: «كان ما كتبه عن نفسه شبيهًا بأية سيرة ذاتية مختصرة يكتبها أي محام. قلت في نفسي: أوووف! هذا شيء مضجر! لم تقل لي صديقتي إنه شخصٌ بليد، لكنها لم تقل أيضًا إنه شخص لافت. كان ما قالته، 'ما الضرر إذا خرجتِ معه؟ إنه شاب رائع'. لكنني قلت في نفسي، 'هل أنا راغبة في أن أخوض مع ذلك الشخص في أحاديث صغيرة تافهة تتناول سندويتشات التونة بالتوابل؟'. يقول لي الجميع إن عليَّ تغيير موقفي والخروج معه كي أرى إن كنا سنمضي وقتًا ممتعًا».

سألتُ آني كيف سيكون إحساسها بعد بضعة سنوات من الآن إن كانت لا تزال عازبة. طرحت عليها ذلك السؤال بعد سماعي قولها إنها غير مستعدة حتى للخروج مرة واحدة مع رجل لأن *ما* كتبه عن نفسه في فيسبوك *لم يعجبها*.

فكرت آني في الأمر بضع لحظات، ثم قالت، «هل سأخرج مع ذلك الرجل عندما أصير في الخامسة والثلاثين... إذا كان لا يزال موجودًا؟ لست واثقة! لم أصل إلى تلك السن بعد. لكني إذا لم أتزوج في غضون سنتين من الآن، فسوف أعتبر نفسي واقعة في مشكلة وسأكف عن اعتبار أنني كنت صادقة مع نفسي. عندها، سأكون مثل من تؤذي نفسها بنفسها».

تقول آني إن ما سيدفعها إلى تغيير طريقة تفكيرها لن يكون مقتصرًا على «الساعة البيولوجية»، بل أيضًا حقيقة أنها سترى معظم صديقاتها سعيدات في زواجهنّ وأنها راغبة بدورها في الحصول على ما حصلن عليه.

قالت لي: «أريد أن أمضي في الحياة مع أحدهم. وأدرك أن هذا يعني ضرورة التخلي عن بعض الخيالات التي في رأسي. أدرك أيضًا أنه لا بد لكل إنسان من القبول ببعض التنازلات. من الناحية النظرية، أنا مقتنعة تمامًا بضرورة أن أكون أقل تشددًا وانتقائية. وأما في الممارسة الفعلية، فأنا لا أزال أجد صعوبة في ذلك».

وعلى غرار آني، عبّرت جوسلين البالغة تسعة وثلاثين عامًا عن حقيقة أنها مقتنعة بالأمر من الناحية النظرية فقط.

قالت لي: «أنا لست راهبة كي أجلس وحدي في صومعتي منتظرة أن يتحقق السيناريو المثالي كله. أعلم أن الحياة ليست مثالية. لكني أعلم أيضًا أنني في حاجة إلى رجل لديه قدر من البصيرة والعمق العاطفي. إذا لم أستطع أن أكون مع شخص يقدّر دقائق طبعي تقديرًا حقيقيًا، فهذا يعني أنني لن أستطيع البقاء مهتمة به على المدى البعيد».

يقول «مدرِّب المواعدة» إيفان مارك كاتز إن نساء كثيرات ممن يعمل معهن يبدأن من النقطة التي تقف آني وجوسلين عندها الآن: *لا أستطيع أن أكون مشدودة إلى هذا الرجل أو ذاك بقرار أتخذه. أريد أن أقدم تنازلات، لكنني لا أستطيع.*

يقول إيفان لهؤلاء النساء: «لا بأس، لا تتنازلي! ولكن عليك ألا تكوني في دهشة من أمرك إذا رأيت بقية النساء 'يقدمن تنازلات' بغية الوصول إلى علاقات مُرضية في حين أنك باقية على إصرارك على ملاحقة حلم لا يصل أبدًا إلى النهاية السعيدة المرجوّة».

تريد النساء ما هو أكثر

قالت لي محامية متخصصة في قضايا الطلاق في دنفر اسمها إدرا بولين إنها ترى «النساء غير راضيات لأن لديهن رغبة دائمة في الحصول على المزيد». على سبيل المثال، تريد النساء مزيدًا من الرومانسية، ومزيدًا من المساعدة في الأعمال المنزلية، ومزيدًا من العاطفة. تريد بعضهن أيضًا من تدعوهم إدرا «منتجي دخل أفضل». بكل تأكيد، ثمة رجال يسعون إلى الطلاق عندما يكونون واقعين في أزمات منتصف العمر، كما قالت إدرا، لكن النساء هنّ من تطلبن الطلاق أكثر الأحيان، وتتركن الرجال في حيرة من الأمر.

قالت موضحة ذلك: «يصير الرجل كمن يقول في نفسه: لم يقل لي أحد إننا نعاني مشكلات. ظننت أن كل شيء يسير على خير ما يرام!».

يقول تقرير عن الطلاق أعدّه «مشروع الزواج الوطني» في جامعة

روتغرز إن ذلك قد يكون السبب في أن ثلثي حالات الطلاق تكون بمبادرة من النساء. وقالت بولين إن النساء غالبًا ما يتوقعن من رجالهن أن يكونوا «كل شيء»، ثم يشعرن أن ثمة ما ينقصهن... «شقيق الروح»، على سبيل المثال.

كيث رجل في السادسة والثلاثين. قال لي إن زوجته طلبت الطلاق منذ سنة. لقد قالت له: «أحبك، لكنني غير واقعة في هواك». اتضح بعد ذلك أنها «واقعة في هوى» رجل آخر.

قال كيث: «لديّ شهادة ماجستير؛ ولدي وظيفة جيدة في ميدان أمن الكمبيوترات. لدي أيضًا رخصة طيار. بيتي ملك لي؛ وأنا أتمتّع بلياقة جسدية معقولة. أساعد الطلبة في الاستعداد لامتحان شهادة التعليم الأساسي؛ وأقوم بذلك تطوعًا. أذهب إلى الكنيسة. أعلم أنني لست شخصًا مثيرًا جدًا، لكنني أتلقى راتبي كي أكون إنسانًا حريصًا يعرف كيف يتقي المخاطر. لست 'روميو'! هذا هو السبب الذي جعل زوجتي تتركني».

قابلت المختص في علم الاجتماع في جامعة بن الحكومية بول أماتو الذي يدرس حالات الطلاق. سألته عما يجعل النساء يفعلن ذلك.

قال لي إن الأمر عائد إلى اختلاف بين الجنسين من حيث التوقعات. قال القسم الأكبر من النساء اللواتي شملتهن دراسته إنهن كنّ يتوقعن أن يكون الزواج أمرًا مختلفًا... أمرًا أكثر إثارة، أو أكثر سهولة. هذا ما يدفعهن إلى الظن بأن المشكلة موجودة عند الزوج: يعتقدن أنه قد صار مضجرًا، لكن الحقيقة هي أن الزواج هو الذي صار «مضجرًا» بالمقارنة مع ما شهدته بداية العلاقة من رومانسية.

سألت بعض الرجال عما يتوقعونه في الزواج. ألكس في التاسعة والثلاثين؛ وهو متزوج منذ أربع سنين، قال لي إنه لا يجد مشكلة في حقيقة أن زوجته تنقصها بعض الصفات التي كانت موجودة في «قائمة التمنيات» عنده، وذلك لأنه يحبها كثيرًا.

قال ألكس: «أتمنى لو كانت زوجتي أقل توترًا بخصوص الأمور

الحياتية. أتمنى لو أنها أكثر تقبلًا لما أتسم به من بطء في إنجاز الأمور. وأتمنى أيضًا لو كانت أصغر سنًا وأشد إثارة... ولكن، أليس الأمر هكذا دائمًا في العلاقات التي تستمر زمنًا طويلًا؟»

غراهام رجل في الرابعة والثلاثين يعيش علاقة عاطفية جادة. قال لي إن ثمة أمورًا في علاقته يتمنى لو أنها كانت مختلفة؛ لكنها ليست أمورًا كبيرة إلى حد إفشال الأمر كله. في الماضي، عندما كان «يُسقط» بعض النساء من حساباته، كان الأمر على الدوام متعلقًا باختلاف في القيم: الأهداف المهنية، والأمان، والمال، والدين، وتنشئة الأطفال الذين سيأتون. لم يحدث أبدًا أن أنهى علاقته بأية واحدة من صديقاته السابقة نتيجة أمور من قبيل: «أتمنى لو أنني كنت مع فتاة تحب عددًا أكبر من الأمور التي أحبها، كالمباريات الرياضية، أو المسرح، أو الموسيقى. كنت أتمنى أن تحب فتاتي رحلات المشي. أتمنى أن أكون مع فتاة قادرة على مواصلة جني المال حتى بعد أن يصير لنا أطفال. كنت أتمنى أن أكون مع فتاة صغيرة الجسم إلى حد يجعلني قادرًا على حملها أثناء ممارسة الجنس. كنت أتمنى أن أكون مع فتاة تحب الإكثار من ممارسة الجنس مثلما أحب. كنت أتمنى أن أكون مع فتاة تفضل القدوم إلى شقتي في بروكلين حتى لا أضطر إلى السكن طيلة الوقت في شقتها في مانهاتن».

أصغيت إلى تلك «القائمة» وفكرت في نساء كثيرات أعرفهن ممن قطعن علاقاتهن مع أصدقائهن (أو ممن لن يترددن في قطعها لو أنهن كنّ مكانه): ليس مهتمًا بالأمور التي تهمني! لا يجني قدرًا كافيًا من المال! يريد ممارسة الجنس أكثر مما أريد! لا يحب أن يكلّف نفسه عناء المجيء إلى شقتي!

على الرغم من ذلك كله، كان هذا الرجل قادرًا على تقبّل هذه الأمور. صديقة غراهام الحالية (ليست كاملة) على الإطلاق؛ لكنه يرى أنه سيكون شخصًا «مفرطًا في التدقيق» إذا تركها. ليست صديقته رياضية، ولا تحب الألعاب الرياضية. وهي أطول قامة مما كان يتمنى. ثمة أمور في العلاقة

الجنسية لا بد من العمل على تجاوزها. من الممكن أن تكون ذات شخصية «دراماتيكية» في مواقف لا يرى غراهام أنها تستدعي ذلك.

قال لي غراهام: «أنا متمسك بهذه العلاقة لأن الأمور التي أعتبرها مهمة تبدو لي موجودة كلها. إنها فتاة ذكية. وثمة إعجاب وجاذبية متبادلان. نضحك معًا، ونغني معًا. لدينا قيم مشتركة. ولدينا أيضًا إحساس بالإعجاب والاحترام المتبادلين».

يعمل جاك في تصميم مواقع الإنترنت. إنه في الثلاثين؛ وهو الآن يستعد للزواج. قال لي إنه حزن كثيرًا منذ عشر سنين عندما رفضته فتاة لأنه باح لها بما كان يكنّه من إعجاب لواحدة من صديقاته العزيزات في المدرسة. لكنه استمع إلى قصص عن علاقات كثيرة فأدرك أن الأمر لم يكن شخصيًا. رأى تلك الفتاة ترفض رجالًا غيره استنادًا إلى أمور بسيطة جدًا («ظل شهرًا كاملًا من غير تأمين صحي. ألا يعني هذا أنه شخص غير مسؤول؟») أو إلى جملة واحدة (قال: «كل الفتيات اللواتي خرجت معهن... »)، أو إلى كلمة لم تعجبها («كان يناديني 'يا صاحبي' ويعتبر ذلك تحببًا»).

سألني: «كانت رفقتها ممتعة لي. ولكن، من عساه يريد أن يكون في علاقة مع فتاة متشددة في أحكامها إلى هذا الحد؟ إنها تضع إصبعها دائمًا على الأمر الوحيد الذي لا يعجبها».

هذا ما كنت أفعله في ما مضى، لكن لدي الآن مشكلة معاكسة: ماذا يحدث عندما لا تستطيعين أن تضعي إصبعك على الشيء الذي لا يعجبك؟ هذا ما كنت أفكر فيه بعد لقائي الثاني مع مايك. كنت في حاجة إلى الكلام مع إيفان. كنت في حاجة إلى قدر أكبر من الوضوح في شأن ما هو مهم حقًا.

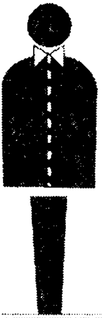

القسم الرابع

ما هو مهم حقًا

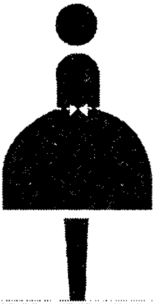

الحب أمر مثالي؛ والزواج أمر واقعي. لا يمكن أن يمر الخلط بين الواقعي والمثالي من غير عقاب.

غوته

17

أيام الاثنين مع إيفان

الجلسة الرابعة. رغبات أم حاجات؟

في جلستنا التدريبية الرابعة، أحطت إيفان علمًا بما جرى بيني وبين مايك.

قلت له: «ليتني كنت قادرة على القول إن إعجابي به قد ازداد في لقائنا الثاني. ليتني كنت قادرة على القول إنني مكتفية بأنه شخص جذاب، لطيف، حسن النية، سنه قريبة من سني، وإنه أب جيد يسعى إلى الزواج من جديد. لكني لا أستطيع قول ذلك».

لم يكن الأمر متعلقًا بمسألة «الذكر المتميز». لقد قطعت شوطًا كبيرًا في التخلي عن تلك الفكرة. بدلًا من ذلك، بدا لي أننا لسنا على تواصل جيد... بشكل عام. لم يكن هذا الإحساس مقتصرًا على اللقاءين اللذين جمعا بيننا: قلت لإيفان إنني استنتجت من إيميلاتنا ومكالماتنا الهاتفية أن الأمر الوحيد المشترك بيننا حقًا، غير الأمور السطحية، هو ولعنا بتنشئة الأطفال. أعلم أن هذا ليس أمرًا صغيرًا. لكن لدي إحساس يقول لي إن أحاديثنا، في غير ذلك الموضوع، كانت كأنها «قسرية»؛ وبدلًا من أن يصير الأمر أكثر سهولة مع مُضيّنا في الحديث، كنا نصل إلى نقطة نجد نفسينا عندها غير قادرين على العثور على شيء نقوله. ما من شيء غير تلك

الأحاديث الصغيرة التافهة التي يمكن أن تدور بين شخصين من الواضح أن ما من «كيمياء» بينهما.

أخبرت إيفان أنني اكتشفت شخصًا آخر عبر الإنترنت. على غرار مايك، كان ريك أبًا مطلقًا يعمل على تنشئة أطفاله. بدا لي شخصًا لافتًا من خلال ما قرأته في بروفايله، وكذلك من خلال إيميلات كثيرة تبادلناها: شخص طريف يعرف كيف يسخر من نفسه؛ وهو أيضًا أستاذ تاريخ يبدو واسع الثقافة. رحنا نتبادل الإيميلات بيسر كبير. كان كل منا يفهم الإشارات الخفية في ما يكتبه الآخر. بدا لي أن لدينا آراء متشابهة حول نمط الحياة. لكن ثمة جوانب سلبية: إنه في الخمسين؛ وشكله موحٍ بسنه. أطفاله مراهقون في حين أن طفلي لم يتجاوز السنتين من العمر... لكن، لا أهمية لهذا كله. كنت أحاول عدم المبالغة في الخوض في التفاصيل؛ وكانت هذه الصلة بيننا مثيرة لي. طلب مني أن يكلمني هاتفيًا، فأعطيته رقم هاتفي.

اتصل بي ذلك اليوم، لكنني كنت خارج البيت فترك لي رسالة مسجلة. بعد ذلك، اتصل بي ثلاث مرات أخرى قبل أن تسنح لي فرصة للاتصال به. لست أعني القول إنني نظرت إلى هاتفي فاكتشفت أنه حاول الاتصال ثلاث مرات. ما أعنيه هو أنه كلمني فعلًا عن طريق البريد الصوتي، كلمني ثلاث مرات خلال خمس ساعات فقط. كان يقول لي (كأن ذلك سلوك طبيعي تمامًا): «مرحبًا. أنا ريك الذي كنت تتكلمين معه عبر الإنترنت! أحاول معرفة إن كنا نستطيع الكلام». وبعد ذلك يترك لي رقم هاتفه. فعل ذلك ثلاث مرات!

كان الوقت قد تأخر كثيرًا عندما استمعت إلى رسائله المسجلة. قررت الاتصال به في اليوم التالي، بعد العمل. لكنه قرر الاتصال ثلاث مرات إضافية خلال اليوم التالي... ثلاث مرات! وفي اثنتين من تلك المرات، ترك الرسالة المسجلة التالية: «مرحبًا، إنني ريك الذي كنت تتكلمين معه عبر الإنترنت! أظن أنني اشتقت إليك. آمل أن تتصلي بي». في الليلة السابقة، تبادر إلى ذهني أنه قد يكون متوترًا، أو مندفعًا جدًا. وكنت مستعدة

لأن أمنحه مزية «الشك». وأما الآن، فقد بدأت أرى سلوكه مريبًا؛ فمن ذا الذي يتصل ست مرات خلال أربعٍ وعشرين ساعة مع امرأة لم يرها من قبل أبدًا؟ قررت ألّا أتصل به.

كنت على أهبة الخروج من البيت بعد بضعة أيام من ذلك عندما رن جرس الهاتف. رفعت السماعة فسمعت ريك يقول لي: «مرحبا. أنا ريك». قالها بطريقة عادية جدًا كأننا صديقان قديمان. عرفته على الفور. قال: «كيف حالك؟» أوضحت له أنني خارجة من البيت، وقلت له إنني سأتصل به عقب عودتي. فكرت في تلك اللحظة، صدقًا فكّرت، في منحه فرصة جديدة. لكني عدت إلى البيت بعد بضع ساعات فوجدت أنه قد اتصل بي مرة أخرى وترك لي رسالة جديدة! قررت أن هذا سلوك غريب جدًا... غريب إلى حد غير طبيعي.

قلت لإيفان: «بدا لي شخصًا ممن يحبون مضايقة الناس؛ أو، على الأقل، بدا لي شخصًا لا فكرة لديه أبدًا عن أصول العلاقات الاجتماعية».

وافقني إيفان على أن سلوكه مريب فعلًا. قال لي: «إن من الشكاوى الأكثر شيوعًا التي أسمعها من النساء هي أن الرجال لا يبذلون القدر الكافي من الاهتمام. وأما إذا بالغوا في اهتمامهم، إذا أكثروا من الاتصالات، أو إذا بكّروا في الاتصال أكثر مما ينبغي، أو إذا تعجّلوا التعبير عن حماستهم... فإن المرأة تفقد اهتمامها. عادة ما أحاول تشجيع النساء على إتاحة فرصة جديدة للرجال الذين يبدو مسلكهم غريبًا. لكن التسامح إزاء تلك الغرابة أمر مختلف عن الخروج مع شخص غير سويّ».

أخيرًا... ها هي أخيرًا حالةٌ لا يتبين فيها أنني أبالغ في التدقيق!

إيفان يقرأ عليّ «قانون الشغب»

لا بأس في هذا فأنا لا أريد الخروج مع أشخاص غير أسوياء؛ لكنني كنت راغبة في الخروج مع أشخاص يكون التواصل بيني وبينهم طبيعيًا أكثر مما كان تواصلي مع مايك.

لم أر أن في ما أردته أية مبالغة. لكني، عندما قلت لإيفان إن الرد على إيميل أتاني من وسيط عقاري يضع ربطة عنق وردية منقّطة لن يكون إلا مضيعة للوقت، رأيته يتنهد ويهز رأسه مثلما يفعل معلّم ضاق ذرعًا بتلميذه الكسول. نظر إيفان في عيني. لقد فقد صبره تمامًا. أول مرة يفقد صبره معي منذ بداية جلساتنا.

قال لي بصوت عالٍ قريب من الصياح: «أنت تستمعين إلى كلامي كل أسبوع، لكنك لا تتغيرين! أنت مصرة على عدم الانفتاح على أي شيء غير الأشياء التي كنت منفتحة عليها خلال عشرين عامًا مضت. أنت مثل شخص يريد أن يخفف وزنه، لكنه لا يريد تغيير شيء من عاداته في الأكل، ولا يريد ممارسة تمرينات رياضية. شخص يقول، 'لكن، هذا ما أحب أن آكله!'. يقول له طبيبه، 'لا بأس! تابع الأكل كما تريد؛ لكن وزنك لن ينخفض!'. لا بد لك من فعل شيء بطريقة مختلفة إذا كنت راغبة في الوصول إلى نتائج مختلفة. ليس التراسل مع أشخاص مثل هذا الرجل إهدارًا للوقت. إهدار الوقت هو ألّا تراسلي أشخاصًا مثله. هل سيكون 'الرجل المنتَظر'؟ لست أدري! لكن الأمر أشبه باليانصيب؛ ومن الممكن جدًا أن يتبين لك أن واحدًا من أولئك الرجال يناسبك تمامًا. لكنك لن تكتشفي ذلك أبدًا لأنك تهدرين وقتك كله في عدم منح أي شخص فرصة!».

واو! ظللنا جالسين هناك، صامتين، ظللنا كذلك دقائق طويلة. أحسست أنني غبية. كنت أظن أنني أتغير؛ وأما في الواقع فقد كنت أتغير «في رأسي» فقط. لم يكن تغيري كبيرًا من حيث أفعالي. ها أنا هنا، امرأة في الحادية والأربعين من عمرها. امرأة عازبة بعد سنين طويلة من صرف النظر عن رجالٍ جيدين لأسباب غير وجيهة أبدًا ـ رجال من أمثال آندي وجِف وشلدونَ وسكوت. والآن، لا أريد حتى أن أرسل إيميلًا إلى رجل يحقق عددًا كبيرًا من الأمور التي كنت أبحث عنها، رجل كتب إليَّ رسالة بالغة الذكاء، رجل قد يكون مهتمًا بمن هي مثلي على الرغم من كل ما لدي من «أمتعة» ومن عيوب. لا أريد مراسلة ذلك الرجل لأن العمل الذي

يزاوله كي يعيش لا يعجبني (في نظري، بيع العقارات أمر مضجر مثله مثل المحاسبة)، وكذلك بسبب ملابسه (ربطة العنق الوردية المنقّطة!).

كسرت الصمت بأن بدأت النقر على مفاتيح الكمبيوتر. كتبت إيميلًا إلى صاحب ربطة العنق الوردية المنقطة في حين كان إيفان جالسًا ينظر من فوق كتفي إلى ما أكتبه.

قال لي إيفان بعد أن نقرت على مفتاح الإرسال إن الدرس الذي كان ينبغي أن أتعلمه من حادثة «الرجل الذي يلاحقني»، ذلك الذي كان يحاول الاتصال بي من غير انقطاع، هو أن الشخص الذي قد يبدو رائعًا استنادًا إلى بروفايله يمكن أن يتضح لي في ما بعد أنه خيبة أمل، وذلك بقدر ما يمكن أن يتبين لي أن الشخص الذي هو ليس من «النموذج الذي يعجبني» شخص جذاب في واقع الأمر.

قال لي إيفان: «لا يكون أي واحد من أولئك الأشخاص موجودًا في الواقع الحقيقي إلى أن تصيري ملتزمة بالعلاقة معه. أنت تقومين دائمًا بإسقاط فكرة من عندك على أولئك الناس. كفّي عن رسم صورة الرجل المثالي في رأسك لأن أي شخص موجود في الواقع لن يكون مطابقًا لتلك الصورة». هذا هو السبب الذي كان يجعل إيفان يقول لي كلما رفضت لقاء رجل يبدو مفرط الجدية، أو أكبر سنًا مما ينبغي: «هذا ليس أكثر من موعد!». وكلما قلت له إن حقيقة كون الشخص يعيش على مبعدة ساعة من بيتي ليست أمرًا مثاليًا، يقول لي: «ما من شيء مثالي! ينتظر الناس ما هو مثالي فيفوّتون على أنفسهم فرصة لقاء الشخص المناسب. حتى ما تظنين أنه مثالي لن يكون مثاليًا في آخر المطاف. لا وجود لما هو مثالي. لذا، عليك أن تتخلي عن هذه الفكرة».

هذا ما يعود بنا إلى مايك

كنت مستعدة للتخلي عن فكرة «المثالي». ولكن، ما معنى هذا على وجه التحديد؟ لقد كان مايك شخصًا جيدًا، وهو في مثل سني تقريبًا. لديه

أطفال صغار مثل طفلي. كان رجلًا حسن المظهر؛ وكان الاعتماد عليه ممكنًا. لكن «روحه» كلها كانت مختلفة عن روحي. كنا نجد صعوبة في العثور على ما نتكلم فيه. أنا امرأة ذات فضول ذهني شديد. هذه هي طبيعتي. وهو رجل ذو طبيعة «مرتاحة»، مسترخية. لم نستطع التواصل.

قلت لإيفان: «لا أظن أن رغبتي في العثور على شخص يثير عقلي ويكون أبًا جيدًا رغبة غير منطقية. لدى بعض صديقاتي أزواج من هذا النوع. ليس العثور على ذلك مستحيلًا».

قال إيفان موافقًا: «هذا ليس مستحيلًا. إذا كان هذان الأمران حاجتين لا تستطيعين الاستغناء عنهما، فعليك أن تبحثي عنهما. لكن من غير الجائز لك أن ترفضي رجالًا يحققون الأمرين معًا، لكنهم يضعون ربطات عنق وردية اللون. لا يمكنك الحصول على كل شيء!».

لم أكن أرى أنني أريد «كل شيء»؛ لكن إيفان طلب مني تدوين الأمور التي أعتبرها «حاجاتي» ـ كمقابل للأمور التي هي «رغباتي» ـ فسجلت أربعة عشر أمرًا. قال لي إيفان إنه لا بد لي، إن شئت أن أكون واقعية، من اختصار تلك القائمة إلى ثلاثة أمور فقط.

فاجأني هذا. ثلاثة فقط!؟

قال إيفان موضحًا: «إن بين الحاجات والرغبات اختلافًا جوهريًا. إن كانت لديك أربع عشرة حاجة، فهذا يعني أنك إذا وجدت رجلًا يحقق ثلاث عشرة صفة من تلك الصفات، فهو غير صالح لك! حتى إذا كان لديه القسم الأكبر من تلك الصفات المطلوبة، فعليك أن تتذكري دائمًا أن صفاتٍ كثيرة يمكن أن 'تنقلب' وتصير صفات سيئة. من الممكن لشخص ذكي ميّال إلى تحليل الأمور أن يكون أيضًا شخصًا متصلب الرأي، وأن يكون واحدًا ممن 'يعرفون كل شيء'. ومن الممكن أن يكون الشخص 'الليّن' شخصًا كسولًا أو شخصًا ليست لديه أية آراء على الإطلاق!».

حدثني عن امرأة استعانت به: لقد «كسر قلبها» رجل ساحر، لكنه يعاني رهاب الالتزام. وعندما صارت مستعدة لاستئناف البحث عن رجل،

توجهت إلى الإنترنت وبدأت تنظر في الردود التي أتتها. أثار اهتمامها رجل ذكّرها برجلها السابق. خرجا معًا في موعد وقال لها إنه سيتصل بها، لكنه لم يتصل!

إلا أن واحدًا غيره وعدها بالاتصال، ثم اتصل فعلًا. قال لي إيفان: «بحسب رأيها، لم يكن ذلك الرجل أشد الرجال المتوفرين جاذبية. لكنه ثابر على دعوتها إلى لقائه. كانت تلك المرأة تجد أنها قد استمتعت بوقتها كلما خرجت معه. لكنها قالت لي شاكية إنه ليس الرجل الذي تبحث عنه!».

كان طول قامته أقل مما يعجبها. لم يكن «خشنًا» إلى الحد الكافي. لكنه كان رجلًا يحقق «حاجاتها» كلها: شخص فطن تستطيع الاعتماد عليه، ولديه القيَم نفسها التي لديها، ويعيش نمط حياة يشبه نمط حياتها. عندما تعلمت تلك المرأة كيف تميز بين حاجاتها ورغباتها، وجدت نفسها واقعة في حب ذلك الرجل. كانت تظن أنها تريد شخصًا ساحرًا، رجوليًا ـ ولعلها لا تزال، في مكان خفي في ذهنها، راغبة في العثور على ذلك الرجل ـ لكن ما كان يلزمها، أي ما كانت في حاجة إليه، هو ذلك الشخص الفطن الموثوق الذي تستمتع بقضاء الوقت معه والذي لديه قيَم وأهداف تشبه قيمها وأهدافها.

قال إيفان إن قصتها تشبه قصة رجل طُرد من عمله فاعتقد أن حياته قد انتهت؛ لكنه لم يلبث أن أدرك أن تلك كانت فرصة ممتازة له كي يبدأ صنع الحياة التي كان يحلم بها دائمًا. بطبيعة الحال، لم يكن ليختار بإرادته أن يُطرد من عمله. كان عمله هو ما يظن أنه يريده. لكن الطرد من العمل جعله أكثر سعادة مما تخيله في أي وقت سابق لأنه فتح أمامه إمكانات واحتمالات لم يفكر فيها من قبل. هذا أيضًا ما يجعل أشخاصًا متزوجين كثيرين يقولون: «لو صادفت في واحد من مواقع الإنترنت المرأة التي هي الآن زوجتي، لما اخترتها»؛ وذلك لأن تلك الزوجات (أو الأزواج) لا تتوفر فيهن الصفات التي كانت «مرغوبة»... إلى أن تم اللقاء.

تضييق نطاق الحاجات

قال إيفان: «ما أنت راغبة فيه ليس جيدًا لك بالضرورة. ومن خلال سعيك إلى العثور على الشخص الذي تظنين أنك تريدينه، فإنك تتجاهلين ما أنت في حاجة إليه فعلًا».

لكن التوصل إلى إدراك ما هو «حاجة» ليس أمرًا سهلًا. قال لي إيفان إنه إذا كان التمييز بين الرغبات والحاجات أمرًا محيرًا، فإن ثمة ما يتجاوز ذلك أيضًا لأن رغباتنا يمكن أحيانًا أن تكون متناقضة في ما بينها: *أريد شخصًا لديه آراء واضحة قوية... شخصًا لا يجادلني أبدًا! أريد شخصًا تلقائيًا مندفعًا... شخصًا لديه وظيفة ثابتة!*

حدثني إيفان عن واحد من عملائه الذكور لم يستطع تحديد ما هو في حاجة إليه. كان ذلك الرجل في الأربعين؛ وكان ذكيًا ناجحًا جادًا في محاولته أن يعثر على زوجة. وكان يريد امرأة ناضجة ذكية، لكنها رشيقة القوام، ليّنة العريكة. وهكذا، كان يخرج في مواعيد مع النساء ثم يقول متذمرًا إن النساء الشابات ذوات الأجساد الجميلة غالبًا ما يكنّ قليلات النضج، فضلًا عن أنهن أصغر منه كثيرًا؛ وأما المحاميات الذكيات فإن لديهن متطلبات كثيرة، كما أن أجساد النساء الأكثر نضجًا ليست أجسادًا «شابة» من النوع الذي يفضله.

كيف السبيل إلى تجاوز هذا؟ ينبغي التفريق بين الرغبات والحاجات. قدم إلي إيفان بضعة أمثلة:

أنت *راغبة* في الحصول على رجل مبدع.

أنت في *حاجة* إلى من تستطيعين الثقة به.

أنت *راغبة* في شخص يشاطرك حبك موسيقى الجاز.

أنت في *حاجة* إلى شخص لديه تقدير لبعض اهتماماتك.

أنت *راغبة* في شخص رياضي نشط من الناحية الجسدية.

أنت في *حاجة* إلى شخص يتقبلك حتى في أسوأ حالاتك.

بعد دقائق معدودة من ذلك، صرت قادرة على اختصار قائمتي إلى ثلاثة احتياجات أساسية: ذهن متطلع إلى المعرفة، وطبع ودود لطيف، واستقرار مالي. هذا كل شيء.

من الواضح أن هذا ليس كل ما سأبحث عنه من صفات في الشريك المحتمل، لكنها ستكون الأساس الذي أستطيع، استنادًا إليه، استبعاد أي شخص من إمكانية الخروج معه في موعد أول. بكلمات أخرى، لا أستطيع رفض الموعد الأول مع شخص يضع ربطة عنق وردية لكنه يلبي هذه الشروط الثلاثة.

بعد أن صارت «احتياجاتي» واضحة التحديد، أشار إيفان إلى أنه قد صار الآن مفهومًا ما جعلني أجد نفسي غير منسجمة مع مايك. من المؤكد أنه كان شخصًا لطيفًا ودودًا، لكنه كان من غير فضول ذهني، فضلًا عن أن استقراره المالي كان أمرًا مشكوكًا فيه بالنظر إلى حقيقة أنه يعمل استشاريًا من غير وظيفة ثابتة ويعيل طفلين. كانت لديه صفات رائعة كثيرة، لكنه لا يلبي إلا واحدًا من احتياجاتي الجوهرية. قد يكون مايك صيدًا ثمينًا بالنسبة إلى امرأة لديها احتياجات أساسية مختلفة عن احتياجاتي.

جعلني هذا التمييز بين الرغبات والاحتياجات أحس قدرًا من الراحة. كنت مدركة أن هذه ليست «صيغة سحرية»، لكنها بدت لي أداة مساعدة في الانتقاء أفضل من الأداة التي أستخدمها عادة: «إما أن أكون متحمسة له، أو غير متحمسة». ومن المؤكد أيضًا أنها كانت أفضل من المقارنة بين صفات الشخص الذي أمامي وبين قائمتي الذهنية المحتوية على أربعة عشر بندًا «أساسيًا».

أحسست أنني قد بدأت ـ أخيرًا ـ أنتقل إلى مرحلة جديدة.

تلك الليلة، ردّ الوكيل العقاري ذو ربطة العنق الوردية على إيميلي فصار لديّ قدر أكبر من المعلومات. إنه أرمل في السادسة والأربعين، ولديه ابن واحد في الثامنة من عمره. يعني «عمله في العقارات» أنه يصمم بيوتًا ويبيعها؛ وقد بدا لي شخصًا يحب عمله. كان طوله مئة وسبعة وستين

سنتيمترًا، وقد بدأ الصلع يغزو رأسه، إلا أنه بدا لي، من خلال إيميله، شخصًا فطنًا ظريفًا. بدا لي ذكيًا، سريع البديهة، على الرغم من كونه لم يتلق تعليمًا عاليًا. اقترح أن نتحدث هاتفيًا، لكنني دفعت الأمر خطوة إضافية إلى الأمام. إن كان رجلًا نشط الذهن، مستقرًا من الناحية المالية، وأبًا جيدًا، فما الذي أريد معرفته أيضًا قبل أن أوافق على الموعد الأول؟ لماذا لا نلتقي؟

قد لا يبدو هذا شيئًا كبير الأهمية، لكني أحسسته تقدمًا حقيقيًا من جانبي. لقد ارتكبت في ما مضى كمية كبيرة من الأخطاء أثناء تلك المكالمات الهاتفية الأولى... كنت أندفع مسرعة إلى الخروج باستنتاجات كثيرة، لكنها غير دقيقة، ولا مفيدة. لقد حذرني دان آرييلي الذي يعمل في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا من أن تلك المكالمات الهاتفية الأولى يمكن أن تكون خداعة إلى حد كبير... تدفع المرء إلى افتراض أمور غير واقعية أبدًا إن اتخذت المكالمة مجرى حسنًا، أو تدفعه إلى رفض الموعد عندما تتخذ المكالمة مجرى «أقل» من المتوقع (مثلما جرى لي مع مدرب الغطس مات).

لذا، وانطلاقًا من فكرة ضرورة تغيير «أفعالي»، اقترحت عليه أن نلتقي... لا من أجل تناول القهوة حيث أستطيع أن أذهب وأعود في غضون عشرين دقيقة فقط، بل من أجل نزهة بعد الظهر أمضي خلالها ساعتين في الحديث مع ذلك الرجل. لكنني لم أكن معتزمة معرفة كل شيء عنه: لا أريد إلا أن أحاول قضاء وقت ممتع.

اتفقنا على أن يكون لقاؤنا يوم الثلاثاء التالي. وأيضًا... أوه! هذا هو الجزء الذي يصعب تصديقه. كان اسم ذلك الرجل شلدون! أعني، ليس حرفيًا! لم يكن اسمه شلدون، لكنه كان مثل اسم ذلك الرجل الذي دعوته شلدون. أدهشني هذا؛ بل سرني أيضًا. سرني لأنني لم أتعجل إطلاق الأحكام هذه المرة، بل تصرفت انطلاقًا من فكرة أنني قد حظيت بفرصة ثانية.

قررت أن أدعوه «شلدون 2».

زوجٌ يريد أن يتزوج

عندما أخبرت صديقتي ماغي عن «شلدون 2» وكيف استطعت اختصار احتياجاتي إلى ثلاثة فقط. قالت لي إنها مرت بالعملية نفسها في الآونة الأخيرة... مع الرجل الذي هو الآن خطيبها.

قالت: «قالت لي أمي ذات يوم إن ثمة صفة واحدة فقط ينبغي البحث عنها في الزوج، ألا وهي أن يكون شخصًا يريد أن يتزوج. ابحثي عن شخص يرى نمط حياة المتزوجين أمرًا جذابًا. أتذكر كيف كنت أعتبر ذلك شيئًا غير رومانسي على الإطلاق. ففي نهاية المطاف، ألا ينبغي أن أكون أنا كافية لجعل واحد من الناس راغبًا في الالتزام بالعيش معي طيلة العمر. ألست، بطبيعتي، رائعة إلى الحد الكافي لذلك؟ لكنني توقعت أيضًا أن يكون في ما قالته أمي قدر من الحقيقة.

على منوالي، أمضت ماغي الشطر الأكبر من عشرينياتها في البحث عن حب جارف. وجدت ذلك الحب في علاقة استمرت زمنًا طويلًا مع رجل أكبر منها كان مناسبًا لها من نواحٍ كثيرة جدًا ـ كل منهما منتج أفلام طموح، موهوب، مبدع ـ لكن ما تبين لهما مع مر السنين أن كلًا منهما يريد أمورًا مختلفة في الحياة.

قالت لي ماغي: «أصابتني صدمة عندما لم ينجح الأمر لأنني كنت أظن الحب قادرًا على قهر الصعاب كلها. لكنه كان غير قادر على قهر الاختلافات الجوهرية في شأن ما يريده كل واحد في حياته».

ثم التقت رجلًا اسمه ويل. التقته عندما كانت في الثلاثين.

قالت لي: «لم يبدُ لي على الإطلاق شخصًا يمكن أن أعيش معه. أمضيت نحو ستة أشهر مصرة على إبقائه بعيدًا عني قليلًا لأنه لا يلبي 'المعايير' التي أردتها. كان ويل عالمًا؛ وقد أمضيت ثلاثة شهور إلى أن استطعت أن أفهم ما يفعله في عمله. كان شخصًا مهملًا تمامًا مثلما يكون طالب جامعي... عندما التقيته أول مرة، كان لم يقص شعره منذ نحو ستة شهور. وفي شقته، لم يكن لديه أي شيء مما يمكن اعتباره أثاثًا حقيقيًا.

لم يكن في تلك الشقة إلا أريكة واحدة وعدد كبير من عبوات الحليب الفارغة. كان شخصًا خجولًا فعلًا، ولم يكن بارعًا في خوض الأحاديث الممتعة».

يعني هذا أن ويل كان غير وافٍ بعدد من «رغباتها». لكنها قالت لي إنه حقق «احتياجاتها» الجوهرية: (1) كان شخصًا لافتًا لديه فضول ذهني، (2) كانت لهما قيم وأهداف مشتركة، (3) كان شخصًا مخلصًا يمكن الاعتماد عليه.

في غضون ذلك، «كانت اختلافاتنا الأخرى كلها أمورًا أجدها ممتعة أو مثيرة للاهتمام». لم تكن بينهما اهتمامات كثيرة مشتركة عندما التقيا أول مرة، لكنهما استمتعا كثيرًا بأن راح كل منهما يطلع الآخر على أمور جديدة. إنها تذهب معه الآن في رحلات جبلية على الدراجات أو على الأقدام؛ وهو يحب الذهاب معها لحضور المسرحيات. وقد صارا أيضًا منسجمين فيما يتصل بالأمور العملية.

قالت لي: «لدينا الآراء نفسها، بشكل عام، فيما يتصل بالمال والأطفال. أظن أن هذين الأمرين أهم شرطين يمكن أن يعترضا التوافق بين شخصين. بالتالي، ارتحت كثيرًا عندما وجدت أننا متفقان عليهما منذ البداية».

كان ما توصلت إليه ماغي «توازنًا سعيدًا» بين الرغبات والحاجات. لقد تعلمت في أوائل الثلاثينات من عمرها أمرًا جوهريًا كنت لا أزال أتعلمه في الأربعينات: ليس «الحب» مستقلًا عن الأمور العملية. إذا أردنا العثور على علاقة سعيدة، فعلينا أن نتعلم كيف نُدخِل تلك الأمور العملية في الحساب.

ولكن، كم ينبغي أن نكون «عمليين» في بحثنا عن الحب؟

18

مشروع الحب (كأنه بزنس)

بعد فترة وجيزة جدًا من كلامي مع ماغي، عرض عليَّ شخص اسمه جون كورتيس أن يرسل إليّ نسخة من كتابه. وصل الكتاب فرأيت على غلافه رسم قلب يقسمه إلى نصفين شريط يحمل الكلمات التالية المنسوبة إلى صحيفة «نيويورك تايمز»:

«يستحق هذا الكتاب المُحرِّض الذي يفتح أرضًا جديدة لقب كتاب العلاقات العاطفية، الواجبة قراءته خلال هذا العقد من السنين».

كان اسم الكتاب «*مشروع الحب: أفضل تسعة أساليب من أجل تطوير أسس علاقتك*». لا تقلقوا إذا لم تسمعوا بهذا الكتاب، فلستم الوحيدين في ذلك. عندما اتصلت بكورتيس الذي كان في ما مضى معالجًا نفسيًا مختصًا بشؤون الأسرة والزواج ثم صار استشاريًا إداريًا، اعترف لي بأن استخدام كلمة «مشروع» في اسم كتاب عن العلاقات العاطفية أمر يمكن أن يثبّط حماسة الناس.

قال لي من مكتبه في نورث كارولاينا: «بصراحة، واجهت صعوبات في بيع هذا الكتاب. يريد الناس الجانب الناعم في الحب. وهم يدخلون العلاقات العاطفية بعيون مغمضة، ويقولون لأنفسهم: «نحن نعيش حالة حب جارفٍ، وسوف نستطيع حل المشكلات كلها». ثم يعانون طيلة الوقت لأنهم لم يجلسوا أبدًا كي يتحدثوا عن توزيع المهام، أو عن كيفية توزيع

النفقات... لأن هذه الأمور تبدو لهم غير رومانسية. لا بأس، هل يكون أمرًا رومانسيًا الدخول في مجادلة لأنكما لم تهتما بوضع خطة عملية؟».

يعلّم كتاب كورتيس الثنائيات كيفية وضع «بيان رؤية» للعلاقة، وكيفية تحديد أهداف واضحة في شأن المجالات المختلفة (العائلية، والمالية، وأوقات الفراغ، والمسارات المهنية)، وكذلك كيفية صياغة «التوصيف الوظيفي» له ولها وتقرير ما يناله كل طرف من تعويضات ومكافآت. قال لي كورتيس إن الزواج كان على الدوام شراكة اجتماعية اقتصادية، لكن النظرة المجتمعية إليه بدأت تتغير في الستينيات والسبعينيات.

أو، كما عبرّت ستيفاني كونتز عن الأمر في كتابها *«تاريخ الزواج»*: «لقد تنحّت النظرة القديمة القائلة إن الزوجات والأزواج زملاء عمل كي تحل محلها فكرة مفادها أنهم أرواح شقيقة». لكنها تقول موضحة، «فقط، في لحظات نادرة من التاريخ، كان يعتبر الحب سببًا رئيسيًا للزواج».

هذا ما يجعل كورتيس يرى أن الحب ليس كافيًا لنجاح الزواج. وهو يقول: «من نواحٍ كثيرة، يشبه الزواج إدارة شركة أو مشروع -من يعدّ طعام العشاء، ومن يجمع المناشف المتسخة، ومن يسدد الفواتير، وما هي الميزانية التي يجري العمل عليها- لا يمكن أبدًا أن يبدأ شخصان مشروعًا من غير أن يكون واضحًا لهما من سيقوم بهذا الأمر ومن سيقوم بذاك الأمر، وما هي الآجال الزمنية للوصول إلى هذا الهدف أو ذاك. إذا كنت تدخل شراكة مع واحد من الناس، بما في ذلك الشراكة العاطفية، فسوف تزداد فرص النجاح إذا جلستما معًا وعملتما على وضع رؤية موحدة للشراكة بينكما، وذلك منذ البداية».

صرت الآن أجد هذا الكلام معقولًا. فما لم أكن أدركه عندما كنت أقرر ألّا أخرج إلا مع رجال يثيرون حماستي منذ اللحظة الأولى (من غير التفكير في الجانب العملي للأمور) هو أن ما يساهم في الوصول إلى زواج ناجح ليس بالضرورة هو نفسه ما يساهم في نشوء علاقة عاطفية جيدة. فبحسب صديقاتي المتزوجات، وبعد أن يصير الزواج واقعًا مُعاشًا، لا يعود الأمر

متعلقًا بمن تحبين أن تذهبي معه في رحلة، بل بمن تودين أن تكوّني أسرة معه. ليس الزواج «مهرجانًا عاطفيًا» مستمرًا، بل هو أشبه بشراكة تنشأ من أجل إدارة مشروع عادي صغير جدًا لا يهدف إلى الربح.

هذا ما يمكن أن يكون -كما يقولون- أمرًا حسنًا، بل حسنًا جدًا. إن الحياة مع شريك ذي عقلية تشبه عقليتنا أمر سارٌّ في حد ذاته؛ وبالنسبة إلى معظم الناس، هو بالتأكيد أمر أفضل من عدم وجود شريك على الإطلاق.

أكبر سنًا، زائد الوزن، أصلع الرأس (ألن يصيروا هكذا جميعًا في نهاية المطاف؟)

إن كان هذا يبدو أمرًا غير رومانسي، فإنني أنظر إلى زيجات صديقاتي بكل ما فيها من عناصر الحياة اليومية الروتينية، فأجدها أكثر رومانسية من أقصى ما يمكن أن تبلغه أية علاقة قبل الزواج. تبدو المواعدة رومانسية، لكنها (في معظمها) ليست إلا «تجربة» طويلة. قد يبدو الزواج مضجرًا، لكنه، أكثر الأحيان، حالة من الراحة والقبول. تقوم المواعدة على المبادرات الرومانسية المبالغ فيها، لكنها لا تعني الكثير على المدى البعيد. وأما الزواج فهو قائم على مبادرات لطف ورقّة صغيرة تحافظ على الصلة بين الاثنين طيلة العمر. أمر رومانسي، لكنها رومانسية هادئة. يعدُّ لها الشاي. تذهب معه إلى موعده مع الطبيب. يصغي كل منهما إلى حديث الآخر عما شهده يومه من أمور صغيرة. يحتمل كل منهما عيوب الآخر. يهتم كل منهما بمساندة الآخر.

«لا أريد إلا شخصًا مستعدًا لأن يكون في الخندق معي». هذا ما قالته لي صديقتي جينيفر البالغة واحدًا وأربعين عامًا، «لم أكن أنظر إلى الزواج بهذه الطريقة».

وأنا أيضًا، لم أكن أنظر إلى الزواج بهذه الطريقة. عندما كنت في أواخر الثلاثينات، أرسلت إليَّ صديقتي رينيه إيميلًا وضعت فيه هذه النصيحة في شأن المواعدة:

سأقول لك إن عليك -حتى إذا لم يكن الرجل حب حياتك- أن تحرصي على أن يكون شخصًا تستطيعين احترامه من الناحية العقلية، شخصًا يعرف كيف يجعلك تضحكين، وكيف يقدّرك. أراهن على أن ثمة الكثير من هؤلاء ضمن فئة الرجال الأكبر سنًا، زائدي الوزن، الذين بدأ الصلع يظهر عليهم (هكذا يصير الرجال جميعًا في آخر المطاف).

في ذلك الوقت، ظننتها تمازحني (لم تكن تمازحني)؛ لكن كلامها صار يبدو لي الآن ذكيًا. ليس التفكير في الزواج بطريقة رومانسية مختلفًا كثيرًا عن أن تكون الواحدة منا فتاة ساذجة في الصف العاشر تحبل من صديقها الذي هو زميلها في المدرسة فتبدأ القول للجميع: «أوه، يحب كل منا الآخر، سوف نعرف كيف نجعل الأمر ناجحًا».

في عالم الحقائق الواقعية، لا يستطيع الحب أن يقهر كل مشكلة!

لو كان تفكيري عمليًا عندما كنت أصغر سنًا، لكان من المحتمل أن أكون الآن مع شخص قريب جدًا مما أنا راغبة فيه - شريك ذكي، تفكيره مثل تفكيري، شخص يريد أن يكون أبًا جيدًا. كنت مدركة أنني أريد هذا، بالطبع، لكنني أردت أيضًا خمسة عشر أمرًا آخر: أمورًا ليست «مثالية» فحسب، بل هي نقائض تلك الصفات العملية نفسها التي أبتغيها. فعلى امتداد فترة من الزمن، كان على من أصادقه أن يكون «ذا روح فنية» وأن يكون «غير تقليدي»؛ لكن أكثر أولئك الأشخاص كانوا مفتقرين إلى الطباع والوسائل التي من شأنها مساعدتي في بناء الأسرة التي أتمناها.

الآن، بدأت أدرك أن ثمة جانبًا عمليًا ملازمًا لكل وجه من وجوه العلاقات العاطفية ـ يبدأ هذا اعتبارًا من كيفية المواعدة.

«تسعيرة» الأمير الساحر

ذات ليلة، عملت مع واحدة من صديقاتي المتزوجات على حساب التكاليف السنوية للمواعدة بالنسبة إلى المرأة التي هي في الثلاثينات ـ ماليًا، ولوجستيًا، وانفعاليًا. أجرينا الحسابات على النحو التالي:

لنقل إنك امرأة عازبة تريد أن تعثر على أحدهم. لم تعودي طالبة مدرسة. وهذا يعني أنك، في أي يوم عادي من أيامك، لا تلتقين رجالًا متاحين لك، مناسبين من حيث العمر، مثلما كنت تصادفينهم أيام الدراسة. لعلك تعملين في المكان نفسه منذ سنوات كثيرة! يعني هذا أن عددًا صغيرًا من الرجال العازبين الجدد يدخلون «دائرتك». وحتى عندما يظهر لك أحدهم، فمن الممكن ألّا يكون مهتمًا بك مثلما يمكن ألّا تكوني مهتمة به. من المحتمل أيضًا أن يكون عملك في ميدان تشكل النساء أكثر العاملين فيه: التعليم أو العمل الاجتماعي أو الأزياء أو الدعاية والإعلان أو التغذية أو التصميم أو النشر. بعد أن تتجاوزي الثلاثين، يصير من حولك متزوجون كثيرون، ويكون لبعضهم أطفال. يعني هذا أن «المناسبات الاجتماعية» كالحفلات ولقاءات الشواء تصير أقل من ذي قبل، أي أقل مما كانت قبل أن تبلغي الثلاثين... أيضًا، يتناقص عدد الرجال العازبين الذين يكونون مدعوين إلى تلك المناسبات.

وبما أن من المحتمل كثيرًا أن تكون في حياتك الاجتماعية كثرة من المواعيد الخائبة والعلاقات التي لا تعيش طويلًا، فضلًا عن وجود صديقاتك العازبات (اللواتي كثيرًا ما يتكلمن على صعوبة العثور على رجال)، فسوف تدركين أن عليك أن تكوني صاحبة مبادرة. تنضمين إلى موقع مواعدة على الإنترنت مدة سنة كاملة (مئتا دولار). وعندما «تحترق أوراقك» في ذلك الموقع الأول في الإنترنت، يمكن أن تذهبي إلى موقع ثانٍ (مئتا دولار). تمضين كل أسبوع خمس ساعات في البحث وفي مراسلة أشخاص (التكلفة: احسبي قيمة ساعة عملك، بحسب مهنتك، وأضيفي مقدار الإجهاد الانفعالي الناتج عن ذلك). إذا بدأت ساعتك البيولوجية تنذرك بضرورة الاستعجال فرحت تجرّبين كل وسيلة ممكنة، فقد تستعينين بمن يعملون في ميدان التوفيق بين الثنائيات (تتراوح التكلفة من خمسمئة دولار إلى عدة آلاف من الدولارات). ينبغي أن يكون مظهرك جذابًا في المواعيد الأولى. هذا ما يجعلك تضيفين تكاليف الملابس ـ التنورات

والبنطلونات والبلوزات والكنزات والقمصان والمعاطف والأحذية وحقائب اليد والسترات والحلي. عليك أن تكوني مستعدة لكل شيء، من المطاعم الراقية إلى المقاهي المزدحمة إلى مباريات كرة السلة، بل حتى إلى نزهة على الأقدام بعد الظهر، وذلك في الأحوال الجوية المختلفة (ألف دولار خلال فصول السنة الأربعة). لا بد لك من قصة شعر جيدة كل شهرين (أربعمئة وخمسون دولارًا مقابل ست قصات، مع الإكرامية). قد تكونين أيضًا في حاجة إلى صبغ شعرك لإخفاء جذوره التي بدأت تشيب: أهلًا بك في الثلاثينيات (أربعمئة دولار مقابل أربع مرات). يلزمك أيضًا شمع من أجل الحاجبين؛ وإذا كنت قد صرت في أواخر الثلاثينيات، فمن المحتمل أن تكوني في حاجة إلى الشمع الذي يستخدم على الشفتين من أجل إزالة «الشارب» الذي يبدأ ظهوره مع الاقتراب من سن اليأس (خمسة وعشرون دولارًا كل شهر). وأيضًا ليست مواد التجميل والعناية بالجلد رخيصة الثمن (ثلاثمئة دولار في السنة). من النساء من تضيف إلى ذلك كله المانيكور (خمسة عشر دولارًا كل مرة)، وبديكور (خمسة وعشرون دولارًا) وتجميل الوجه (خمسون دولارًا) وربما تبييض الأسنان أيضًا (ستمئة وخمسون دولارًا). وفي كل موعد، لا بد لك من إنفاق مالا يقل عن ساعة من أجل الانتقال جيئة وذهابًا، فضلًا عن ساعة أخرى من أجل الاستعداد وارتداء الملابس، وساعتين تمضيهما في الموعد نفسه... وبالنسبة إلى بعضنا، لا بد من ساعة مع معالج نفسي كي تتحدثي عن شدة اكتئابك لأنك لا تزالين عازبة (مئة دولار لكل جلسة).

لنقل الآن إن حظك كان طيبًا فعثرت على شخص ترغبين في الخروج معه. سوف أدعو ذلك الشخص بْراد. ثمة «كيمياء» بينك وبين بْراد! إنه شخص ذكي، طريف، جذاب، وسيم. وهو أيضًا يحب الأغاني التي تعجبك. على غير انتظار تزداد تكاليف الملابس (لا تستطيعين أن تواصلي، مرة بعد مرة، ارتداء الملابس نفسها التي رآك فيها أول مرة وثاني مرة). لن تواصلي استخدام ملابسك الداخلية المعتادة، بل ستشترين ملابس داخلية جديدة

(حتى في متجر رخيص، لا بد من دفع قرابة مئة دولار لأنك ستكونين في حاجة إلى عدد من مجموعات الملابس الداخلية). وإذا كنت قد تجاوزت الخامسة والثلاثين، فقد بدأ يظهر على ثدييك قدر من التهدل. عليك إذًا أن تذهبي لشراء «حمالات الصدر العجيبة» (خمسون دولارًا). تزداد تكاليف مستحضرات إزالة الشعر (لم يعد الأمر مقتصرًا على الحاجبين فقط!).

وبعد شهرين من ذلك، يأتي عيد ميلاد بْراد. صار كل منكما مهتمًا بالآخر. تريدين أن تقيمي له عيد ميلاد رائعًا، فإما أن تحضّري له وجبة العشاء (خمسون دولارًا ثمن الطعام، وخمسون دولارًا للنبيذ، فضلًا عن زمن طويل تمضينه في التسوق وفي التحضير، أو في الطهو أيضًا)، أو تأخذينه إلى مكان ما، مطعم لطيف، أو حفل موسيقي، ما من شيء رخيص الثمن! تشترين حلوى ومع الحلوى هدية (مئة دولار). بعد هذا، تستمران في الخروج معًا. يعني هذا استمرار التسوق، وإزالة الشعر، والمانيكور والبديكور. سرعان ما يحلّ موسم العطلات. من جديد، تشترين له هدية (خمسة وسبعون دولارًا). تمضيان معًا مزيدًا من الوقت؛ ويعني هذا أنك تتخلين عن فرص لقاء رجال آخرين مع أنك لا تزالين في هذه السن ولا تزالين جذابة المظهر ولا تزال ساعتك البيولوجية تتيح لك زمنًا معقولًا.

ولكنك تجدين، بعد أربعة شهور، أن العلاقة لا تسير كما ينبغي. يتراجع اهتمامك؛ ويتراجع اهتمامه. لا أهمية للأمر! تنفصلان! الآن، صار عليك أن تعودي إلى البداية من جديد. لقد أنفقت الزمن والمال والطاقة الانفعالية، وكذلك «الفرص الضائعة»، على علاقة فاشلة أخرى.

التكاليف الإجمالية حتى الآن: ألفا دولار. أضيفي إليها تكاليف المعالجة النفسية: ثلاثة آلاف وستمئة دولار!

وهكذا، تعودين إلى محاولة العثور على رجل. تمضين وقتًا على الإنترنت (لقد دفعت ثمن هذا الوقت من قبل). تطلبين من صديقاتك أن تعرّفنك على أحدهم (التكاليف: الزمن والجهد، ومذلة السؤال). تذهبين إلى البارات (خمسة عشر دولارًا ثمن الشراب، وساعة من أجل

الاستعداد للخروج، وساعة أخرى من أجل الذهاب والعودة، وأربعون دولارًا من أجل تنظيف ثوبك من آثار البيرة التي دلقها عليه أحدهم من غير أن يقصد ذلك). تحرصين دائمًا على الذهاب إلى أماكن يمكن أن تلتقي فيها رجالًا: حفلات عشاء (عشرون دولارًا ثمن الحلوى التي أتيت بها معك)، ومباريات الكرة (عشرون دولارًا ثمن التذكرة، فضلًا عما تتحملينه من إزعاج لأنك لا تحبين ألعاب الكرة)، ودروس في التصوير (مئة دولار)، وافتتاح متحف (عشرة دولارات ثمن التذكرة، لكنك تجدين هناك رجالًا مثليين أو متزوجين)، ومحاضرات في المكتبة العامة (الأمر نفسه من جديد).

تلتقين أحدهم! ستيف ليس «حلمك» هو ليس رياضيًا جدًا؛ وأنت لا تحسين قدرًا من «الكيمياء» مثلما تتمنين ـ لكنه رجل وسيم، لطيف، ذكي، وهو مهتم بك فعلًا. تستثمرين في تلك العلاقة (ماليًا، وانفعاليًا، ولوجستيًا). تتعرفين على والديّ ستيف، وتصيرين على علاقة وثيقة بشقيقته، وتمضين أزمانًا طويلة مع أسرته. وبعد خمسة شهور، تقلقين من أنه ليس ما تبحثين عنه. لا تستطيعين تحديد السبب تحديدًا واضحًا لكنه ليس ما تبحثين عنه! أنت الآن واثقة من أن هذا النوع من الشكوك لن يساورك عندما تلتقين «رجلك». إذًا... عدنا إلى نقطة البداية!

تمر ثلاثة أسابيع فتلتقين زوجك المستقبلي! أخيرًا! ها قد حدث ما كنت في انتظاره! هكذا تقولين في نفسك. تذهبين في لقاء الرجل الذي أنت الآن مقتنعة أنه «هو»، لكنك تدركين بعد شهرين فقط أنه شخص مفرط في الاهتمام بنفسه، مغرور، بليد، جاهل، وضيع، لا يتحلى بأدنى قدر من حس الفكاهة، فضلًا عن أنه يخشى الالتزام، أو عن أنه ليس «مهتمًا» بك كثيرًا.

التكاليف بعد انقضاء سنة واحدة: أربعة آلاف دولار من غير حساب تكلفة المعالجة النفسية. يصير المبلغ تسعة آلاف دولار مع المعالجة النفسية مع أنك، على الأرجح، ستستغنين الآن عن خدمات المعالج النفسي لأنه بات غير قادر على تتبع أسماء الرجال الذين جربت الخروج معهم.

التكاليف الضائعة وتكلفة الفرصة

لم تخرجي إلا بما يدعوه الاقتصاديون بـ«التكاليف الضائعة»، أي كل ما أنفقته من وقت ومال وقدرات انفعالية بعد أن استثمرت ذلك كله في شيء لم يفضِ إلى أية نتيجة على الإطلاق. يشبه هذا استئجارك شقة جديدة كل ستة أشَهر، ودفعك تكاليف الانتقال إليها وترتيبها و«رمي» مبلغ الإيجار إلى مالك الشقة بدلًا من استثمارك المال في مكان تشتريه لنفسك فيتكّون ويتكامل تدريجيًا مع مر السنين. لا يقف الأمر عند دفعك تكاليف «الانطلاق» مع كل علاقة جديدة (المال والزمن وعناء سردك قصة حياتك كلها وبوْحك بمعلومات خاصة من قبيل ما تفضلين إضافته إلى البيتزا عند تناولها؛ وفوق ذلك كله سماع قصص الطرف الآخر)، لكن ما من شيء من هذه التكاليف كلها قابل «للنقل» إلى العلاقة التالية. فمن خلال مواصلتك الخروج مع أشخاص جدد بحثًا عمن هو «أفضل» تحققين خسارة صافية ولا تكسبين شيئًا غير ذلك الضغط النفسي الكبير الناجم عن تقدمك في السن مع بقائك عازبة.

لعلك تقولين الآن: «مهلًا! لقد حققت شيئًا. لقد كسبت شيئًا. تطورت شخصيتي من خلال تلك العلاقة!». لا بأس! ولكن، عند أية نقطة يصير تطور الشخصية من خلال علاقة بعد علاقة مثل قيمة تطور الشخصية من خلال زواج «واقعي»، لكنه سعيد؟ عندما تكونين في العشرينات، لا ينتج عن انتهاء أيّة علاقة شيء غير «انكسار القلب» والإحساس بالوحدة. وأما في الثلاثينات، فلديك ذلك القلق من احتمال أن ينتهي بكِ الأمر إلى أن تظلي وحدكِ.

بطبيعة الحال، نرى أيضًا تلك التكاليف الضائعة عند الرجال الذين لا يستطيعون قبول «زوجة جيدة إلى حد معقول»، خاصة إذا كانوا هم من يدفعون تكاليف الوجبات والأماكن التي يذهبون إليها مع النساء. لكن ما لا يتحمّلونه بالقدر نفسه هو «تكلفة الفرصة» في بحثهم عن شريكة حياة «أفضل». فعندما تمضين زمنًا في علاقة غير ناجحة، تخسرين فرصة التقاء

رجال آخرين. وأما بالنسبة إلى الرجال، فهم لا يعانون مشكلة تضاؤل فرصة إنجاب أطفال. فضلًا عن هذا، إذا أمضى الرجل ستة شهور في السنة ضمن علاقة لا أفق لها، فهو لا يفقد «قيمته في سوق المواعدة» مثلما يصيب المرأة التي في الثلاثينات. حقيقة الأمر أن الرجال يصيرون «أعلى قيمة» في الثلاثينات؛ وإذا بدأ الرجل «يفقد قيمته» مع مقاربة الخمسين، فهو يظل قادرًا على التقاء امرأة أصغر منه بخمسة عشر عامًا والزواج منها وتكوين أسرة معها.

إذا سألت أي اقتصادي فسوف يقول لك إن المسألة كلها مسألة عرض وطلب. كلما طال انتظارك، كلما انخفض «عرض» الرجال المتاحين في حين يزداد «الطلب» عليهم في الوقت نفسه. أما «القيمة الزواجية» للمرأة، فهي في تراجع. بالنسبة إلى النساء، تكون النتيجة أمرًا أشبه بحالة «ركود اقتصادي» حقيقي فيما يتصل بفرص المواعدة.

مزاد العازبين

ظهرت في مجلة «سليت» مقالة لمارك جينين استخدمت التشبيه بالمزاد في شرح تناقص «عرض» الرجال مع تقدم النساء في السن. إذا كانت المواعدة تشبه مزادًا، فللمرء أن يعتقد أن المزاود الأقوى -أي النساء المتمتعات بقدر أكبر من الجاذبية- سوف «يفوز». لكن جينين يقول إن ثقة «المزاودات القويات» بقدرتهن على الحصول على الرجل المطلوب تؤدي إلى تأخرهن أكثر مما ينبغي. ففي حين تنتظر «المزاوِدات القويات» ظهور أفضل فرصة ممكنة، تسبقهن «المزاوِدات الضعيفات» ـ أي النساء الأقل جاذبية من وجهة نظر تقليدية ـ ويكنّ أكثر منهن مبادرة إلى «الهجوم» لإدراكهن إمكانية أن يجدن أنفسهن خارج المزاد كله.

إذًا، ماذا يحدث؟ شيئًا بعد شيء، «يُؤخذ» من سوق المواعدة الرجال الأكثر جاذبية، الذين رفضتهم «المزاوِدات القويات» إذ تستحوذ عليهن «المزاوِدات الضعيفات». وفي النهاية، لا يبقى إلا الرجال الأقل جاذبية،

أي أولئك الرجال الذين لم تكن «المزاوِدات الضعيفات» مُقبِلات عليهم... وتبقى معهم النساء الأكثر جاذبية (لكنهن أيضًا النساء ذوات الثقة المفرطة بأنفسهن).

بعد قراءتي هذه المقالة، فكرت في الرجال الذين تزوَّجَتْهم نساء أعرفهن متقدمات في السن، وذلك خلال السنوات القليلة الماضية: ممثل لا يزال يحاول أن يشق طريقه بعد أن بلغ الأربعين، لكنه لا يستطيع الحصول إلا على أعمال مؤقتة؛ والأرمل المكتئب الذي لديه ثلاثة أطفال يصعب التعامل معهم؛ ومدمن العمل الذي يمضي وقته كله في محاولة إطلاق مشاريع جديدة لا تلبث أن تفشل كلها، لكنه يرفض التفكير في أن يعمل موظفًا في شركة أخرى. لا أريد القول إن أولئك الرجال ليست لديهم أية صفات جيدة أو إن النساء اللواتي تزوجن منهم مجنونات. فالمسألة كلها لا تتعدى حقيقة أن الرجال القلائل الذين يمكن أن يخرجوا مع نساء لم يعدن صغيرات يتطلبون تنازلات أكثر كثيرًا مما يتطلبه الرجال الذين كانوا يواعدوننا عندما كنا في العشرينيات وكنا «أشد غرورًا» من أن نقبل خوض المزاد.

كتب جينين قائلًا: «أين ذهب أولئك الرجال الجذابون جميعًا؟ تزوج أكثرهم في سن مبكرة... وفي بعض الحالات تزوجوا نساء لم يكن الجمال ولا العاطفة ولا الذكاء أبرز سماتهن، بل القدرة على اتخاذ القرار».

سنةٌ من الزواج

والآن، فلنقل إنك لست عازبة في الثلاثينيات، بل امرأة أمضت سنة وهي متزوجة من رجل ممتاز (لكنه ليس «أمير الأحلام الساحر»). ما هي التكاليف؟ أنت مضطرة إلى أن تشاركي ذلك الرجل استخدام المرحاض؛ لكن «الأمير الساحر» تتناثر قطرات بوله على حافة المرحاض، مثله مثل غيره. قد تكونين مضطرة إلى التخلي عن قدر من استقلاليتك ومن الوقت الذي تمضينه وحدك. ولكن، كم كان ثمينًا ذلك الوقت الذي كنت تمضينه

وحيدة بين النادي الرياضي وعملك الذي تسددين منه فواتيرك وبين ذهابك إلى الحانات أو البارات بحثًا عن الرجال؟

لا يزال عليك أن تشتري الملابس ومستلزمات الشعر، ولا يزال عليك أن تذهبي لقص شعرك. لكنك صرت الآن قادرة على قضاء شطر كبير من الوقت -كل يوم- في ملابس بسيطة، ولن يكون هذا أمرًا ذا أهمية في نظر رجل يترك ملابسه الداخلية مرمية على الأرض ويضرط في حضورك. لست الآن مضطرة إلى أن تبذلي ذلك الجهد اللازم من أجل بقائك في «حالة صالحة للمواعدة»، تلك المهمة التي تزداد صعوبة مع تقدمك في السن ليس لأن عملك يفرض عليك متطلبات كثيرة فحسب، بل أيضًا لأنك تجدين نفسك على الدوام في منافسة على الرجال أنفسهم مع نساء أصغر سنًا وأشد جاذبية. قد يتمنى زوجك أن تظلي مليحة المظهر مثلما كنت في بداية عهده بك، لكنه يحبك منذ زمن غير قليل، ولن يتوقف كثيرًا عند بضع شعرات ظاهرة هنا وهناك.

إذا كنت متزوجة، فسوف تكون أيامك أكثر سرورًا لأنك قادرة على الاسترخاء في البيت وقت المساء مع وجود من تحدثينه بدلًا من جريك في أنحاء المدينة كي تلتقي أشخاصًا غرباء وتحاولي أن تكون ساحرة وتتركي انطباعًا حسنًا. سيظل عليك أن تقومي ببعض الأمور من أجل أيام العطلات ومن أجل عيد ميلاد زوجك؛ وستواصلين الذهاب لقضاء العطلات هنا أو هناك، لكن لديك الآن ذكريات حياة مشتركة تعوّضك عما بذلته من جهد ونفقات: أمر يستحق «الاستثمار الاقتصادي». وحتى إذا أنفقت ثلاثة آلاف دولار على شراء بعض الملابس وعلى المانيكور والشمع وقص الشعر، وكذلك على الخروج في عطلة نهاية الأسبوع، وعلى شراء هدايا من أجل زوجك، فإن هذا يظل استثمارًا على المدى البعيد. هذه ليست «تكاليف ضائعة» وليست «تكاليف الفرص» ولا حتى تكلفة ألبوم صور تجدين نفسك مضطرة إلى قص كل واحدة منها (كي

تتخلصي من صورة الصديق الذي انقطعت علاقته به)، وذلك إذا أردت أن تكون لديك ذكريات بصرية عما جرى في حياتك خلال تلك السنة.

وعلينا أيضًا ألا ننسى: المال الذي تنفقينه عندما تكونين متزوجة هو، في واقع الأمر، مالك ومال زوجك. حتى إذا ظلت لكل منكما ماليته المستقلة فإن في البيت شخصين ينفقان عليه. يعني هذا أنك لا تضحين بما يعادل ما تضحين به عندما تكونين معتمدة على مالك وحده من غير ما يقدمه إليك الشريك من مساندة وأمانٍ اقتصادي. يمكن القول إن هذا «استثمار منخفض المخاطر».

عندما فرغت مع صديقتي المتزوجة من تلك الحسابات التي أُقرُّ بأنها ليست حسابات علمية، بدا لنا -من منظور التكلفة/ المنفعة- أن كون المرأة التي تجاوزت سن الثلاثين متزوجة أفضل من كونها عازبة. لا شك في أن «التكاليف الضائعة» تظل قابلة للتعويض إذا كانت المرأة من أصحاب الدخل المرتفع. كما يمكن التعامل مع «التكاليف النفسية والانفعالية» من خلال البوح أمام صديقة حميمة تتمتع بقدر كبير من الصبر. وأما «تكاليف الفرص الضائعة» فلا سبيل إلى تعويضها. بطبيعة الحال، تكون أكبر «تكلفة فرصة ضائعة» احتمال إقدامك على صرف النظر عن رجل جيد حقًا ثم بقائك من غير أحد.

«البيع» أبكر مما ينبغي

هذا ما جرى لإيميلي التي انفصلت عن سام عندما كانت في السابعة والعشرين. كان سام شابًا لطيفًا محبًا ذكيًا، لكنه ليس ذا مهارة متميزة في أمور التكنولوجيا؛ وكانت هائمة به حبًا، لكنها تركته كي تخرج مع جوناثان، الرجل المثير غير المسؤول الذي يعمل وكيلًا للأفلام ويشاطرها اهتماماتها كلها. بعد سنتين من ذلك، انتهت علاقتها مع جوناثان فأدركت أن سام كان، في حقيقة الأمر، الشخص المناسب لها. في غضون ذلك، لما بلغ سام الثلاثين، كانت قيمة «أسهمه» قد ارتفعت كثيرًا وصارت نساء

كثيرات راغبات في الخروج معه، فلم يغفر لها تخليها عنه ولم تستطع استعادته (حاولت ذلك!). تزوج سام بعد ثلاث سنين: لقد أقدمت إيميلي على «البيع» أبكر مما ينبغي.

في علم الاقتصاد، لا يمكن اعتبار ما فعلته إيميلي أمرًا منطقيًا. إذا كان الاستقرار المالي هدفًا لك، فأنت لا تستثمرين في أسهم متقلبة محفوفة بالمخاطر لمجرد أنها «أسهم رائجة» هذا الأسبوع. يعلم الجميع أن تلك الأسهم نادرًا ما تصير استثمارات جيدة على المدى البعيد (مثلها مثل الرجال «المثيرين» الذين يندر أن يكونوا جيدين بقدر ما يبدو عليهم).

لكن نساء كثيرات يقدِمن على استثمار من هذا النوع. نتقبل مخاطر كبيرة جدًا لأننا مؤمنات بأن كل شيء قابل للتغير وبأن ما من قرار واحد يمكن أن يؤدي إلى نجاح كامل أو إلى فشل. إلا أن وجود «حد زمني» أمر كفيل بأن يجعل قرارًا خاطئًا واحدًا نقطة فصل بين أن تتزوجي وأن لا تتزوجي أبدًا، بين أن تنجبي أطفالًا أو لا تنجبي أطفالًا أبدًا، بين أن تنجبي طفلًا واحدًا أو أكثر من طفل، بين زواجك من شخص يسرك أن تكوني معه مثلما كان يسرك وجودك مع ذلك الرجل الذي رفضته منذ ثلاث سنين أو منذ ثلاث عشرة سنة. لا نعرف كيف نتوقف عندما نكون في أحسن أحوالنا، فنفرّط بأفضل فرصة سعادة زوجية تسنح لنا (قد تكون فرصة أخيرة).

إيميلي الآن في السابعة والثلاثين؛ ولا تزال عازبة. تخرج كثيرًا مع رجال أكبر منها سنًا، مطلقين ولديهم أطفال. لم تدرك أن انتظار «الأمير الساحر» نادرًا ما يعني الوصول إلى تكوين أسرة كالتي في الحكايات. لا شك أبدًا في أنها لم تكبر وهي تحلم بالزواج من رجل مطلّق في أواسط العمر لديه أطفال لا يحبونها ولا يريدون أن تصير لهم زوجة أب لديه أيضًا زوجة سابقة تتصل به عند الساعة العاشرة ليلًا كي تقول له إنها ستأتي لأخذ الأطفال إلى المدرسة صباح اليوم التالي.

عندما كانت إيميلي أصغر سنًا، كانت ترى ثمن قبول التنازل مرتفعًا جدًا. لكنها صارت الآن تدفع ثمنًا أعلى لأنها لم تقبل أي تنازل.

«تهالك الأصول»

سأكون أول من تعترف بأن ثمة أمرًا غير لائق في مناقشة العلاقات العاطفية من منظور اقتصادي. ففي حقبة ما بعد النسوية، صرنا نقول إننا نعتقد أن معيار العثور على شريك حياة ينبغي أن يكون الحب وحده، ولا شيء غير الحب. لكن امرأة من نيويورك في الخامسة والعشرين من عمرها، امرأة تزعم أنها «أنيقة» و«راقية» ووصفت مظهرها بأنه «جميل جدًا»، نشرت في «كريغلست» سنة 2007، استطلاعًا سألت فيه: لماذا لا تستطيع العثور على زوج ثري؟ كان رد واحد ممن أجابوا عن سؤالها على النحو التالي:

> بالنسبة إلى رجل مثلي، عرضك ليس إلا صفقة أعمال سيئة. أقول لك هذا بكل بساطة ووضوح. وإليك السبب. إذا تجاوزنا الكلام الفارغ كله، فأنت تطرحين مقايضة من النوع البسيط: تقدمين مظهرك وأقدّم مالي. أمر عظيم! أمر بسيط! ولكن، ثمة مشكلة في هذا. جمالك سوف يخبو، ومالي يُحتمل أن يظل على حاله... في الواقع، من المحتمل جدًا أن يزداد دخلي، إلا أن المؤكد هو أن جمالك لن يزداد.
>
> وفق مصطلحات علم الاقتصاد، أنت «أصل متهالك» وأنا «أصل يزداد قيمة». لستِ أصلًا متهالكًا فحسب، بل إن تهالكك متسارع. اسمحي لي بتوضيح هذه النقطة: أنت الآن في الخامسة والعشرين؛ ومن المحتمل أن تظلي جميلة جذابة مدة خمس سنين أخرى، لكن جمالك وجاذبيتك يتناقصان مع كل سنة تمر. ثم يبدأ التراجع الحقيقي. ماذا سيبقى منك في الخامسة والثلاثين؟
>
> إن كنت ترينني شخصًا فظًا، فسوف أقول لك ما يلي: إذا كان مقدرًا لمالي أن يزول، فأنت زائلة أيضًا. بالتالي، سيكون عليَّ أن أتركك عندما تفقدين جمالك. الأمر بسيط إلى هذا الحد. يعني هذا أن الصفقة المنطقية هي المواعدة، لا الزواج!

صحيح أن من المحتمل كثيرًا ألّا تكون وجهة هذا الرجل ساحرة للسيدات، لكن رجالًا كثيرين ممن سألتهم قالوا إن كلامه غير بعيد عن الحقيقة. لكن، وقبل أن يستبد الغضب بالنساء، علينا إدراك أن التفاهة غير مقتصرة على الرجال. فكما يقول الباحث في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا داني آريلي، «تضفي النساء أيضًا على الخصائص الجسدية قيمة اقتصادية».

عشرة آلاف دولار لكل إنش

ففي واحدة من التجارب التي أجراها آريلي، جرى تصنيف صور الرجال على مواقع المواعدة في الإنترنت، وذلك من قبل أشخاص مستقلين من الذكور ومن الإناث. تم تصنيف الصور بحسب جاذبيتها. بعد ذلك، نظر الباحثون إلى مقدار ما اجتذبته كل صورة من اهتمام في تلك المواقع. اتضح أنك إذا كنت رجلًا ذا مظهر عادي جرى تصنيف صورته في الإنترنت على أنها ذات جاذبية متوسطة، فلا بد لك أن تجني في السنة الواحدة أكثر مما يجنيه رجل تم تصنيف صورته ضمن فئة العشرة بالمئة الأكثر جاذبية بمبلغ يتجاوز مئة وثلاثة وأربعين ألف دولار، وذلك حتى تحظى بما يحظى به الجذّاب من قبول لدى النساء. وإذا كانت صورتك مصنَّفة ضمن العشرة بالمئة الأقل جاذبية، فإن عليك أن تجني مئة وستة وثمانين ألف دولار أكثر مما يجنيه الرجل المصنف ضمن العُشر الأكثر جاذبية.

قال لي: «النساء شديدات الاهتمام بطول القامة. يعني هذا أن من يكون في مثل طولي، أي مئة وواحدًا وسبعين سنتيمترًا، لا بد أن يكون دخله السنوي أكثر بأربعين ألف دولار من رجل يبلغ طوله مئة وخمسة وسبعين سنتيمترًا». لقد توصل آريلي إلى أن الرجل الذي يبلغ طول قامته مئة وخمسة وستين سنتيمترًا لا بد له من مئتين وتسعة وعشرين ألف دولار زيادة عما يجنيه رجل طول قامته مئة وستة وسبعين سنتيمترًا، وذلك حتى يكون له القدر نفسه من الجاذبية في أعين النساء. وأما إذا كان طول قامته

مئة وستين سنتيمترًا، فعليه أن يجني مئة وثلاثة وثمانين ألف دولار زيادة على المبلغ السابق، في حين تكون زيادة قدرها اثنان وثلاثون ألف دولار كافية بالنسبة إلى رجل يبلغ طول قامته مئة وخمسة وسبعين سنتيمترًا.

وبطبيعة الحال، من المحتمل ألا يكون رجلٌ طويل القامة مدمن على العمل زوجًا جيدًا مثلما يمكن أن يكونه رجل أقصر قامة لكنه أب يهتم بأطفاله؛ وذلك تمامًا مثلما قد لا تكون امرأة مثيرة في السادسة والعشرين من عمرها مثل امرأة ناضجة في الثانية والأربعين. لقد كنا على الدوام نواعد استنادًا إلى عوامل خارجية سطحية؛ ولم نحقق أي نجاح. لكننا نريد ما نريده بصرف النظر عما إذا كان منطقيًا أم غير منطقي! إن «سوق المواعدة» تبرهن على هذه الحقيقة مرة بعد مرة.

هذا هو السبب الكامن من خلف ذلك التحول العكسي في «القوة»: الرجال في العشرينيات مثل النساء في الأربعينيات؛ والنساء في العشرينيات مثل الرجال في الأربعينيات... والأمر كله متعلق بالقيمة المُتصوَّرة.

ليست لك «قيمة» أعلى من الخيارات المتاحة لك

هذا ما كان يجعل إيفان مارك كاتز يواصل تذكيري بأن لا أهمية أبدًا لما أعتبره «قيمتي». ففي عالم المواعدة، لا تتجاوز قيمة المرء الخيارات المتاحة له.

قال لي إيفان: «في وسعكِ أن تكوني انتقائية قدر ما تريدين طالما كان لك الخيار في فعل ذلك. تبدأ المشكلة عندما نظن أننا ينبغي أن نكون مرغوبين، لكننا لسنا كذلك. ما يحول بينك وبين النجاح في مسعاك هو أنك تحاولين أن تكوني امرأة في السابعة والعشرين لا تزال في أعلى سلم التصنيف في عالم المواعدة. إلى حد كبير، تستطيع امرأة في السابعة والعشرين أن تخرج مع أي رجل، أكبر منها أو أصغر. لكن الأمر لا يكون هكذا على الدوام. من هنا، لا تستطيعين أن تحتملي نتائج 'رمي الرجال بعيدًا عنك' استنادًا إلى تفاصيل صغيرة، وذلك مهما تكن سنّك».

ولكن، كيف أعلم موقعي على سلم التصنيف في عالم المواعدة؟

رفع إيفان كتفيه وقال: «إنه الاقتصاد! ليتر من الحليب أمر جيد، لكن أحدًا لن يشتريه إذا كان ثمنه عشرة دولارات. ثمة مبالغة في السعر. تبالغ نساء كثيرات في تحديد سعرهن إلى حد يجعلهن خارج السوق». يقول إيفان إن المرء يستطيع تقدير قيمته في السوق على النحو التالي: إذا كان صندوق البريد الوارد عندك غاصًا برسائل من رجال تواصلت معهم عبر الإيميل، فهذا يعني أنك وضعت لنفسك سعرًا معقولًا. إذا لم يكن الأمر كذلك، فقد بالغت في تسعير نفسك.

تابع إيفان: «إذا كان لدينا رجل حسن المظهر في الأربعين، ويجني دخلًا طيبًا ويريد أن يتزوج، فسوف يرى أن امرأة في الثانية والثلاثين خيار أكثر منطقية بالنسبة إليه من امرأة في مثل سنه. لكن هناك نساء كثيرات لا يقبلن بهذا. تقول المرأة، *'قيمتي كبيرة! وهذا ما أود الحصول عليه. لن أخرج إلا مع رجال في مثل سني. لن أخرج مع رجال إلا إذا كان طول قامتهم يعجبني'*. جميل أن تقول المرأة هذا. لكن من المحتمل ألا تجد كثرة من 'المشترين'. ثم إنني أرى نساء شابات كثيراتيبالغن في تسعير أنفسهن. وعندما يتوصلن أخيرًا، بعد خمس سنوات من ذلك، إلى قبول تسعير أنفسهن على نحو أكثر منطقية، يكون الأوان قد فات».

بالضبط، هذا ما رأيته يحدث أمامي: قد تخرج امرأة لم تبلغ الثلاثين مع رجل رائع، لكنها تجد أن ثمة أمرًا ينقصه. قد يحصل ذلك الرجل على درجة ثمانية، لكنها تريد عشرة. ثم تصير في الأربعين ولا تستطيع أن تحصل على أكثر من خمسة! يعني هذا أنها تخلت عن الثمانية نتيجة إصرارها على العشرة، لكن الأمر انتهى بها إلى خمسة فقط... أو إلى لا شيء. قد تكون الثمانية شيئًا رائعًا ـ قد تكون «اللقطة»ـ لكنها لا تدرك ذلك إلا بعد أن تصير غير قادرة على الحصول على ما يتجاوز خمسة.

عندما كنت في الثانية والعشرين، ما كان ممكنًا لأحد أن يلومني إذا أنهيت علاقتي مع صديقي الذي كان شابًا ذكيًا لطيفًا مرحًا حسن المظهر،

لكن لديه ولعًا مفرطًا بقصص الخيال العلمي. وأما عندما صرت في السابعة والثلاثين، فقد أصبحت مُعتبرة امرأة جشعة، متطلبة، شديدة المبالغة إذا قلت إنني أرضى بمن هو ذكي لطيف مرح حسن المظهر. حقيقة الأمر أنه كان صعبًا، في السابعة والثلاثين، العثور على رجل يحقق تلك المواصفات. لكني لم أفطن إلى اغتنام الفرصة «عندما كان العرض متاحًا».

يقول إيفان مستخدمًا مصطلحات عالم الأعمال إن «القيمة في سوق العلاقات العاطفية» تكون على النحو التالي: «يشبه قولك إنك تريدين التمسك بالعشرة قولك إن على كل إنسان أن يتمسك بفكرة الحصول على وظيفة يبلغ دخلها السنوي نصف مليون دولار، وذلك لأن قيمته تعادل ذلك المبلغ. لا بأس. إذا كانت نسبة الأعمال التي تدر نصف مليون دولار صغيرة، فسوف يصير لدينا قدر كبير من البطالة. هذا إلا إذا رضي أحدهم بأن يتنازل ويأخذ وظيفة ذات دخل أقل لكنها تحقق قدرًا أكبر من المزايا ومن جودة الحياة».

قال إيفان إن الناس الذين لا يُدخلون «قيمتهم السوقية» في الحساب يضللون أنفسهم.

قال لي: «لو كنتُ مليونيرًا لكان تسويقي أكثر سهولة. وسوف تكون لبيل غيتس قيمة سوقية مختلفة تمامًا لو أنه ليس بيل غيتس. هذا يخالف أفكارنا المثالية عن الحب وعن أن يجري تقييم المرء انطلاقًا من خصائصه الداخلية فحسب. ما أكثر من يجدون هذا الأمر مهينًا لهم! يود كل إنسان اعتباره 'خاصًا'. ولكن، يمكنكِ التظاهر بأن هذا الكلام غير صحيح، أو أن تكوني أكثر واقعية في شأن الخيارات المتاحة لك بحيث تستطيعين فعلًا أن تلتقي أحدهم».

لقد كان إيفان محقًا. إن كنا صادقين مع أنفسنا، فمن المحتمل أن يدرك كثير منا أننا لسنا «أنقياء» مئة بالمئة في بحثنا عن الحب الحقيقي. إن الانجذاب إلى واحد من الناس حسابٌ خفيّ مشتمل على مقدار الجاذبية الرومانسية، لكنه مشتمل أيضًا على طبيعة الحياة التي ستعيشينها مع ذلك الشخص.

على سبيل المثال، تكون نظرة النساء اللواتي في الثلاثينيات إلى رجل رائع، لكنه عاطل عن العمل، مختلفة جدًا عن نظرتهن إلى شخص لديه عمل يدرّ عليه دخلًا طيبًا، حتى إذا كان الرجلان متساويين من حيث الذكاء والوسامة. لا علاقة لهذا الاختلاف بما إذا كان الشخص طموحًا أو متحمسًا بقدر ما هو متعلق بما نتوقع أن تكون عليه حالنا في المستقبل إذا كانت لنا أسرة مع هذا الشخص أو ذاك (لأن الرجل الذي هو الآن من غير وظيفة قد يكون منكبًا على العمل في الموسيقى أو على متابعة مشروع بدأه حديثًا، لكنه لا يجني أي دخل حتى الآن؛ في حين يمكن أن يكون صاحب الدخل الطيب شخصًا لا يحب عمله على الإطلاق). إن للجوانب العملية أهميتها حتى عند أكثرنا رومانسية.

الزواج مشروع جيد

إذا كان ممكنًا أن تبدو «اقتصاديات المواعدة» مزعجة، فإن «اقتصاديات الزواج» تبدو مريحة - في نظري، على الأقل. فالزواج يوفر البنية التحتية، ورعاية الأطفال، والأمان الاقتصادي، والرفقة؛ كما تقول الدراسات أيضًا إنه يوفر حالة صحية أفضل. من الأسهل، والأكثر متعة، أن يمضي المرء في الحياة مع شريك. فعلى وجه الإجمال، يكون المتزوجون أكثر سعادة من غيرهم كما تقول دراسة «*دفاعًا عن الزواج*» التي هي خلاصة عامة لبحثٍ تناول منافع الزواج قامت به كل من ليندا ج. ويت وماجي غالاغر.

من المؤكد أن الزواج مشروع جيد، لكنه يظل مشروعًا. لقد قرأت في الآونة الأخيرة مقالة لليز بوليام ويستون بعنوان «كوني واقعية: الزواج مشروع». ورد في الفقرة الافتتاحية في تلك المقالة: «ضعي جانبًا تلك الفكرة الرومانسية القائلة إن الحب قادر على أن يقهر كل شيء؛ وهاتي آلتك الحاسبة. تستلزم أية شراكة ناجحة وجود خطة ومسؤول مالي (عادة) وتقارير منتظمة عن سير العمل».

تتحدث بوليام ويستون في تلك المقالة عن حقيقة أن الثروة التي يبنيها

المتزوجون أكبر بشكل واضح من الثروة التي يبنيها العازبون، وأن للزواج جوانبه القانونية والمالية، فضلًا عن جانبه الرومانسي. وهي تقول أيضًا، مثلما قال جون كورتيس، إن عليك أن تضعي «خطة عمل» من أجل الزواج.

كان في تلك المقالة رابط يؤدي إلى مقالة أخرى بعنوان «كيف تتركين زوجك». تنصح تلك المقالة بوضع «استراتيجية الخروج من الزواج» قبل أن تعلني عزمك على الطلاق ـ ذلك بغية التوصل إلى أفضل النتائج من الناحية المالية. إذًا، إن كان للطلاق جانب مالي، فمن المنطقي أن يكون للزواج جانبه المالي أيضًا.

ولكن، اسألوا معظم العازبين عن فكرة أن للحب الحديث جانبًا اقتصاديًا/ اجتماعيًا وسوف ترون أنهم يجدون هذه الفكرة مهينة. سوف يصرون على أن إدخال الحسابات الاقتصادية في مسألة اختيار الشريك أمر صار من الماضي - أثر بدائي باق من تلك الأيام عندما لم يكن للمرأة قول في اختيار من تتزوج أو في اختيار أن تتزوج أو لا تتزوج ـ كانت الزيجات تتم بترتيب مسبق. ولكن، إذا كان استخدام المعايير العملية في اختيار الزوج أو الزوجة أمرًا شنيعًا إلى هذا الحد، فكيف كانت هناك زيجات كثيرة ناجحة مع أنها مرتبة مسبقًا؟

ما هو الأمر الذي يعرفه الناس في تلك الزيجات المرتبة مسبقًا، ولا نعرفه نحن الغربيين الذين يسكننا هاجس الحب؟

مكتبة
t.me/soramnqraa

19

الحب من النظرة السابعة والعشرين

جايا مالا ماداتيل باحثة مولودة في الهند تعمل في جامعة سونوما في ولاية كاليفورنيا؛ وهي خبيرة في الزيجات المرتبة مسبقًا. اتصلت بها كي أسألها عن واحدة من دراساتها فاجأتني عندما قرأتها. لقد قارنت بين مستويات الرضا في الزيجات المرتبة وفي الزيجات القائمة على الاختيار الحر -كلها حالات في الولايات المتحدة- فوجدت أن مستوى رضا الناس في الزيجات المرتبة ليس أقل (إن لم يكن أكثر) من رضا الناس في الزيجات القائمة على الاختيار الحر.

لست أريد القول إن الزيجات المرتبة مسبقًا هي الحل المناسب لمشكلات المواعدة التي تعانيها النساء؛ لكني وجدت دراسة ماداتيل محيّرة: هل من الممكن حقًا أن يكون شخص اختاره أهلك لك قادرًا على جعلك سعيدة مثلما يجعلك سعيدة شخصٌ أنفقتِ سنين طويلة من حياتك في البحث المضني عنه؟

وإن كان الأمر هكذا، فلماذا؟

قالت لي ماداتيل إن دراستها لم تتحرَّ الأسباب (سيكون ذلك مشروعها التالي)، لكن مما يسعدها أن تحكي لي قصة زواجها المرتَّب مسبقًا عندما كانت في الرابعة عشرة من عمرها، وذلك على سبيل المثال.

لم أجد فيه عيبًا

كان أول ما قالته لي ماداتيل عن زوجها هو أنها «تحبه كثيرًا» – دفؤه،

ولطفه، وذكاؤه، ووسامته... ذكرت لي أمورًا كثيرة. لحظة بدأت كلامها عن زوجها، بدا لي أنها تحولت من باحثة شديدة الدقة إلى مراهقة ثملة!

قالت لي: «إنني آسفة! كل ما في الأمر هو أن زواجنا رومانسي جدًا. لكنك قد لا تجدينه زواجًا رومانسيًا على الإطلاق عندما أحكي لك كيف التقينا».

وقد كانت محقة في توقعها.

قالت لي موضحة: «التقى أهلي وأهله، ورأوا أنه مناسب لي وأنني مناسبة له. قرروا أن من الممكن المضي قدمًا. وهكذا التقينا، أنا وزوجي، فأعجب كل منا الآخر. كنا متفقين على القيم الأساسية وعلى ما ننتظره من الحياة. المظهر الجسدي مهم أيضًا... قلت في نفسي، نعم، يبدو شخصًا وسيمًا. ليس ضروريًا أن يكون وسيمًا جدًا. بدا لي الأمر واقعيًا، وبدا ممكنًا، فأعلنت موافقتي».

أهكذا كان الأمر؟ حاولت تخيل نفسي جالسة قبالة شخص غريب عني تمامًا؛ وتخيلت أنني أقول: «نعم، يبدو الأمر واقعيًا، ويبدو ممكنًا. طبعًا، سأتزوجه».

من خلال عقليتي الأميركية، بل الأميركية جدًا، تساءلت لماذا لم تكن ماداتيل راغبة في أن تلتقي مرشحين آخرين. لقد أخبرتني بنفسها أنها كانت قادرة على أن تلتقي من الرجال قدر ما تشاء إلى أن تعثر على من يناسبها. فكيف عرفت أن تختار هذا الشخص دون غيره؟

قالت ببساطة: «الحقيقة أنني لم أجد فيه عيبًا».

بدا لي هذا مضحكًا جدًا. لا تستخدم معظم العازبات الأميركيات منطق «لم أجد فيه عيبًا» في ما يتصل باتخاذ قرار بالزواج. (الحقيقة أننا غالبًا ما نجد «عيبًا» في أي رجل). فضلًا عن هذا، واستنادًا إلى ما قالته لي، فإن من النساء من لا يمكن أن تقبل حتى أن تخرج في موعد ثانٍ مع زوج ماداتيل ـ فما بالكم باتخاذ قرار بالزواج منه ـ وذلك لأن ما من «شرارات تطايرت» في المرة الأولى.

قالت لي: «أظن أن الأمر المختلف عن 'مواعيد القهوة' هو أننا لم

نكن نبحث عن الشرارات، ولا عن أي شيء من هذا القبيل. الأمر أشبه بما يكون على مستوى الصداقة عندما تقابلين شخصًا فتعلمين على الفور إن كنت راغبة في لقائه مرة أخرى. في البداية، لا ينصب التركيز على الرومانسية بقدر ما يكون منصبًّا على مدى وجود توافق من حيث القيَم».

وهي تعتقد بأن هذه مسألةٌ تغفلها ثنائيات المتحابين أحيانًا.

قالت لي: «أعرف هنا، في أميركا، ثنائيات ممن يستمرون في الخروج معًا سنتين كاملتين ولا يعلمون بعد إن كانت لديهم القيَم نفسها. يظنون أنهم يعلمون. لكنهم لم يتحدثوا حقًا في الأمور المهمة التي تأتي مع الزواج. في الزيجات المرتبة، يجري استيضاح المستلزمات كلها منذ البداية. ما من 'ألعاب' هنا. هكذا هو الأمر. إن بدا لكما أنكما متوافقان، فهذا جيد... ستتزوجان. ما الغاية من أن يرى كل منكما الآخر مرة ثانية، أو مرة ثالثة، أو رابعة؟ ما المعلومات الإضافية التي ستحصلان عليها؟».

الحقيقة أن ماداتيل كانت قد التقت مرشحًا آخر للزواج قبل أن تلتقي زوجها الحالي، لكنها رفضته. لم تتزوج المرشح الأول لأنها، بالضبط لأنها، حصلت على كلٍ ما يلزمها من المعلومات عبر اللقاء الأول. قد ترفض امرأة أميركية رجلًا منذ اللقاء الأول لأي عدد من الأسباب الظاهرية - كثير الشعر، يمضغ طعامه بطريقة مضحكة... ولكن، قالت لي ماداتيل إنها رفضت خاطبها الأول ولم تقبل الاستمرار معه نتيجة مشكلة رئيسية متصلة بنمط الحياة: أراد ذلك الرجل امرأة تظل في البيت، في حين أرادت هي أن تنهي دراستها وأن تحصل على وظيفة.

قالت ماداتيل: «هذه طريقة واقعية جدًا لإنجاز الأمور. نحن ندرك أنه ستكون هناك 'تعديلات'، وأن عليك أن تكوني مرنة، لكن ليس في الأمور الجوهرية من قبيل العمل والأطفال والمكان الذي تريدين أن تعيشي فيه. الأمر متوقف على رؤية الصورة الكبيرة. هو ليس شيئًا من قبيل 'إنه يحب أن يلعب الغولف، وأنا أكره الغولف. لذا، فلننس الأمر'!».

الالتزام يحررنا

قالت ماداتيل إنهما، عندما تزوجا، كانا «كأنهما قد باشرا المواعدة عند تلك اللحظة، لكن ذلك كان أفضل من المواعدة لأنكما تعلمان أنكما ستكونان معًا يوم غد مهما جرى بينكما. لست مضطرة إلى الانتظار إلى جوار الهاتف والتساؤل عما إذا كان راغبًا في استمرار العلاقة بيننا. هذه مفارقة كبيرة: الالتزام هو ما يحررنا!».

أضافت قائلة إن التركيز ينتقل من «هل سينجح الأمر؟» إلى «كيف نستطيع أن نُنجح الأمر؟» عندما صار كل منهما على معرفة أفضل بالآخر، وجدت ماداتيل نفسها معجبة بأمور كثيرة اكتشفتها فيه. أحبت طريقة كلامهما في هذا الأمر أو ذاك. وأحبت معاملة كل منهما الآخر. لكنها لم تقع في حبه بعد. وقعت في حب زوجها نتيجة كيفية تعاملهما مع الأمور التي يختلفان فيها.

قالت لي: «يسهل الوقوع في الحب عندما يكون كل شيء جيدًا. وأما عندما تختلفان، فإن كيفية توصلكما إلى تفاهم يكون ذا دلالة كبيرة جدًا. لقد حقق زوجي توقعاتي، بل تجاوزها. لم يتبادر إلى ذهني مرة واحدة أنه كان ممكنًا أن أعثر على من هو أفضل منه».

كم كان هذا مختلفًا عن نظرة ثقافتنا عن الحب حيث يبدو وجود خلافات في بداية العلاقة أشبه بحكم بالموت! نفترض أن بداية العلاقة ينبغي أن تكون كأنها شهر عسل. وينبغي أن يحس الاثنان أنهما في توافق تام. ويكون أي ابتعاد عن ذلك دليل على أنكما غير متوافقين. لكن ماداتيل تقول إن الخلافات غير مهمة، المهم هو كيفية تجاوز تلك الخلافات. قالت لي: كلما تمرنتما على تجاوز تلك الخلافات بطريقة محترمة، كلما قلّت الخلافات بينكما بعد ذلك.

النصيحة التي تقدمها إلى المرأة التي تريد أن تواعد رجلًا: اعثري أولًا على من يناسبك، ثم أحبيه. وقبل كل شيء، لا تظني أنك «وقعت في الحب» ثم تدركي، بعد فوات الأوان، أنه شخص غير مناسب لك أبدًا.

بدت لي هذه النصيحة جيدة. ففي نهاية المطاف، وبالنظر إلى الولع الأميركي بالوقوع الفوري في الحب، لماذا ينتهي الأمر بكثير جدًا من الناس إلى الطلاق، أو إلى الإحساس بالفراغ في زيجات كانت «حبًا حقيقيًا» منذ البداية؟

ما فائدة الزوج؟

بدا لي أن ثمة بعض الإجابات عند المحامية ريفا سيث المولودة في نيوجرسي (هي أيضًا صحافية). ففي كتابها «*في البداية يأتي الزواج: نصائح من أجل العلاقات العاطفية الحديثة مستمدة من حكمة الزيجات المرتَّبة*»، تقول ريفا إنها أدركت بعد قضائها سنوات في عالم المواعدة أنها كانت مخطئة في ما تفعله. ففي آخر المطاف، لم تعثر على زوجها من خلال زواج مرتب مسبقًا، بل باستخدام المبادئ التي تعلمتها من مقابلات أجرتها مع مئات النساء اللواتي كانت زيجاتهن مرتبة مسبقًا. إن نصائحها موجهة إلى الناس الذين هم مثلي، الناس الذين لا يمكن أبدًا أن يجلسوا مع «ماما وبابا» ومع والديّ واحد من الرجال كي ينجزوا الأمر دفعة واحدة، لكنهم قادرون على الاستفادة من قصص من فعلوا ذلك.

فكما جرى معي، كانت سيث تقابل رجالًا آملة أن تقع في الحب وتتزوج، لكنها لم تفكر مليًا في السبب الذي يدفعها إلى ذلك. بالتالي، تطرح في كتابها سؤالًا مهما في زمن صارت فيه النساء قادرات على رعاية أنفسهن: «في رأيك، ما فائدة الزوج في زماننا هذا؛ ولماذا تريدين زوجًا؟». هذا سؤال تصعب الإجابة عليه، ولو لمجرد حقيقة أن الأمر يبدو واضحًا. قد تقولين: «أريد شقيق روحي كي أعيش معه حياتي».

لا بأس! شقيق الروح! ما معنى هذا على وجه التحديد؟ تقول دايان سولي، مؤسسة ومديرة «التحالف من أجل الزواج والأسرة وتثقيف الثنائيات»: «يعتقد الناس أن عليهم العثور على شقيق الروح كي يكون زواجهم جيدًا. لكنك لن تستطيعي العثور على شقيق روحك! كل من تلتقينه لديه 'شقيق لروحه' قبل

أن يعرفك. وما أكثرهم! الأم، والأب، وأصدقاء العمر. تتزوجين، وتعيشين حبًا يستمر عشرين سنة، وتحبلين، وتنجبين أطفالًا، وتواجهين الصعوبات... عندها، تكونين قد أوجدت حالة 'شقيق الروح'!».

تكون الإجابة عن «سؤال الزوج» أكثر سهولة في الزيجات المرتبة. يسعى الأهل إلى ضمان رفقة مريحة، وإنجاب الأطفال (إذا كان الطرفان راغبين في ذلك)، وكذلك إلى توفير البنية التحتية للحياة الأسرية. يريدون شخصًا يتسم بعدد من الصفات من بينها الاستقامة والتواضع والطموح والكرم - هذه هي الأمور التي ستكون مهمة. إذا كان هناك رجل قادر على قراءة ما في ذهنك لكنه غير قادر على العثور على وظيفة ثابتة، أو إذا كان ظريفًا جدًا لكنه يعدك بأن يتصل بك ثم لا يتصل، فهل هذا هو الرجل الذي تودين الزواج منه؟

أعلم ما تريدين، تريدين أن يستطيع قراءة ما في ذهنك وأن يستطيع البقاء في وظيفة ثابتة. وتريدين أن يكون ظريفًا، وأن يكون شخصًا تستطيعين الاعتماد عليه. ولكن، هل تريدين زوجًا أم شخصًا قادرًا على ممارسة التخاطر؟ هل تريدين حياة تشبه حفلة أم رجلًا تستطيعين الاعتماد عليه؟

تقول سيث في كتابها إن الأزواج «شركاء الحياة»، لا «منقذي الحياة». ثمة خمسين بالمئة من الرضا في الزواج متوقف عليك أنت، لكن نساء كثيرات في عالم المواعدة اليوم لا ينظرن إلى الأمر بهذه الطريقة.

قالت لي الأمر نفسه واحدة من صديقات أمي تعيش زواجًا سعيدًا منذ أربعين سنة: «لا يستطيع الزواج وحده أن يجعلك سعيدة. الزواج الجيد يجلب لك قدرًا كبيرًا من السعادة. ولكن، ليست مهمة زوجك أن يوفر لك تسلية وإثارة دائمتين. كثيرات من صديقات بناتي يتوقعن المستحيل ممن سيكونون أزواجًا لهن».

في واقع الأمر، لم تستطع امرأة في الثلاثين من عمرها تحدثت إليها ذات مرة أن تقرر إن كانت تريد البقاء مع رجل يمضي أيام الأحد كلها في

متابعة مباريات كرة القدم. صديقها هذا شخص لطيف، محب، حظي بتعليم جيد. لكنها لا تزال تتساءل إن كانت قادرة على العيش مع رجل يجلس على الأريكة خمس ساعات كل يوم أحد من أجل متابعة مباريات كرة القدم.

قالت لي: «لا أنتظر أن تكون اهتماماتنا كلها متطابقة. ولكن... في يوم الأحد، أتمنى أن نكون قادرين على أن نفعل معًا ما يستمتع به كلانا!».

في الزيجات المرتبة، يبحث الأهل عن شخص يكون شبيهًا بابنتهم، لكن هذا لا يعني أنهم يبحثون لها عن توأم ذكر يحب الموسيقى مثلما تحبها، ويشغل ذهنه كل ما يشغل ذهنها، ويفضل المطعم نفسه. إن بين الأزواج والزوجات أمورًا مشتركة كثيرة، لكن هذا يعني أن لديهم أهدافًا مشتركة، لا هوايات مشتركة: يشتركان في نوعٍ من الحياة يودان بناءه معًا. بالتالي، أين المشكلة إن كان زوجك منشغلًا بترتيب مجموعة ألعاب الفيديو التي يمتلكها في حين تخرجين كي تمارسي رياضة الجري؟ لماذا تكون هذه مشكلة؟ ما عدد الرجال الذين خرجتِ معهم وكانوا يشاطرونك اهتماماتك كلها، لكن العلاقة لم تنجح على الرغم من ذلك؟ نعلم جميعًا أن «كلٌّ منا يحب السوشي» أمر غير كافٍ لبناء حياة مشتركة سعيدة!

في سنة 2009، كتب فرهاد زاما في زاوية «الحب الحديث» في صحيفة نيويورك تايمز عن مدى الاختلاف بينه وبين زوجته في أمور كثيرة جدًا، من النظافة إلى عادات القراءة إلى المأكولات المفضلة. (كان زواجه مرتبًا مسبقًا. ولم يلتق المرأة التي صارت زوجته إلا خمسًا وأربعين دقيقة).

يطرح زاما السؤال التالي: «هل كان ممكنًا أن نتزوج لو أننا التقينا وفق الطريقة الغربية المعتادة وصرنا نخرج معًا؟ أم أن كلًا منا كان سيصرف النظر عن الآخر ويمضي في سبيله باحثًا عن 'الشريك المثالي'؟ لست أدري! لكن ما أنا واثق منه هو أن زواجنا الذي جرى ترتيبه وفق اعتبارات أخرى في الذهن، قد نقلنا من التعارف إلى الحب وأبقانا معًا إلى أن أدركنا أن الاختلافات التي بيننا هي الين واليانغ اللذان جعلا علاقتنا متكاملة. والآن، صار كل منا يرى الآخر شريكًا مثاليًا».

الحب هو توقيت وفعل واسم

يعتقد زاما أن ما يجعل الزيجات المرتبة ناجحة هو حقيقة أن «نسخة الحب الهوليوودية» لا تدخل في المعادلة. لعله مصيب في هذا الاعتقاد! فالظاهر أن توقعاتنا الغربية عما يعنيه أن يكون المرء «واقعًا في الحب» قد شوَّهت ما ينبغي أن نرى له قيمة في الشريك بحيث صارت نساء كثيرات عازبات في يومنا هذا يجبن عند سؤالهن عن طبيعة الرجل الذي يبحثن عنه، «شخص طويل القامة، ظريف، ناجح»؛ وذلك بدلًا من قولهن: «شخص دافئ، موثوق، مخلص، قادر على ملاقاتي في منتصف الطريق وعلى التعامل جيدًا مع مشقّات الحياة».

بدأت أتساءل إن كانت الزيجات المرتبة شبيهة بحالة أولئك الناس الذين يقولون إنهم تزوجوا بسبب «التوقيت». أعني هنا الناس الذين وجدوا أنفسهم توّاقين إلى الزواج وبدء حياة أسَرية فتزوجوا أول شخص قابلوه. هذا ليس زواجًا مرتبًا، لكن من الواضح أنه زواج دخله أصحابه انطلاقًا من نظرة براغماتية تمامًا.

أنجيلا، البالغة خمسة وثلاثين عامًا، وهي محررة صحافية في نيويورك تزوجت منذ خمس سنين، قالت لي: «كنت جاهزة للزواج. لم يكن زوجي شقيق روحي، لكني رأيت أننا سنكون سعيدين معًا. لقد صار الآن شقيق روحي. ولكن، هل كان ممكنًا لشخص آخر أن يصير شقيق روحي؟ بالتأكيد! الأمر متعلق بالتوقيت. كان كل منا مستعدًا للالتزام؛ وكان كل منا شديد الرغبة في الزواج. لم نكن باحثين عن الكمال. كنا باحثين عن التوافق. وبعد ذلك... وقعنا في الحب».

قال لي الهندي/ الأميركي فيمال فورا البالغ سبعة وعشرين عامًا (يعمل استشاريًا في الشؤون الاستراتيجية ويعيش في مدينة نيويورك) إن الناس في ثقافته الهندية يعاملون كلمة «حب» على أنها فعل واسم.

قال لي: «يحب المرء شخصًا بأن يحترمه ويهتم به ويعتني به...»، وأما عند الأميركيين، فالظاهر أن الحب «اسم» فقط: «يحس المرء هذه العاطفة

الجارفة الرائعة. إنه هذا الشعور الغريب، المقلق، اللاعقلاني، الجارف، إحساس تكاد تحس أنه هو الذي اختارك».

يمكن التعبير عن فكرته بالقول إن الإنسان الذي توفر له العلاقة كل ما هو في حاجة إليه، لكنه لم يعد «يحسها»، يمكن أن يكون مبالغًا في تركيزه على ما إذا كان يعيش الحب (الاسم) لا على بذل الجهد اللازم كي يحب شريكه (الفعل). إن هذا الجانب من الحب (الفعل) جانب يختاره الإنسان ويقرره بنفسه.

يرى فورا أن الإنسان في حاجة إلى الاثنين معًا، إلى الاسم وإلى الفعل؛ لكنه يقول إننا ميالون إلى نسيان الأمر التالي: «الفعل قادر على خلق الاسم، والاسم قادر على الإلهام بالفعل».

20

أيام الاثنين مع إيفان

الجلسة الخامسة. التناسب بين الكيمياء والتوافق

قلت أثناء جلستي الأخيرة مع إيفان: «سوف نخرج معًا من جديد. لكن الأمر غريب لأنه ليس لديّ ذلك الإحساس الذي أعرفه عادة. لم تكن بيننا أية كيمياء، لكني متشوقة إلى لقائه مرة أخرى».

ابتسم إيفان، ثم سألني: «أليست هذه هي الكيمياء؟ عندما تكون لديك حماسة إلى لقاء جديد؟»

كنا نتكلم على موعدي الثاني مع «شلدون رقم 2»، ذلك الأرمل البالغ ستة وأربعين عامًا الذي يصمم البيوت ويبيعها وله ابن في الثامنة من العمر. إنه الشخص نفسه الذي لم أكن راغبة حتى في كتابة إيميل له إلى أن تدخل إيفان في الأمر. لقد استبعدته لأن طول قامته مئة وخمسة وستين سنتيمترًا، ولأن الصلع بدأ يظهر في رأسه، وكذلك أيضًا لأنني اعتبرت عمله مضجرًا (كنت مخطئة في هذا) ولأنه يضع ربطة عنق وردية منقطة في تلك الصورة التي نشرها في الإنترنت.

والآن، ها أنا أخبر إيفان بما استجد بيننا.

قبل أسبوع من ذلك، قابلت شلدون 2 في درب في الحديقة حيث وجدته جالسًا على صخرة يستمع إلى الآيبود. كان مرتديًا بنطلونًا قصيرًا من النوع الرائج وقميصًا قصير الكمين وعلى رأسه قبعة بيسبول فبدا كأنه

شخص في أواخر الثلاثينيات. لو رأيته في حفلة، فلا أظن أنه سيلفت نظري. ولكن، عندما ألقى عليَّ التحية، كان أول ما تبادر إلى ذهني «يبدو شخصًا ظريفًا». لم أنجذب إليه على طريقة «أتخيل نفسي أضاجعه»! ليست فيه تلك الصفات الجسدية التي تجذبني. لكن ظرفه ودفء تحيته جعلاني أحس ارتياحًا فوريًا.

لو رحت أخبر أحدًا عن موعدنا ذاك، لما كان هناك أي شيء مثير أقوله. منذ شهر واحد فقط، كان من المحتمل ألا أذهب كي ألتقي شلدون 2 مرة ثانية. ليس شخصًا مثقفًا، لكنه ذكي يحب الاطلاع. إن لديه «عقلًا لامعًا» وحيوية وتفتحًا ذهنيًا. لم نتبادل عبارات غزل مثلما كان يحدث مع من عرفتهم في الماضي، لكننا لم نجد نفسينا عاجزين عن العثور على ما نتكلم فيه. ليس شخصًا سريع البديهة، لكنه فطن. ساعدني في تسلق صخور كبيرة؛ وعرف كيف يجعلني أضحك. لم ترفرف الفراشات، ولم تكن هناك قبلة وداع، لكن الحقيقة هي أنني أمضيت معه وقتًا لطيفًا.

أخبرت إيفان عن تلك الدراسة التي تناولت الزيجات المرتبة مسبقًا، وكيف كان تركيزي على الكيمياء الفورية يؤدي بي إلى الفشل في الماضي. كان هناك مهندس. مهندس تخطيط المدن الذي طار من أقصى البلاد إلى أقصاها كي يراني، لكني كنت قد أنشأت له في خيالي صورة جعلتني أجده مخيبًا عندما قابلته في الحياة الحقيقية. لا أعني أنه كان شخصًا مخيّبًا فعلًا! لقد كان ذكيًا، طريفاً، لافتًا، يفهم نفسه، ولو أنه خجول متحفظ بعض الشيء. تجوَّلنا في المدينة معًا، وكان الوقت الذي أمضيناه ممتعًا، لكن هذا كله كان متوقَّعًا بالنظر إلى ما أخبرتني به مسبقًا صديقتي التي جمعتني به. هذا ما جعلني أنتظر أن أحس، شيئًا خاصًا، عندما ألتقيه. وأما أننا «أمضينا وقتًا لطيفًا»، فقد كان أمرًا غير جدير بإدخاله في الحساب! أحسست أنه لا بد من بذل جهد كبير للمحافظة على التواصل عبر تلك المسافة الكبيرة الفاصلة بيننا على الرغم من علمي أنه سينتقل إلى مدينتي بعد ستة أشهر فقط. لكن الحقيقة هي أن الأشخاص الذين بذلت جهدًا كبيرًا من أجلهم

ـ«الرجال الذين كانت بيني وبينهم شرارات»ـ كانوا غير مناسبين لي، أكثر الأحيان. (منذ فترة وجيزة، بحثت عن مهندس تخطيط المدن على فيسبوك، فوجدت أنه قد تزوج طبيبة نفسية وأنجب منها طفلة. وأيضًا، بدا لي شديد الوسامة في الصور التي نشرها على صفحته).

والآن، أحسست مع شلدون 2 كأنني تلك الشخصية التي لعبها جون كوزاك عندما قال عن صديقته في فيلم *«هاي فيديليتي»*: «لم تكن تجعلني بائسًا، ولا قلقًا، ولا غير مرتاح. قد يبدو هذا مضجرًا، لكنه لم يكن كذلك. وأيضًا لم يكن شيئًا متميزًا جدًا! كان حسنًا، لا أكثر... لكنه كان حسنًا فعلًا!».

بدأت أطرح على نفسي السؤال الذي طرحه في الفيلم: «هل ينبغي أن أفرّ كلما أتاني ذلك الإحساس في داخلي عندما ألتقي شخصًا جديدًا؟ الحقيقة أنني أصغي إلى 'داخلي' منذ أن كنت في الرابعة عشرة. وبصراحة، توصلت إلى استنتاج أن 'داخلي' من غير عقل على الإطلاق».

صحيح، و«داخلي» أيضًا! لم يقتض الأمر أكثر من نظرة واحدة على موقع «Match.com» كي أتأكد من أن «داخلي» لم ينتق لي أفضل الرجال.

البحث عمن يكون مثيرًا

جلست مع إيفان ونظرنا إلى قائمة الأشخاص المفضلين الذين انتقيتهم وإلى الإيميلات التي أرسلتها واستقبلتها منذ بداية جلساتنا الأسبوعية. كان القسم الأكبر من القائمة مؤلفًا من رجالٍ مثيرين في الأربعينات لم يتزوجوا من قبل، رجال تحدثوا عن أنفسهم بطريقة بارعة لكن أكثرهم لم يردّ على إيميلاتي. وأما الذين جرى بيني وبينهم تبادل للإيميلات فقد بدوا أشخاصًا لم يعيشوا من قبل أية علاقات ملتزمة بل خاضوا مجموعة كبيرة من العلاقات قصيرة المدى، أشخاصًا متبجّحين إلى حد منفّر يستخدمون في كلامهم تعابير جنسية تثير الريبة، أو رجالًا عاشوا علاقات معقدة في عائلاتهم أو لم يصيبوا نجاحًا في حياتهم المهنية أو، ببساطة، أشخاصًا لم يبد لي أنهم يمكن أن يصيروا أزواجًا مستقرين، لطيفين، طبيعيين.

قال إيفان إن هذا أمر عادي. قال أيضًا إنه يعرف تمام المعرفة أن هناك طلبًا شديدًا على الرجال العازبين في أواخر الثلاثينات وأوائل الأربعينات، وأن أولئك الرجال لا يجدون صعوبة في الزواج. قال أيضًا إن الواحد منهم غالبًا ما يكون شخصًا لديه مشكلات كثيرة إذا لم يكن قد تزوج حتى أواسط الأربعينات.

لقد لاحظت الأمر نفسه صديقتي كايلا البالغة ستة وثلاثين عامًا.

قالت لي: «إذا بدا الرجل الذي هو في تلك السن لقطةً، فهذا أمر مريب! أن يكون الرجل في الأربعينات ولم يتزوج أبدًا، يعني أن ثمة أمرًا غير طبيعي، يعني أن ثمة أمرًا يدعو إلى الشك في حالته. لقد وجدت أنهم يمكن أن تكون لديهم واحدة من المشكلات المأساوية الخمس التالية: فرط التعلق بالأم، وإدمان المخدرات، والميول المثلية، ومشكلات العمل، ومشكلات الالتزام. إن كان الرجل مطلقًا ولديه أطفال، فهذا ما يستبعد المشكلات الخمس. على الأقل، يقول هذا إنه مهتم بشكل من أشكال الحياة المعتادة التي تهمني، أنا أيضًا».

بطبيعة الحال، صرت الآن مدركة أن الآباء المطلقين قد يكونون مناسبين لي. وقد قال إيفان: «أليس مما يلفت الانتباه أن يكون أكثر من في قائمتك رجالًا لم يتزوجوا من قبل؟ ماذا يقول لك هذا؟»

قلت: «هل يقول إنني فاشلة في المواعدة؟ هل يقول إنني لا أحسن تقييم الشخصية؟».

هز إيفان رأسه. «يقول لك هذا إن ما تعتقدين أنه 'كيمياء' قد أعمى بصيرتك. أنت تسعين دائمًا إلى من تعتبرينهم مثيرين. أظن أنك، إن كنت في حفلة فجرى حديث لطيف بينك وبين رجل مطلق زائد الوزن قليلًا، شائب الشعر قليلًا، يعمل محاسبًا، ويعيش في منطقة بعيدة عنك لكنه شخص ظريف يعجبك أن تكوني معه، فمن المحتمل كثيرًا أن تعطيه رقم هاتفك. لعلك ما كنت لتفعلين هذا منذ خمس سنين! أنت تتعلمين الآن أن تسمحي بمرور مزيد من الناس عبر الفلتر».

... «لكني أظن أيضًا أنك، إذا بدأت تخرجين مع هذا الرجل، فسوف تتصلين بصديقاتك وتقولين لهن: 'لست أدري إن كان ما أفعله سليمًا. إنه زائد الوزن، وشائب أيضًا!'. سوف تخرجين معه، لكنني أظنك ستواصلين التفكير في أنك تريدين شخصًا أكثر 'إبداعًا' ويعيش في مكان قريب إلى مكان سكنك. إنها مشكلة صعوبة التوفيق بين الناس الذين نختارهم في مواقع المواعدة والناس الذين نحب فعلًا أن نمضي وقتنا معهم».

فلنتحدث عن طفولتك

عندما حدثت الباحث جيان كونزاغا عن «النموذج الذي يعجبني»، قال لي إن الناس كثيرًا ما يخلطون بين «الكيمياء» و«النمط» الذي يعجبهم، ويخلطون أيضًا بين ذلك «النمط» وبين شخص لديهم، في الظاهر، أمور كثيرة مشتركة بينهم وبينه. لكن ثمة مشكلة في هذا النوع من التفكير.

قال لي أيضًا: «في ما يتصل بالعلاقات العاطفية، لا يتغير المرء كثيرًا من حيث شخصيته أو طبعه. يعني هذا أن شريكك لن يصير على نحو مفاجئ شخصًا أشد كرمًا أو أكثر انفتاحًا. لكن من المعتاد أن يألف المرء اهتمامات الشريك؛ وهذا أمر قابل للتغير مع مرور الزمن. ينشغل الناس كثيرًا بالتفكير في ما هو مشترك بينهم، لكن ما ينبغي أن يكون مشتركًا بينهم، هو 'القدرة على فهم الآخر'. هذه هي الكيمياء، ولا شيء غير ذلك».

أعرف امرأة ارتكبت هذه الغلطة تحديدًا. فعندما كانت المذيعة آمي في العشرينات، انفصلت عن صديقها الذي عاشت معه زمنًا طويلًا ـ كان يدرس القانون ـ وذلك لأنها ظنت أن هناك «كيمياء أكثر» بينها وبين رجل جديد مثير تعرفت عليه في عملها. كان كل منهما مهتمًا بالبرامج الإخبارية التلفزيونية؛ وكان كل منهما يحكي للآخر عما جرى له في يومه. كان لديهما، كليهما، اهتمام كبير بقطاع الإعلام.

قالت لي آمي: «انتهى بي الأمر إلى الزواج من الرجل الذي يعمل في أخبار التلفزيون. نحن الآن متزوجان منذ خمسة عشر عامًا، ولدينا ثلاثة

أطفال. لكني بائسة. ليس بيننا الآن أي شيء مشترك ذي أهمية. ففي نهاية المطاف، ترك زوجي عمله في التلفزيون وراح يعمل في مجال العلاقات العامة. ثم صار مصور مقاطع فيديو يعمل لحسابه؛ إلا أنه ليس شديد الاهتمام بعمله».

إنها الآن نادمة على انفصالها عن صديقها السابق الذي صار محاميًا. لقد كانت الكيمياء التي أحسّتها معه حقيقية أكثر. قالت لي: «بعد أن يكبر أطفالنا، من المحتمل أن ننفصل ويذهب كل منا في سبيله لأن ما من شيء يجمعنا».

تقول ليزا كلامبيت (التي تعمل في التوفيق بين الثنائيات بعد أن كانت تعمل في الميدان الاجتماعي) إن ما يبدو كأنه «كيمياء» يمكن أن يكون -في أحيانٍ كثيرة- بقية انفعالية من أيام الطفولة. فإذا رأت واحدة من عميلاتها تسعى دائمًا خلف رجال لا يناسبونها، فهي تنظر في الجذور النفسية التي تجعلها مشدودة إليهم.

قالت لي كلامبيت: «أحيانًا، يكون ما يعتبره الناس 'كيمياء' ردًا على أمر جرى في أُسَرهم. عندما تكبر فتاة كان والدها من مدمني العمل تجد نفسها مشدودة إلى شخص متزوج أو إلى شخص 'غير متاح' عاطفيًا. أما عندما يصير شخص 'متاحًا لها' بطريقة صحية معافاة، فهي لا تحس أية شرارات بينها وبينه».

في هذه الحالات، تركّز كلامبيت على الصفات الحسنة التي تكون تلك المرأة مشدودة إليها وتحاول إقناعها بأنها متوفرة لدى شخص آخر.

«أقول لها: 'ما رأيك في أن نعثر على شخص ظريف عاطفي، لكنه أيضًا منفتح، مستقر، راغب في إنجاب أطفال... حتى إذا بدا لكِ أول الأمر أنكِ لن تحسي كثيرًا من الكيمياء مع ذلك الشخص'. وأحاول تذكير عميلاتي بأن الكيمياء تؤدي أحيانًا إلى اتخاذ قرارات سيئة».

إدمان الكيمياء

بدوره، ذكرني إيفان بهذا الأمر. سألني: «ماذا يحدث عندما تصل الكيمياء عندك إلى أقصاها؟ كيف يكون هذا بالنسبة إليك؟».

عدت بذاكرتي إلى بعض الأوقات التي أحسست فيها اندفاعًا كبيرًا صوب شخص جديد.

قلت له: «كان ذلك رائعًا!».

سألني إيفان: «هل كان كذلك؟ أم أنكِ كنت تتفقدين بريدك الصوتي كل عشرين دقيقة، وتعجزين عن التركيز على عملك، وتتجاهلين أصدقاءك وصديقاتك وكل شيء في حياتك... وبشكل عام، تتصرفين كأنك امرأة غبية؟».

اعترفت له بأن الأمر كان يشبه ما وصفه.

تابع كلامه: «بالضبط! عندما يظهر ذلك الاندفاع، لا تتصرفين وفق طبيعتك. تصيرين متوترة، ولا تحسين أمانًا. ينعدم تفكيرك النقدي وتقدِمين على خيارات حمقاء: *لا أريد إلّا أن أمزق ملابسه وأشم رائحته. ما المشكلة إن كان مصابًا بمرض الاكتئاب؟*».

كثيرًا ما يواجه إيفان حالات من هذا النوع لدى عميلاته: العلاقة «العنيفة» التي تستمر ثلاثة أشهر ثم تنطفئ سريعًا. العلاقة المشبوبة التي لا تستطيع البقاء حيّة في مواجهة أهداف متباينة في الحياة. الشخصان اللذان يحس كل منهما انجذابًا شديدًا إلى الآخر لكنهما يظلان طيلة الوقت غارقَيْن في مشاجرات عنيفة.

لكن، عندما تلتقي عميلاته رجالًا رائعين ولا يظهر عليهن مستوى عالٍ من الإثارة والحماسة، ويسمعهن يقلن له: «لكني لا أحس ما أحسسته مع فلان أو فلان»، فهو يجيبهن: «لكن ذلك الفلان تخلّى عنك. وكان الفلان الآخر متزوجًا من امرأة غيرك. وكان فلان ثالث غير راغب في إنجاب أطفال. وكان فلان رابع شخصًا غير مسؤول. فهل كان ذلك كله مثيرًا؟».

يبدو الأمر شديد الوضوح. لكن، ما عدد النساء اللواتي يكنّ مشدودات إلى رجال غير مناسبين على الإطلاق -رجال أكبر منهن كثيرًا، أو أصغر منهن كثيرًا، أو عاطلين عن العمل، أو غير راغبين فيهن- لكنهن يواصلن الإصرار على أنه «شقيق الروح» على الرغم من تلك المشكلات كلها؟

(نادرًا ما يتضح آخر الأمر أنه «شقيق روحها». أو، تكون روحها كاذبة، أو مخادعة، أو متقلبة...).

كم مرة أحسستُ فيها تلك الكيمياء «الشديدة» فغفلتُ عن أمور ما كان ينبغي أن أغفل عنها؟ كم مرة فكرت في أمور ما كان ينبغي أن أفكر فيها وحاولت «أن أفهمه جيدًا»... لعل لديه مشكلة في الأمور الحميمة، أو لعل والده لم يحبه بما فيه الكفاية، أو لعل والدته بالغت في حبه؟ كم مرة فعلتُ ذلك بدلًا من الاقتراب من شخص لعله كان قادرًا على منحي ما أنا راغبة فيه حقًا؟

كيف يتخذ أشخاص أذكياء قرارات غبية إلى هذا الحد؟

تقول إلين فيشر، عالمة الأنثروبولوجيا البيولوجية في جامعة روتغرز التي تدرس «الحب الرومانسي»، إن ذلك قد يكون ناتجًا عن أن الحب الرومانسي أشبه بإدمان المخدرات. فعندما وضعت فيشر أشخاصًا في التاسعة والأربعين يعيشون حبًا جارفًا في آلة التصوير بالرنين المغناطيسي كي تعرف أجزاء الدماغ ذات الصلة بهذه المشاعر، اكتشفت أن النظام الدماغي الذي يصير فاعلًا عندما يحس المرء تلك الكيمياء القوية مع أحدهم هو «نظام المكافأة»، أي النظام نفسه الذي يكون فاعلًا عندما يأكل المرء قطعة شوكولاته، أو يشعل سيجارة، أو يتناول الأمفيتامينات. فتلك الخلايا الموجودة على مقربة من قاعدة الدماغ تنتج مادة اسمها «دوبامين» تمنحنا ذلك الإحساس «المحلق». لا يبالي دماغك إن كنت توّاقًا إلى سيجارة أو إلى حبيب، فالنتيجة هي نفسها: التوق، والحاجة، والهاجس.

وعندما يسري ذلك الدوبامين في الدم، لا يصير صعبًا أن يتذمر المرء من حقيقة أن ذلك الإحساس الرائع لا يدوم -في المتوسط- إلا مدة تتراوح من ثمانية عشر شهرًا إلى ثلاث سنين. قالت لي هيلين إن من الناس من يستمر لديهم هذا الإحساس فترة أطول من ذلك. ولكن، حتى في تلك الحالة، تشهد طبيعته تغيّرًا.

قالت لي: «لقد أنجزنا منذ فترة وجيزة دراسة استخدمنا فيها التصوير

بالرنين المغناطيسي مع أشخاص لا يزالون عاشقين بعد إحدى وعشرين سنة من الزواج. لم نجد لديهم أي نشاط في المنطقة الدماغية ذات الصلة بمشاعر القلق والترقب، بل في المنطقة الخاصة بمشاعر الهدوء والارتياح. لا يزال الشخص مشدودًا إلى شريكه، ولا يزال يضحك عندما يسمع نكاته، لكن ذلك القلق الذي كان في ما مضى يحل محله الآن نوع من الهدوء. إذا لم يكتب إليه الشريك إيميلًا، فلا يذرف الدموع جالسًا على حافة السرير!».

لكن، إن كان «النموذج المتوقع» هو أن ينقلب ذلك القلق المجنون في بداية الحب إلى إحساس بالهدوء والسكينة، فإن من الممكن أيضًا (كما تقول فيشر) أن يسير في الاتجاه المعاكس. فالهدوء والأمان الذي تحسينهما إزاء واحد من الناس يمكن أن يطلقا، في وقت لاحق، حالة من الحب الرومانسي. هذا أمر ينساه أكثر الناس التوّاقين إلى «الشرارات الفورية». حقيقة الأمر أن هذا ما جرى في حياة فيشر نفسها.

قالت لي: «كان هناك رجل ظل يلاحقني بعض الوقت فاعتبرته شخصًا مزعجًا». لكنها كانت تحس راحة واسترخاء كبيرين كلما أمضت معه وقتًا. «وقعتُ في حبه بعد أربع سنين من ذلك. لم أتوقع هذا أبدًا. ثم انقضت عشر سنين، وها أنا لا أزال معه!».

لا تريد فيشر القول إن تلك الكيمياء لا أهمية لها. لكن من الممكن أن تفيدنا معرفة حقيقة أن ظهورها قد يستغرق زمنًا. وكما قال لي إيفان، لا نراها كيمياء «قوية» إلى الحد الكافي -حتى عندما تنشأ- وذلك لأن لدينا توقعات في غير محلها.

لقد قال لي: «عليكِ البحث عن كيمياء تستطيعين إعطاءها ستة، أو سبعة، وعن توافق تستطيعين إعطاءه تسعة. لكن أكثرنا يريد أن تكون درجة الكيمياء تسعة، ثم يتبين له بعد ذلك أن درجة التوافق لا تتجاوز أربعة. يثابر الناس على السير صوب 'السقوط في الحفرة' نتيجة ذلك البحث المضني عن الكيمياء».

قال إيفان إن «الحفرة» تبدو على النحو التالي: في حال وجود كميات كبيرة جدًا من «الكيمياء الأولية»، فمن الصعب تكوين صورة واقعية. فإذا اتضح بعد ذلك أنه شخص غير لطيف، أو شخص أناني، أو شخص غير موثوق، فإن الابتعاد عنه يكون صعبًا لأنكِ صرت «عالقة». أما إذا نشأت لك علاقة مع شخص كان في البداية صديقًا، ثم اصطدمتما بعقبة أو بمرحلة صعبة (هذا ما يستحيل تفاديه)، فأنت تقولين لنفسك، *أنا لم أكن مشدودة إليه أصلًا!* لذا، وباسم تلك الكيمياء، تجدين أنك تمنحين الفرصة لمن لا يستحقها وتتركين من يستحقها يمضي في حال سبيله.

هل تمرّين الآن بفترة الحيض؟

قالت لي مارتي هيزلتون، الباحثة التي تدرس الميول الجنسية وكيفية اختيار الشريك في جامعة كاليفورنيا في مدينة لوس أنجلوس، إن ما نظنّه «كيمياء» قد يكون أمرًا لا علاقة له بـ«الهراء الرومانسي»، بل بالهرمونات. توصَّلت عبر الدراسة التي أجرتها إلى أن أنواع الرجال المفضّلين لدى المرأة تتغير مع كل مرحلة من مراحل دورة الحيض (هل هذا أمر غير رومانسي؟). في رأي هيزلتون، تفضل المرأة من هم «أكثر رجولة» عندما تكون في أيام الخصوبة؛ لكنها تصير في بقية الأيام أكثر ميلًا إلى من لديهم شيء من «الصفات الأنثوية». يعني هذا أن المرأة خلال أيام الخصوبة تجد نفسها مشدودة إلى السلوك الميّال إلى الهيمنة وإلى الطبع التنافسي لدى الرجال في حين تصير أكثر ميلًا إلى الرجال «اللطيفين» خلال الفترات الأخرى.

قالت لي عندما كلمتني من مكتبها في الجامعة: «ما تريده النساء هو كل شيء. تريد المرأة رجلًا يكون شريكًا جيدًا في العلاقة على المدى البعيد، رجلًا لطيفًا، حنونًا، مهتمًا بإعالة الأسرة. هذه صفات أكثر 'أنثوية'. لكن المرأة تريد أيضًا رجلًا مثيرًا جدًا، وسيمًا جدًا، طويل القامة، ذا عضلات بارزة... صفات 'الرجال السيئين'. عادة، لا تأتي هذه الصفات كلها معًا. لكن الأمر يظل أكثر إثارة للحيرة لأن المرأة تجد نفسها مشدودة إلى أمر مختلف كل مرة بحسب الفترة التي تمر بها ضمن دورة الحيض».

مما يلفت النظر أن المرأة التي تتناول أقراص منع الحمل لا تصيبها هذه التغيرات الدورية في الميول. إلّا أن هيزلتون أضافت: «إذا توقفتِ عن تناول الأقراص، فسوف يظهر ذلك كله». ففي هذه الحالة، قد ترى المرأة أن صديقها، أو زوجها، ذا الطبع اللطيف قد صار شخصًا أقل جاذبية عندما تمر بأيام الخصوبة. وقد تقول في نفسها أحيانًا، «ثمة أمر مفقود هنا!».

سألتُ هيزلتون كيف ينتهي الأمر بالمرأة إلى الاستقرار مع شريك جيد على الرغم من حقيقة أنها غير قادرة على التحكم بتبدلاتها البيولوجية.

قالت لي: «لا أظن أن المشكلة كامنة في البيولوجيا. أظنها نابعة عن ما لدينا من توقعات. من الطبيعي أن تكوني أكثر أو أقل انجذابًا إلى شريكك من حين إلى آخر. لكن المرأة صارت تظن أن هناك مشكلة عندما تمر بها تلك الفترات الطبيعية التي تخفت فيها مشاعرها. تظن النساء أن من الضروري أن يكون لديهن دائمًا 'إحساس قوي' بالعلاقة، وأن يكون ذلك الإحساس موجودًا في كل لحظة».

وبدوره، قال لي إيفان إنه كان يفكر على هذا النحو. لكنه الآن على مسافة أسبوع واحد من زواجه من امرأة لم يكن، فيما مضى، يتوقع حتى أن يخرج معها. من كل ما قاله لي إيفان كان واضحًا أنه لم يعش يومًا تلك السعادة التي يعيشها الآن. ليس لديه أيّ إحساس بأنه «يتنازل» عن أي شيء. ثم إن الكيمياء بينه وبين من ستكون زوجته صارت الآن قوية حقًا، كل ما في الأمر هو أنها ليست تلك الكيمياء الفورية التي كانت تغويه في الماضي.

الكلمات الحكيمة الأخيرة

كنت حزينة لفراق إيفان عندما ودعته في نهاية آخر جلسة لنا. صحيح أنني أبديت مقاومة شديدة إزاء نصائحه، لكن ذلك كان أول الأمر فقط. والآن، أحسست كأنني سأضيع من غيره. قلت له إنني لا أريد الإقدام على فعل أي شيء غبيٍ مع «شلدون 2» أثناء غيابه في رحلة شهر العسل.

قال لي محاولًا طمأنتي: «تعرفين كل ما أنت في حاجة إلى معرفته. قد

يكون الإقدام على بعض التغييرات أمرًا صعبًا، لكني أظنك صرت أخيرًا جاهزة للمحاولة».

من جهة أولى، صدَّقت كل ما قاله لي. لكنني كنت لا أزال أرغب في سماع كلمات حكيمة أخيرة كي أظل متمسكة بها. سألته، «إن كان هناك شيء واحد تريدني أن أتذكره دائمًا، فما هو؟

فكر إيفان في الأمر لحظة، ثم تركني مع هذه الكلمات:

«ثمة اختلاف بين الوجهة التي يُنتظر أن تتخذها الأمور وبين الوجهة التي تتخذها فعلًا. عليك أن تواصلي تحدي نفسك. أسلوبك الماضي هو ما قادك إلى ما أنت فيه الآن. لا بد لك من عملية تغيير كي يصير لديك احتمال أن تعثري على شخص يعجبك. لك أن تقرري إن كنت تريدين عملية التحول هذه، أو لا تريدينها».

ظلت تلك الكلمات تدور في ذهني طيلة ما بقي من ذلك اليوم. *لك أن تقرري إن كنت تريدين عملية التحول هذه، أو لا تريدينها*. يبدو ذلك أمرًا بسيطًا، لكنه يظل، في الوقت نفسه، محيّرًا إلى حد ما.

بعد ذلك، كان لديّ موعد على الغداء مع زميلة سابقة. أثناء وجبة الغداء، وعلى نحو مفاجئ، صار ما قاله لي إيفان واضحًا تمامًا.

21

تخلي عن قائمتك، لا عن الرجل

كانت الزميلة التي تناولت معها طعام الغداء هي الكاتبة التلفزيونية لورين البالغة واحدًا وثلاثين عامًا. جلسنا نتحدث في شؤون العمل فذكرت لي، مصادفة، أنها انفصلت عن صديقها الذي أمضت معه أربعة شهور. منذ بضعة أسابيع فقط، كانت قالت لي إنه يعجبها كثيرًا!

سألتها عمّا وقع بينهما.

لم يقع شيء! هكذا أجابت لورين عن سؤالي. كل ما في الأمر هو أنه لم يكن «الشخص الذي تخيّلته».

ولكن، ماذا عن تلك الأمور كلها التي كانت تعجبها فيه؟

قالت لي موضحة موقفها: «الحقيقة أنني كنت مرتاحة كثيرًا معه. هو شخص بعيد كل البعد عن الأحكام المسبقة؛ ولا يجد مشكلة في أن يتقبلني كما أنا. وعندما نمر بلحظات صعبة، يعرف دائمًا كيف يختار ما يقوله اختيارًا ممتازًا. أمور من هذا النوع تجعل المشكلات السطحية غير مهمة كثيرًا».

كانت «المشكلات السطحية» بالنسبة إليها أمورًا من قبيل أنه أشقر الشعر (لا يعجبها الشعر الأشقر). طول قامته مثل طول قامتها (مئة واثنان وسبعون سنتيمترًا؛ لكنها تريد من هو أطول منها قامة. لا يُحسن انتقاء ملابسه). من الأمور الأخرى التي تزعجها أنه يستلقي على فراشها واضعًا قدميه المتعرقتين على وسادتها.

قالت لي: «لا يعرف شيئًا. يلزمني شخص يستطيع أن يدرك بنفسه أن عليه ألا يفعل هذا».

وكانت تزعجها أيضًا طريقته في الكلام مثل الممثل جوستين تمبرليك مع أنه حائز على شهادة من واحدة من أهم الجامعات. يزعجها أيضًا أن رغبته في ممارسة الجنس أكبر من رغبتها؛ لكنها أقرت بأن الجنس معه أفضل من كل من عرفتهم قبله.

قالت لي إنها تغاضت عن هذه الأمور كلها في البداية لأنه «كان يحقق كل ما أرادته من الناحية العاطفية... شخص إيجابي، ذكي، لطيف. أعجبني فيه أيضًا أنه لم ينتظر مني أن أكون كأنني واحدة من نجمات الإغراء. كنت قادرة على أن أظل على طبيعتي. لم يصبه الذعر نتيجة الأمور الثقيلة التي مرت في حياتي، من قبيل إصابة أمي بالسرطان. كان لطيفًا دائمًا؛ وكان يسألني عن حالها ويتقبل الأمر عندما يتعكر مزاجي. كان يعزو ذلك إلى مرض أمي. مع ذلك، كان مزاجي يسوء بعض الأحيان لأنني في ضيق منه».

لم تكن تعتقد أن تلك الفترة المبكرة من علاقتهما يمكن أن تشتمل على هذه الكثرة من الأمور المزعجة. قد يكون فيها عدد من المنغّصات الصغيرة، لكن، على وجه الإجمال، أليس من المنتظر أن يكون هذا هو الجزء السهل من العلاقة؟

قالت لورين محاولة الإيحاء بأن المشكلة كانت نابعة من أن ذلك الشخص كان عليه أن يتحسن: «الأمر المهم الذي أفكر فيه هو ما إذا كان عليَّ أن أفصح له عن الأمور التي تزعجني كي أتيح له فرصة لأن يتحسن. بدلًا من ذلك، تركتُ ذلك الشخص قائلة في نفسي إنني قادرة على العثور على من يلبّي حاجاتي كلها من غير أن أجد ضرورة للإفصاح عنها. لعل هذه النظرية لم تكن حكيمة!».

لقد كان ما تفعله لورين عكس ما اقترحه إيفان: لم تكن مستعدة لـ«المرور بعملية تغيّر». كانت تفعل ما فعلتُه دائمًا، أنا نفسي، معتمدةً على تلك القائمة الثابتة في ذهنها، قائمة ما «ينبغي أن يكون عليه الرجل».

عليكِ أن تنسي أمر «النمط المفضّل عندي»

عملية التغيّر التي حدثني عنها إيفان تؤمن بها أيضًا سوزان بيج التي

هي خبيرة في العلاقات العاطفية ولها كتاب بعنوان «*إن كنتُ رائعة إلى هذه الدرجة، فلماذا لا أزال عازبة؟*». لقد كانت في ما مضى مشرفة على السكن الداخلي في جامعة كولومبيا في نيويورك، وعملت «مديرة برامج المرأة» في جامعة كاليفورنيا حيث ساهمت في إطلاق «برنامج الميول الجنسية البشرية» الجامعي الأول في البلاد. قالت لي إنها لاحظت من خلال ورشات العمل مع العازبات في مناطق مختلفة من البلاد أن العقبة الأكبر التي تعترض الانخراط في عملية التغيّر هي ما تدعوه «المعايير الرفيعة الزائفة».

قالت لي عندما تحدثنا عبر الهاتف: «ينكص الناس على أعقابهم نتيجة مشكلة تقع لهم. فهم لا يقدِمون أبدًا على اختبار حقيقي لما يمكن أن يكون عليه الأمر عند إقامة علاقة ملتزمة مع واحد من الناس. لو لم يكن كل شيء اختبارًا لتمكّن العازبون والعازبات من العثور على شركاء بقدر أكبر من السهولة. فعندما يكون المرء منطلقًا من حسن النية في تعامله مع أمر لا يعجبه عند الشريك، يؤدي هذا إلى تغيرات إيجابية في العلاقة. لكن هناك الكثيرين ممن لا يفعلون ذلك، بل ينهون العلاقة كلها. لا يجوز أبدًا أن يرضى أي إنسان بأقل مما هو في حاجة إليه، لكن هذا لا يعني أن يحقق كل ما هو موجود في 'قائمته'. السبب في ذلك هو أن أحدًا لا يمكن أن يعلم علم اليقين الصفات التي ستجذبه في هذا الشخص أو ذاك».

لقد تعلمَتْ هذا من خلال تجربتها الشخصية عندما التقت زوجها منذ قرابة ثلاثين عامًا مضت.

قالت لي: «في ذلك الوقت، كنت راهبة في الكنيسة الميثودية. وقد افترضت أنني سأعيش مع شخص من ديني شرط أن يكون حائزًا على تعليم رفيع، وأن يكون واحدًا من أصحاب المِهن الجيدة، طبيبًا، أو محاميًا، أو أستاذًا جامعيًا... شخصًا يلعب البريدج ويحب الغناء والرقص. لكن زوجي الآن مليس من ديني؛ وقد ترك الجامعة منذ السنوات الأولى؛ وهو فنان، لكنه لا يرقص ولا يغني ولا يلعب البريدج».

لقد التقيا ذات يوم في بيت أحد أصدقائهما المشتركين، وراحا

يتحدثان. «سألته عن عمله فقال لي إنه يعمل في استوديو لصنع الخزفيات. قلت في نفسي: أوه، رائع! إنه هيبي ترك الدراسة ولا يستطيع تدبّر أمور حياته. هذا ما جعله يعمل في صنع الخزفيات ويحاول بيعها في الشارع. في تلك اللحظة، أسقطتُه تمامًا من حسابي. أعجبني الحديث معه، لكني لم أعتبره زوجًا محتملًا».

حقيقة الأمر أن ذلك الخزّاف كان يجني دخلًا طيبًا من بيع أعماله؛ بل إنه أقام معرضًا في ماديسون آفنيو في نيويورك. خرجا لتناول الإفطار معًا بعد بضعة أيام من ذلك، لكنها لم تكن ترى أن ذلك يمكن أن يفضي إلى أي شيء. لم يكن شخصًا من «النموذج الذي يعجبها» هكذا بدا لها الأمر.

لكن بيج كانت شديدة الحماسة للرقص الشعبي. وفي يوم من الأيام، أتى ذلك الخزّاف إلى صالة الرقص على غير انتظار، ووقف يرقبها وهي ترقص. بعد ذلك، خرجا إلى بار قريب وجلسا فيه حتى الساعة الثانية بعد الظهر. لا شرارات حتى تلك اللحظة! لكن تقاربًا بدأ ينشأ بينهما. ثم تلا ذلك ذهابهما لقضاء يوم السبت في متحف فني ففوجئت بيج عندما أحست أنها ميالة إليه كثيرًا.

قالت لي: «كانت لديه تلك الصفات التي أردتها، تلك الصفات التي لم يدوّنها أحد في قائمة».

قالت بيج إن «القائمة» شيء يشبه ذلك الاقتناع الخيالي بأننا سوف نعثر على «كل ما نريد». كثيرًا ما نسمع من نساء عازبات أن ما من فرصة أبدًا لأي رجل إن كان يلبي ثمانين بالمئة مما هو في «القائمة».

سألتني: «منذ متى يعتبر الحصول على ثمانين بالمئة تنازلًا؟ نحن نخلق أولئك الرجال الخياليين: ينبغي أن تكون لديه تلك المهنة، وأن يكون لون عينيه كذا وكذا، وأن تكون سنّه أقل من حد بعينه. ألا يؤدّي هذا الإفراط في التدقيق إلى استبعاد الجميع؟».

عندما يفاجئك الإناء الخزفي

استعرضت مع بيج حالة لورين، فقالت لي إنها قصة مألوفة إلى أقصى حد.

قالت: «إن لدى الناس ميلًا إلى الإفراط كثيرًا في تحليل الأمور. وفي أحيانٍ كثيرة، نترك تلك الثرثرة الجارية في عقولنا تبعدنا عن أمور قد تكون

حسنة بالنسبة إلينا. العكس صحيح أيضًا: إذا قابلتْ امرأة رجلًا لديه قدر كبير من الصفات الموجودة في قائمتها، لكن إحساسًا داخليًا قال لها: 'لا أثق بهذا الشخص'، فإن ذلك الإحساس أهم من القائمة كلها».

روَت لي بيج قصة عن رجل هامت به في ما مضى، قبل أن تتزوج.

«كان لديه كل ما هو موجود في قائمتي. شخص شديد الجاذبية، له مهنة محترمة، محبوب جدًا. كان ظريفًا، طريفًا، ميسور الحال. لكني لمحت منذ وقت مبكر أنه شديد النرجسية. أدركت عندها أن ما من عاطفة حقيقية بيننا. لم أكن إلا واحدة من 'جمهوره'. أعجبني كثيرًا، لكني توقفت عن رؤيته. كان ذلك مؤلمًا جدًا، لكني فعلت ما هو أصلح لي».

قالت لي بيج إن «القوائم» قد تبدو وسيلة جيدة تستوضح بها المرأة ما هو في ذهنها. لكن حقيقة الأمر هي أنه يصعب كثيرًا وضع قائمة لا تكون مبالغة في التبسيط، أو لا تضع الأمر كله خارج سياقه. من الممكن أيضًا أن تضعي قائمة تتضمن كل ما ترغبين به من صفات، لكنها لا تعطي كل صفة ما تستحقه من أهمية (هل السن في مثل أهمية الصدق والاستقامة؟). بالنظر إلى كثرة الصفات المرغوبة، ليس ممكنًا القول إن هذا الشخص أو ذاك يمتلك تلك الصفات كلها أو لا يمتلكها. أكثر الأحيان، عندما يكون لدى الرجل عدد كبير من تلك الصفات -من قبيل الاستقرار المالي، وحس الفكاهة- فقد لا تكون هذه الصفات على المستوى نفسه الذي كان في ذهنك عندما وضعت تلك القائمة.

ثم إن القوائم مربكة من ناحية أخرى أيضًا لأنها تتضمن صفات متوفرة لدى الرجل في حد ذاته، لكن القائمة لا تستطيع أن تحتوي على الصفات التي ستكون لدى ذلك الرجل نفسه «داخل العلاقة». قد تكون سنّه مناسبة؛ وقد يكون لديه ذلك الإحساس المطلوب بالفكاهة؛ وقد تكون لديه مهنة مناسبة... ولكن، كيف سيصير ذلك الرجل عندما يكون معك؟ كيف ستشعرين عندما تكونين معه؟ هل سيكون بينكما قدر جيد من الانسجام؟ لا شيء من هذا كله قابل للحساب على الورق!

انطلاقًا من عمل زوجها في الخزف، توصلت بيج إلى تشبيه تعتقد أنه صالح للتطبيق على العلاقات.

قالت لي: «في أميركا، عندما يصنع الخزّاف إناء، يطليه بتلك الطبقة اللامعة قبل أن يضعه في الفرن. وهو يعرف على وجه التحديد كيف سيبدو شكله عندما يخرجه من الفرن. أما عندما يصنع الياباني إناء خزفيًا فهو يضعه في فرن يعمل بالحطب ولا سبيل إلى ضبط حرارته. وعند إخراج ذلك الإناء من الفرن، لا يكون مطابقًا لما توقّع الخزّاف أن يكون. يقول الياباني عند ذلك، 'أوه، واو! هذا ما فعلَتْه النار بالإناء، وهو رائع!'. يؤمن الخزاف الياباني بأن الكمال لا جمال فيه أبدًا».

«لذا، وبدلًا من معرفتك ما ينبغي أن يكون عليه الشخص الجالس أمامك، عليك أن تطرحي سؤال الخزّاف: 'هكذا هو... فهل هو جميل؟'. بدلًا من قولك، 'هو ليس كذا أو كذا. ينبغي أن يكون كما أريد'. السؤال الذي يتعين عليك طرحه هو: هل يعجبني؟ وليس: ما مدى قربه مما أظن أنني أريده؟ قد يفاجئك الناس فعلًا!».

أخبرتها بأمر تلك القائمة الضخمة التي وضعتها قبل شهور عندما دفعتني إلى ذلك واحدة من صديقاتي فاقترحت عليَّ أن أضع قائمة بالصفات التي كانت لدى أصدقائي السابقين (بدلًا من وضع قائمة بالصفات التي أريدها في الرجل)، ثم أفكر في مدى الأهمية التي كانت، آخر الأمر، لكل صفة من تلك الصفات في العلاقات السابقة. عندما تُسأل نساء سعيدات في زواجهن عن مدى التطابق بين صفات أزواجهن والصفات التي كانت في قائمة كل واحدة منهنّ، غالبًا ما تقرّ تلك النساء بأن ثمة معايير كثيرة لا يلبّيها أزواجهن، لكنهم يلبّون معايير أهم منها.

هذا ما دفعني إلى اتخاذ قرار: سوف أترك قائمتي! سوف أتركها نهائيًا! لكن، كيف؟ بطبيعة الحال، أستطيع أن أتجاهلها. لكنني أحسست أن عليّ أن أنجز الأمر على نحو ملموس أكثر من ذلك. لا بد لي من تخليص نفسي من تلك المتطلبات غير المنطقية كلها كي أصير منفتحة حقًا على الاحتمالات والإمكانيات الأخرى. فكرت في تمزيق تلك القائمة ورميها

في القمامة، لكنّ هذا لم يبدُ لي أمرًا كافيًا. من شأن إجراء له طابع رمزي أن يكون أكثر ملاءمة. هل أرسل القائمة بالإيميل إلى امرأة أخرى؟ إلى مجموعة نساء كي تكون «حكاية تحذيرية»؟ هل أدفنها في مكان من الأماكن كأنني أدفن زجاجة تضم أسرار محاولتي الفاشلة في المواعدة كي أستخرجها بعد عشرين سنة من الآن؟

فكرت في سؤال بعض صديقاتي لأرى إن كنّ راغبات في جلب القائمة الخاصة بكل واحدة منهنّ إلى شاطئ البحر كي نوقد نارًا كبيرة ونحرقها كلها معًا. لكن ذلك بدا لي أشبه بـ«كليشيه» عتيقة! ثم إن تخلّصي من قائمتي ينبغي أن يكون شيئًا أفعله بنفسي، أفعله وحدي. قد يبدو هذا سخيفًا، لكني كنت راغبة في العثور على سبيل إلى تجسيد التحوّل الشخصي الذي أحققه في ما يتصل بكيفية عثوري على شريك حياتي. ففضلًا عمّا في المشاركة من حرَج، أحسست أن الأمر كله أشد خصوصية من أن أستطيع مشاركة غيري فيه.

هكذا، جلست في سيارتي ذات يوم شتائي بارد غائم، ووضعت على المقعد إلى جواري تلك القائمة التي صارت الآن محبوسة في بالون منفوخ بالهيليوم. كان البالون مربوطًا إلى خيط طويل أبيض اللون. وانطلقتُ صوب المحيط.

كان ذلك في ساعة مبكرة من ساعات الصباح؛ وكان ماء المحيط شديد البرودة. أحسست قدرًا من السخف، لكني وقفت هناك، وقفت حافية القدمين مستعدة لترك قائمتي تعلو في السماء. عندها، حدث أمر لم أتوقعه أبدًا. رجل وسيم حقًا كان يهرول على الشاطئ متجهًا صوبي.

صاح بي: «مرحبًا!». نظرت خلفي كي أرى إن كان يكلم أحدًا غيري؛ لكني كنت وحدي عند ذلك الشاطئ.

صاح من جديد: «مرحبًا!». لا شك في أنه يكلمني! لم أستطع تصديق حسن حظي. أفلتُّ البالون من يدي ووقفت أنظر إلى الرجل مقتربًا مني. توقف إلى جواري. جعل الجري أنفاسه ثقيلة.

أجبته: «مرحبًا!».

سألني: «ماذا تفعلين؟». كان يرتدي شورتًا وقميصًا عليه شعار كلية القانون في جامعة لوس أنجلوس. يده اليسرى من غير خاتم. نظرت إلى شعره المتموج، داكن اللون. نظرت إلى عضلات ساقيْه البارزة. قلت في نفسي: «هل يُعقل أن ألتقي 'رجلي' لحظة إطلاقي تلك القائمة في بالون من الهيليوم عند شاطئ البحر؟ ألن تكون هذه قصة زواج يكاد يستحيل تصديقها؟».

قلت: «أممم! كنت أبعث إلى البحر برسالة». لم أدر كيف أشرح له الأمر من غير أن أبدو معتوهة تمامًا.

وقفنا معًا ننظر إلى البالون إلى أن ابتعد وتضاءل فصار نقطة صغيرة، ثم اختفى ولم أعد قادرة على رؤيته.

نظر في عيني. كانت عيناه البنيتان كأنهما مغناطيسان. أحسست تقلصًا في معدتي.

قال لي: «لا بأس! ما كان ينبغي أن تفعلي هذا لأنه ضارٌّ بالبيئة. كنت أحاول إيقافك».

قال هذا، ثم واصل الجري.

داهمني إحساس بالخيبة استمر جزءًا من الثانية. ثم، من نصّبه «شرطي بالونات»؟ لكنني كنت مسرورة بلقاء هذا الرجل. فمن جديد، جعلني وجودنا معًا مدة دقيقتين فقط أرى كم كنت مولعة بالخيال، وكم كان ولعي به عميقًا... خيال يندر كثيرًا أن يكون حقيقة. كان لقاؤنا كأنه تمثيل لما عشته مرات كثيرة في علاقاتي: لقد أسقطت عليه أفكاري الرومانسية المعتادة، وبالطبع، لم تجر الأمور مثلما أردت. سوف يكون التغير صعبًا، أعلم هذا، لكن الأمر يستحق العناء.

سرت على الشاطئ حينًا من الزمن، ثم عدت إلى سيارتي وقدّمت بطاقة الوقوف إلى موظف ساحة وقوف السيارات. كانت الشمس قد أشرقت أخيرًا وغمرت أشعتها المتألقة زجاج سيارتي. ضيّقت عينيّ كي أرى أين وضعت نقودي.

قال الموظف: «جاء الربيع».

أجبته: «صحيح، جاء الربيع! إنها بداية جديدة».

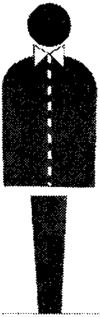

القسم الخامس

خلاصة الأمر كله

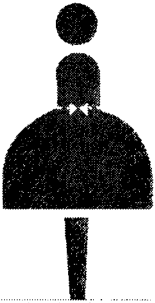

الزيجات التعسة ليست ناجمة عن قلة الحب، بل عن قلة الصداقة.

فريدريك نيتشه

22

الزواج الذي يكون جيدًا إلى حد مقبول

الآن، بعد أن صار تركيزي الحقيقي متجهًا إلى العثور على «رجل جيد إلى حد كافٍ»، صادفت أمرًا اسمه «الزواج الذي يكون جيدًا إلى حد مقبول». كانت تلك عبارة صاغها بول آماتو، عالم الاجتماع الذي تحدثت معه في جامعة بِن الحكومية. كانت الزيجات التي درسها آماتو على هذه الشاكلة زيجات جيدة، لكنها ليست مثالية. جعلني ما توصلت إليه دراسته أتذكر أسلوبي السابق في المواعدة.

ففي عقد الثمانينيات، عكف آماتو مع زملائه على دراسة نحو ألفين من الأشخاص المتزوجين. وكل سنتين، كان الباحثون يتابعون تلك الثنائيات كي يروا كيف هي حال تلك الزيجات. واصلوا فعل ذلك عشرين عامًا. انتهى الأمر بكثير من تلك الثنائيات إلى الطلاق. هذا ما جعل آماتو راغبًا في معرفة ما قد يكون مُنبئًا باحتمال الطلاق.

قال لي عندما تحدثنا هاتفيًا: «أول الأمر، بدا ما توصلنا إليه مفاجئًا لأننا نعتقد أن من يصلون إلى الطلاق في النهاية يعيشون فترة طويلة من المشاجرات الفظيعة. نعتبرهم كأنهم صاروا غرباء عن حياتهم، كأنهم صاروا بائسين إلى حد يجعلهم يقررون أن ما من سبيل إلى إنقاذ الحياة الزوجية».

كان هذا صحيحًا بالنسبة إلى بعض أولئك الناس؛ لكنه لم يكن صحيحًا

أبدًا بالنسبة إلى بعضهم الآخر. ففي واقع الأمر، بدا الانسجام بين أولئك الناس معقولًا جدًا... وصولًا إلى الطلاق. بالطبع، لم يكونوا في سعادة غامرة، لكنهم لم يكونوا تعساء. كان يحدث كثيرًا أن يخرج الواحد منهم مع الشريك. وعند سؤاله يقول إنه لا يعاني إلا قلة صغيرة من المشكلات والخلافات الزوجية. وعلى مقياس من 1 إلى 10، كان أولئك الأشخاص يصنفون زواجهم على أنه «7»، لا «2» ولا «3».

قال لي آماتو، «لم يكن يحدث أي أمر خطير. صحيح أن تلك الزيجات لم تكن مثالية، لكنها كانت جيدة إلى حد غير قليل. وبعد سنتين، يقع الطلاق! كانت أولئك الثنائيات سعيدة إلى حد معقول، لكنها أرادت ما هو أكثر».

عند سؤال الثنائيات التي شملتها دراسة آماتو عن أسباب الطلاق، كان الناس يقولون أمورًا من قبيل، «كنا كأننا نتباعد ـ شيء مختلف تمامًا عما عشناه أول زواجنا»، أو «لم يكن لدي إحساس حقيقي بأنني أنمو وأتطور»، أو «كنت أرى زوجي شخصًا لطيفًا، لكنه ليس شقيق روحي». كان أولئك الناس خائبي الأمل، لكنهم لم يكونوا حانقين.

قال لي آماتو: «لم يكن لديهم مقت إزاء شركائهم. قال لي بعضهم: 'أتعلم؟ لا أزال أحب زوجتي، لكني أدركت أن كلًا منا غير مناسب للآخر'. غالبًا ما كانوا يعثرون على أشخاص آخرين، ويقولون في أنفسهم: 'الآن، هذا هو شقيق الروح'. يعتقدون أنهم استطاعوا العثور على ما هو أفضل على الرغم من أن زواجهم لم يكن سيئًا على الإطلاق.

مختلف، لكنه ليس أفضل

تمامًا على شاكلة النساء العازبات اللواتي ينفصلن عن أصدقاء «جيدين بما فيه الكفاية» لظنهن أنهن قادرات على العثور على «شيء أفضل»، كان من بين أولئك المتزوجين أشخاص كثيرون مخطئون في نظرتهم. فبعد خمس سنين من المتابعة، وجد آماتو أن أكثر الذين تزوجوا من جديد بعد

الطلاق قالوا إنهم لم يصلوا إلى قدر أكبر من الرضا، أو قالوا إنهم الآن أقل سعادة مما كانوا في الزواج الأول.

قال لي آماتو: «لم نسألهم إن كانوا نادمين لأن الاعتراف بالخطأ أمر صعب على أكثر الناس. يجعلهم ذلك الاعتراف يبدون أشخاصًا أغبياء. لذا، فتشنا عن أعراض الاكتئاب وسألناهم عن مدى رضاهم عن حياتهم، ثم أجرينا مقارنة بين هذه النتائج وبين النتائج التي حصلنا عليها قبل خمس سنين. من الناحية الإحصائية، كانوا أقل سعادة».

ما سبب هذا؟ حتى إن كان الزواج الثاني مختلفًا عن الزواج الأول، فإن ثمة نوعًا من المقايضة: كسب وخسارة. وذلك أن كلمة «مختلف» لا تعني بالضرورة حدوث تطور أو تحسن. لقد قرأت الأمر نفسه عند خبيرة العلاقات العاطفية دايان سولي في موقع «SmartMarriages.com». تقول دايان: «تبين الدراسات أن كل ثنائي سعيد ناجح لديه ما لا يقل عن عشرة مجالات من 'عدم التوافق' أو من الخلاف، مجالات لا يمكن أبدًا أن يتم التوصل إلى حلها. بدلًا من ذلك، تتعلم الثنائيات الناجحة كيف تدير الاختلافات وكيف تعيش حياتها 'من حول خلافاتها'، كيف تحب على الرغم من نقاط الاختلاف. إذا أقدم إنسان على تغيير شريكه، فهو لا يفعل شيئًا غير أن يحصل على عشرة مجالات اختلاف جديدة».

إذًا، لا عجب في ما تقوله «مراكز مراقبة الأمراض والوقاية منها» من أن معدلات الطلاق في الزواج الثاني أعلى منها في الزواج الأول. لعل أولئك الناس يجدون صعوبة في قبول فكرة أن الزواج الجيد لا يعني زواجًا جيدًا طيلة الوقت!

في واقع الأمر، وطبقًا لـ«مشروع روتجرز للزواج»، توصل بحث أجري على عينة كبيرة على المستوى الوطني (كان ذلك في أواخر عقد الثمانينيات) إلى أن ثمانية وستين بالمئة من الناس الذين كانوا غير سعداء في زواجهم، لكنهم ظلوا فيه على الرغم من ذلك، قالوا في مقابلات أجريت معهم بعد خمس سنين إنهم سعداء. كما أن ثلاثة أخماس الثنائيات

من الذين صرّحوا قبل خمس سنوات بأن زواجهم غير سعيد يعيشون الآن زواجًا «سعيدًا جدًا»، أو «سعيدًا فعلًا».

قال لي آماتو: « في القسم الأعظم من الزيجات الجيدة إلى حد مقبول توجد إمكانية التحول، مع الوقت والجهد والالتزام، إلى زيجات أفضل وأكثر قوة. أعتقد أن فكرة 'شقيق الروح' ضارة جدًا لأنها تضع لنجاح الزواج شرطًا شديد الصعوبة. الزواج ليس أمرًا متيافيزيقيًا.

وراثة التوقعات

في وقت لاحق، في سنة 1992، أجرى آماتو وفريقه مقابلات مع أبناء وبنات الثنائيات التي كان زواجها «جيدًا إلى حد مقبول» لكنها انفصلت. أجريت المقابلات بعد أن صار أولئك الأطفال بالغين، وتكرر إجراؤها ثلاث مرات وصولًا إلى سنة 2000. تبين أن قسمًا من أولئك الأطفال كان، بدوره، يجد صعوبة في العثور على شريك «جيد إلى حد مقبول».

وأضاف آماتو: «عندما يكون الزواج سيئًا جدًا، يتعافى الأطفال بسرعة واضحة بعد الطلاق. يكون ذلك راحة من تلك المشاجرات كلها. أما الأطفال الذين كانوا أبناء وبنات تلك الثنائيات التي عاشت زواجًا جيدًا إلى حد مقبول، فقد انتابهم شيء من الحيرة والارتباك بعد الطلاق. لقد عانوا الاكتئاب وقلة تقدير الذات، وكانت لديهم آراء سلبية عن الزواج. فوجئ أولئك الأطفال بالطلاق ولم يستطيعوا فهمه لأنهم، خلافًا لأطفال الزيجات التي شهدت سوية مرتفعة من النزاعات، لم يجدوا راحة في الطلاق، ولم يكن ذلك الطلاق أمرًا متوقعًا بالنسبة إليهم. الزيجات الجيدة إلى حد معقول، كانت في نظر أولئك الأطفال جيدة إلى حد معقول، وذلك لأن الأطفال لا يهمهم إن كان آباؤهم وأمهاتهم يشعرون بأنهم يحققون أنفسهم في الزواج. كانوا ينعمون بالاستقرار وبسهولة العلاقة مع الوالدين، وكانوا سعداء. وأما حقيقة أن آباءهم وأمهاتهم كانوا يعانون أزمة وجودية، فلم تكن تعني لهم شيئًا».

إلا أن أطفال الأسر التي كانت تعيش زواجًا جيدًا إلى حد معقول كرروا، بعد أن كبروا، ما جرى في زيجات آبائهم وأمهاتهم. فور بدء ظهور المشكلات في علاقاتهم، يبدؤون التفكير في الانفصال وإنهاء العلاقة، أو في الطلاق.

وقد فعل ذلك كثير منهم.

قال آماتو: «يتركون العلاقة سريعًا بمجرد ظهور أي نوع من المشكلات. وأما أطفال الأسر 'السليمة'، فغالبًا ما يقولون عندما يبدأ ظهور المشكلات في زواجهم: 'يبدو أن لدينا مشكلات لا بد من معالجتها!'؛ لكنهم لا يسارعون إلى الطلاق. ثم إن الأطفال الذين كان آباؤهم وأمهاتهم يعيشون زواجًا جيدًا إلى حد معقول، لكنهم أقدموا على الطلاق، يصيرون شديدي الحذر إزاء فكرة الزواج نفسها. يصيرون أكثر ميلًا إلى الاكتفاء بالمساكنة. لا يحسون أنهم يستطيعون أن يثقوا بشركائهم. يكون الالتزام مخيفًا في نظرهم لأن أهلهم كانوا يبدون لهم أشخاصًا سعداء في زواجهم، لكن ذلك الزواج انتهى إلى الطلاق».

على وجه العموم، توصل آماتو إلى أن لدى أولئك الأطفال (بعد أن صاروا بالغين) قدرًا منخفضًا من القدرة على احتمال المشكلات التي تنشأ في العلاقات العاطفية. لقد ترعرعوا معتقدين أن مشكلة جديدة لن تلبث أن تظهر بعد إطفاء نار المشكلة التي قبلها.

الانتقال من «نحن» إلى «أنا»

سألت آماتو من أين أتت فكرة أنّ علينا أن نشرع في البحث عما هو أفضل فور إحساسنا بأننا لسنا «مكتملين تمامًا».

قال لي: «في رأيي، أتت هذه الفكرة من حقبة السبعينيات. ففي ذلك الوقت، راح كارل روجرز وأبراهام ماسلو من «حركة الإمكان البشري» يتحدثان عن أن كل وجه من وجوه الحياة ينبغي أن يكون مساهمًا في نموك الشخصي. وضع ماسلو «تحقيق الذات» فوق التوصل إلى زواج جيد. من

هنا، إذا لم يعجبك أصدقاؤك، فاعثري على أصدقاء غيرهم. يسري الأمر نفسه على العمل. ويسري الأمر نفسه على الزواج. في عقد الستينيات، أُجريت استطلاعات رأي شملت طلبة الجامعات. كان السؤال الذي وجّهته واحدة من الدراسات: ما هو أهم سبب للزواج؟ قال الطلبة: أريد الزواج كي أكوّن أسرة، أو أريد الزواج كي أحقق أمانًا اقتصاديًا، أو أريد الزواج حتى يكون لي بيت وحديقة لطيفين. قالوا أيضًا: أريد الزواج من شخص أحبه. لكن هذا الجزء المتصل بالحب لم يكن أول شيء قالوه... كان السبب الرابع، أو الخامس.

«وأما عندما بلغنا عقدَي السبعينيات والثمانينيات، فقد صار الحب أهم سبب يدعو إلى الزواج، وشهدت الأسباب الأخرى تراجعًا غير قليل. هذه الفكرة عن أن الحب هو السبب الأول للزواج فكرة جديدة نسبيًا. نرى الآن زيجات قائمة كليًا على فكرة «العثور على الحبيب المثالي'. وأما إحساسي الخاص، فهو أنك تكونين أسعد حالًا إذا كنتِ أكثر واقعية في ما يتصل بتوقعاتك لما يمكن فعلًا أن تحققيه من خلال زواجك».

في كتابه «*وحيدون معًا*»، يتكلم آماتو وشريكه في تأليف الكتاب على الاختلافات بين زيجات اليوم (التي هي ذات طبيعة أكثر فردانية) وزيجات عقد السبعينيات (تلك الزيجات التي ندعوها «زيجات الشراكة»؛ حيث يبحث المرء عن شريك ملائم موثوق كي يتعاونا معًا في تحقيق أهدافهما المشتركة في الحياة).

قال آماتو: «لقد كان التعاون ضمن فريق تعريفًا للزواج الجيد. وأما الآن، فقد انتقل التركيز إلى الرضا الشخصي من خلال العلاقة الزوجية نفسها. نعم، قد يكون *أبًا جيدًا وزوجًا جيدًا*. ولكن، *هل يستطيع تلبية حاجاتي العميقة في ما يتصل بالحب الرومانسي والنمو الشخصي*؟ لقد كانت النتيجة تأخر سن الزواج وزيادة عدد النساء اللواتي لا يتزوجن أبدًا وزيادة عدد الأمهات غير المتزوجات، وكذلك زيادة معدل حالات

الطلاق لأسباب لا تكاد تكون لها علاقة بأن الزوج ليس صديقًا مساندًا، أو شريكًا متعاونًا ضمن الفريق».

ليس اختيار شخص جيد إلى حد معقول (كما قال لي آماتو) هزيمة شخصية ولا تنازلًا وقبولًا بالقليل. «ففي معظم الحالات، هذه هي الاستراتيجية العملية المنطقية من أجل عيش حياة سعيدة على المدى البعيد».

سألت آماتو عن الدراسة التي اطلعت عليها من خلال كتاب «*دفاعًا عن الزواج: لماذا يكون المتزوجون أكثر سعادة وأوفر عافية وأكثر راحة من الناحية المالية*»، تلك الدراسة التي أجرتها كل من ليندا ويت وماغي كالاغر وتوصلت إلى أن الزواج واحد من أقوى الدفاعات في وجه الاكتئاب، وفي وجه التعاسة، إن شئنا الحديث بقدر أكبر من التعميم.

أتكون هذه النتائج منطبقة على الزيجات الممتازة فقط، أم هي سارية أيضًا على الزيجات «الجيدة إلى حد معقول»؟

قال لي: «بكل تأكيد، ليس الزواج الفاشل الذي تشوبه مشاعر العداء أمرًا حسنًا من حيث جعل المرء راضيًا عن عيشته. لكن، استنادًا إلى عدد كبير من الدراسات، يكون الشريك في الزواج الجيد إلى حد معقول، شريك لطيف، مجد في عمله، صالح لأن يكون والدًا جيدًا، أسعد حالًا من العازبين. تبين استطلاعات الرأي أن الأكثرية الكبرى من العازبين لديهم رغبة في الزواج آخر الأمر، وتبين أن الناس يصيرون أكثر سعادة عندما يحسون توافقًا بين حياتهم وأهدافهم. بالتالي، عادة ما يشهد العازبون الراغبون في الزواج زيادة كبيرة في سوية السعادة عندما يتزوجون، هذا على افتراض أنهم لم يرتكبوا غلطة كبيرة ويتزوجوا أشخاصًا مختلين من الناحية النفسية».

بكلمات أخرى، ليس الإنسان في حاجة إلى زواج كالذي في الحكايات الخيالية كي يصل إلى تلك الزيادة في السعادة. يكفيه زواج جيد إلى حد معقول.

انتظار صديق وزوج

قال لي آماتو إن الرجال والنساء على حد سواء يجدون صعوبة في تقبل فكرة «الشريك الجيد إلى حد معقول»؛ لكنه وجد في أبحاثه أن النساء لديهن، على وجه العموم، توقعات أعلى مما هو موجود عند الرجال. لقد درس مع زملائه أشخاصًا بالغين غير متزوجين في العشرينيات من العمر، وذلك ضمن «مجموعات تركيز» مكونة من جنس واحد. تم طرح السؤال التالي: «كيف تعلم أنك وجدت الشخص الصحيح؟»

قال لي إن كلمة «فراشات» وردت كثيرًا جدًا في إجابات النساء، لكن الرجال لم يستخدموها في إجاباتهم. قال لي: «كان الرجال يقولون، 'أعلم أن هذه المرأة هي المرأة المناسبة لي عندما نتقابل ستة شهور، ثم تضطر إلى الغياب أسبوعًا كاملًا فأشتاق إليها كثيرًا بعد ذهابها. أرى نفسي أكثر سعادة عندما تكون قريبة مني، فأدرك مدى أهميتها عندي'. وأما النساء فيكثرن من الكلام على الكيمياء والفراشات».

لقد وجد آماتو اختلافات بين الرجال والنساء لدى المتزوجين أيضًا. قال لي: «النساء أكثر ميلًا إلى الانتقاد في العلاقات العاطفية. لقد قابلنا أزواجًا وزوجات، فكان الأزواج يقولون لنا، 'الحقيقة أنّ هناك أمور حسنة وأمور غير حسنة'. وأما ما قالته الزوجات فهو، 'قل لي من أين تريد أن أبدأ!'. يقول الرجال، 'يظهر لنا أمر من الأمور، ولكن، ما المشكلة إن كنا غير متفقين فيه؟ هذا يزعجني، لكن ليس كثيرًا'. إلا أن زوجته لا تستطيع تجاوز ذلك الأمر. قد يكون السبب كامنًا في طريقة تعاطي النساء مع العلاقات العاطفية والاجتماعية. وذلك أن لدى النساء توقعات أكبر في ما يخص الصداقة أيضًا. تتوقع المرأة أن تكشف لها صديقتها عما في ذاتها وأن ينشأ بينهما تواصل عميق. وأما تعامل الرجال مع كل من الصداقة والعلاقة العاطفية فهو أكثر يسرًا. عند الرجل، يمكن أن تقتصر العلاقة مع شخص من الأشخاص على متابعة فيلم من الأفلام معًا، ولا شيء أكثر من ذلك».

فهمت ما يعنيه. ففي وقت سابق من ذلك الأسبوع، قالت لي واحدة من صديقاتي، «زوجي يحبني؛ وأنا أحبه. إنه أب جيد. إنه شخص رائع». لكنها صارت الآن، بعد إنجابهما طفلين، في شوق إلى ما كان بينهما قبل زواجهما. قالت لي: «أريد صديقًا. لكني لا أريد التخلي عما هو لدي الآن. بالتالي، أظن أنني أريد زوجًا وصديقًا!».

سألتُ آماتو إن كان يرى ترابطًا بين زيادة معدلات الطلاق وبين قائمة الشروط الطويلة التي صارت النساء تبحث عنها لدى الشريك.

أجابني: «أوه، طبعًا، بالتأكيد! ثمة اتجاه في التفكير يقول إن ازدياد معدلات الطلاق لدينا ناجم عن أن ثقافتنا صارت أكثر فردانية، وكذلك عن أن توقعاتنا في ما يتصل بالزواج قد تغيرت. صار الأمر 'علاقة علاجية' أكثر منه علاقة عملية. كان منتظرًا من الزواج أن يجعلنا أفضل وأكثر سعادة. لكن معنى الزواج تغير. تقول وجهة نظر أخرى إن الأمر عائد إلى أن نسبة النساء ضمن قوة العمل قد ازدادت. لم تعد المرأة معتمدة على الرجل من الناحية المالية. لكني أرى أن وجهة النظر الأولى صحيحة، فالأمر عائد إلى عدم واقعية التوقعات».

على سبيل المثال ـكما قال لي ـ يبدو أن ثمة زيادة في عدد النساء الميالات إلى اعتقاد بأن ثمة شيئًا غير صحيح في الزواج كلما انتابهن إحساس بالوحدة. تترك الواحدة منهن زوجها، لكنها تصير أشد إحساسًا بالوحدة. أو، تتزوج شخصًا آخر فيدهشها أنها لا تزال تمر بفترات من الوحدة مثلما كان الأمر من قبل.

قال لي: «ليس هذا الإحساس بالوحدة ناجمًا عن الزواج. تشعر المرأة بالوحدة لأن من الطبيعي أن يشعر الإنسان بالوحدة».

قالت لي محامية الطلاق في دنفر إدرا بولين: «إن هناك نساء كثيرات يطلقن أزواجهن لأنهن يردن المزيد»، لكنهن لا يعثرن عليه. ما يحدث أكثر الأحيان هو أن زوجها السابق يتزوج (يتزوج امرأة أصغر سنًا منها) وتحظى الزوجة الجديدة بحبه كله، وبرفقته ورعايته ومساندته المالية، في حين

ينتهي الأمر بالمرأة التي تركته إلى العيش في شقة صغيرة مع اشتراك بقناة نتفلكس، من غير أية إشارة إلى ظهور «الأمير الساحر» في حياتها. وأخيرًا، تصل إلى تقدير قيمة ما كان لديها، لكن زوجها السابق، حتى إن كان لا يزال من غير زواج، لا يكون راغبًا في عودتها إليه لأنها سببت له ضررًا كبيرًا.

قال لي اختصاصي علم النفس في جامعة براون سكوت هالتزمان إن امرأة أتت إليه قائلة إنها مدركة أن زوجها رجل جيد، وأنه أب جيد، وأن والدها ووالدتها يحبانه، وأنه لم يقم أية علاقة مع امرأة أخرى غيرها، وأنه شخص وسيم المظهر، لكنها «لم تعد تحس الأمر». قالت إنها تخيلت نفسها «مطلقة وأكثر سعادة».

قال لي هالتزمان: هذا ما جعلني أقول لها، 'تخيلي أن تصادفي، بعد الطلاق، زوجك في لعبة كرة القدم يشارك فيها أطفالكما. تخيلي أن تري معه صديقته الجديدة. تخيليها تنظر إليه بتلك العينين المحبتين الوالهتين'. قالت لي، 'لا بأس، أستطيع تخيل هذا'. سألتها، 'لماذا تنظر إليه هذه المرأة بتلك الطريقة؟'. على نحو مفاجئ، راحت تعدد صفات زوجها الجيدة التي كانت تغفلها. أن تنظر المرأة إلى زوجها بعينين ملؤهما الحب أمر تقرره بنفسها. تعتقد أن العلاقة ستسير على نحو ممتاز لأن الزوج سيجعلها علاقة مثالية! ولكن، ثمة طرفان في العلاقة».

هذا ما يجعل آماتو يقترح أن يفكر الناس تفكيرًا حقيقيًا في السبب الذي يجعلهم يفكرون في الانفصال، أو في الطلاق.

قال لي: «في وسعكِ أن تطرحي على الشخص بضعة أسئلة كي تكتشفي سريعًا كيف هي حقيقة إحساسه إزاء الشريك. إن عبارة 'أحبه، لكني لست واقعة في هواه' مختلفة جدًا عن عبارة 'هو ليس زوجًا جيدًا'!». تناولت واحدة من دراسات آماتو الثنائيات التي يعتبر كل واحد من طرفيها الطرف الآخر «صديقًا جيدًا». وجدت أن الأمر المهم على المدى البعيد هو القدرة على حل الخلافات بطريقة ودية، والتوافق العام بين الشخصين، والاتفاق على القيم والأهداف الأساسية، كالدين والأطفال وكيفية تنشئتهم.

قال لي: «يعود جزء كبير من الأمر إلى الجوانب العملية التي من شأنها أن تحافظ على استمرار الزواج على المدى البعيد. ثمة عازبون كثيرون لا يرون هذا الأمر جذابًا أو مثيرًا. ولكن، إذا كانوا يريدون زواجًا يستمر زمنًا طويلًا، فعليهم أن يشرعوا في النظر إلى الأمور التي ستكون مهمة».

لقد أكدت أبحاث آماتو ما يبدو أنه معروف لدى كثيرين ممن يعيشون زواجًا قويًا مستقرًا. فلماذا لم يوضح لي أحد هذه الأفكار عندما كنت أواعد الرجال في العشرينات؟ بكل تأكيد، كان هناك أشخاص حكماء ضمن محيطي الاجتماعي، وكان في وسعهم أن يقدموا إليّ النصح.

لا يزال لدي «خبير» واحد لا بد لي من الكلام معه.

23

زيارة إلى رجل دين

ذهبت إلى حاخام المنطقة التي أقيم فيها.

كلما مضيت أكثر في الكلام مع الخبراء على شؤون المواعيد والعلاقات العاطفية، كلما اتضح لي أن جزءًا من مشكلة العازبين اليوم متمثل في ضعف صلتهم بمجتمعاتهم المحلية. ففي الماضي، كان أفراد العائلة والجيران والقادة الروحيون يقدمون إلى العازبين الشباب نصائح منطقية في ما يتصل بالعلاقات. وأما الآن، فالظاهر أن الناس صاروا يستمدون «حكمة المجتمع المحلي» من عروض تلفزيون الواقع، والبرامج الإذاعية، والرسائل النصية المتبادلة مع الأصدقاء العازبين.

هذا ما جعلني راغبة في معرفة: ما الذي يقوله رجل الدين عن أمور من قبيل العاطفة وانتقاء الشريك المناسب؟ اتصلت بديفيد وولبي في معبد سيناي في لوس أنجلوس. إنه رجل معتدل القوام في الخمسينيات معروف بحكمته؛ وقد اعتبرته مجلة نيوزويك أفضل خطيب بين حاخامات الولايات المتحدة. عندما قلت له إنني أريد معرفة آرائه في العلاقات، دعاني إلى زيارة مكتبه الغاص بالكتب كي نتحدث.

وهذا ما جرى بيننا من حديث.

الشعور الزائد بالراحة

أنا: بحسب رأيك، ما أهمية «الشرارات» في الزواج؟

وولبي: هذا أمر لافت. يأتيني أشخاص كثيرون ممن يخرجون في مواعيد، ويقولون لي: «لا أريد إلا شخصًا أستطيع أن أكون معه كما أنا، أن أكون نفسي. أريد شخصًا أحس معه راحة تامة». لكن الناس لا يريدون في المواعدة ذلك الأمر نفسه الذي يريدونه في الزواج، فالمقدار نفسه من الراحة واليسر ترجع ترجمته إلى، «أنت مريح أكثر مما ينبغي، يسير أكثر مما ينبغي، لا تبذل جهدك!» فماذا تريدون؟ أتريدون ما هو مثير، أم تريدون ما هو مريح؟ ماذا تريدون على المدى البعيد؟

أنا: ما الذي تظنه أكثر راحة على المدى البعيد؟

وولبي: المؤشر الأهم على ما إذا كان الزواج سينجح أم لا، أمر لا علاقة له بالشرارات أبدًا بل بمدى تشابه التوقعات لدى الطرفين. إذا كانت توقعاتهما فيما يتصل بالزواج متباينة كثيرًا، أو إذا كانت تنشئتهما مختلفة كثيرًا، فسوف يعانيان. وأنا أرى فعلًا أن لطف الطبع هو الأمر الأكبر أهمية على المدى البعيد. هذا أمر يغفله الناس عادة، لكن عليهم أن يبحثوا عنه.

مواعدة روبرت ريتش

أنا: لقد رأيت قائمة الصفات التي كنت أبحث عنها في الرجل. إذا أتت إليك امرأة في الحادية والأربعين بقائمة، فهل تقول عند ذلك: هذه الفتاة حالمة؟

وولبي: هممم!!! سأقول إنها حالمة حتى إن كانت في الحادية والثلاثين.

أنا: حتى إن كانت في الحادية والثلاثين!؟

وولبي: سأقول ذلك حتى إن كانت في الحادية والعشرين. بل سأكون أكثر اهتمامًا بقوله لها، لأن الفتاة التي لا تزال في الحادية والعشرين يمكن فعلًا أن تبهرها أمور لا أهمية لها. من الممكن أن تتزوجي شخصًا له ذوق رديء، شخصًا لديه عمى ألوان ولا يستطيع اختيار

لون الطلاء المناسب. من الممكن أن تفعلي ذلك وأن تعيشي سعيدة تمامًا.

أنا: وماذا عن الصفات الجسدية؟

وولبي: هنا يأتي دور روبرت ريتش. ألا تحبين الخروج مع روبرت ريتش؟ لا يكاد طوله يبلغ مئة وخمسين سنتيمترًا.

أنا: أنا مرنة في ما يتصل بطول القامة... ضمن الحدود المنطقية. ولكن! مئة وخمسون سنتيمترًا؟ لا أظنني يمكن أن أكون معجبة بشخص يبلغ طول قامته مئة وخمسين سنتيمترًا.

وولبي: أفهم هذا. ولكن، ألا تظنين أنه يمكن أن يظهر لك شخص يغيّر رأيك؟

أنا: هل يمكن أن تقول هذا الكلام لرجل؟ هل يمكن أن تقول له، «لدينا هذه المرأة. وزنها مئة وخمسة وعشرين كيلوغرامًا. لكنها متميزة فعلًا. فهل يناسبك هذا؟»

وولبي: أظن أن هذا ممكن. فلنقل إن هناك فرصة خمسين بالمئة لأن تكوني مع شخص طول قامته مئة وثلاثة وسبعين سنتيمترًا. هذا أمر يعجبك، لكن من الممكن أن يكون حسنًا أو سيئًا وذلك اعتمادًا على الصفات الأخرى التي تأتي معه. والآن، هناك احتمال خمسة بالمئة لأن تكوني مع شخص طول قامته أقل من مئة وستين سنتيمترًا... احتمال بسيط، لكنه قائم. لا يستطيع المرء أن يندفع إلى افتراض أي شيء. أعني، إذا أمضيتِ ساعة مع داني ديفيتو، أو مع روبرت ريتش، فوجدت نفسك تقولين على غير انتظار: هذا شخص أحب أن أمضي حياتي معه... مع أن طول قامته ليس مثاليًا على الإطلاق. وأما من ناحية أخرى، فدعينا نأخذ شخصًا ذا طبع فظ. ثمة احتمال يبلغ مئة بالمئة لأن تكوني غير راغبة في العيش معه. لذا، أقول لك: ما هي الأمور التي لا يمكن التنازل فيها أبدًا بالمقارنة مع الأمور التي يمكن أن تكون محتملة؟ يبدو لي أن الأمور التي لا يمكن

التنازل فيها أبدًا هي الصفات المتصلة بطبع الإنسان. يبدو لي أيضًا أن زوجة داني ديفيتو سعيدة معه.

متزوجة من «فكرة الزواج»

أنا: ما الذي ينبغي أن يكثر العازبون من التفكير فيه عند المواعدة؟

وولبي: الحقيقة، يبدو لي أن الزواج يشبه أعمال البناء بمعنى أنك، عند نقطة بعينها من زواجك، لا تعودين متزوجة من «شخص» فحسب، فأنت تصيرين متزوجة من «فكرة الزواج» نفسها ومن كل ما تعنيه... الأطفال، والماضي المشترك بينكما، والأصدقاء الذين لديكما. تصيرين متزوجة من هذا كله. بمعنى أن الأمر لا يعود متعلقًا بـ«فرد في الفراغ» مثلما كان في فترة المواعدة. على سبيل المثال، أنا لا أرى زوجتي وحدها عندما أنظر إليها بل أرى ابنتي وأرى الحياة التي بنيناها معًا والأصدقاء الذين من حولنا والمشكلات التي تغلبنا عليها كي نصل إلى هذه اللحظة.

أنا: والناس الذين يبحثون عن «الشخص الصحيح» تمامًا، ألا يدركون هذا؟

وولبي: لا يعلم الناس ذلك أثناء خروجهم ومواعدتهم الآخرين. أعني، حتى إن علموا من الناحية النظرية، فهم غير قادرين على إدراكه في الممارسة العملية. هذا يشبه كثيرًا تلك الخطط التي تكون عند الناس في ما يتصل بأطفالهم، فهم لا يعلمون حقًا كيف سيصير الأطفال آخر الأمر عندما يكبرون. حقيقة أن تنجب الأسرة طفلة بدلًا من إنجابها طفلًا تجعلها أسرة مختلفة جدًا عما يمكن أن تكونه لو أنها أنجبت طفلًا. أصيبت زوجتي بالسرطان بعد ستة شهور من ولادة طفلتي. كان معنى هذا أننا بتنا غير قادرين على إنجاب أطفال آخرين. هذا كله جزء مما أدى إلى جعل زواجنا مثلما هو الآن. في هذه الحالة، أنت لا تفكرين في أمور من قبيل «هل طول قامته

مناسب؟»، أو «هل هي جميلة إلى الحد الكافي؟»، وهكذا دواليك. بشكل من الأشكال، لا أظن أن تلك الصفات كلها التي تبدو بالغة الأهمية خلال فترة المواعدة هي أمور ذات أهمية حقيقية، فسوف يطغى عليها ما يحدث بعد ذلك عندما يبني الاثنان حياتهما معًا.

أنا: ما رأيك في فكرة «شقيق الروح»؟

وولبي: أمر جميل أن يفكر المرء في «شقيق الروح» بعد أن يحدث ذلك. لكن ثمة خطورة في الإيمان بهذه الفكرة قبل أن تعثري على شخص تقررين أن تمضي حياتك معه. في الحياة الواقعية، هناك أشخاص كثيرون يمكن أن تكوني سعيدة معهم، كل ما في الأمر هو أن «روحك» تتطور بطرق مختلفة مع أشخاص مختلفين.

انفصاله عن زوجته

أنا: ماذا تعني بقولك إنك انفصلت عن زوجتك ذات مرة؟

وولبي: انفصلنا مرة، واستمر انفصالنا فترة من الزمن. كان ذلك قبل زواجنا، أي عندما كنا نخرج معًا. لم تكن تجسيدًا لفكرتي عما ينبغي أن تكونه زوجة رجل دين. كانت تركب الخيل في المزرعة قبل أن ألتقيها. لكن، على الرغم من وجود «دور جاهز» في ذهني، فقد احتلت الشخصية الحقيقية محل ذلك الدور الجاهز. عدنا لأنها كانت الشخص الذي أردت أن أعيش معه طيلة حياتي.

أنا: ما الذي كنت تبحث عنه؟

وولبي: أظنني أستطيع القول إنني كنت أريد العيش مع زوجة مثقفة، لكن زوجتي ليست كذلك. أردت أن أكون مع امرأة تحب الأدب الإنكليزي، زوجتي لا تحب الأدب الإنكليزي! لكن هذا لا أهمية له. وبما أنني رجل دين، فقد كنت أظن أنني سأعيش مع امرأة لا تزعجها الأجواء الرسمية. خلال السنوات الأولى من زواجنا، وكلما كان علينا أن نذهب إلى مكان لا بد فيه من ارتداء ملابس

مختلفة عن الجينز، كانت تضيق بالأمر وتجد صعوبة في تقبّله. قالت لها أمها بعد أن صارت تعرفني جيدًا: «من بين الرجال الذين خرجتِ معهم، هذا أول شخص يستخدم حذاء حقيقيًا، ولا يستخدم صندلًا!».

أنا: هذا أمر لافت لأن الباحثين في أمور الزواج ممن التقيتهم كانوا يقولون إن الاختلافات قد تبدو أمرًا لطيفًا في البداية، لكن أداء أصحاب الطباع المتشابهة يكون أفضل على المدى البعيد. فلماذا تظن أن الاختلافات كانت ذات أثر طيب على زواجك؟

وولبي: ليست الاختلافات التي بيننا هي ما يجعلنا مستمرَّين معًا. نحن معًا نتيجة التشابهات التي بيننا. ثمة تشابهات عميقة بيني وبين زوجتي. من يعجبونها يعجبونني، ومن لا يعجبونها لا يعجبونني، وذلك في مئة بالمئة من الحالات تقريبًا. نظرتنا العامة إلى العالم متشابهة، من الناحية السياسية ومن الناحية الدينية. تفكيري وتفكيرها في ما يتصل بتنشئة ابنتنا متشابهان كثيرًا.

من هنا، وعلى الرغم من أنني لم أكن مدركًا هذا الأمر في البداية، أستطيع القول إننا متشابهان في كل أمر مهم من أمور الحياة. وأما الأمور التي لم نكن متشابهين فيها، فقد كنّا مرنين إزاءها، وكنا قابلين للتغير. التشابهات العميقة تطغى على الاختلافات السطحية، ولا تعود لتلك الاختلافات أهمية كبيرة أثناء بنائنا حياتنا معًا. تقول زوجتي: «إنني أشجعك على المضي في عالمك، فهل يناسبك أن تذهب إلى دعوات العشاء تلك وحدك؟» حقيقة الأمر أنني أكون مرتاحًا تمامًا عندما أذهب إليها وحدي لأنني أكون هناك منشغلًا بأداء واجباتي الدينية فأنتقل بين الطاولات كثيرًا، وهذا ما اتفقنا عليه. في الفترة الأولى، كانت لدي فكرة ثابتة عما ينبغي أن تكونه زوجة رجل الدين. وعلى مر السنين، تغيرت تلك الفكرة وصارت أكثر مرونة.

رمي القمامة

أنا: ما هي التعاليم التي تقدمها إلى الثنائيات قبيل الزواج؟

وولبي: القسم الأكبر مما أقوله لهم مستمد من تجربتي خلال المرحلة الأولى من زواجي. أحدثهم عن رمي القمامة. قالت لي زوجتي في أوائل أيام زواجنا: «ألا ترمي القمامة، من فضلك؟». قلت لها ما أقوله دائمًا عندما يطلب مني أحدهم فعل أمر من الأمور، ألا وهو، «بعد دقيقة واحدة». دخلتُ المطبخ بعد بضع دقائق من ذلك، فوجدت أنها رمت القمامة. غضبتُ كثيرًا! غضبت لإدراكي أنها رمتها بنفسها كي تجعلني أحس أنني قصرت ولم أسارع إلى فعل ما طلبت مني فعله. أمي كانت تفعل هذا أيضًا. صُدمت زوجتي عندما رأتني غاضبًا فقد ظنت أنها أسدت إلي جميلًا بفعلها ذلك. لكني بقيت زمنًا طويلًا جدًا غير مصدق حُسن نيتها. صار هذا الأمر مشكلة بيننا.

هذا لأن بشرًا كثيرين، على ما أظن، لديهم عجز عن تصديق أن غيرهم يتصرف بطريقة مختلفة. لا ندرك أن على الواحد منا أن يفهم البشر بالطريقة نفسها التي يفهم بها أي موضوع ويتعلمه. لا يكفي أن تفعلي ذلك باستخدام مشاعرك وحدها. لا بد لك من الإصغاء إلى الآخرين وتصديقهم عندما يخبرونك بما جعلهم يتصرفون بهذا الشكل أو ذاك. هذا أمر لا نستطيع فعله بالغريزة وحدها لأننا، جميعًا، نثق بحدسنا في ما يتصل بالناس، لكن من الممكن فعلًا أن يكون المرء مخطئًا كثيرًا. حدسك قائم على الأشخاص الذين تعرفينهم؛ وهذا الشخص الجديد الذي تتعرفين عليه الآن ليس أمك ولا صديقتك السابقة ولا شقيقتك.

من هنا، أقول للشباب والشابات إن عليهم أن يكونوا منفتحين على حقيقة أن كل إنسان يتصرف بطريقة مختلفة عن الآخرين، بل حتى عن أفراد الأسرة التي ترعرع فيها. عليهم أن يحترموا ذلك، وأن

«يصغوا» إليه. في العلاقات العاطفية، ينفصل الناس نتيجة أمور من هذا النوع فيفوّتون على أنفسهم فرصة معرفة الشخص الآخر معرفة حقيقية. ينفضون أيديهم من الناس من غير أن يفهموهم فهمًا حقيقيًا... ثم يتساءلون بعد ذلك عن سبب عجزهم عن العثور على شريك وعن سبب بقائهم عازبين.

ما علاقة هذا كله بشلدون رقم 2؟

لقد كان رجل الدين محقًا في ما قاله عن وجوب امتناعنا عن «حذف» الناس من حيانا من غير فهمهم أولًا. في لقائنا الثالث، جاء شلدون 2 واضعًا ربطة عنق مختلفة. ذهبنا إلى السينما. كانت ربطة عنقه غير تلك التي رأيتها في صورته في ذلك الموقع على الإنترنت. هذه المرة، كانت مقلّمة باللون الرمادي وعليها رقم أبيض اللون! ألديه كثير من ربطات العنق هذه؟

قلت له مازحة عندما فتحت الباب له ورأيت ربطة عنقه: «أظن أنه كان عليَّ الاهتمام بأناقتي أكثر مما فعلت». ضحك وقال لي إنه مولع بهذا النوع من ربطات العنق على الرغم من إدراكه أنها ليست من النمط المألوف. ثم، شرح لي كيف بدأ الأمر.

عندما كان شلدون 2 طفلًا صغيرًا، كان جده يستخدم هذا النوع من ربطات العنق. كان ذلك الجد مثله الأعلى. وذات يوم، قال شلدون 2 لجده: «أتمنى أن أكون مثلك تمامًا عندما أكبر».

سأله جده: «هل تريد أن تصير طبيب أسنان؟» أجابه شلدون 2: «لا! أريد أن أضع ربطة عنق». صارت تلك الإجابة نكتة متكررة بينهما. وبعد عشرين عامًا، من ذلك، بعد وفاة جده، ورث شلدون 2 كل ما كان لدى جدّه من ربطات عنق. ظل الجد متذكرًا تلك القصة فأوصى له بربطات العنق كلها! يفضل شلدون 2 استخدام ربطات العنق هذه لأنها تذكره بجده الحبيب.

سحرتني هذه القصة، سحرتني كثيرًا، وجعلتني أشد إعجابًا بشلدون 2. أخجل من نفسي عندما أتذكر أنني كدت أمتنع عن كتابة إيميل له لأنني

قلت في نفسي: «ما هذا الأحمق الذي يمكن أن يستخدم ربطة عنق وردية منقّطة؟»

بعد مغادرتي مكتب رجل الدين، كان لدي إحساس بأنني اكتفيت من طرح الأسئلة في الوقت الراهن. فكل ما سمعته عن العلاقات خلال الشهور الماضية كلها... من علماء وباحثين في أمور الزواج وخبراء في المواعدة وخبراء في التوفيق بين الثنائيات، ينبغي الآن أن يكون له دور إيجابي لا في حياتي وحدها، بل أيضًا في حياة النساء اللواتي تحدثت إليهن.

لذلك، طلبت الاستماع إلى قصص عدد من تلك النسوة خلال الفترة التي كنت أخرج فيها مع شلدون 2.

مكتبة
t.me/soramnqraa

24

قصة كلير. كيف تجاوزتُ ذاتي

كانت كلير على غرار نساء كثيرات ممن لديهن كل شيء... عدا الرجل. ما كان لديها نقص في الأصدقاء؛ لم تشكُ يومًا أي نقص في الأصدقاء، لكنها لم تستطع العثور على واحد تمضي معه حياتها. ثم تغير شيء، تغيّرت كلير. وها هي قصتها:

عندما كنت عازبة، كان الناس يقولون لي طيلة الوقت إنني فتاة لامعة جذابة. هذا ما جعلني حائرة في سبب عدم تمكني من العثور على الحب. كان لديَّ أصدقاء دائمًا، لكني أتذكر الآن أن أيًا منهم لم يكن من النوع الذي يمكن أن أتزوجه فعلًا. كنت ساعية خلف رجال شديدي الجاذبية: شعر أشقر، وعيون زرق، أو رجل وسيم ذو شعر داكن اللون. كان يعجبني أن أسير في الشارع مع أولئك الرجال. كان أصدقائي في غاية الذكاء؛ وكانوا يعرفون كيف يجعلونني أضحك. أنا امرأة ذات طبيعة منفتحة، وأحب أن أكون مع شخص من طبيعة منفتحة أيضًا.

لكن أيًا من تلك العلاقات لم تكن ناجحة. كان واحد ممن صاحبتهم يفرط في الشرب. وكان واحد آخر متوترًا طيلة الوقت ولا يعرف كيف يهتم بنفسه. تركني واحد آخر لاعتقاده أنني متطلبة كثيرًا، لكني أظن مطالبتي إياه بأن يكون صادقًا أو شخصًا يمكن الاعتماد عليه ليس إفراطًا في التطلب من جانبي. وأما الصديق الأخير، فكان غير راغب في إنجاب

أطفال. عندما التقيته أول مرة، قال لي إنه يمكن أن ينجب أطفالًا؛ لكن، كلمة «يمكن» هذه لم تعجبني ولم أرد سماعها.

واعدت أشخاصًا كثيرين عن طريق الإنترنت، لكني كنت انتقائية. كنت أسارع إلى صرف النظر عن الشخص إذا وجدته كثير الكلام، أو إذا لم يعجبني صوت ضحكته عندما نتكلم في الهاتف. كنت أقول في نفسي: *لن أستطيع العيش مع هذا الرجل!*

خلال نشأتي، كنت أظن أنني سألتقي شخصًا في السوبر ماركت. سوف تسقط من يدي علبة فاصولياء فينحني ويلتقطها. ثم... نعيش سعيدين معًا. عندما تكبر الفتاة وفي ذهنها خيالات من قبيل «طويل القامة، أسمر، وسيم»، وتظل تلك الصور النمطية باقية في ذهنها، فهي تمنعها من رؤية أي شيء مختلف عنها.

ما يريده الرجل

زوجي اسمه كريس. التقيته عن طريق الإنترنت عندما كنت في الثامنة والثلاثين وكان في الخامسة والأربعين. كنت ساعية إلى الزواج. كان إنجاب الأطفال يشغل ذهني، لكني كنت أيضًا حريصة على أن ألتقي شخصًا مناسبًا. أعجبني بروفايل كريس. كانت صوره لطيفة، لكنك لا تستطيعين معرفة كيف يكون شكل الشخص في الحقيقة من خلال الاكتفاء برؤية صوره في واحد من مواقع المواعدة في الإنترنت.

عندما خرجت مع كريس أول مرة، التقينا لتناول القهوة وتحدثنا حينًا من الزمن. رأيت أنه شخص لطيف جدًا. كان جذابًا إلى حد ما، لكنه لم يكن في مثل جاذبية الأشخاص الذين خرجت معهم قبله. إنه قصير القامة ـ مئة وسبعون سنتيمترًا ـ وهو أصلع الرأس قليلًا. لم يكن رشيق الجسم مثل الرجال الذين أميل إليهم عادة. لم يكن لديه أي ميل إلى تلك الثرثرة التي اعتدت أن أجدها مغرية جدًا عند غيره من الرجال. ينطق بعض الكلمات بطريقة غريبة. كان شديد الاختلاف عن الرجال الذين كنت متحمسة

لهم في ما مضى. لذلك، لم أقل في نفسي: «هذا هو الرجل الذي سوف أتزوجه». لم أقل شيئًا غير: «إنه رجل لطيف». أظن أن الطريقة الوحيدة التي يمكن وصف ذلك بها هي أنني أحسست معه أمانًا. أحسست أنني قادرة على الثقة به.

هذا ما جعلني أخرج معه بضع مرات بعد ذلك؛ لكني كنت أتصل بصديقاتي بعد كل لقاء وكنت أقول إنه نحيل جدًا، أو إنه غير طموح كثيرًا لأنه لا يزال في وظيفته نفسها منذ سنين ولم يتلق أية علاوة. لقد نشأ في بلدة صغيرة؛ وهو من النوع المتمهل. كنت أقول في نفسي: هذا جنون! أنت بنت مدينة! لن ينجح الأمر! لكن قضاء الوقت معه كان يعجبني أكثر من قضائه مع غيره من الرجال. وقعت في حبه بعد نحو خمسة شهور من ذلك؛ واستمرت علاقتنا قرابة سنة كاملة. ولكن، كانت لدي تحفظات على الدوام. في يوم عيد ميلادي، أتى حاملًا بالونات. عندما رأيته لم أستطع التفكير إلا في أنه شخص بخيل بعض الشيء.

أعلم أن قول هذا يبدو أمرًا فظيعًا، لكني كنت في وظيفة أتعامل من خلالها مع رجال يجنون مالًا كثيرًا ويرتدون كل يوم بدلات أنيقة. كنت محاطة بأشخاص وسيمين، ناجحين، ساحرين، لكني خرجت كثيرًا مع ذلك النوع من الرجال فوجدت أن كريس مختلف عن كل ما سبق. كانت الحياة اليومية مع كريس حسنة جدًا: نستمتع كثيرًا بأن نكون معًا في السوبر ماركت؛ ونذهب معًا للتجذيف. كان يحترمني إلى أقصى حد. لكن ذلك لم يكن مثيرًا مثلما ظننت أن الحب ينبغي أن يكون. لم يكن كريس مثيرًا مثلما ظننت أن من أتزوجه ينبغي أن يكون.

كانت هناك أمور أخرى تشغل بالي. ماذا به؟ لماذا لا يزال عازبًا حتى الآن؟ إنه في أواسط الأربعينيات! لم يكن رجلًا يهاب الالتزام. كانت لديه رغبة حقيقية في الزواج، لكنه لم يتزوج حتى الآن! علمت في ما بعد أنه جُرِح مرتين من قبل اثنتين من صديقاته السابقات اللواتي تخلين عنه فظل زمنًا طويلًا إلى أن شفيت تلك الجروح. لكني كنت أتساءل في ذلك الوقت

عما يجعلني راغبة في البقاء معه إذا كانت النساء اللواتي عرفهن قبلي قد تركنه. فضلًا عن ذلك، أنا سريعة التفكير، وهو أبطأ مني كثيرًا في «معالجة» المعلومات. لكني فطنت بعد ذلك إلى أنه قادر على قول أمور عميقة جدًا بكلمات قليلة. أحببت فيه أنه شديد الاتزان. إن فيه شيئًا يبعث في نفسي هدوءًا وسلامًا؛ ثم إنه رجل جيد حقًا.

على الرغم من ذلك كله، كان تعلّقي به يأتي ويذهب. كان إحساسي يقول لي: إن كانت لديّ هذه الشكوك كلها، فهذا يعني أنه ليس بالرجل المناسب لي.

في الأربعين، لكني حائرة

انفصلت عنه عندما كنت في التاسعة والثلاثين. كان تفكيري على النحو التالي: *لن أتنازل لمجرد أنني قاربت أواخر سن الإنجاب*. قلت لكريس إن علاقتنا غير ناجحة. ثم التقيت رجلًا كان شديد الوسامة. كنت مشدودة إليه كثيرًا: أعمت جاذبيته عينيّ. لقد عرف كيف يغويني. كانت لديه شقة رائعة في مبنى في حي ممتاز. وكان في ذلك المبنى بوّاب. سحرني ذلك. لكنه قرر أنه لا يريد إنجاب أطفال. كان غير قادر على التواصل معي مثل كريس. لا يمكن أن يقدِم كريس على خوض أية مجادلة معي عندما أخرج عن طوري. إنه ينتظر. ينتظر لأنه يعرفني معرفة ممتازة. اقترح كريس أن نستأنف علاقتنا فقبلت.

كنت في الأربعين عندها؛ وأعاني الوحدة. تعبت من المواعدة. حرت في ما جعلني أترك كريس، وتمنيت لو كنت أشد افتتانًا به من الناحية الجسدية. أمر محيّر جدًا عندما يكون شخص معجبًا بك كثيرًا، لكنك لا تبادلينه إعجابًا من السوية نفسها. عندما رأيته من جديد، كان وزنه قد ازداد. قلت في نفسي إن شكله الآن لا يعجبني. كان هزاله لا يعجبني؛ لكن زيادة وزنه صارت الآن لا تعجبني أيضًا! إلا أنني كنت واثقة من أن كريس مستعد لفعل أي شيء من أجلي ومن أن عليَّ ألّا أستمع إلى تلك الأصوات

في داخلي، تلك الأصوات التي صارت تبدو لي سطحية. كنت أنظر إلى نساء أكبر مني سنًا، نساء عازبات يخرجن مع رجل تلو آخر، وأقول في نفسي: لا أريد أن أكون مثلهن.

الرجل المتميز

انقضت ستة شهور وأنا باقية على ترددي. كنت أبحث عما يخلصني من ذلك التردد. قرأت كتبًا، وسألت صديقاتي. كانت لي صديقة عازبة لا تعيش علاقة عاطفية. قالت لي: «هل أنت واثقة من أنك تحبينه؟» كانت تشجعني على البقاء مترددة؛ لكني أظنها فعلت ذلك لأنها لم ترد أن تكون آخر عازبة ضمن مجموعة الصديقات! يود البائسون أن يظل لديهم من يؤانسهم، أليس كذلك؟ كانت صديقاتي المتزوجات يقلن لي دائمًا إن كريس يعجبهن فعلًا. في نظرهن، كان شخصًا لطيفًا، متواضعًا، محبًا، متزنًا.

لكني أحسست أن حيرتي تكاد تقتلني!

تذكرت أنني التقيت في حفلة، خلال علاقتي معه، امرأة جميلة جدًا عرّفتني على زوجها الذي لا يتجاوز طول قامته مئة وخمسة وستين سنتيمترًا. كنت واثقة تمام الثقة من أنها قادرة على أن تحصل على رجل مختلف تمامًا. صرنا صديقتين بعد ذلك. وعندما تحدثنا عن الرجال، قالت لي: «لم أكن أظن أنني سأتزوج شخصًا أقصر مني قامة بسبعة سنتيمترات. لكني أحبه». أمر في غاية البساطة!

لذا، صرت أقول في نفسي إن علي أن أتجاوز الصورة النمطية للرجل المثالي، وذلك لأنها منطوية على قدر كبير من النرجسية.

رومانسية، لكنها من طبيعة أكثر عمقًا

كريس رجل يهتم كثيرًا برعايتي. إنه رجل عذب إلى أقصى حد. هذا ما جعلني أبقى معه طيلة فترة حيرتي. كنت أحب التزلج على الثلج فتعلمَ التزلج كي نستطيع أن نذهب معًا. إنه رومانسي؛ لكنه رومانسي بطريقة

مختلفة تمام الاختلاف عما اعتدته. مع كريس، تصير أمور الحياة اليومية رومانسية... ليست تلك الأمور التي تبهر الأنفاس. يقول لي: «فلنذهب وننظر معًا إلى القمر». يمسك بيدي ويضمها بين كفيه. أستيقظ فأجده قد سلق البيض من أجلي واشترى الصحيفة. أجد كل شيء جاهزًا. أقول في نفسي: واو! ما أجمل هذا! هذه أمور تدوم طيلة العمر!

لا يستطيع الإنسان أن يعيش من غير عاطفة في حياته. لكنني أحصل على ذلك أيضًا، أحصل على العاطفة بطريقة خفية. نذهب للجري معًا فيقطف زهورًا ويضعها في مزهرية في غرفتنا. إن لديه صفات أنثوية كثيرة كنت أزدريها في ما مضى، لكنني صرت الآن أقدّرها. لدينا أيضًا حياة جنسية جيدة. لا علاقة للأمر بمقدار ما أجده فيه من جاذبية جسدية إن قارنته بما كان بيني وبين أشخاص آخرين. الحقيقة أنني لن أستطيع في يوم من الأيام اعتباره جذابًا مثلهم! لكن، بدلًا من التركيز على ما فيه من أمور لا تجذبني كثيرًا، أفكر في أن له عينين زرقاوين جميلتين، وأركز تفكيري على ذلك.

ذات ليلة، كنت أنظف أسناني في الحمام. نظرت فرأيته مستلقيًا على السرير إلى الجهة التي أنام فيها عادة. قلت له: «ماذا تفعل؟ هل نتبادل مكانينا؟». قال لي: «لا. إنني أدفئ الفراش من أجلك». يعلم أنني أبرد دائمًا كلما استلقيت في الفراش. ثم انتبهت إلى أنه كان يفعل ذلك في ليالٍ أخرى أيضًا. لكنه لا يخبرني. ليس لديه مليون دولار. لكنني أظن أن هذه القصة وحدها تساوي مليون دولار!

أظن أنه يضيف إلى علاقتنا أمورًا كثيرًا لا علاقة لها بالمال: يذهب كي يجلب الأطفال من المدرسة، ويساعدني كثيرًا في كل ما يتعلق بتنشئتهم. إنه يحب الأطفال. عندما التقيته، كان يساعد الأطفال المحرومين في تعلم القراءة، وكان يؤدي عملًا تطوعيًا في ملجأ للحيوانات. لا يزال دخلي يعادل ضعفي دخله. في عالم مثالي، ألا ينبغي أن يكون دخل زوجي مثل دخلي؟ هذا صحيح. لكنني أحاول الحصول على أمور كثيرة لم أستطع الحصول عليها من رجال يجنون مالًا أكثر مما أجنيه. تزوجنا بعد سنة من

استئناف علاقتنا. ليتني لم أضيع ذلك الزمن في التساؤل عما إذا كان هو الرجل الذي يناسبني. كنت أريد أن «أحس» أنني مختلفة؛ لكني اكتشفت أن قفزي في الماء هو ما يمكنني من معرفة إن كان دافئًا وإن كنت أجده لطيفًا. وقد وجدته لطيفًا! اقتضى الأمر زمنًا طويلًا إلى أن وقعت في حب كريس، لكني الآن واقعة في حبه إلى أقصى حد. عندما كنت حائرة، كان الناس يقولون لي: «اسألي نفسك عما يجعلك باقية معه إن لم يكن هو الرجل المناسب لك.

لم أحصل على كل ما كنت أريده؛ لكني لا أعتبر أنني قد تنازلت... على الإطلاق! زوجي شخص مستقيم يهتم بأسرته، ويهتم بالعالم كله. إنه أكثر تسامحًا مني؛ وفي وسعي أن أتعلم منه أمورًا كثيرة. إذا نشأت بيننا أية مشكلة، فسوف يسعى إلى الحصول على استشارة نفسية، وسوف يذهب إلى ورشات عمل. إنه منفتح على كل شيء في الحياة. هذه أمور نابعة من شخصيته. لدي الآن «مرساة» تجعلني قادرة على أن أعيش حياتي بدلًا من البقاء منتظرة. ثم إنه شخص يعجبني كثيرًا أن أتكلم معه كل يوم. هذه كلها أمور أهم كثيرًا من أشياء من قبيل: *أريد رجلًا لديه شعر على صدره ولديه ذوق أفضل في اختيار ملابسه... رجلًا يحب الكلاب*.

25

قصة ألكساندرا. «الرجل الصحيح» موجود أمامي

أعجبتني قصة ألكساندرا إذ إنها تبين حقيقة أن ما نسعى إليه أحيانًا يكون أمامنا طيلة الوقت. وفي ما يلي كلامها:

لك أن تصدقي أو لا تصدقي أننا التقينا، أنا وزوجي، من خلال الرجل الذي كنت أخرج معه في ذلك الوقت. كانا يعيشان في شقة واحدة. لقد سمح صديقي جون لكيفن بأن يعيش معه مؤقتًا إلى أن تنتهي إجراءات طلاقه التي كانت جارية آنذاك. كنت في الثالثة والثلاثين؛ وأخرج مع جون منذ أكثر من سنتين. بعض الأحيان، كنا نخرج معًا، نحن الثلاثة. لكني لم أعتبر كيفن إلا شريك جون في السكن. لم يكن من النوع الذي يعجبني... على الإطلاق. بل إنه لم يلفت نظري أبدًا. كنت مشدودة إلى أصحاب الأجساد الرياضية. وأما كيفن، فقد كان جسده غير متناسق. لم يكن واحدًا ممن يحددون هدفًا ويسيرون إليه كي يحرزوه. لم يكن مرحًا. وفي تلك الفترة، كنت أرى جون رجلًا رائعًا. بدا لي أننا متواصلان على المستوى الروحي. كانت لنا الآراء نفسها في الحياة، وكان كلانا صاحب نكتة. هذا ما جعلني أركن إلى الاعتقاد بأن جون «منشغل عاطفيًا» ولا يمكن أن يلتفت إلى غيري.

كان جون يعمل كثيرًا؛ وكلما اتصلت به ينتهي بي الأمر إلى الكلام مع كيفن. استمر الأمر على تلك الحال. كان كيفن يلتمس الأعذار لجون

طيلة الوقت. صحيح أنني كنت أتذمر وأشتكي، لكني كنت ألتمس الأعذار لجون بدوري. كان جون تجسيدًا لفكرتي عن «الرجل الصحيح» المناسب لي، فبدأت أحاول العثور على تفسيرات منطقية لكل سلوك غير متلائم مع الفكرة التي في رأسي.

سرعان ما تمكن كيفن من ترتيب أموره وانتقل كي يعيش في شقته. لكننا كنا صرنا صديقين حميمين. كنا نتكلم هاتفيًا في كل شيء، تمامًا مثلما أتكلم مع أية واحدة من صديقاتي. صحيح أن اهتماماتنا لم تكن متماثلة، لكننا صرنا قادرين على الكلام في أي أمر. أحببت الكلام مع كيفن كل يوم، لكني كنت «واقعة في حب» جون.

لم ينقطع جون عن تكرار أنه سيصير «متاحًا» أكثر، لكنه كان شخصًا لا يمكن الاعتماد عليه أبدًا. أتت القشة التي قصمت ظهر البعير في علاقتي مع جون عندما كان بيننا موعد من أجل وقت نمضيه وحدنا، لكنه أتى مع كيفن وقال إنه غير قادر على البقاء إلّا فترة قصيرة وعليه بعدها أن يعود إلى عمله. غضبت كثيرًا عند انصرافه؛ وكان كيفن بالغ العذوبة والتفهم. لم يلتمس لجون أعذارًا تلك الليلة. أنا واثقة من أن جون لم يتبادر إلى ذهنه أبدًا أن يكون كيفن «تهديدًا له» لأن كيفن ليس فاتن المظهر مثل جون. في نظره، كان كيفن أفضل صديق «مأمون الجانب». وقد كان كذلك بالفعل لأنني لم أر فيه ما يجذبني من الناحية الرومانسية. كان صديقًا، لا أكثر.

هو مثل أخ لي

انفصلتُ عن جون بعد تلك الليلة، وكانت قد مضت على بداية علاقتنا ثلاث سنين. حطمني ذلك، لكن تلك العلاقة كانت من غير أفق. لم يكن جون راغبًا في الانفصال فتوسَّل إليَّ كي نظل معًا. استجبت، وبقينا معًا بضعة أسابيع أخرى. لكني أدركت سريعًا أنه لم يكن صادقًا في شأن استجابته لما أردته منه وأنه لم يكن قادرًا على الوفاء بوعوده. كانت أفعاله نقيض كلماته. على الدوام، كان جون يقول كل «ما يلزم قوله» بغية إصلاح

الموقف! قلت له إن هذا غير مُجدٍ، فما كان منه إلا أن كرر على مسمعي تلك العبارات الرومانسية التي يعلم أنني أحبها.

يقول لي: «عندما نكبر، أتخيل أننا...»؛ لكنه لا يقدم على أي التزام من قبيل: «أود أن أتزوجك وأن أمضي حياتي كلها معك». صار كله غير مقنع لي. كنت محطمة، لكني علمت أن عليَّ أن أنفصل عنه. إلا أن الأمر الجنوني كان أنني ظللت أراه شقيق روحي! لا يريد شقيق روحي أن يكون معي. هكذا كنت أفكر! كنت حزينة جدًا تلك الأيام. والآن، أدرك أن من اعتبرته شقيق روحي لم يكن الشخص المناسب لي.

كنت في حالة فظيعة. وقد استمر ذلك التواصل اليومي بيني وبين كيفن. كان يقول لي، «مرحبًا، يا صديقتي. كيف حالك؟». صار كيفن يجرّني إلى الخروج كي أمضي وقتًا معه ومع أصدقائي الآخرين علّني أنتعش قليلًا. كنا نذهب ونرقص كلنا. كنت يومها في الرابعة والثلاثين. في تلك الآونة، كان كيفن يقابل فتاة أخرى بعد طلاقه. صرنا ندخل معًا إلى موقع «eHarmony.com» عبر الهاتف ويساعد كل منا الآخر في إدخال المعلومات. ندخل إلى بروفايل هذا الشخص أو ذاك ويسأل واحدنا الآخر: «هل هو الشخص المناسب؟ هل هي مناسبة؟». كان ذلك أمرًا ظريفًا. صرنا نمضي معًا أوقاتًا طويلة. عندما ألتقيه، أكون في أسوأ أحوالي فلم يكن يتبادر إلى ذهني أبدًا أن أحاول العناية بمظهري قبل لقائه أو أن أتعامل مع الأمر تعاملًا رومانسيًا. كان أصدقاؤنا جميعًا يقولون إن علينا أن «نخرج معًا»، لكني أجيبهم بأن هذا سيكون أشبه بأن أواعد شقيقي. وكان كيفن يقول: هذا أشبه بأن أواعد شقيقتي!

السعي خلف صورة مثالية خاطئة

ذات ليلة، كان لديه ضيوف. وبعد انصرافهم، سهرنا معًا وتحدثنا كثيرًا وانتهى بنا الأمر إلى ما يشبه العناق. أذكر أنني فوجئت وقلت في نفسي «هذا أمر غريب جدًا؛ لكنه حلو فعلًا».

تكلمنا في هذا الأمر ورأى كل منا أن ثمة مخاطرة بأن يصل ذلك إلى نهاية سيئة لأننا كنا صديقين حميمين. هذا ما جعلنا نتوقف. ولكن، في الوقت نفسه، لم أستطع العودة إلى صداقتنا المعتادة. على نحو مفاجئ تمامًا، صرت مشدودة إليه كثيرًا! كان صعبًا على كل منا أن نمضي الوقت معًا في حضور ذلك «التوتر الجنسي». لذلك قلنا، «فلنر إن كنا نستطيع أن ننجح في هذا الأمر».

يبدو هذا سخفًا؛ لكن علاقتنا بدأت هكذا، بدأت بعد سنتين من تعارفنا وبعد أن لم يكن لدى أي منا اهتمام عاطفي بالآخر. انبثقت شرارة بيننا بعد تلك الليالي التي أمضيناها معًا بصحبة جماعات من أصدقائنا، وبعد الأوقات التي أمضيناها معًا صديقين فحسب. رعينا تلك الشرارة عالِمين أن قيمنا الجوهرية متوافقة، فصارت الشرارة شعلة في أسرع وقت.

الأمر الغريب هو أن علاقتنا لم تكن مختلفة كثيرًا عن صداقتنا السابقة إلا من حيث إننا صرنا نمارس الجنس ـكان ذلك رائعًاـ وأننا بدأنا ننفتح أكثر ويفصح كل منا عن مكنونات نفسه التي يخفيها عن الآخرين. وأما من حيث الأساس، فقد كنا «نتواعد أفلاطونيًا» طيلة سنتين كاملتين، لكن من غير أن ندرك ذلك. في الماضي، كان يمكن اعتبار تلك العلاقة نوعًا من الغزل، لكننا لم نكن نحس أي «ضغط» فلم نعتبر الأمر علاقة عاطفية. كان كل منا على سجيته، ولا شيء أكثر من ذلك. ولما كنت صديقته طيلة تلك المدة، فقد كنت أرى كيف يتعامل مع البشر الآخرين. رأيت مسلكه مع الفتيات اللواتي كان يواعدهن. كنت أساعده في اختيار ملابسه. وأعرف ما يزعجه لدى النساء، وما يفضله. كنت قادرة على فهم أية إشارة تبدر عنه. وهو أيضًا، كان يعرفني ويفهمني مثلما أعرفه وأفهمه. كنا على طبيعتنا، كما نحن، من غير أي تظاهر أو ادعاء. وقد وقع كل منا في حب الآخر.

لو بدأت معرفتي بكيفن ضمن إطار «المواعدة»، فأظنني كنت سأنتقده من نواح كثيرة... ليس لديه القدر الكافي من هذا الأمر، أو من ذلك الأمر. لكني لمَّ أكن لأستطيع النفاذ إلى جوهره، إلى ذلك الجزء منه الذي وقعت

في حبه. في البداية، لم أعتبره «مادة صالحة للعلاقة» لأنه ليس من النوع الذي يعجبني تكوينه الجسدي، وليس أنيقًا مثل الرجال الذين كنت أخرج معهم. كان في سلوكه تلك الأشياء الناشزة التي تجعلني أقول، «أووف! ها هو يفعل ذلك من جديد!». لكني صرت على معرفة جيدة به فبدأت أرى أنه شخص رقيق في داخله، وأن ذلك السلوك ليس إلا حماية لتلك الرقة.

كان من حسن حظي أن منحتنا صداقتنا فرصة لأن يرى كل منا في الآخر جوانب لعله ما كان قادرًا على رؤيتها لو كنا نتواعد ويحلل كل منا الآخر. «هل يمكن أن أتزوج هذا الشخص؟». لو حدث ذلك، لقارنته بأشخاص من أمثال جون، أي بأشخاص كنت أظنهم من النوع الذي يعجبني.

كنت أسعى خلف تلك الصورة المثالية، لكني أدركت آخر الأمر أن ما ظننته صورة مثالية كان غير مناسب لي.

التوازن الصحيح بين الأمور كلها

إن بيني وبين كيفن علاقة رومانسية جدًا بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة. يقوم كيفن بأمور ذكية فطنة. يعدّ العشاء، ويهتم بغسل الملابس. باع السيارة التي كانت عبئًا ماليًا علينا لأنه أدرك أنها مزعجة لي. قال: «باتت الذكرى السنوية الثانية لبدء علاقتنا على الأبواب، وأود أن أفعل ما ينبغي فعله». بل إنه شكرني لأنني ساعدته في اتخاذ ذلك القرار، مع أنه سيشتاق إلى السيارة! لقد مكنتنا صداقتنا من أن يكون لدى كل منا احترام شديد للآخر من حيث هو شخص. هذا ما يبقي العلاقة بيننا جذابة.

كيفن هو الرجل الذي لم يكنه جون أبدًا. رجل صلب، مستعد دائمًا للوقوف إلى جانبي. وفي عملية تكوين أسرتنا، هو مشارك بكل معنى الكلمة، لا متفرج فحسب. نتحدث في كل ما يجري لنا، وفي كل ما نفكر فيه، وفي كل ما نعانيه. من الممكن أن نختلف، وأن نتكلم في أسباب الاختلاف. نتعامل دائمًا مع كل موقف من منطلق أننا نستطيع مواجهته والتغلب عليه. ثم إن كيفن قادر دائمًا على رؤية مبعث قلق الآخر أو

انزعاجه. إن كان واحد منا منزعجًا، فنحن نقول: «فلنعالج الأمر في وقت آخر بعد أن نهدأ». لديه قدر غير قليل من النضج، لكن من غير أي ميل إلى أن يكون «معلمًا»؛ وهو يشارك دائمًا، لكن من غير أن يكون ذا حضور ثقيل. هذا هو التوازن السليم بين الأمور كلها.

مع مضي الزمن على زواجنا، أرى أمورًا كثيرة تمنيتها تبلغ طور الإثمار. كل ما توقعت أنني سأجد نفسي مضطرة إلى الاستغناء عنه مع شريك حياتي بدأ الآن يتحقق بطرق رائعة مدهشة. لعل هذا لأنني كنت بعيدة عن الواقعية، أو لأن كل منا شديد التقبل للآخر، أو لأن كلًا منا يحترم الآخر. قد أكون محظوظة فحسب، لكن هذا كله يجعلني أفكر في قصص كثيرة عن زيجات مرتبة ينشأ فيها حب حقيقي. زواجنا ناجح لأنه غير مبني على صورة خيالية مثالية يستحيل تحققها، بل على إدراك أن الحب لا يُقدَّم هدية، بل يُصنع صنعًا.

26

قصة هيلاري . عثوري على ما يلزمني

لم تكن هيلاري في حاجة إلى مدرب مواعدة كي يساعدها في التمييز بين ما هي راغبة فيه وما هي في حاجة إليه. كان لديها الذكاء الكافي لمعرفة ذلك وحدها. هذه هي قصة هيلاري:

عندما التقيت روبرت، كنت موشكة على الانفصال عن شخص ظللت أخرج معه أكثر من سنة كاملة. لقد كنا، أنا وذلك الشخص، من محبي اليوغا. وكانت بيننا مشتركات كثيرة. لكن علاقتنا كانت فظيعة. لم يكن لطيفًا معي. وكان يخذلني كثيرًا. أخيرًا، انتهيت من ذلك كله.

كنت في الحادية والثلاثين، وأردت أن أعود إلى الدراسة كي أصير مُعالِجة نفسية. بدأت أدرس المرحلة التحضيرية قبل دراسة الطب؛ وكان روب في مختبر الفيزياء. رأيته شخصًا ظريفًا، لكن أي «تجاذب» لم يظهر بيننا... لم يكن بيننا أي شيء. لم يعجبني شكل سالفَيه فقد رأيت أنهما يجعلانه يبدو منتميًا إلى نوع بعينه من الناس، إلى جماعة ليست واقعة ضمن «دائرتي الاجتماعية». جرت مغازلات بيني وبين رجال آخرين، وكنت أثرثر مع هذا ومع ذاك. أحب أن أتكلم، وأن أثرثر! لم يكن الأمر هكذا بيني وبين روب، لكن علاقتنا في مختبر الفيزياء كانت ودية.

وفي يوم من الأيام، كنت مشاركة في عرض راقص فوزعت على الناس الذين في صفي أوراقًا دعائية كي يذهبوا لحضور العرض. قلت في نفسي:

أوه! لا أريد أن أمنحه أملًا كاذبًا! لكن الأمر المفاجئ هو أنه كان الشخص الوحيد الذي أتى لحضور العرض من بين كل من طلبت منهم أن يأتوا لحضوره وقالوا لي إنهم سيأتون! أدهشني اكتشافي أنني راغبة في قدوم شخص أعرفه. خرجت في ما مضى مع أشخاص كثيرين كانوا يقولون لي إنهم سيتصلون بي، لكنهم لا يتصلون. وأما روب فأتى إلى هذا العرض. في نظري، جعله هذا متميزًا عن غيره.

في الحفل الذي أعقب العرض، سنحت لي فرصة التعرف عليه أكثر. وجدته شخصًا مهذبًا، ورأيت ذلك أمرًا جذابًا. لم أعرف سنه إلا في آخر تلك الأمسية. كان في السادسة والعشرين فقط. طلب مني رقم هاتفي فقلت له: «أظن أن عليك معرفة سني أولًا». أخبرته كم أبلغ من العمر فقال: «هذا كلام فارغ لا يهمني».

اتصل بي في اليوم التالي وقال: «استمتعت كثيرًا ليلة أمس. هل أنت ذاهبة إلى الدرس اليوم؟». قلت له إنني ذاهبة. وعندما التقينا هناك، طلبت منه أن يجلس إلى جانبي.

لعله شخص مناسب من أجل علاقة عابرة

اعتقدت أنني يمكن أن أقيم معه علاقة عابرة خلال عطلة الشتاء... إذا حلق سالفيه! لكني بدأت أصير أكثر انجذابًا إلى شخصيته كلما ازددت معرفة به. كان لطيفًا إلى أقصى الحدود؛ وكان كريمًا. وأنا تواقة إلى العثور على رجل ذي روح كريمة. لم أصل بعد إلى اعتباره «مادة مناسبة للعلاقة»، لكني رأيته شخصًا ناضجًا بالقدر الكافي لأن يعرف كيف يتعامل مع علاقة عابرة. في تلك الفترة، كانت صديقاتي قد تزوجن جميعًا وأنجبن أطفالًا، فما كان لديَّ ما أفعله خلال العطلة. كرهت أن أكون وحيدة. ألوّح منذ سنين براية «الفتاة العازبة»، لكني سئمت الأمر الآن. لا يخيفني أن أذهب وحدي إلى السينما، أو إلى بار؛ إنما كنت في حاجة إلى أن أشعر بأن هناك رجلًا مهتمًا بي.

وهكذا، أمضينا الوقت معًا خلال العطلة، وراح انطباعي عن روب يتحسن كثيرًا من كل ناحية. خرجنا بضع مرات مع أصدقائنا، ثم كانت لنا ليلة معًا. كان اندفاعه زائدًا بعض الشيء، فأقلقني هذا. لا أود أن يصير متعلقًا بي. مضت بعد ذلك بضعة أيام، وأتى يوم رأس السنة. وعلى غير انتظار، اتصل بي صديقي السابق قال إنه يود رؤيتي. بطبيعة الحال، ذهبت لرؤيته. كنت مدركة أنه لا يناسبني، لكن دعوته أغرتني لأن فيه أمورًا كثيرة كنت أظن أنني أريدها في الرجل. كانت أمورًا غير موجودة عند روب.

عندما التقيت روب أول مرة بعد ذلك، أحسست من جديد أن وجودي معه أمر لطيف. ذهبنا معًا للتزلج على الجليد. كنت خلفه عندما وقف في صف الانتظار لشراء أصابع البطاطس المقلية فمد يده خلف ظهره ولمس يدي. كان ذلك إحساسًا رائعًا.

عندما شككت في نفسي

لكني لم «أرَ» أية فراشات! تلك الطاقة المتوترة المستثارة، وتلك الأفكار في شأن الدور الذي يلعب كل منكما في حياة الآخر. كانت لدي تلك الأحاسيس مع أصدقائي السابقين الذين اتضح أنهم غير مناسبين لي أبدًا. لكني لم أشعر مع روب بأي شيء من ذلك. كنت قد قلت له في فترة سابقة إنني لا أحب شكل سالفَيه فحلقهما؛ لكن «الكيمياء» كانت في حاجة إلى ما هو أكثر من ذلك. لم يكن في مثل وسامة الشباب الذين عرفتهم قبله!

واصلنا الخروج معًا لأنني أحببت أن أكون معه، أحببت ذلك كثيرًا. كلما فكرت في أن عليَّ وضع حد للأمر لأنه ليس الشخص الذي أبحث عنه كي يكون زوجًا لي، يجعلني ذلك التفكير حزينة، وأحزن أكثر عندما أتخيل نفسي من غيره. هذا ما جعلني مترددة في شأنه؛ وقد استمر ترددي بضع سنين. بدأت أشك في حدسي وفي مشاعري لأن أصدقائي أدركوا قبلي أن صديقي السابق الذي يحب اليوغا مثلي ليس إلا شخصًا تافهًا، لكني لم أر ذلك. وكنت مخطئة. فماذا لو كنت مخطئة في شأن روب أيضًا؟

لم تساعدني في التخلص من ترددي حقيقة أن أصدقائي، بل حتى أفراد عائلتي، رأوا أن روب شخص غير مناسب لي. رأت شقيقتي أنه أصغر سنًا مما ينبغي، وأنه مضجر إلى حد ما. كان شخصًا هادئًا ميّالًا إلى الصمت فظننت أن ليس لديه ما يقول. قالت لي أمي: «أحسه ذا طبع بارد؛ وأنت مثل نار ملتهبة، يا هيلاري». ترك كلامها أثرًا في نفسي لأن ذلك الاختلاف بيننا كان يقلقني. وهكذا، بدأت أخفيه عنهم، وتوقفت عن دعوته إلى المناسبات والنشاطات العائلية. كان أشخاص آخرون يقولون لي أيضًا إنهم يتخيلونني مع شخص أكثر جاذبية. أنا ذات شخصية منطلقة جدًا، وأفترض دائمًا أنني ينبغي أن أكون مع شخص يشبهني. كان روب هادئًا، قليل الكلام، غريبًا بعض الشيء. عندما نكون وحدنا، يستطيع إرضاء حاجتي إلى الكلام، وإلى «السخف» أيضًا؛ وأما عندما نكون مع أشخاص آخرين، فأنا أقارنه بأصدقاء الفتيات الأخريات وأفكر في أن عليّ أن أكون مع شخص يشبههم. ثم أعود إلى البيت فأجد نفسي سعيدة جدًا معه. أتذكر عندها أنني كنت أخرج مع أشخاص مختلفين فلا أجد نفسي مرتاحة معهم أو سعيدة معهم مثلما أكون مع روب.

كان هناك نوع من «انفصال» كبير بين من أتخيل نفسي معه وبين ما أريده فعلًا.

يحب الكلام على سباق السيارات

لذا، فقد ظل الأمر مستمرًا بيننا. لكنني لم أنقطع عن التفكير في أنني سأترك روب إذا توفر لي ما هو أفضل. إلا أن أثره في نفسي ظل في تزايد مستمر مع كل يوم ينقضي. كان يهتم بأصدقائه، ويهتم بأصدقائي؛ وكان يظهر ذلك طيلة الوقت من خلال مبادراته اللطيفة. أعجبتني قيَمه، لكنني لم أعتبره أبدًا «شقيق روحي». أذكر كيف كنت أفكر في أن هذا الرجل يمكن أن يكون شريك حياة رائعًا من حيث إنه شخص أستطيع أن أعيش معه سعيدة وأن أنجب منه أطفالًا. إنه جيد جدًا من حيث قدرته على التوصل

إلى حلول وسط ترضينا معًا، وهو يحسن التواصل؛ ثم إن لنا آراء متماثلة في السياسة وفي الفن وفي تفاصيل الحياة المنزلية. إلا أن اهتماماتنا مختلفة اختلافًا تامًا. لست مهتمة بالسيارات على الإطلاق، لكنه مهووس بإصلاح سيارات السباق. أنا أحب الرقص، وأحب أن أرقص عندما نخرج معًا. لكنه لا يرقص أبدًا.

كان يزعجني أنني لست مهتمة كثيرًا بالقصص التي يرويها. يقول لي: «مرحبًا، كيف كان يومك؟». ثم يقول أمورًا أو نكاتًا لها صلة بحياتي وبما يسمعه مني. يبدو مهتمًا اهتمامًا حقيقيًا... أو، على الأقل، إن لم يكن مهتمًا حقًا، فقد كان مستمعًا جيدًا. لكنني أتورط وأسأله عن أمر له صلة بالسيارات التي تعجبه فيزعجني اندفاعه في سرد تفاصيل فنية كثيرة عن هذا المحرك أو ذاك. أفقد اهتمامي تمامًا. لم أر أنني سأكون قادرة على عيش حياتي كلها على هذا النحو.

كدت أتركه بعد سنتين من علاقتنا. كنت موشكة على الحصول على شهادة المعالجة الفيزيائية، أي أن وقت التقدم من أجل منحة دراسية قد حان. أراد روب أن ينتقل إلى سان فرانسيسكو لأن عائلته مقيمة فيها؛ ولم أكن راغبة في الانتقال إلى هناك. بدا لي الانتقال التزامًا كبيرًا جدًا. بدأت أفكر على النحو التالي: إذا كنت غير واثقة من رغبتي في الانتقال معه، فليس صحيحًا أن نظل معًا. ولكن، كنا نتناول طعام الإفطار صبيحة يوم سبت وأحسست أن وجودي معه جميل جدًا. بدأ يمازحني فحاولت تخيل انفصالي عنه. أدركت عند ذلك أنني لا أستطيع تصور نفسي من غيره.

تعديل فكرة «الفراشات»

كنت في الرابعة والثلاثين عندما تزوجنا. في البداية، لم أحس أنه «شقيق روحي»! على الأقل، بالمعنى الذي كنت أتخيله طيلة حياتي. لم يكن ذلك التعبير صالحًا لوصف حالنا. وأما الآن، فإن إحساسي يقول لي إننا «شقيقا روح» بكل معنى الكلمة لأن كلًا منا يفهم الآخر تلقائيًا. كنت أقول لنفسي

في ما مضى إنه ليس فنانًا، وأنا أحب الفنانين. لكني لم ألبث أن أدركت أنه شخص مبدع فعلًا، ولكن، بطريقة مختلفة. كنت أعتقد أنني سأكون مع شخص ذي طبع فني بالمعنى التقليدي، لكن روب صاحب عقل فني!

والآن، نتكلم كثيرًا في أمور العمل وأمور الأسرة، وفي شؤون الحياة اليومية. لم يعد لاختلاف هواياتنا أية أهمية كبيرة. تركيزنا الآن منصبّ على المستقبل وعلى أمور من قبيل البيت والأطفال.

قبل اتفاقنا على الزواج، كان يقلقني احتمال أنني مقدمة على «تنازل». كنت واثقة من أنني أريده شريكًا في حياتي، لكني كنت في حاجة إلى تعديل ما أفهمه من كلمة «الفراشات». بدأت وقتها أدرك كم هو شخص عظيم، وكان إحساسي يقول لي إن تلك بداية شيء عميق حقًا، شيء استثنائي. إنه شخص شديد الصلابة. أعلم أنه سوف يساعدني في كل ما قد أمر به في الحياة. وأعلم أنني قادرة على الثقة به وعلى الاعتماد عليه. هذا أمر مختلف عن «أوه، يا إلهي! هل سيتصل بي اليوم؟».

والآن، بعد أن صرنا متزوجَين، أعتبر نفسي محظوظة جدًا مع روب. هو ليس كل ما أردته في «قائمتي»، لكنه كل ما أنا في حاجة إليه. في واقع الأمر، قد تكون الطريقة الأكثر دقة لوصف الأمر هي القول إن زواجي مختلف كثيرًا عما توقعت... لكنه مطابق كثيرًا لما كنت راغبة فيه حقًا.

27

قصتي. مصارحةٌ من أجل المصلحة العامة

لا بأس الآن! لقد عرفتم نهاية قصتي، إلى حد ما. عندما قلت في الفصل الأول إن هذا الكتاب لن يكون «قصة حبي»، لم يكن ذلك كافيًا تمامًا لتفسير ما جرى بالفعل. في الحقيقة، بدأت أخرج مع شلدون 2. استمر ذلك شهرين. أعلم أن تلك المدة لا تبدو طويلة. لكن، وبالنظر إلى أنني كنت أستبعد أي شخص لا يثير اهتمامي على الفور، فقد فوجئت بذلك التواصل الذي نشأ بيني وبين شلدون 2 خلال تلك الفترة القصيرة. بكل تأكيد، لم أحس ذلك الحب العميق الذي يكون بين شخصين مضى على تعارفهما سنون طويلة، لكن الأمر كان أفضل كثيرًا من ذلك الوله المجنون الذي يحدث كثيرًا أن يخطئ العشاق الجدد فيعتبرونه حبًا.

ولكن، كان ما أحسسته هدوءًا راضيًا ناجمًا، بكل بساطة، عن وجودنا معًا في غرفة واحدة حتى إن كان جالسًا يعمل على كمبيوتره وكنت منصرفةً إلى تفقد إيميلي. صرت أتوق إلى رؤيته في آخر اليوم مثلما أتوق إلى الاسترخاء على الأريكة القديمة المريحة في بيتي. وأنا أعني هذا بأكثر الطرق رومانسية! كان وجودي مع «شلدون 2» يمنحني صفاء وسكينة رائعين.

مع «شلدون 2» ما كان هناك انتظار عند الهاتف! ما كان هناك تساؤل عما إذا كنت «أعجبه». ما كان هناك أي ضغط يدفعني إلى أن أكون شيئًا لم

أكنه. أتيت في يوم من الأيام مرتدية فستانًا أسود مثيرًا كي أرافقه إلى دعوة عشاء مع عدد من عملائه المهمين. وبعد خروجي من البيت انتبهت إلى أن ابني قد طبع على ظهر الفستان كله آثار يديه المبللتين برغوة الصابون. رأى «شلدون 2» الأمر مضحكًا جدًا، وقال لي في وقت لاحق إن ظهوري بذلك الشكل قد أعجبه كثيرًا لأنه ذكره بالفرحة التي أستمدها من عيشي مع طفلي الصغير وشقاواته.

كلما ازداد الوقت الذي نمضيه معًا، ازدادت الحماسة. تمامًا مثلما قالت لي الباحثة في شؤون الزواج جينا كونزاغا عندما عبرت عن الأمر بأنه «فهم كل من الاثنين الآخر فهمًا حقيقيًا». لم تكن اهتماماتنا كلها مشتركة، لكن كلانا يحب المزاح والنكات ويستطيع أن يجعل الآخر ينفجر ضاحكًا. كانت عنده القيَم نفسها التي عندي. وكان كل منا قادرًا على فهم الآخر من غير أية مشقة. ثم إن «الكيمياء الجسدية» بيننا كانت رائعة على الرغم من أن أيًا منا لم يكن تجسيدًا لـ«النموذج الجسدي المثالي» الذي يحمله الآخر في ذهنه. عندما كنت أحدّث صديقاتي عن علاقتنا المتنامية، كنت أستخدم في وصفها كلمة «طرية»، أو أستخدم تشبيه الاستلقاء على أريكتي القديمة، فتجد صديقاتي الأصغر مني سنًا صعوبة في فهم ما يجعلني شديدة السعادة بها. (تسألني تلك الصديقات، «هل هو شبيه بأريكة قديمة؟!»). لكن صديقاتي الأكبر سنًا منهن كن مسرورات بسماع ذلك. كنّ مدركات أن هذا يحمل إمكانية التحول إلى شيء حقيقي.

لكن «الحقائق الواقعية» أدت إلى انتهاء تلك العلاقة. فالعلاقة صعبة عندما يكون الاثنان قد بلغا سنًا ترتب عليهما قدرًا كبيرًا جدًا من الالتزامات ومشكلات الحياة التي لا بد من التعامل معها. وبما أن لدى كل منا طفلًا من غير فائض مالي يسمح باستئجار من يسهر عليه طيلة الليل، فقد بلغ الأمر نقطة صرنا نجد عندها صعوبة كبيرة في أن يأتي كل منا بجليسة أطفال إلى بيته كلما أردنا أن نكون معًا. ثم إننا كنا راغبَين في الخروج مع طفلينا وفي أن نكون معًا. كان كل منا يحلم بالحياة العائلية.

وحتى نسير خطوة إلى الأمام، كان لا بد لكل منا من التقاء طفل الآخر. ولكن، كلما تحدثنا في هذا الأمر، ازداد إدراك «شلدون 2» أن ابنه لا يزال غير مستعد لذلك. كان طفلًا في الثامنة من العمر خسر أمه قبل سنة واحدة من ذلك. عندما قال أصدقاء «شلدون 2» له إن عليه أن «يعاود الخروج من جديد»، لم يتوقع أن يكون ظهور «شيء جاد»، سريعًا إلى هذا الحد. وقد زاد الأمر تعقيدًا أن والديه كانا يحثانه على الانتقال إلى موطنه الأصلي في شيكاغو حيث يعيشان، وذلك كي يستطيعا رؤية حفيدهما ومساعدة ابنهما في التكيف مع حياته الجديدة. لذلك، وفي ظل عدم وجود أي أقارب في لوس أنجلوس، وتوفر كثرة من الإخوة والأخوات وأبناء وبنات الإخوة والأخوات في شيكاغو، أدرك «شلدون 2» أن انتقاله هو القرار الصائب من أجل مصلحة ابنه.

هكذا انتقل مبتعدًا عني ألفي ميل!

لا أستطيع القول إنها لم تكن خسارة كبيرة لأنها كانت خسارة كبيرة فعلًا. أردت أن أنتهي من «قصص المواعدة». لكنني سعيدة بتلك التجربة التي عشتها مع «شلدون 2» لأنني رأيت بعيني كيف يمكن أن أجد نفسي سعيدة مع أشخاص لم أقبل أن أنظر إليهم في الماضي. لم يكن «شلدون 2» واحدًا من أولئك الرجال الذين يوافقون قائمة أمنياتي، لكنه لبّى «حاجاتي» الثلاث، ولبّى أيضًا قسمًا كبيرًا من رغباتي. الحقيقة أنه لبّى «رغبات» كثيرة جدًا لم تعد معها للرغبات غير الملبّاة أية أهمية. وفي نهاية المطاف، كانت لدي «رغبة» واحدة بسيطة مهمة: رغبت في أن أكون معه.

بل إنني صرت أشتاق إلى ربطات عنقه الغريبة!

ولكن، ثمة مشكلة أخرى: أظنني تعلمت هذا كله بعد أن فات الأوان!

رجال ويندي الجدد

بعد ستة شهور من بحثها في المدينة عن رجل مناسب لي، رأت ويندي (التي تعمل في التوفيق بين الثنائيات) أنها اهتدت أخيرًا إلى شيء جديد. أرسلت لي إيميلًا مشجعًا تقول فيه إنها التقت رجلين يُحتمل أن

يكونا مناسبين. قالت أيضًا إنه سيكون لها معهما حديث معمَّق في وقت لاحق من ذلك الأسبوع. كان واحد منهما في الثالثة والأربعين، ولم يتزوج من قبل أبدًا، لكنه عاش علاقات جادة. إنه الآن يسعى إلى الزواج ومستعد للخروج مع امرأة في الحادية والأربعين. قالت لي أيضًا إنه وسيم وله اهتمامات ثقافية. وأما الرجل الآخر، فقد كان أبًا مطلقًا في السابعة والأربعين. قالت إنه والد مهتم، فضلًا عن كونه شخصًا ناجحًا، إلا أنه قد لا يكون متسمًا بما لدى الرجل الأول من «مزايا ذهنية».

أجبتها، «هيا إذًا! هذا أو ذاك. أنا مستعدة!». هذه المرة، عنيت ما قلت. لم أطالبها بمزيد من المعلومات كي أتعمق في التحليل. قررت أن الموعد الأول مع أي واحد منهما لن يضرني في شيء. عاودت ويندي الاتصال بي بعد ثلاثة أيام من ذلك. اتضح أن لدى الرجل الذي في الثالثة والأربعين مشاعر متضاربة في ما يتصل بالأطفال (كان هذا سبب استعداده في الخروج مع امرأة في الحادية والأربعين. وكما قال لي إيفان، إذا كان الرجل شديد الرغبة في أن يصير أبًا، فعادة ما يحدث ذلك قبل سن الأربعين). كما أن الأب المطلق «المهذب، لطيف المظهر» لم تكن لديه، بحسب تعبير ويندي، «تلك الحياة الذهنية النشطة التي أظنها مهمة بالنسبة إليك».

لم يكن هذا ناجمًا عن إفراطي في التدقيق، ولا حتى عن إفراط ويندي في التدقيق. لقد كان نتيجة واقعيتها. فالرجل الذي لم يحظ بتعليم رفيع، لكنه صاحب ذهن فضولي يحب الاطلاع، يمكن أن يكون شخصًا مناسبًا لي. بكل تأكيد، كان «شلدون 2» رجلًا من هذا النوع. وتمامًا مثلما كان ذلك الأب المطلق غير متفق مع ما أبحث عنه، اتضح أيضًا أنني لست ما يبحث عنه. فعندما تعرفت عليه ويندي عن قرب أكبر، علمتْ أنه غير ميّالٍ إلى أصحاب العقول المتوقدّة. يعني هذا أنني عدت من جديد إلى نقطة البداية. لا يدري أحد كم شهرًا سينقضي قبل أن تستطيع ويندي أن تعثر لي على رجل آخر. إذًا، يا أصدقائي وصديقاتي، هكذا هي «حياة المواعدة» عندي هذه الأيام.

أعلم أن من المحبط أن أقول هذا! يحب الجميع سماع قصص النهايات السعيدة. أليس هذا صحيحًا؟ يريد كل إنسان أن يسمع ما يطمئنه إلى أنه سوف يكون قادرًا على العثور على شخص رائع مهما تقدمت به السن. ولكن... تلك هي الحقيقة: النهاية السعيدة أمر محتمل دائمًا؛ لكن نهاية سعيدة من أجلي صارت أقل احتمالًا (بل أقل كثيرًا) مما هي بالنسبة لامرأة أصغر مني بعشر سنين، فضلًا عن أنها مختلفة كثيرًا عما يمكن أن أحظى به. تزداد المواعدة تعقيدًا كلما تقدمت السن بالإنسان فلا يعود أي مقدار من «تصحيح الموقف» قادرًا على إعادة عقارب الساعة إلى الخلف أو على تغيير حقائق الواقع.

لست أريد إحباط الناس، بل أريد مساعدتهم. هذا أمر يشبه تلك الإعلانات التصويرية المناهضة لقيادة السيارة في حالة سكر، تلك الإعلانات التي نرى فيها سيارات تصطدم بالأعمدة ويُقتل سائقوها. لو اكتفوا بالقول لك: «لا يجوز أن تقود السيارة بعد الشرب»، لقلت في ذهنك: «صحيح، أعلم هذا، لكن في وسعي أن أحتسي كأسين من الكوكتيل، أليس كذلك؟». لا تكون تلك الرسالة ذات أثر قبل أن ترى أشخاصًا في حالة موت دماغي، مستلقين في المستشفى بعد أن غرقوا في غيبوبة ومن حولهم أجهزة طبية تصدر طنينها.

وعلى نحوٍ مماثل، إذا كنت لا ترين كم يسهل أن ينتهي الأمر بالناس وحيدين عندما يرتكبون تلك الأخطاء التي ارتكبتها، فلن يثنيك شيء عن ارتكاب تلك الأخطاء بنفسك. كان لا بد لي من أن أبيّن واقع عيشي وحيدة في مثل سني هذه لأنني كنت في ما مضى أشبه بمراهقة تعتقد أنها حصينة إزاء حوادث السيارات الناجمة عن السكر... يظل ذلك كله في حيز «المُجرَّد»، يظل شيئًا يقع لأشخاص آخرين، لكنه لن يقع لي أبدًا! لن يتبادر إلى ذهني يومًا أنني سأصير ضحية أخرى من ضحايا «المواعدة». كان عليَّ أن أوضح، بل أن أوضح بالتفاصيل الكالحة، فظاعة «الحادثة»

التي انقلبت إليها حياتي كي أمكّنك من الإقدام على خيارات لن تنظري إليها نادمة عندما تتذكرينها في المستقبل.

بالتالي، لك أن تعتبري هذا «إعلانًا عامًا» في ما يتصل بالمواعدة: إذا رأيتِ نفسك في هذا الكتاب، فأنا شبحُ ما قد يصيبك إذا لم توسّعي فكرتك عن «الرجل الصحيح». وأنا أقول هذا بطريقة أريدها لطيفة لأنه «رسالة متفائلة» في واقع الأمر: إذا كنتِ امرأة تجاوزت سن الصبا، مثلي، فسوف يصير الأمر أكثر صعوبة. ولكن، على الأقل، ستحظين بفرصة أفضل للعثور على رجل جيد جدًا إذا استطعت تغيير طريقة تفكيرك. وإن كنت عازبة في العشرينيات أو في الثلاثينيات تتساءل عن السبب، فقد صرت الآن تعلمين السبب وتعلمين أيضًا ما تستطيعين فعله كي تزيدي فرصك في العثور على زواجٍ سعيد يعيش طويلًا.

نوع مختلف من أنواع التمكين

صديقتي إريكا عازبة في الحادية والثلاثين من عمرها؛ وقد ساورتها الشكوك عندما طلبت منها قراءة هذا الكتاب. لقد كانت لها علاقة انتهت منذ فترة وجيزة فظنت أنني سأحاول إقناعها بأن «تتنازل وتقنع». أقسمت لها أن الأمر ليس هكذا وأنه لا علاقة له بالتنازل والقناعة بما هو أقل مما يمكن أن يجعلها سعيدة. قلت لها إن هذا الكتاب يتناول فكرة تعلم كيفية تقدير ما هو قيّم حقًا.

لم تكن واثقة من كلامي، لكنها قرأت الكتاب فقالت لي إنها وجدته تشجيعًا لها. قالت لي: «أحسست أنني قادرة على العثور على الشخص المناسب لأن ما من ضرورة لتلبيته كل معيار من المعايير التي في ذهني فتلك فكرة قادرة على إثارة الفزع. ليس عليه أن يطابق الصورة الدقيقة التي تخيلتها في ذهني. أعجبني ذلك الإحساس بالتمكين - فكرة أنني أستطيع أن أكون سعيدة وأن أعثر على الحب إذا عدّلت موقفي، وليس إذا شاءت المصادفة وشاء الحظ أن أكون في المكان الصحيح في اللحظة الصحيحة... من جديد، هذه فكرة تثير الفزع».

وعلى غرار إريكا، أجد أن هذا الأسلوب سبيلٌ أكثر واقعية إلى الإحساس بالحرية. فكم تريح النفس وتطمئنها معرفة أن العثور على شريك حياة جيد ليس مصادفة خارجية عشوائية بل أمرًا قائمًا، إلى حد كبير، على ما نتخذه من خيارات وما نبادر إليه من أفعال. الأمر الغريب هو أن أكثرنا لسن نساء عازبات نتيجة مظهرنا أو وزننا أو سوية تعليمنا أو طبيعة عملنا، ولا حتى نتيجة ما إذا كنا اتخذنا زمام المبادرة مع الرجل أو انتظرنا ثلاثة أيام حتى نرد على اتصاله. نحن عازبات لأنه لدينا ذلك الاعتقاد الكامن في نفوسنا، ذلك الاعتقاد بأنه ينبغي أن نكون على توافق تام مع الشريك، وإذا لم يكن الأمر كذلك، فعلينا أن نعثر على شخص آخر.

هذا ما يجعل العثور على *أي شخص* أمرًا في غاية الصعوبة.

وبحسب تعبير صديقتي المتزوجة لين: «إن إقدام المرأة على تعديل نظرتها يجعل 'الصيد' أكثر متعة وجاذبية وقابلية للإدارة، كما يجعله أقل تخييبًا للرجاء. عندما تعدلين معاييرك فأنت تمنحين الفرصة لمزيد من الرجال ـ لا يعني هذا أن عليك أن 'تمنحي فرصة' لأي رجل تحسين إزاءه نفورًا حقيقيًا. سوف تلتقين أشخاصًا أكثر وسوف تسمحين لنفسك بأن تعيشي حياة ممتعة عامرة بالمفاجآت».

صحيح أنني ما كنت لأختار بإرادتي أن أظل عازبة في سن الحادية والأربعين، لكن ما يدعوني إلى التفاؤل هو أن ظروفي ترغمني على التركيز على ما هو مهم. من المرجح الآن أن أصل إلى علاقة أفضل إذا قُيّض لي أن ألتقي أحدهم. ولكن، كم كان أمرًا جميلًا لو أنني أدركت هذا منذ زمن بعيد! لم أعد الآن قادرة على تغيير شيء مما جرى... ولكن، قد تكونين أنت قادرة على ذلك.

اسمعي! أنتِ... يا صاحبة القميص الوردي

نعم، أنتِ! كنت منذ أيام جالسة بين الحضور في فيلم «*هو ليس مهتمًا بك كثيرًا*»، ورحت أتابع مذهولة كيف كان الناس في تلك الصالة التي

لم يبق فيها مقعد خالٍ يشهقون ويصفقون ويهللون ولا يستطيعون البقاء جالسين على مقاعدهم عندما أقدم شاب ظل سبع سنين يقول إنه غير مهتمّ بالزواج على طلب الزواج من الشخصية التي لعبتها جينفر آنستون، أو عندما اعترف الرجل الرشيق الذي يلعب دوره جوستين لونغ بأنه واقع في حب الحلوة جينفر غودوين بعد أن كان ينكر اهتمامه بها.

ففي كلمة رومانسية، اعترف لها بها أنها هي الاستثناء من القاعدة. قال إنه عندما يبدو الرجل غير مهتم، فهو غير مهتم فعلًا... أكثر الأحيان. وأما في هذه الحالة، فتلك القاعدة غير سارية المفعول. أظن أن النساء اللواتي شاهدن ذلك الفيلم كنّ في حماسة شديدة لهذا النوع من النهايات السعيدة البعيدة جدًا عن الاحتمال، وذلك لإحساس كل واحدة منهن أن القواعد لا تنطبق عليها، وأنها استثناء من القواعد كلها. لقد كنت في ما مضى واحدة من تلك النساء على الرغم من إدراكي ـإذا تكلمنا من الناحية الإحصائيةـ أن ذلك أمر بعيد الاحتمال. لم أكن استثناء! وأنت أيضًا، من المحتمل كثيرًا ألّا تكوني استثناءً من القاعدة.

بالتالي، فإن ما أقوله موجه إليكِ... إليك أنتِ. أنت يا صاحبة القميص الوردي. إنني أكلمك أنت. لا أريد بهذا الكلام أن أنتقص من قدرك. أريد أن أفتح عينيك. وذلك أن عدم اعتقادك أنك «فوق الجميع» يجعلك أكثر وعيًا بذاتك؛ وهذا ما يفضي إلى اتخاذك قرارات أفضل. وهو يجعلك في موقع أفضل للحصول على ما تريدين. وأما إنكار ذلك، فهو يتركك مستمرة في المواعدة مثلما كنت تفعلين دائمًا، أي على النحو الذي لم يصِب أي نجاح حتى الآن. إن كنت عازبة، لكنك لا تريدين أن تظلي عازبة، فأنت تقرأين هذا الكلام وتقولين في نفسك إنه ليس كلامًا عنك. لعله ليس كلامًا عنك. لعلك مستثناة من هذا! ولكن، هل أنت واثقة من الأمر؟ هل أنت امرأة تتخذ قرارات ذكية واعية في شأن الرجال الذين تسمح لهم بدخول حياتها؟

النبأ الحسن هو أنكِ، إن كنت تريدين شيئًا مختلفًا فهو متاح لك. قد

يستغرق التغير حينًا من الزمن، لكن هذا ليس مشكلة. فكم سنة استغرق الأمر إلى أن نشأت لديك هذه المواقف «التخريبية»؟ منذ عشر سنين، لم يقل لي أحد شيئًا مما تعلمته أثناء تأليفي هذا الكتاب. أو، إن قال لي أحد شيئًا، فأنا لم أكن لأصغي إليه. لا تستطيعين لوم أحد لأنه لم يخبرك، لكنك تستطيعين لوم نفسك لأنك لم تكوني مصغية.

هل تحبين التفكير في أن رجلك المثالي سوف يظهر، بأعجوبة من الأعاجيب، عند بابك يوم غد؟ لا بأس في هذا! عليك إذًا أن تفكري كيف تستطيعين أن تصيري أكثر منطقية في شأن أسلوبك في المواعدة حتى يصبح قدوم تلك السعادة أكثر سهولة؟ وهذا أيضًا أمر لا بأس فيه!

تذكري أن الخيار خيارك أنتِ. فأنتِ التي تعرفين التفاصيل... والأمر كله في يدك.

مكتبة
t.me/soramnqraa

خاتمة

أين هنَّ الآن؟

جوليا، التي انفصلت عن كريغ لأنه لم يكن «يلهمها» بالقدر الكافي، ثم انفصلت عن آدم، ذلك الطبيب الجراح الساحر، لأنه لم يكن «مساندًا إلى الحد الكافي». قالت جوليا إنها لم تدرك كم كان كريغ «ملهمًا لها» من نواح مهمة جدًا إلا بعد أن صارت تخرج مع آدم. وهما الآن مخطوبان.

قالت لي جوليا: «من فضلك، لا تستخدمي اسمينا الحقيقيين في هذا الكتاب. لا أريد أن يعلم الناس كم كنت حمقاء!».

جيسيكا، التي ندمت على رفضها طلب ديف الزواج منها لإحساسها أنها لا تزال صغيرة على الزواج، لكنها ظلت بعد ذلك تحاول منع نفسها من المقارنة بين كل شخص خرجت معه وبين ديف. وهي أيضًا تحاول كل ليلة أن تمضي وقتًا أقل في تتبع أخباره عبر غوغل!

قالت لي: «ديف الآن متزوج. حياته ماضية في سبيلها. إذا استطاع ديف أن يعثر مع واحدة غيري على تلك الرابطة القوية التي كانت بيننا، فمن المحتمل أن أستطيع ذلك بدوري. أتمنى فقط لو أنه لا ينشر صور طفله الصغير في فيسبوك، فأنا لا أستطيع الكف عن النظر إليها».

في الآونة الأخيرة، التحقت جيسكا بموقع «Match.com».

بروك، التي هي طالبة في السنة الأخيرة في بوسطن، تركت شقة صديقها وبدأت تخرج مع شخص هو ابن أحد أصدقاء أهلها.

قالت لي: «في ما يتصل بالمواعدة، كففت تمامًا عن استخدام كلمة 'النسوية'. فمع صديقي الجديد، صارت كلمة 'الزواج' هي الكلمة المهمة».

كيثي مور، التي تعمل في التوفيق بين الثنائيات من خلال موقع «Make Me A Match»، تلك التي نصحتني بأن «أوفّر نقودي» من أجل حياة الحب، اتصلت بي بعد ثمانية شهور من اتصالنا الأول وقالت إنهم يقدمون «عروضًا خاصة مختلفة» بسبب حالة الركود الاقتصادي.

شاءت المصادفة أن أكون قد خرجت في موعد مع شخص استعان بخدماتهم قبل شهور من ذلك. قال لي إنهم جعلوه يدفع أربعمئة وخمسين دولارًا مقابل ستة مواعيد، وذلك في الوقت نفسه (تقريبًا) الذي قالت لي فيه كيثي إنها لا تستطيع أن تجد لي ثلاثة أشخاص أجرب الخروج معهم مقابل ألف دولار لأن ذلك المبلغ «لا يستحق العناء». من الواضح إذًا أن «تدبير أمر» رجل مطلق في الرابعة والخمسين لديه أطفال مراهقون أكثر سهولة من حالة امرأة عازبة في الحادية والأربعين لديها طفل عمره سنتان!

والآن، تعرض عليّ كيثي تخفيض الثمن من ثلاثة آلاف وخمسمئة دولار إلى ألفين وخمسمئة دولار. قالت لي: «هذه صفقة ممتازة!».

أجبتها قائلة إنني لا أزال مستمرة في توفير مالي.

ليزا، التي استأنفت في الآونة الأخيرة علاقتها مع رايان الذي تخلت عنه قبل سنتين لأنها رأت أنه لا يهيم بها حبًا إلى الحد الكافي. ففي الشهر الماضي، التقيا مصادفة في حفلة أقامها أصدقاء مشتركون بينهما. كان الاثنان لا يزالان عازبين مع أن كلًا منهما أقام علاقات مع أشخاص آخرين خلال فترات انفصالهما.

قالت ليزا: «اتضح لي أنه لم يجد امرأة يستطيع أن يحبها مثلما يحبني. هذا ما كان يقوله لي دائمًا».

المرأة التي أحست إهانة عندما رتبت لها موعدًا مع شخص وصفته لها بأنه «مثلها تمامًا»... لا تزال عازبة.

قالت لي: «ليس التقاء الناس سهلًا. هذا أمر يثير قنوطي. أستيقظ، وأذهب إلى العمل، ثم إلى النادي الرياضي، ثم أشتري شيئًا للعشاء، ثم أعود إلى البيت. المواعدة عبر الإنترنت متاحة، لكن أفضل طريقة للقاء الناس هي أن يكون ذلك عن طريق موعد يرتّبه شخص من معارفي. كان الناس يرتبون لي مواعيد كثيرة، لكنهم لم يعودوا يفعلون ذلك!».

هممم! أتساءل عن السبب!

آني، التي قالتِ لي إنها تعلمت من زواجها الأول ما ينبغي أن يكون مهمًا، لكنها تجد صعوبة في وضع ما تعلمته موضع التطبيق، لم تخرج أبدًا مع ذلك المحامي الذي اعتبرت بروفايله في فيسبوك مضجرًا. بدلًا من ذلك، حبلت مصادفة من شخص متبطل لم يكن «مضجرًا». على الفور، هرب ذلك الرجل وتركها. وهي الآن أم عازبة في الخامسة والثلاثين.

تأثرت **لورين** عندما أتى صديقها السابق ـ ذلك الذي كانت، بعض الأحيان، تجده مزعجًا على الرغم من أنه «ما تريده تمامًا من الناحية العاطفية»، كي يواسيها عندما بلغها نبأ عن تدهور حال أمها المصابة بالسرطان. لكنها صرفت النظر عنه تمامًا عندما أتاها بشمعة ذات رائحة عطرة فرأت أن فتيلها مُسودٌّ قليلًا.

قالت لي: «هذه أسوأ هدية يستطيع المرء إعادة إهدائها. لا شيء يبدو ’مستعمَلًا من قِبل‘ أكثر من الشمعة. كان الأمر غريبًا لأنه كتب إليّ بعد ذلك رسالة نصية يقول فيها إن عليّ أن أهتم بنفسي وأخرج في نزهات وأستمع إلى الموسيقى. إنه مهتم بي فعلًا، لكنه غبي تمامًا في الأمور الأساسية في العلاقات العاطفية. الحقيقة أنه أبله».

لا تزال لورين حتى الآن تتساءل عما إذا كان لأي شيء من ذلك كله أية أهمية حقيقية.

شكر وتنويه

إن كانت المواعدة تستلزم قدرًا غير قليل من المساندة المعنوية، فكذلك يستلزم تأليف كتاب عن المواعدة. لقد كانت وكيلتي ليف بلومر التي تعيش زواجًا سعيدًا حكيمة عندما جمعتني بترينا كيتنغ العاملة في مؤسسة «دوتون» التي آمنت بهذا المشروع منذ لحظة قراءتها مقالتي في «أتلانتيك» (وهي بدورها تعيش زواجًا سعيدًا). إن لدى ترينا ذلك المزيج غير الشائع الذي يجمع بين الذكاء الشديد والصبر الذي لا حدود له؛ وهي تمضي دائمًا وقتًا طويلًا جدًا في مكالمتها الهاتفية معي كلما كان عندي سؤال شخصي أو مهني. صحيح أنها صارت بعد ذلك وكيلة أدبية، لكنها واصلت قضاء ذلك الوقت الطويل معي على الهاتف؛ وأنا في غاية الامتنان لذلك.

في غضون ذلك، شاء الحظ الطيب أن تصير كاري ثورنتون، السعيدة في زواجها، محررتي الأدبية الجديدة. فبدقة طبيب جراح وتفهم صديق حميم، قرأت كاري الصفحات الكثيرة التي طبعتها من غير أي انتظام وجعلتني أحولها إلى مسودة أولية منسجمة في غضون ثلاثة أسابيع فقط. ثم اعترفت لي بأنها تتفهم تمامًا عدم رغبتي في الخروج مع شخص يبلغ طول قامته مئة وخمسة وستين سنتيمترًا. (عليَّ القول إن قامة كاري تبلغ مئة وسبعين سنتيمترًا. بالتالي، لا أستطيع اعتبار ما قالته لي عذرًا يبرر موقفي). ثم إنها احترمت فلسفتي، فلسفة «لا درجات، ولا قوائم، ولا أوهام»، فوعدتها بالمقابل ألّا أعود إلى استخدام عبارة «كتاب رخيص عن العلاقات».

لقد كان فريق العمل كله في مؤسسة «دوتون» رائعًا. كان برايان تارت مهتمًا بالعمل إلى أقصى حد. وقد ابتكرت مونيكا بينالكازار العاملة في القسم الفني غلافًا جميلًا جدًا فيه ربطة عنق على شكل فراشة، وتلك الأمور كلها. ومن خلف ستار، تعاملت ليلي كوزنر بكل مهارة مع عدد كبير جدًا من المهام فكانت مثل من يقذف كرات كثيرة في الهواء فلا تسقط على الأرض أية واحدة منها.

كتبت أماندا ووكر وليزا كاسيتي رسالة تعريفية بالكتاب لا تزال إلى الآن قادرة على جعلي أنفجر ضاحكة.

وفي حين كنت أذهب للحديث مع الناس في شؤون المواعدة، وأخرج في مواعيد فعلية، وأتجول عبر مواقع المواعدة في الإنترنت، كان آرون كاكزاندر منكبًا على تفريغ المقابلات بينما واصلت سوزانا ستوسيل وهيلاري ماكليلن تزويدي بمعلومات عن آخر ما توصلت إليه الدراسات في هذا الميدان. لقد كانت لدى أندريا سيغيل معرفة موسوعية مخيفة بثقافة البوب، وكان تحليلها اللامع لوسائل التواصل الاجتماعي مفيدًا لي.

لقد كان الأشخاص التالية أسماؤهم في غاية اللطف معي فاقتطعوا أوقاتًا من حياتهم المزدحمة بغية قراءة مخطوط الكتاب وموافاتي بملاحظاتهم: ديزي بيتي، وكيثي كروتشر، وريتشل غريندوالد، ولين هاريس، وسارا هوفريختر، وريبيكا هيلفورد، وجوستين إيزولا، وهيلاري ليفتين، وكلير لوندبرغ، وإيف ماريمونت، وويندي ميلر، وسكوت ستوسن، وكايل سميث. لا أستطيع وفاءهم حقهم من الشكر لقاء بصائرهم الوقادة وروحهم المرحة وتعاطفهم.

أسدت لي آنات بارون جميلًا عندما قالت إن عليَّ أن أكتب من قلبي مهما يكن ذلك غير لطيف، وذكرتني بأن الأمل مرغوب فيه دائمًا، لكن الحقيقة هي ما يغير الحياة. قالت لي في ساعة متأخرة من إحدى الليالي بعد عودتي من تجربة المواعدة السريعة التي كانت كارثية: «ينبغي أن يسمع الناس الحقيقة».

وأنا ممتنة أيضًا لأصدقائي ومعارفي جميعًا، ذكورًا وإناثًا، متزوجين وعازبين، ممن سمحوا بإيراد أقوالهم في هذا الكتاب وأطلعوني على تجاربهم بقدر لا يستهان به من الصدق مهما تكن تلك القصص مؤلمة أو شخصية. وأنا ممتنة أيضًا لكل من سعيت إلى إجراء مقابلات معهم فلم يترددوا عن كشف الحقائق كلها أمام شخص غريب عنهم. أشكرهم لما تحلوا به من صراحة وصدق، ولثقتهم بي. ليس أمرًا سهلًا أن يخبر المرء صحافيةً بأمور لا يعلم عنها الزوج أو الزوجة أي شيء.

لم يكن سهلًا على أمي وصديقاتها أن يجلسن معي وقد وضعت آلة التسجيل على الطاولة بيننا كي تحدثني كل واحدة منهن عن زواجها. يسعدني أنني استطعت إدراج قصصهن وأفكارهن في هذا الكتاب.

وأنا مدينة بالكثير لإيفان مارك كاتز لأنه لم يخفِ عني شيئًا، وذلك على الرغم من أنني لم أبدأ الاستماع إليه حقًا إلا بعد حين من الزمن. فبحسب تعبيره، «لن أقول لك إن هذا سهل، بل سأقول إنه أمر يستحق العناء».

خبراء كثيرون في ميادين متعددة تكرموا علي بقدر وافر من وقتهم وحكمتهم: بول آماتو، ودان آرييلي، ومايلز بركوفيتز، ومايكل برودر، وليزا كلامبيت، وجون كورتيس، وبول إيزتويك، وجولي فيرمان، وإيلي فنكل، وهيلين فيشر، ولينا فروزيتي، وجيان بونزاغا، وريتشل غرينوالد، وسكوت هالتزمان، ومارتي هيزلتون، ودايان هولمبرغ، وبن كارني، وجاياملا ماداثيل، وهاورد ماركمان، وستيفن مارتين، وسوزان بيج، وجودي بودولسكي، وإدرا بولين، وهيلينا روزمبرغ، وباري شوارتز، وجيف سيمبسون، وماريون سولومون، وديفيد وولبي. آمل أن أكون قد أحسنت التعبير عن آرائهم في هذا الكتاب.

لقد ساعدني بوب غومير في الاختيار بين من هم أكثر من متقدمين «جيدين بما فيهم الكفاية» من أجل الفيلم المأخوذ عن عملي، وذلك من خلال توجيهي إلى وضع نفسي بين الأيدي القديرة، أيدي توبي ماغواير، وبيلي جونسون، من شركة «وارنر بروذرز».

ثمة أشخاص كثيرون في «أتلانتيك»، في الماضي وفي الحاضر، ممن ساعدوني كثيرًا على مر السنين، فضلًا عما كان في رفقتهم من متعة. أخص منهم بالذكر توبي لستر، وسكوت ستوسل، وإليزابيث شيلبورن، وكيثي كروتشر. كما كان سيج ستوسل ذو الموهبة الفائقة سخيًا غاية السخاء بأن أنجز الرسوم المتحركة من أجل الجزء الأول. شكر خاص أوجهه إلى بن شوارتز لجرأته في إعطائي معزوفة «اقبليه زوجًا لك».

أود أيضًا أن أعبّر عن عميق امتناني لأي واحد من أصدقائي لا يزال مستعدًا لترتيب موعد لي بعد قراءته هذا الكتاب. أقسم لكم إنني تغيرت!

أخيرًا، أخص بالشكر الأكبر ابني الرائع زاخاري جوليان الذي كان يتفهم الأمر كلما أبصر على باب غرفتي لافتة تقول «ماما تعمل». مقابل هذا، أنا مدينة له بساعات طويلة من مشاركته لعبته المفضلة. أكبر فرحة في حياتي هي أنه علمني المزيد عما يعنيه الحب حقًا، علمني أكثر مما قد يستطيعه أي خبير.

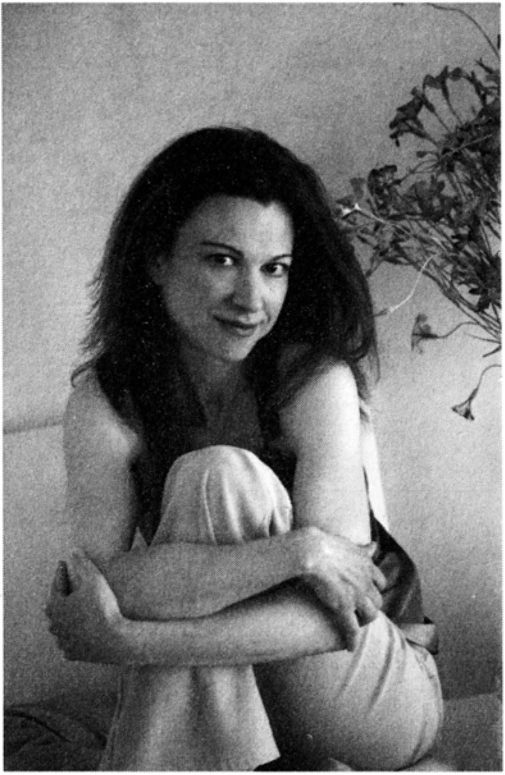

لوري غوتليب صاحبة كتاب *«رسم تخطيطي: يوميات ذاتي السابقة»* الذي صار من الكتب الأكثر مبيعًا في الولايات المتحدة. وهي صحافية تظهر كتاباتها في «نيويورك تايمز» و«أتلانتيك» و«تايم» و«بيبول» و«سليت» و«غلامور» و«إل» و«سالون» و«لوس أنجلوس تايمز». وهي تشارك كثيرًا في برنامج «أول ثينغز كونسيدرد» في «شبكة الإذاعة الوطنية ـ NPR».

موقعها على الانترنت: www.lorigottlieb.com

مكتبة
t.me/soramnqraa

لوري غوتليب

تزوّجيه

دفاع عن فكرة قبول "الرجل الجيد إلى الحد الكافي"

"بهجة لم أتوقعها! تقدم لوري غوتليب نفسها نموذجًا لقصة بحثها الخائب عن زوج. قصة معروضة من خلال مزيج من الصدق وروح الفكاهة القاتمة... الحقيقة ليست جميلة، لكنها قد تكون قادرة على تحريرنا". نيويورك تايمز بوك ريفيو

"تزوّجيه... كتاب مخيف ومقنع إلى حد مفاجئ". ذا أوبرا ماغازين

***

لديكِ عمل يرضيكِ، وشقة ممتازة، وصديقات رائعات. إذًا، ما المشكلة إن كنتِ لم تعثري بعد على «الرجل» الذي في ذهنك؟ سوف يظهر ذات يوم -تقولين- أليس كذلك؟ لكن... ماذا لو لم يظهر؟ أو، ماذا لو كان ذلك «الرجل» أمامك، لكنك تجاوزتِه ولم تلتفتي إليه؟ تتساءل لوري غوتليب التي تجاوزت الأربعين ولا تزال عازبة: ما الصفات التي هي قُوام الرضى الرومانسي الدائم؟ وهل نحن نبحث عنها في علاقاتنا العاطفية؟ هل المبالغة في التدقيق تأخذنا إلى أمور ثانوية فنغفل عن الصفات المهمة ؟

تستطلع غوتليب في هذا الكتاب معضلة شائعة جدًا: كيف السبيل إلى التوفيق بين الرغبة في زواج سعيد وبين قائمة الصفات التي لا بد من توفرها والصفات التي لا يمكن القبول بها؟ إنها قائمة بالغة التعقيد!

في سعيها للإجابة عن هذا السؤال، تنطلق غوتليب في رحلة البحث عن الحب لدى علماء وأطباء وباحثين في العلاقات الزوجية، وكذلك لدى نساء ورجال من المتزوجين والعازبين من أجيال مختلفة.

إنها رحلة استكشاف في عالم العلاقات العاطفية الحديث، رحلة معمَّقة طريفة مؤلمة صادقة دائمًا، رحلة تجلو البصيرة وتنبّه العازبات إلى ضرورة النظرة الواقعية لاختيار «الرجل الجيد إلى الحد الكافي».

مكتبة
t.me/soramnqraa

daraltanweer.com
التنوير